9362
SIA

کتب خانہ آصفیہ کارعالی حیدرآباد دکن

نمبر داخلہ ۱۴۲۳۳

تاریخ داخلہ ... آخر آبان ۱۳۲۱ف .....

نام کتاب ... تاریخ الاسحاقی ..... عربی حصہ ...

فن کتاب ..... تاریخ .....

نمبر کتاب ہذا فن مذکور ۹۰۹

فهرست تاريخ الامم الاسلامية

صحيفة	
٢	الخطبة
٣	المقدمة
١٦	تمهيد في أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام
٢٢	الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم ومن بعدهم
٢٣	خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه
٢٨	ذكر وفاة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه
٣٠	خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه
٣٤	ذكر وفاته رضي الله عنه
	خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه
٣٦	خلافة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٤١	خلافة سيدنا الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما
٤٢	الباب الثاني في دولة بني أمية
٤٤	خلافة يزيد بن معاوية
٤٩	خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه
٥٠	خلافة معاوية بن يزيد
	خلافة مروان بن عبد الحكم
	خلافة عبد الملك بن مروان
٥٢	خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان
٥٤	خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان
٥٥	خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز
٥٦	خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان
	خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان
٥٨	خلافة الوليد بن يزيد
	خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان
٥٩	خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك
	خلافة مروان المعروف بالحمار
	الباب الثالث في الدولة العباسية
	خلافة أبي العباس السفاح
	خلافة أبي جعفر المنصور
٦٢	خلافة المهدي بن المنصور
٦٣	خلافة موسى الهادي بن المهدي
٦٤	خلافة هرون الرشيد

صحيفة	
٧٠	خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد
٧٢	خلافة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد
٨١	خلافة أبي اسحق المعتصم بن هرون الرشيد
٨٣	خلافة أبي جعفر هرون الواثق بن المعتصم
	خلافة جعفر المتوكل ابن الواثق
٩٠	خلافة محمد المنتصر بن المتوكل
٩١	خلافة أبي العباس أحمد المستعين بالله ابن المعتصم عم المنتصر أخو المتوكل
	خلافة المعتز محمد أبي عبد الله
	خلافة عبد الله المهدي
٩٢	خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل
٩٤	خلافة أحمد المعتضد بن طلحة الموفق
٩٥	خلافة علي المكتفي بالله ابن المعتضد أحمد بن طلحة
	خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد
	خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل
٩٧	خلافة أبي المنصور محمد القاهر بن المعتضد
٩٨	خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد
	خلافة محمد الراضي بن المقتدر
	خلافة المكتفي ابراهيم بن المقتدر
	خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي
	خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر
	خلافة عبد الكريم الطائع لله ابن المطيع لله
	خلافة أبي العباس أحمد القادر بالله ابن المقتدر
	خلافة القائم بامر الله عبد الله بن أحمد القادر
	خلافة المقتدي بامر الله ابن القائم بامر الله
٩٩	خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد
	خلافة أبي الفضل منصور المسترشد
	خلافة أبي جعفر منصور الراشد بالله
	خلافة المقتفي لامر الله وهو محمد بن المستظهر
	خلافة المستنجد بالله يوسف بن المقتفي
	خلافة المستضيء بنور الله
١٠٠	خلافة الناصر أحمد بن المستضيء بنور الله

صحيفة		صحيفة	
	خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد		أصحاب الفوطات
	خلافة أبي جعفر المستنصر بالله	١٢٩	الباب السابع في الدولة التركية
	خلافة المتعصم بالله ابن المستنصر		المعروفين بالجاليك البحرية
١٠٢	الباب الرابع فيمن ولي مصر من نواب	١٣٦	الباب الثامن في دولة الجراكسة
	الخلفاء الراشدين وبني أمية والدولة	١٤٢	الباب التاسع في ظهور رملوك آل عثمان
	العباسية وما داخلها من بني طولون		خلد الله ملكهم الى آخر الزمان
	والاخشيدية	١٥٢	الباب العاشر فيمن تصرف في مصر من
١٠٥	الدولة العباسية		جانب آل عثمان المعظمين من الوزراء
١٠٩	الدولة الطولونية		والباشوات المخضمين وايراد اخبارهم ومدة
١١٢	ذكر الدولة الاخشيدية		اقامتهم بالديار المصرية وأحكامهم بها
١١٤	الباب الخامس في دولة الفواطم وبقية	١٧٠	خاتمة
	من العبيديون	١٧٣	ذكر ما يتصل السند في النيل
١٢٩	الباب السادس في الدولة الايوبية السنية		

﴿تمت الفهرست﴾

داخل نمبر	١٢٢٧٦
قون نمبر	٣٣٠
كتاب نمبر	١٠١

﴿الطبعة الاولى﴾

كتاب

أخبار الاول فيمن تصرف

فى مصر من أرباب الدول تأليف العبد الفقير

الى عفو ربه السكريم الباقى محمد عبد

المعطى بن أبى الفتح بن أحمد

ابن عبد الغنى بن على

الامبابى المنوفى

نفعنا الله بهم

آمين

X362
S12

﴿وبهامشه تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين﴾

﴿تأليف الامام الشيخ عبد الله الشرقاوى رحمه الله تعالى آمين﴾

بالمطبعة العثمانية سنة ١٣٠٤

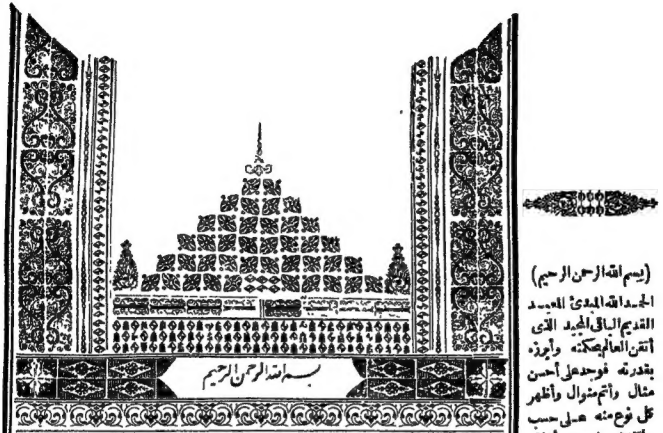

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك العزيز فى ملكه واقتداره الذى ملك الوجود بقوته وأوجده بارادته واختياره وملك منه ما شاء لمن شاء مع علمه بسيره على سير وقبل اختباره فأوت بين مراتب الملوك وامدّ بالملكة كل خاشع تسوك ونظمه فى سلك اجراره ووعد من راعى رعاياه ان يظله فى ظل عرشه يوم يلقاه ويتلقاه برحمته وايراره فسبحان من أراد فأراد الافلاك بالحكمه وانفذ فى براياه قضاياه وحكمه وسلم من سلم اليه الامر من الاسواء والمكاره * أحمده سبحانه وتعالى لا أحصى ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه سائلا من منه ان يديم ظل الخلافة مستمدا من حضرات قدسه وأشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تدخل بهامع السابقين أوسع جنه وتكون لنا من النيران أنفع جنه وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله أوّل شارع لسنة السماحه والحماسه وشارح الصدور بالقول الشارح قضايا الشرع والسياسه وشارط النصح على العمال أهل الولايات والسياسه القائل وقوله لا سبيل الى الردّ ولا لرفضه معركة الله فى أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الركع السجود وخاصة الاتباع والاشياع والجنود الذين عادبهم الدين فى مقام الاعظام والتبجيل وشادوا قواعده فهى من هوة النقص والنقض فى حوز عزيز ولا يزال ان شاء الله تعالى الى يوم القيامة بكل قائم منهم وهو عز بز بعده فانه لا يخفى على كل ذى ذوق سليم وفهم وراق مستقيم ان فن التاريخ من فاكهة المفاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشان فى الطلاوة والجدوى لانه توسيع وقائع الزمان وتدوين الحوادث الدائرة بين الدوران ألف نفائس كتب الاوائل وألفاظ العاقله من رق طبعها وراق لبابها يطلع الشاهد على ما كان فى الغائب مخبأ ويودع المعجم أسماء اصحاب كان لرؤية اهلها مخبأ كما قال من حاول المعنى وأنا

فانى أن ارى الديار بعينى * فلعلى أرى الديار بسمعى

فلكم صدر فى الصدر الاوّل من عجائب يتوقف منه عليها وغرائب أحوال تهتدى بسطور الطروس اليها وبارح المؤرخون يتناولون المقبول من المنقول عن الدول والمناصب فمن متقن ومتق ومن جامع مكثر

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله المبدئ المعيد الفعّال لما يريد الذى أتقن العالم بحكمته وأبرزه بقدرته فوجد على أحسن مثال وأتم منوال وأظهر كل نوع منه على حسب ما تقتضيه طبيعته وأفاض عليه ما سبق فى علمه وتعلقت به ارادته وأيد من شاء من عباده بتنفيذ الاحكام وأودع فيه خصوصية لا توجد فى غيره من بقية الانام والصلاة والسلام على أول مظاهير قدرته وأفضل من أفيضت عليه الاسرار الالهيه ورحم فيه ما تفرق من الكلالات الانسانيه ودعا الناس الى التوحيد وترك العناد

والناس

والناس فى الفنون مراتب كما قيل

لقد فخر وا حتى أكلنا وانثنا ● لنفخر حتى تأكل الناس بعدنا

فمن فى ان أحبر ما يليق بالجمع واسطر ما يروق بالسمع من حكايات باهره واذ كر من ولى مصر والقاهره ذاهبا مذهب الايجاز والتهذيب آخذا عن النقل المبرأ من التكذيب عما سمعت وعاينت وجمعت فأوعيت مع ايراد ما شاهدته فى الزمن عيانا وحققت عن معنى نوادره البديعة بيانا فكان كتابا حسنا فى بابه متعلق بأسبابه انيسا لمتأمل مؤانسته وجليسا لا تمل مجالسته تستروح اليه النفوس وتجد فى مطالعته ما تجده فى معاطاة الكؤس كما قيل

لم يبق شئ من الدنيا تمر به ● الا الدفاتر فيها الشعر والسمر

فلله الحمد فى حاشيتى نحبه الرفيع وطرفى نخبته البديع فى دولة اقام عماد المملكة الشريفه مجده نظام الدولة العثمانية المنيفه شامل الرعايا بظل معدلته الوريفه مجمل النخب الشريف بعز حضرته الطيفه المخصص بما استحق أن يكون على الخليقة الخليفة القائم من الالتفات الى الصلاح والاصلاح بأرفع وظيفه الراقى مراتب العزلما كان طالما عسعد ومشرفا الماضى بصوابه ومن بقى فى الارض بقيا ومرتقا من اقتدى بأبيه وجده فى عدله وجده واقتفى مر مصر بر الملك مولانا السلطان مصطفى لا برحت أولويته ولاية فى الخافقين خافقه والسنة الاقلام مدى الايام يمدحه ناطقه ولا برحت الدنيا تحب تقبيل عدته العلية والثرى الاشقر فى العلياء تعته كما غدت ربع الصبا الثرى أعتابه ناشئه والآفاق بفنائق مجده وحدائق أنسه باسقه ﴿ومعينه لطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول﴾ وقد رأيتان أنقسم هذا الكتاب المقدمة وعشرة أبواب وخاتمة. المقدمة فى فضائل مصر وورد ذكرها فى كتاب الله المبين ومأورد فيها من أحاديث سيد المرسلين ومن كان بها من الانبياء والصديقين وغير ذلك على ما يأتى بيانه مفصلا ان شاء الله تعالى والله تعالى أسأل ان يحسن ختامه كما لاول ● الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب ● الباب الثانى فى دولة بنى أمية ● الباب الثالث فى دولة العباسية ● الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والعباسية وما داخلها من تغلب بنى طولون والاخشيدية ● الباب الخامس فى دولة الفواطم ● الباب السادس فى دولة الايوبية الصفية السنية ● الباب السابع فى الدولة التركية المصرو فين بالمماليك البحرية ● الباب الثامن فى دولة الجراكسة ● الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان وهى دولة اقرت العيون ومرت الاعيان انجاب منقادة لشرع سيد ولد عدنان أدام الله تعالى بقاءها مادام الفرقدان ● الباب العاشر فيمن تصرف بمصر من نواب آل عثمان المكرمين وأخصاء الوزراء المعظمين وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم ● الخاتمة فى مواعظ ونصائح وسلوك وآداب للسلاطين والملوك ﴿المقدمة﴾ أقول وبالله المستعان أنما مصر سماها الله تعالى فى كتابه العزيز فى عدة آيات وعشر ين موضعا منها ما هو صريح ومنها ما دلت عليها القرائن وكتب التفسير قال الله تعالى حكاية عن فرعون ألبس لى ملك مصر وهذه الانهار تجرى من تحتى قال ابن الجوزى يفتخر فرعون بنهر ما والله أعلم أى ما أراه وقال تعالى ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق وقال تعالى فى أخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم الى وأورثناها بنى اسرائيل وقال تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى وأورثناها قوما آخرين يعنى قوم فرعون فان بنى اسرائيل ورثوا مصر بعدهم وقال بعض المفسرين من المقام الكريم المنبور وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس وقيل سمى كريما لانه مجلس الملوك قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقال هى المنابر وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا وقال ابن عباس وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هى مصر والى يومنا تسكون الا بصير وقال تعالى اهبطوا مصرا وقال تعالى ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وقال تعالى وتمكن لهم فى الارض وقال تعالى ادخلوا الارض المقدسة وقال تعالى لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض وقال تعالى وتجب كما نمر بك

وجاهد فى الله حق جهاده و بلغ دعوته سائر البلاد وعلى من ورث حاله من الآل والاصحاب ومن تبعهم الى يوم التناد آمين

﴿أما بعد﴾ فيقول كثير المساوى عبد الله بن حجازى الشهير بالشرقاوى انه لما حل ركاب الصدر الاعظم والوزير الافخم والدستور الاكرم حضرة مولانا الوزير يوسف باشا بلغه الله تعالى من المرادات ماشا بديمة يليس فى شهر رمضان المعظم سنة أربع وعشرة ومائتين بعد حصول الصلح بينه وبين طائفة الفرنساوية فى قلعة العريش وذهبت مع بعض علماء مصر الاقاته طلب منى بعض الاخوان من أتباع ذلك الصدر الاعظم أن أجمع كتابا مختصرا لواقعة الحال المذكورة وما جبته الى ذلك مستعينا بعون القادر

المالك وقد ذكر فيه ما يتعلق بمصر وحكامها من أول الزمان الى وقتنا هذا (وسميته) تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ورتبته على مقدمة وثلاثة أبواب (المقدمة) في فضائل مصر وما ورد فيها من الآيات والاخبار ومن كان فيها من الانبياء والصديقين وغير ذلك (الباب الاول) في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن ابن علي ولى دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولى مصر من نواب الخلفاء والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية (الباب الثاني) في دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة الخركية المعروفين بالبحرية ثم دولة الجراكسة (الباب

الحسني على بني اسرائيل بما صبروا وقال تعالى ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك وقال تعالى وأوحينا الى موسى وأخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا وقال تعالى انذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض وقال تعالى اجعلني على خزائن الارض وقال تعالى ولقد مكناه يوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء وقال تعالى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا وقال تعالى وقد رفعنا أقواتهم وقال تعالى ارم ذات العماد قال محمد بن كعب القرظي هي الاسكندرية وقال تعالى عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض وقال تعالى وجاء من أقصى المدينة قال بعض المفسرين هي منف وقال تعالى ان فرعون علا في الارض وقال تعالى فلن أبرح الارض وقال تعالى ان تريدا ان تكونا جبارا في الارض قال ابن عباس صحت مصر الارض كلها في عشرة مواضع (ومن السنة) قوله صلى الله عليه وسلم ستفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لهم ذمة ورحما وقال صلى الله عليه وسلم اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا بها جندا كثيفا ذلك الجند خير أجناد الارض فقال له أبو بكر رضي الله عنه لم يا رسول الله قال لانهم وأزواجهم في رباط الى يوم القيامة وفي حديث ستفتح عليكم بعدي مدينة يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقالوا ما رحمهم وذمتهم قال أما رحمهم فام اسمعيل عليه السلام وأما ذمتهم فأم ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم ينقل هاجر من قرية يقال لها عين دنين وقيل أصلها من مدينة عين شمس التي تسمى الآن بالطريق ثم مارية بنت شمعون من قرية يقال لها حفن وقيل من أهل كورة انصنا وأم ابراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم مارية بنت شمعون وتوفيت في المحرم سنة خمس عشرة من الهجرة ودفنت بالبقيع بنت بقرة وقوله صلى الله عليه وسلم في أهل مصر ما كاد هو أحد الا كفاهم الله مؤنته وقال عليه الصلاة والسلام مصر الطيب الارض ترابا وجبلها أطيب الطيب وقال عليه الصلاة والسلام مصر خزائن الله في أرضه وسميت البركة عشرة أجزاء تسعة بمصر وجزء بالشام كما ورد قوله عليه أفضل الصلاة والسلام مصر خزائن الله والجزيرة فيضة من فياض الجنة ورقة وروى الحاكم أن أبا بكر بن ثابت من حديث نبيط بن ربط قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجزيرة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في أرضه ذكر ذلك المفسر يزي في خطه عند ذكر الجزيرة قال عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام مثل له الدنيا قرها وغربها وسهلها وجبلها وأنهارها وبحارها وبناءها وخرابها ومن يعلكها من الامم ومن يسكنها فلما رأى مصر أرض ضاذات نخل وحجار وما دمنة من الجنة تحمد رفيه البركة وتزخر به الرحمة ورأى جبالا من جبال الجنة مكتوبا بالدر والياقوت ومن نظر الحق اليه في صفحة أشجاره مثمرة وروعها في الجنة تسقى بماء الرحمة فقال آدم عليه السلام للنيل بالبركة وما الأرض بالرحمة والبركة التقوى وبارك في سهلها وجبلها سبع مرات فقال أيها الجبل المرحوم صف لي جنتي وبرئ مسكة لا تخلق ما مصر من بركة ولا زال قبلك ملك ومرفق الخلايا والكنوز سال نهرك صلا ثم الله رزقك وأدر ضرعك وزكى نباتك وعظم بركتك (فائدة) في انقضاء ثلثمائة وثمانية وسبعين والابدال أربعون والاخيار تسعة والعمد أربعة والغوث واحد فكن انقضاء الغرب وسكن الحجاب مصر وسكن الابدال الشام والاخيار سياحون في الارض والعمد في زوايا الارض وسكن الغوث مكة فاذا حدث للعامة أمر ابتهل النقباء ثم الابدال ثم الاخيار ثم العمد فان أجيبوا والا ابتهل الغوث فلا تتم مسئلته حتى تجاب دعوته ومن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال كان لنوح عليه أفضل الصلاة والسلام أربعة من الولد سام وحام ويافث ويحطون وان نوحا رغب الى الله عز وجل وسأله أن يرزقه الاجابة في ولده وذريته حتى يعلموا الدعاء والبركة فوعده ذلك فنادى نوح ولده وهم نيام عند المحراب فجاء يجيبه الاباء سام وارخذ فاتحة للقائمة فوضع نوح يديه على سام وسأله على أن تخذ وسأل الله عز وجل ان يبارك في سام وان يجعل الملك والنبوة في ولده ارخذ ثم نادى حاما ولم تلفت عيناه وشمالا فلم يجبه ولم ينهم اليه هو ولا أحد من ولده فدعا الله عز وجل نوح أن يجعل ولده اذلاء وأن يجعلهم عبيدا لولد سام وكان مصر من يومئذ بمصر بن حام ناشأ في جنب حده حام فلما سمع دعاء نوح على ولده وولده قام يمشي الى نوح وقال يا جدي قد أجبتك ولم يجبك أبي ولا أحد من ولدك فاجعل لي دعوة

من دعائك ففرح نوح ورضع يده على رأسه وقال اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيمن ولد ذريته وأسكنه الارض المباركة الطيبة التي هي أم البلاد وغوث العباد قال الشاعر

من شاهد الارض واقطارها * والناس أنواعا وأجناسا
ولا رأى مصرا ولا أهلها * فما رأى الدنيا ولا الناسا

(وقال آخر) لعمرك ما مصر بمصر واغما * هي الجنة العليا لمن يتفكر
وأولادها الولدان من نسل آدم * وروضتها الفردوس والنيل كوثر

(وقال آخر) اذا كنت في مصر ولم تلك ساكنا * على نيلها الجاري فما أنت في مصر
وان كنت في مصر بشاطئ نيلها * ومالك من شوق فما أنت في مصر
وان كنت ذا الف ولم تلك صاحبا * لالفه لطف فما أنت في مصر
وان كنت ذا الف ولم تلك مالكا * لكيس حوى الآفاق فما أنت في مصر
وان حزت ما فيها ولم تلك هائما * بحمل لان تهوى فما أنت في مصر

وكان بمصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل واسماعيل ويعقوب واثنا عشر سبطا من أولاد يعقوب وولدها من الانبياء ادريس وموسى وهرون ويوشع بن نون ودانيال وأرميا ولقمان وعيسى ابن مريم ولد بأهناس ثم سار الى الشام قال الجلال السيوطي رحمه الله نظام حسن مصر من الانبياء بوفاق وخلاف ومن جلتهم الاربعة المختلف في نبوتهم

اذ حسل في مصر فيها قد دروا زمم * من النبيين زادوا مصرأ أنيسا
فهاك يوسف والاسباط مع أبهم * وخالدا وخليل الله ادريسا
لوطا وأيوب الفريسين خضر سليـ * ـمان أرميا وشعاهرون مع موسى
وامه سارة لقمان آسية * ودانيالا وشمعا حزقيا عيسى
شيثا ونوحا واسمعيل قد ذكروا * لا زال من أجلهم ذا المصر محروسا

وكان بها من العمالقة بقية وهم آل فرعون واسمه وقيل وكان بها وزراء فرعون الذين وصفهم الله بالعتو وفضلهم على قوم بمزيد حسن فالوا ابن جثه وأخاه وقالوزراء فرعون الذين اقتدوا به وعوقبوا معه قال البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى واجعل لي وزيرا من أهلي ان استفتاق الوزير امان الوزر لانه يحمل الثقل عن أميره أو من الوزر وهو الجبل لان الامير يعتصم برأيه ويلجأ اليه في أموره ومنه المؤازرة وقيل أصله أزير من الازر بمعنى القوة كالعشير والجليس وكان بها من السحرة الذين أحضرهم فرعون بمرسى أثنا عشر صاحوا رؤساء فمن كل ساحر عشرون عريفا فمن كل عريف ألف من السحرة فكان جميع السحرة ماثتي ألف وأربعين ألفا وماثتين وخمسين ساحرا بارؤسائهم العرفاء فلما جاءوا ساءوا وقالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين أي حينئذ فالاجر والقرب مجموعان لنا ان غلبنا وقيل انما قالوا ذلك من السحر لا بقاموا جميعا في ساعة واحدة فلم يمكنه الا أن جماعة أعلموا في ساعة واحدة أكثر من جماعة الغد قال المهدوي في تفسيره ان السحرة الذين حشرهم فرعون من سبع مدائن وهي منظار بوسير وبنها وفاقوسان وأرمنت وأسيوط وانصنا وهم ذلك لم يكن منهم عدد هم ولا كثرة عددهم بل لما ألقى موسى عصاه باذن الرب الاله خر واله ساجدين وقالوا آمنا برب العالمين قيل انما ألقى موسى عصاه فاذا هي ثعبان مبين أي حية صفراء فاغية فاغرة فاها بين لحيها ثمانون ذراعا وقيل انها ارتفعت من الارض قدر ميل وثابت على ذنبها واضعة فكها الاسفل في الارض والاعلى على سطح القصر الذي فيه فرعون فوثب فرعون هاربا واحدث قبل أحشائه البطنة في ذلك اليوم أربعمائة مرة وحلت على الناس فمات منهم خلق كثير ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة الاعراف عند قوله تعالى فألقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين بلغ انهزم الناس منه وهم ستمائة ألف ومات منهم خمسة وعشرون ألفا وذكر ان فرعون صاح وقال خذها يا موسى ولا تأمن بلا وأرسل معك بني اسرائيل فأخذها فعادت عصاه فلم يؤمن فرعون بل كفر وعصى وكان بمصر من الصديقات آسية امرأة فرعون التي سألت ربها

الثالث) * في دولة آل عثمان المؤيدة بالنصر في كل وقت وأوان أدام الله بقاءها مادام الفرقد وأن يجاهد سيدنا ومولانا ومخدومنا ومولينا نصرف في مصر من مواليهم وايراد أخبارهم ومدة مقامهم بالديار المصرية وأحكامهم * (المقدمة في فضائل مصر وما ورد فيها الى آخر ما سيأتي) * اعلم ان مصر قد ذكرت في القرآن العزيز في أكثر من ثلاثين موضعا كما قاله السيوطي في كتابه حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة بعضها بطريق الصراحة وبعضها بطريق الكناية قال تعالى اهبطوا مصرا أن لكم ما سألتم وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته أكرمي مثواه وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين وأنبي في مكان مصر وقال نوسف في المدينة ودخل

عز وجل أن يبني لها عنده بيتا في الجنة وأن ينجيها من فرعون وعمله فاستجيب لها بهيرها على محنة فرعون قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فحمدت في الجنة ليلة الاسراء المضغة ما شممت أطيب منها فقلت يا جبريل ما هذه المضغة آسية امرأة فرعون وصاحبة أهل مصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام ابراهيم الخليل وسارة وهاجر اسمعيل وزوجة يوسف الصديق بيثت عليهم شمس وتزوج أيضا ليخا بعد أن تحجرت وحيت فدعا الله تعالى فرده عليها بصرها وحملت فولدت منه منسا وافرائيم وتسري نبينا صلى الله عليه وسلم بمارية القبطية التي أهدى لها المقوقس ملك مصر فولدت من النبي صلى الله عليه وسلم ابراهيم عليه السلام ومات رضيعا ودفن بالبقيع ظاهر طيبة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ولده في ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة ومات في ربيع الاول سنة عشر وكان عمره ستة عشر شهرا وصلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم وقال ألحق بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقال عليه أفضل الصلاة والسلام انه ظئر أي مرضعا يتم رضاعه في الجنة وقال عليه أفضل الصلاة والسلام لو طاش ابراهيم لوضعت الجزية عن كل قبطي وحزن عليه صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا حتى دمعت عيناه الشريفتان وقال ان العين لتدمع وان القلب ليحزن ولا نقول الا ما يرضى ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون قال أبو بكر البرقي جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم سبعة القاسم وعبد الله وأبو هاشم وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة كلهم من خديجة الا ابراهيم وإما مات القاسم ثم عبد الله قال العاص بن وائل السهمي قد انقطع ولده فهو أبتر فأنزل الله تعالى ان شانئك هو الأبتر ولم تزل مصر دار العلماء والحكماء فهم الاسكندر ذو القرنين صاحب السد الذي ذكره الله في كتابه العزيز في سورة الكهف فانه على اختلاف الاقوال ملك الارض كلها بلغ مغرب الشمس ومشرقها وبنى الاسكندرية المشهورة واسكندرية أخرى ببلاد الجنوب واسكندرية أخرى ببلاد الروم وبنى مصر قنده والمناظر والابراج ذكر الدامغيني في كتابه عن الحياة أن محمد بن ادريس الجعبري روى في مسنده عن دخيل مصر من العمارة من مقبة بن عامر رضي الله عنه انه قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أخدمه فاذا أنا برجال من أهل الكتاب معهم مصاحف أو كتب فقالوا استأذن لنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرفت اليه صلى الله عليه وسلم وأخبرته بمكانهم فقال صلى الله عليه وسلم مالي ولهم يستلونني عما لا أدري اما أنا عبد ولا أعلم الا ما علمني ربي تعالى ثم قال أبغني وضوءا فتوضأ ثم قام الى مسجده في بيته ثم كبر كعتين فلم ينصرف حتى عرف السرور في وجهه والبشر ثم انصرف فقال اذهب فأدخلهم ومن وجدته معهم بالباب من أصحابي فأدخله قال مقبة فدخلت فأدخلتهم فلما رفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان شئتم سألتموني عن شئتم أخبرتم ثم قالوا بل أخبرنا قبل أن ننكلم قال جئتم تسألوني عن ذي القرنين وسأخبركم بما تجدونه عندكم مكتوبا انه أول أمره غلام من الروم أعطي ملكا فسار حتى جاء ساحل أرض مصر فابتنى هذه مدينة يقال لها الاسكندرية فلما فرغ من بنائها أتاه ملك فعرج به حتى استقله فرفعه ثم قال انظر ماذا تعتل فقال أرى مدينتي وأرى مدائن معها ثم عرج به فقال انظر فقال اختلطت مدينتي مع المدائن فلم أعرفها ثم زاده فقال انظر فقال أرى مدينة واحدة كأني أرى بيضها فقال له الملك انما تلك الارض كلها والذي يرى محيطها هو البحر وانما أراد ذو القرنين بذلك أن يريك الارض وقد حصل لك سلطانها وسوف تعلم الجاهل وتثبت العالم فسار حتى بلغ مغرب الشمس ثم سار حتى بلغ مطلع الشمس ثم أتى الى السدين وهما جبلان لينان يرتقى هذا كل شيء فيبنى السدين جازيا وجوج وماجوج ثم قطعهم ووجد قوما وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج وماجوج ثم قطعهم ووجد قوما وصفتهم كما يقاتلون القوم الذين وجوههم وجوه الكلاب ثم مضى فوجد أمة من الحيات تلتقم الحية منهم الصخرة العظيمة ثم تفضى الى البحر المحيط بالارض فقالوا انشدك الله من أنت وكان هذا كلامهم فانا نجد هذا في كتبنا وكان بمصر من حكماء الطب والهندسة والكيمياء وعلوم الرصد والحساب والمساحات عدة منهم أفلاطون وبطليموس وسقراط وأرسطاطاليس وجالينوس وكان في الازمنة الاول تسير الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون اذهانهم

المدينة على حين غفلة من أهلها فأصبح في المدينة كالمتقلب وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين وهي مصر لان الربى لا تكون الا بها قال أحصاني على خزائن الارض وكذلك مكنا ليوسف في الارض فان أرض الارض حتى يأذن لي أبي ان فرعون هلاني الارض وثريدان عن على الايت استخفوا في الارض وشكن لهم في الارض الا ان تكون حيارا في الارض يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض أران ظهر في الارض الفساد أذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض أن الارض لله يورثها من يشاء من عباده عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف

على الزيادة وقوة الذكاء وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه سأل كعب الاحبار عن طبائع البلدان واخلاق سكانها فقال ان الله تعالى خلق الاشياء جعل كل شئ منها قال العقل انا لاحق بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الخصب وأنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء انا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك وقال الله انا خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أشياء الايمان والحياء والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغنى والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال الملك عشرة أجزاء تسعة منها فى القبط وواحد فى سائر الناس ويقال ان الفخر عشرة أجزاء تسعة فى اليهود وواحد فى سائر الناس والحق عشرة أجزاء تسعة فى المغاربة وواحد فى سائر الناس والقوة عشرة أجزاء تسعة فى الترك وواحد فى سائر الناس والشجاعة عشرة أجزاء تسعة فى العرب وواحد فى سائر الناس والملح عشرة أجزاء تسعة فى العبيد وواحد فى سائر الناس وقد ملك مصر سبعون من الكهنة وهم الاعبال العبيبة والامور الغريبة

(الكاهن الاول) اسمه سيلوم وأول من اتخذ مقياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها قليل من الماء فاذا كان أول شهر برمهات فيه النيل اجتمعت الكهنة وهم كلمونا وبكلام فيصفر أحد العقابين فان كان الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثانى) اسمه اهناص من أعمالها العبيبة انه عمل ميزانا فى هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها نصوصا فاذا اضر الظالم والمظلوم أخذ فصين ووسمى عليهما ما يريد وجعل كل فص منهما فى كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم ﴿الكاهن الثالث﴾ عمل مرآة من المعادن فتنظر فيها الاقاليم السبعة فيعرف ما أخصب فيها وما أجدب وما حدث من الحوادث وعمل فى وسط المدينة صورة امرأة جالسة فى حجرها صبى كأنها ترضعه فاذا مر أمة بها رجع فى جسمها صحت ذلك الموضع فى جسد تلك الصورة فتبرأ من ساعتها ﴿الكاهن الرابع﴾ عمل شجرة لها أغصان من حديد يضطفيح اذا قرب منها الظالم خلفته وتعلقت به فملا تفارقه حتى يقر بظلمه وعمل صنما من كدان أسود وساعد يحمل بيمناه كورن اليه فمن زاغ عن الحق ثبت فى مكانه ولم يقدر على الظهر رج حتى ينتصف من نفسه وأقام سبع سنين ﴿الكاهن الخامس﴾ عمل شجرة من نحاس فكل وحش وصل الى الم يستطع الحركة حتى يؤخذ فيبصر الناس فى أيامه لحما وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن شماله فاذا دخل أحد ان كان من أهل الخير فتح الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر بكى الصنم الذى عن يسار الباب ﴿الكاهن السادس﴾ عمل درهما اذا اشترى صاحبه شيأ اشترط ان يزنه به فزنه من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل ما رجحه من الصنف الذى يريد شراءه لم يعطه ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية

(الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى السحاب فى صورة انسان عظيم فأقام مدة ثم غاب فأقام مدة ولا علم لملك فى الآن رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فأخبر هم انه لا يعود اليهم وان يولوا ملكا بعده وهو من فضائل مصر أنها تغير أهل الحرمن بتوسع عليهم ومصر بعمل خير هالك ما سواها وأهلها يستغنون بها عن كل بلدة حتى لو ضرب بينها وبين بلاد الدنيا سور لا ستغنى أهلها بها عن سائر البلاد ومن محاسن مصر انه يوجد فيها فى كل شهر من شهور القبط صنف من الماكول والمشموم فيقال وطب قوت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك وماء طوبه وخوخ امشير وتين برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب وعنب مسرى ومن محاسن مصر أيضا ما روى عن جبير الفهرى انه سمع ابن العاص يقول فى خطبته أهلها وايا أهل مصر انكم فى رباط الى يوم القيامة لكثرة الاعداء حولكم ولاشراف قلوبهم اليكم والى ديارهم فان ديارهم معدن الزرع والمال

تعملون وأورثته القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها بر يدأن يخرجكم من أرضكم فى الموضع الذى هذا المكر مسكر غره فى المدينة فانتم جنادهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قبل المقام الكريم القيوم وقيل ما كان لهم من المنابر والمجالس التى تجلس فيها الملوك كم كوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ولقد بوأنا بنى اسرائيل مبوأ صدق كمثل جنة بربوة ادخلوا الارض المقدسة قيل هى مصر اولم يروا أنا نسوق الماء الى الارض الجرز وقد أحسن بمن أدخر أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو وجعل الشام هوا وسمى مصر مصرا ومدينة وقد اشتهر على ألسنة كثير من الناس فى قوله تعالى سأريكم دار

والخير الواسع والبركة النامية وعن عبد الرحمن الاشعري أنه قدم من الشام الى عبد الله بن عمرو بن العاص فقال له عبد الله ما أقدمك بلادنا فقال كنت قعدت ثنى ابن مسر أمرع الارض خوابا ثم أراك قد انخذت فيها القصور واطمأننت فيها فقال ان مصر قد أوفت خرابها بحطه فابقتنصر فلم يدع فيها الا السباع والضباع فهي اليوم أطيب الارض تراباوا بعدها خرابا وقال فيها بركة مادام فى شئ من الارض بركة ويقال ان مصر متوسطة فى الاقليم السابع من الاقليم الاول ومن برد الاقليم السادس والسابع ووقعت فى الاقليم الثالث فطاب هواؤها وخف برد هاوسلم أهلها من مشاق الاهوار ومصايف عمان وصراهق تهامة ودمامیل الجزر وجوب اليمن وطواعين الشام وبرسام العراق وطحال البصرة ومقارب مسكر مكرم وحمى خيبر وأمنوا من غارات الترك وهموم العرب ومكايد الديلم وزق الانهار وخلط الاسطار وقال عبد الله بن عمر خلقت الدنيا على صور تطاطر برأسه وصدره وجناحيه وذنبه فارأس مكة والمدينة واليمن والصدر الشأم ومصر والجناح الايمن العراق وخلف العراق أمة يقال لها واق وخلف واق أمة يقال لها واق وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والجناح الايسر السند وخلف السند الهند وخلف الهند أمة يقال لها اسك وخلف اسك أمة يقال لها منسك وخلف ذلك أمم لا يعلمها الا الله تعالى والذنب من ذات الحمام الى المغرب وشر مافى الطير الذنب وقد هلك مصر أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم جرما أشدهم اساءة وأكثرهم جرما استمداد ستة وثلاثين

فوعدته الله في أول النهار بالماء وفي آخره بالنار ولم يكن فرعون من أولاد الملوك وانما كان عطارا بأصبهان أفلس وركبته الديون فخرج هاربا فأتى الشام فلم يستقم حاله فجاء الى مصر فرأى ملكها اضمحل بلهوه فتوصل اليه بحيلة وخرج الى المقابر وهي نفسه فأمل الاموات وصار يأخذ من كل ميت جعلا حتى بلغ الملك خبره وكان قد أعجبه عقله ومعرفته فاستوزره ثم قتل أبو زيد فسار في الناس سيرة حسنة وكان عدلا محتشيا يقضي بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفي الملك فولوه عليهم فعاش زمنا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو باق على قيد الحياة وتجبر ولم يقل أنا ربكم الاعلى فاستخف قومه فأطاعوه وقال موسى يارب ان فرعون جحد الآيات مائتين سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى الى موسى انه صعر بلادي وأحس الى عبادي فلما أراد الله تعالى هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه الصلاة والسلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في ألف ألف وستمائة ألف سوى الغلمان والجناحين ولم يخرج معهم غير فوق الاربعين ولا دون العشرين وكان في عسكر ذلك اليوم ستون ألف أدهم وقيل مائتا ألف حصان من الدهم فلما انتهى موسى وبنى معه من بني اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حده مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة الفرنداق فما بين السوس والطور هاجت الرياح وتراكمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون من وراءنا والبحر أمامنا فقال موسى عليه الصلاة والسلام الى هنا فخاض يوشع الماء وقال الذي بكتم إيمانه وهو رجل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت فقال هنا فكبح جرفيل فرسه أي نخسه بالجام احتى طار الرذ بدن شد قبها ثم أدخلها البحر فارتبت في الماء أي غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا على الجاز وعلى موسى عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فاذا مؤمن آل فرعون وراء فرسه وسار البرا ثني عشر فرقا فكل فرق كالطود العظيم بينهم اسباط فدخل كل سبط من بني اسرائيل مسلكا برى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في اثرهم فلما استقر واجميعا أطبق الله البحر عليهم فأغرق فرعون ومن معه جميعا كما قال الله تعالى في كتابه المبين والمحيى موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين ومن غلب على مصر من الفراعنة يقتضر وهون قرة مصر قرى بابل يقال لها قرلم يعرف له أب واختلف في أجله حتى انه شبه بايمان مصر فرعون وذلك بعد ان خرب بيت المقدس وملك مصر واستولى على بلدها وأخذ من أيدي القبط وبقيت مصر خرابا أربعين سنة لم يسكنها أحد غير دمها يقتضر فمصر هايه لك عليهم رجلا من جهته ومن ذلك الوقت بقيت مصر معمورة وقال صاحب الانس الجليل في تاريخ الاندس والخليل ابن أرميا النبي عليه أفضل الصلاة والسلام رأى يقتضر قد بنا وهو سيء آخر بنا كل شيء رتفوط ويقتل فالقائل له ماهذا فقال أذى يخرج ومنفعة تدخل وعدو يقتل فقال له سيكون على شأن وكانت ولاية يقتضر قبل الهجرة الشريفة بألف وثلاثمائة وتسع وتسعين سنة ومائة وسبعة عشر يوما وقد أهلك الله يقتضر بموعوضة دخلت في دماغه وتجبى الله من بقي من بني اسرائيل ولم يبق في بابل أحد قيل مثل وهب بن منبه من يقتضر أما مسلما فقال وجدت أهل الكتاب مختلفين فيه فقال بعضهم آمن قبل أن يموت وقال بعضهم قتل الانبياء وخوب بيت المقدس فلم تقبل منه توبة ﴿فائدة﴾ من الانس الجليل أول من جن الاقصى الملائكة ثم جده آدم ثم صاح بن نوح ثم يعقوب ابن اسحق ثم داود وسليمان عليهم الصلاة والسلام وروى ان مفتاح بيت المقدس كان عند سيدنا سليمان بن داود لا يأمن عليه أحدا فقام ليلة ليفتحه فتعسر عليه ثم استعان بالانس فتعسر عليهم ثم استعان بالجن فتعسر عليهم ثم جلس كئيبا حزينا فاطلع ان ربه قد منعه منه فيما هو كذلك اذ أقبل عليه شيخ ذو كاعل عصاه وقد بان عن السن وكان من جلداء داود عليه السلام فقال يا نبي الله أراك حزينا فقال قد هذا الباب أفتحه فتعسر على فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ الا أعلمك كلمات كان أبوك يقولهن عند كربه فيكشف الله عنه فقال بلى قال قل اللهم بنور اهتديت وبفضلك استغنيت وبك أصبحت

فهو حديث منكر هذا وقد أورده ابن الجوزي في الموضوعات (ومن الآثار الموثوقة في فضل مصر) ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر قال قبط مصر أكرم الاجانب كلها وأسعدهم بدا وأفضلهم عنصرا وأقربهم رحما بالعرب عامة وبقريش خاصة ومن أراد ان ينظر الفردوس أو ينظر الى مثلها في الدنيا فلينظر الى أرض مصر حين تخضر زروعها وترتفع ثمارها (وأخرج ابن عبد الحكم) عن ابي ابي درهم السهمي الصحابي رضي الله عنه قال كانت مصر قناطر وجسورا بتقدير وتدبير حتى ان الماء ليجري تحت منازلها وأفنيتها فيمسكونه كيف شاؤا ويرسلونه كيف شاؤا فذلك قوله تعالى فيما حكى عن فرعون أليس لي

وأصبت ذنوبي بين يديك استغفرك وأتوب اليك باحسان فاما فاقع ثم ظهرت الروم وفارس على سائر البلاد وقاتلت أهل مصر ثلاث سنوات براوبحرا الى أن سألوهم على شيء يدفعونه اليهم في كل عام فرضيت الروم وفارس بذلك وجعلوا نصف مال مصر لكسرى والنصف لقرقل وأقاموا على ذلك تسع سنين حتى غلبت الروم فارس فانهزموهم وصار صلح مصر كله الروم وذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن الحديبية والحديبية بئر قريب من مكة المشرفة على طريق جدة في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وفيها كانت بيعة الرضوان التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم قريشا تحت الشجرة وهم العشرة المقطوع لهم بالجنة قال العلامة ابن حجر الهيتمي ناظما

لقد بشر الهادي من الصحب زمرة ✽ ببجنات عدن كلهم فضله اشتهر
سعيد بن زيد سعد طلحة عامر ✽ أبو بكر عثمان ابن عوف علي عمر

وكان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وولاه خراجها وكانت فارس قد بدأت بعمارة الحصن المعروف بقصر الشمع ثم تمحت الروم بناءه ولم يزل والوه الى حين الفتح وما يحدث الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم الى سائر الايام ليظهر الاسلام ويبين لهم الاحكام أقام صلى الله عليه وسلم بمكة قبل الهجرة وبعدها ثلاثا وخمسين سنة وتوفيت أن النبي صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين في ثاني عشر ربيع الاول لعشرى نيسان عام الفيل في عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام في بني سعد خمس سنين وتوفيت أمه وهو ابن ست وكفله جده عبد المطلب الى أن توفي وهو ابن ثمان فكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن اثنى عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها في تلك السنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه فيها وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي عمه أبو طالب وهو ابن سبع وأربعين سنة وثمانية أشهر ويوم واحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعد هذا بثلاثة أشهر ومعه زيد بن حارثة فأقام بها شهرا ثم عاد حتى دخل مكة في جوار المطعم بن عدي ولما تمت له خمسون سنة وقد علمه من نصيبين وأسلوا ولما تمت له احدى وخمسون سنة أسرى به وعرج الى السماوات سنة وفرض عليه الصلوات الخمس ليلة الاسراء وله ثلاث وخمسون سنة وحج حجة الوداع ثلاثا وستين حجة واعتمر أربع عمر قبل حجته وقاتل في ثمان سنين وقبض صلى الله عليه وسلم وكان الفيل في العام الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم والمشهور وعند الاكثرين أنه ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعدة بضعة وخمسين يوما وقيل بشهر ين وقيل بار بعين يوما وقال الكلبي كان مولده قبل الفيل بعشرين سنة وقال مقاتل بار بعين سنة وقال الدماميني في عين الحياة ان أبرهة بن الاشرم ملك الحبشة حضر الى الكعبة يريد هدمها في المحرم سنة اثنين وثمانين وثمانمائة من تاريخ الاسكندر الثاني الملقب بذي القرنين المتقدم ذكره ومبدؤه من السنة التي خرج فيها مقدونية وطاف الارض وهي السنة السابعة من ملكه وطار بريق معرفة سنيه أن تزيد على سني القبط التامة خمسمائة وتسعين سنة يحصل سنوالروم المطلوبة بينه وبين السنة التي ها حرفيها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة تسعمائة وثلاث وثلاثون سنة وخمسة وخمسون يوما وأول سني الروم تشرين الاول ومدخله في رابع يابه تشرين الثاني أوله خامس هاتور كانون الاول أوله خامس كيهك كانون الثاني أوله سادس طوبه شباط أوله سابع امشير آذار أوله خامس برمهات نيسان أوله سادس برموده ايار أوله سادس بشنس حزيران أوله سابع بؤنه تموز أوله سابع أبيب آب أوله ثامن مصرى أيلول أوله رابع توت وكان النبي صلى الله عليه وسلم حلاق بطن أمه وفي المسند عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ولد النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ونبي يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفي يوم الاثنين ورفع الحجر يوم الاثنين رجعنا الى قصة الفيل وذلك ان أبرهة بن الاشرم المذكور بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد صرف الحاج عن الكعبة اليطلع ان جماعة من قريش خرجوا في تجارة حتى جاؤا قريبا من تلك الكنيسة فاضره وا نارا ثم ارتحلوا فهبت ريح فحركت الكنيسة فغضب النجاشي فقال له أبرهة لا تحزن

مصر وهذه الانهار تجرى من تحتي أفلا تبصرون ولم يكن في الارض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر وكانت الجنات بصافي النيل من أوله الى آخره من الجانبين جميعا مابين أسوان الى رشيد سبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج القسوم وخليج المنهى وخليج سردوس جنات متصلة لا يتقطع منها شيء والزرع مابين الجبلين من أول مصر الى آخرها وكان المسافر يسير من اسكندرية الى أسوان بالزاد في ظل وأشجار وفوا كه الى أن يصل الى مدينة أسوان وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ما خلق الله تعالى آدم مثل له الدنيا شرقها وغربها سهلها وجبلها وأنهارها وبحارها

فحن نهدم الكعبة فطلب أبرهة من النجاشي قبله المعروف بمحمود ومعه عشرة من القبلة وقيل اثنا عشر وقيل ألف قبيل ولما قرب أبرهة من مكة أمر بالغارة على أهل الحرم فأخذ لعبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم مائة بعير وانفذ أبرهة رسولا الى عبد المطلب يقول له لم آت لقتالك وانما أتيت لهدم هذه البنية فجاء الرسول الى عبد المطلب وبلغه الرسالة فقال عبد المطلب هذا بيت الله وبيت ابراهيم خليله وفي مالك يدان نقاتل هذا الملك وتوجه مع الرسول الى أبرهة ودخل عليه بعد ما عرفوه بشرفه فأكرمه أبرهة وعظمه ونزل من سرير وأجلسه معه على البساط وقال ترجمانه قل له يسأل عن حاجته فقال جد الملك على الأبصار التي أخذها فقال أبرهة قل له قد زهدت لك في عيني أتأخذ لهم بيت هو دينك ودين آبائك وهو شرفكم فلم تكلمني فيه وتسألني في رد مائتي بعير فقال عبد المطلب انا رب هذه الابل ولهذا البيت رب يحميه ويمنعه فقال أبرهة ما كان ليمتنع منه فقال ودونك فرده عليه فانه فعاد عبد المطلب الى مكة وأمر قومه ان ينفرقوا في رؤس الجبال وأتى الى البيت وحده وأسبع أبرهة فجيشه يقدمهم فيله محمود فبعثه الى الحرم فلم يبعث وأخذ الفيل

بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما ثم خرج الى أصحابه وهو مصر وقال قد أخبرت بدار هجرتكم لا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فصار القوم يتجهزون ويتراقبون فكان أول من دخل المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو سلمة الاسدي ثم قدم بعده عامر بن ربيعة ومعه زوجته ليلى وهي أول ظعينة قدمت الى المدينة ثم صار القوم يرحلون من مكة أرلا بأول ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي رضي الله عنهما ثم اجتمعت قريش ومعهم ابليس في صورة شيخ نجدي في دار الندوة وداروا في بين كلاب وكانت قريش لا تقضي امرا الا فيها ويتشاورون ماذا يصنعون في أمره عليه الصلاة والسلام فاجتمع أمرهم على قتله وتفرقوا على ذلك فأتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال له لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا عليه على بابه يريدونه حتى ينام فيثبوا عليه فأمر عليه الصلاة والسلام عليا فنام مكانه وفعلي يبرد اشعر نظر صلى الله عليه وسلم وقد أخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد منهم وتثر على رؤسهم كلهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى يس الى قوله تعالى فأغشيناهم فهم لا يبصرون ثم انصرف حيث أراد فأتاهم آت فلم يكن معهم فقال ما تنتظرون هنا قالوا محمد اقال قد خيبكم الله والله ان محمدا قد خرج عليكم ما ترك منكم رجلا الا وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته فانتروا ما بكم فوضع كل رجل يده على رأسه فاذا هو علي تراب وفي رواية أبي حاتم كما صححه الحاكم من حديث ابن عباس ما أصاب رجلا منهم حصاة الا قتل يوم بدر كافرا وفي ذلك نزل قوله تعالى واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك الآية فقال أبو بكر أنعجبة يا أبي أنت وأمي يا رسول الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قالت عائشة رضي الله تعالى عنها فجهزناهما أحسن جهاز وصنعنا لهما سفرة من جواب فقطعت اسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فم الجراب فبذلك سميت ذات النطاقين وكان من قوله صلى الله عليه وسلم حين خرج من مكة وقف على المروة وأظنه في بيت الله الحرام وقال والله انك لأحب ارض الله الي ولولا اهلك أخرجوني ما خرجت منك ولما فقدت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم طلبوه بمكة أهلا هار أسفلها فلم يجدوه وشق على قريش خروجه وجعلوا مائة ناقة لمن رده وقد مر البوصيري حيث قال

ويح قوم جفوا نبيا بارض ● أفقته ضباؤها والظباء
وصاده حين جفم اليه ● وقلاه وورده الغرباء
أخرجوه وحبذا واواه فار ● وحشه حمامة ورقاء
وكمنت بشعبها عنكبوت ● ما كفته الحمامة الحمقاء

وروى أن أبا بكر رضي الله عنه لما خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجها الى الغار حمل طورا يمشي أمامه وطورا يمشي خلفه وطورا عن يمينه وطورا عن شماله فقال عليه أفضل الصلاة والسلام ما هذا يا أبا بكر فقال يا رسول الله اذكر الرصد فأحب ان أكون أمامك وأتخوف الطلب فأحب أن أكون خلفك أحفظ الطريق يمينا وشمالا فقال لا بأس عليك يا أبا بكر ان الله معنا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حافيا فحفي فحمله أبو بكر رضي الله عنه على كاهله حتى انتهى الى الغار فلما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخل الغار قال أبو بكر والذي بعثك بالحق نبيا لا تدخله حتى أدخل قبلك فان كان فيه شيء نزل بي قبلك فدخل أبو بكر رضي الله عنه فجعل يلتمس بيده والغار في ظلمة الليل كافة أن يكون فيه شيء يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم فلما لم ير فيه شيئا دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار وبا نائمه وأمر الله العنكبوت فنسجت على فم الغار وقد مر الله قال

ودود القزان نسجت حريرا ● يجعل لبسه في كل شيء
فان العنكبوت أجل منها ● بما نسجت على رأس النبي

وروى عن عطاء بن ميسرة قال نسجت العنكبوت مرتين مرة على داود عليه أفضل الصلاة والسلام حين كان جالوت يطلبه ومرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار وفي تاريخ أبي القاسم بن عساكر

فيفيض وان مصر بلدة معاذاة واهلها الى خافية وهي آمنة فمن يقصدها بسوء من أراد فيسوء به الله على وجهه وفي هامتهم العمل وعاقبته من الجنة وكفى بالعمل طعاما وشرابا (وعن كعب) قال في التوراة مكتوب مصر خزائن الله كلما من أراد اهل بسوء قصمه الله (وعن عقبة بن مسلم) يرفعه ان الله يقول يوم القيامة لما كفى مصر بعبدي عليهم النعم أما أسكنتكم وصرفكم تشجون من خيزها وتروون من عاصيها (وقال أبو الربيع السائح) نعم البلد مصر يجيء منها بذنابين وبغزى منها بذرعين يريد الج من بحر القلزم والفرات الا سكندرية وساثر ساحل مصر (وقيل ان يوسف عليه السلام) لما دخل مصر وأقام بها قال اللهم اني قد سبب

ان العنكبوت نسجت ايضا على عهد زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالساحل عربانة احدى وعشرين ومائة وأقام مصلوبا أربع سنين وكان وجهوه لغير القبلة فدارت خشبته الى القبلة فأحرقوا الخشبة وجسده وقال ابن خلكان في ترجمة يعقوب بن صابر المنجنيقي انه وقف بالقاهرة على البيتين المشهور بن بجماعة من الشعراء وهما

القصر في لظى فأين عشيرتي ● عنكبوت يوما فلست بالياقوت
جمع النسيج كل من حاك لكن ● ليس داود فيه كالعنكبوت

فقال ابن صابر في جوابهما

أيها المدعي الفخار وجمع الـ ● ـرقى الكبرياء والجبروت
نسج داود بضعة لبلة الغا ● ر وكان الفخار للعنكبوت
وبقاء السنين في نهب الثنا ● ء مزيل فضيلة الياقوت

ومن خواص العنكبوت انه اذا جعل نسجها على الجراحة الطرية في ظاهر البدن حفظها بلا ورم و يقطع سيلان الدم واذا دلكت العضة المتغيرة بنسجه جلاها والعنكبوت الذي ينسج على الكنيف اذا عالج على الحمى موميرا باذن الله وان الله سبحانه وتعالى أمر البراغيث فنبذت على فم الغار وحمأتين فعششنا وباضتا وأقبل فتيان قريش يبحثون عنهم وهم رسيولهم وهم قريش علمة القصاص فقص الأثر حتى انتهى الى الغار فقال فهم الى هنا انتهى الأثر فما أدري بعد ذلك أصعدا الى السماء أم غاص في الارض فقال لهم قائل ادخلوا الغار فقال أمية بن خلف ما تنظرون الى الغار وان عليه لعنكبوت ثامن قبل ميلاد محمد ثم بال حتى سال بوله بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنهما فلم من نسل تبذلك الحمامتين وفي الصحيحين من أنس قال قال أبو بكر لو نظرت الى أقدام المشركين من الغار على رؤسنا لابصرونا فقال يا رسول الله لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا فقال يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اللهم أعم أبصارهم فعميت عن وجوههم وجعلوا يبصرون يمينا وشمالا حول الغار والى هذا يشير صاحب البردة رضي الله تعالى عنه بقوله

أقمت بالقصر المشيد من اله ● من قبله نسيبه ورة لقمم
وما حوى الغار من خير ومن كرم ● وكل طرف من الكفار عنه عمي
فالصدق في الغار والصديق لم يرما ● وهم يقولون ما بالغار من ارم
ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على ● خير البرية لم تنسج ولم تحم
وقاية الله أغنت عن مضاعفة ● من الدروع ومن عال من الاطم

وكان مكثه صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر في الغار ثلاث ليال واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر عبد الله بن الارقط دليلا وهو على دين كفار قريش ولم يعرف له اسلام فدفعا اليه راحلتيهما وعداه ثور بعد ثلاث ليال فأتاهما غير احلتيهما صبح ثلاث وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم على طريق الساحل فمر وا بقديد على أم معبد عاتكة بنت خالد الخزاعية فطلبوا لبنا وليس عندها شيء فإذا عندها شاة فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شاة في كسر الخيمة خلفها الجهد عن الغنم فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لها من لبن فقالت هي أجهد من ذلك فقال أتأذنين لي أن أحلبها قالت نعم بابي أنت وامي ان رأيت بها حلبا فاحلبها فدعا بالشاة فاعتقلها ومسح ضرعها فنسمت وسمى الله فتفاجت ودرت ودعا بإناء يشجع الجماعة فحلب فسقى القوم حتى رووا ثم شرب آخرهم ثم حلب مرة أخرى وبقيت فقصة أم معبد مذكورة في المواهب اللدنية فمن اراد الاطلاع عليها فليراجعها ثم عرض النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنهما على ابن مالك المدلجي وعلما انهما لأذان جعلت فيهما قريش ما جعلت ان أتى بهما فركب فرسه وتبعهما بزجه فبكى أبو بكر وقال يا رسول الله أتينا قال كلا ورب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوات فساخت قوائم فرسه فطلب الامان وقال

طيبها الى كل شريب فغضت دعوته فليس يدخلها شريب الا أحب المقام بها وكان بهم اسمى حكاء الطب والهندسة والكيمياء وعلم النجوم والرصد والطلسمات والحساب عدة (منهم الفلاطون) و بطليموس وسقراط وارسطاطاليس وجالينوس (وكان) في الدولة الاولى يذهب الى مصر أرباب العلوم والحكم لتكون أذهانهم على الزيادة وقوة الادراك (وعلماء جهابذة من الانبياء وهم مرمى وأخوه هرمز و بوشم ابن نوت (ودخل اليها) عيسى وقومه الى الصعيد ثم أقام بشربة هناك تسمى اخناس (ودخلها أيضا) ابراهيم الخليل و يعقوب و يوسف والاسباط وأرميا ودانيال وامتحان الحكيم عليهم السلام (ودفن) بها من الصحابة والتابعين جماعة

أهلها ان قدمه ثم على وادي العرى ولكانا ان أردنا الناس هنتكنا ولا أضر كما قال صراقة فوقفاني ثم ركبت فرسي حتى جئتهما قال فوقع في نفسي حين لقيت ما لقيت ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرتهم بالخبر يريد الناس منهما ورغبت عليهم الزاد والاتباع فلم يقبلا واجتازني الله عليه وسلم في طريقه بعد ذلك بعيد فيرعى شيئا فكان من شأنه ما كان من طريق البيهقي عن قيس بن النعمان قال لما انطلق النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر مستخفين مر بابعد بن حي خيما فاستسقيا الابن فقال ما عندي شاة تحلب غير ان هنا شاة حلت عام أول وما بقي لها لبن قال فأدبر بها فاعتقلها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ضرعها ودعا الله حتى انزلت وجاء أبو بكر بعس من لبن فسقى أبا بكر ثم حلب فسقى الراعي ثم حلب فشرب فقال الراعي بالله من أنت فوالله ما رأيت مثلك قط قال وأراك تكتم على حتى أخبرك قال نعم قال أنا محمد رسول الله قال فأشهد أنك رسول الله حين وان لا يفعل ما فعلت الا نبي وأنا متبعك قال انك لن تستطيع ذلك يومك فاذا بلغك اني قد ظهرت فأتنا وما بلغ المسلمون بالمدينة خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يغدون كل يوم الى الحرة ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوما بعد ما أطالوا الانتظار فلما آووا الى بيوتهم وأى رجل من اليهود على اطم من آطامهم لأمر ينتظر اليه فبصر برسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه يزول بهم السراب فلم يملك اليهودي نفسه فنادى بأعلى صوته يا معشر العرب هذا جدكم الذي تنتظرون فثار المسلمون الى السلاح فتلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم في بني عمرو بن عوف وذلك يوم الاثنين من شهر ربيع الاول فقام أبو بكر للناس وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم صامتا فطفق من جاء من الانصار ممن لم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيي أبا بكر حتى أصاب الشمس رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبل أبو بكر حتى ظلل عليه بردائه فعرف الناس عند ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة وأسس المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم الذي أمر أن يصلي فيه وصلى فيه يومئذ وكان مربدا للتمر لسهل وسراقة غلامين يتيمين في حجر أسعد بن زرارة فبرك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مرت به راحلته وقال هذا ان شاء الله المنزل ثم دعا الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا فقالا بل نهبه لك يا رسول الله فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ابتاعه منهما ثم بناه مسجدا وطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل معهم اللبن في بنيانه ويقول وهو ينقل اللبن

هذا الحمال لا حمال خيبر ● هذا أبر ربنا وأطهر

ويرتجز بكلمات من رجز المسلمين لا يقول شعرا ولا يحسنه فجعل يقول وهو ينقل اللبن

اللهم ان الأجر أجر الآخره ● فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لي قال ابن هشام ويروى بيت شعر لعبد الله بن رواحة

فأنزلن سكينة علينا ● وثبت الأقدام ان لاقينا

وقال البراء بن عازب لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ وهو ينقل التراب حتى وارى عني الغبار جلدة بطنه وهو رجل كثير الشعر وسمعته يقول وهو ينقل التراب

والله لولا الله ما اهتدينا ● ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلن سكينة علينا ● وثبت الأقدام ان لاقينا

ان الأولى قد بغوا علينا ● وان أرادوا فتنة أبينا

يرفع بها صوته قال ابن هشام وبعض أهل العلم بالشعر يرويها

ان الأولى قد رغبوا علينا ● وان أرادوا فتنة أبينا

قال ابن شهاب وبلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ذلك في الأحزاب وبناء المسجد

قال ابن هشام وحدثني من أثق به من أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ من بنيان مسجده بنى بعائشة بنت أبي بكر الصديق بعد مقدمه بشهرين أو ثلاثة وأصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشا وكان بيت أبي أيوب الذي نزل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة أسفل من بيته الذي بنى له فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أعلى منه فكان يسفل فيه ويعلو أبو أيوب حتى بنى مسجده وبيوته وأمر بالبناء فقال ما أنا بأعلى من بيتي أسفل فأتحول فيه فصنع له غرفته التي هو فيها ثم أتاه فقال يا رسول الله أما أنا فأكره وأبى أن أعلو سقيفتك فانزل أنت فكن في السفل وننزل نحن فنكون في العلو فقال يا أبا أيوب ان أرفق بنا وبمن يغشانا أن نكون في علو بيوتنا فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفل وأبو أيوب في العلو فكان يأتيه بطعامه فاذا فضل منه شيء بعث به اليه التمسا لبركة يده فيه فبعث اليه ذات ليلة بعشاء فلما رجع اليه طعامه أو شرابه سأل عن الكف التي لم يأكل منها أين وضعت يده فيها فأخبر بموضعها فأكل منه ثم صعد اليه فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي بعثت الينا بعشائك فأكلنا منه ثم بعثنا اليه فرأينا الكف التي لم تأكل منها أين وضعت يدك فيها فصعدت اليه فقلت أين وضعت يدك فيها فأخبرته

وعيون من هاجروا اليهم ولا يحسدون فى صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار خلوا سبيل الناقة فانها مأمورة وقد ارخت زمامها وما بعرکها وهى تنظر يمنة وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت وبركت فى مبركها الاول والفت بالمعن عنتها وسوتت من هبران تفتح فوها فنزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل ابو ايوب رحله وادخله بيته ومعه زيد بن حارثة وكانت دار بنى النجار أوسط دور الانصار وافضلها وهم اخوال عبد المطلب جد النبى صلى الله عليه وسلم وقد كان بيت ابى ايوب بناء التبع الاول الذى صلى الله عليه وسلم لما مر بالمدينة وترك فيها اثر بعمائة عالم وتركه كتابا له صلى الله عليه وسلم ورده الى كبيرهم وساله أن يدفعه الى النبى صلى الله عليه وسلم فتدارك اصحاب الدور الى أن صار الى أبى ايوب وهو ولد ذلك العالم قال أهل المدينة الذين نصروه عليه الصلاة والسلام من آبائهم وابنائهم فعمل على هذا الخاتم فى منزل نفسه لا منزل غيره وفرح أهل المدينة بقدومه صلى الله عليه وسلم واشرقت المدينة بحلوله فيها وسرت به القلوب قال انس بن مالك رضى الله عنه لما كان اليوم الذى دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اضاء منها كل شىء وسعدت ذوات الخدور على الاجاجين عند قدومه يقلن

طلع البدر علينا ● من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ● ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا ● جئت بالامر المطاع

وروى البيهقى عن أنس لما بركت الناقة على باب ابى أيوب خرج جوار من بنى النجار يقلن

نحن جوار من بنى النجار ● يا حبذا محمد من جار

فقال صلى الله عليه وسلم أتحبونى قلن نعم يا رسول الله فقال عليه افضل الصلاة والسلام ان قلبى بحكم ربه ملك أبو بكر وبلال بالمدينة فقال اللهم العن شيبة وربيعة وأمية بن خلف كما أخرجوا من ارضنا الى أرض الوباء ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب البنا المدينة كحبنا مكة أو أشد اللهم بارك لنا فى صاعها ومدها وصححها وانقل حماها الى الجحفة وقال صلى الله عليه وسلم ان المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وبهذا تعلم ما افترى الله عنه فى تقديم اجماع فقهاء المدينة على الحديث وأبرء كذب مالك رضى الله عنه ظهر دابة بالمدينة فط ويقول استحيى أن أطأ بصافرة دابة أرضا فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اشرف أبو الفضل الجوهرى رحمه الله على المدينة نزل عن راحلته وانشد قول أبى الطيب

ولما رأينا رسمها عن لمع لنا ● فؤاد العرفان الرسوم ولالبا
ترللناها الاكوار فخنى كرامة ● لمن بان عنه ان نلم به ركبا

واقام صلى الله عليه وسلم عند أبى أيوب سبعة أشهر ولما أراد عليه الصلاة والسلام بناء المسجد الشريف قال يا بنى النجار ثامنونى بحائطكم فقالوا لا نطلب ثمنه الا الى الله فأبى ذلك صلى الله عليه وسلم وابتاعه صلى الله عليه وسلم بعشرة دنانير اداها من مال أبى بكر قال أنس وكان فى موضع المسجد نخل وخرب ومقابر مشركين فأمر بالقبور فنبشت وبالخرب فسويت وبالنخل فقطعت وأمر باتخاذها فاتخذت وجعل المسجد وسقف باللبن وجعلت عمده من خشب النخل وكان صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة على جذع فى المسجد فلما فقال ان القيام قد شق على فصنع له المنبر وحنين الجذع فى السنة الثامنة من الهجرة وجزم ابن سعد بانه عمل فى السنة السابعة قال الشيخ بن عبد الله بن النعمان حديث حنين الجذع الذى يخطب عليه النبى صلى الله عليه وسلم حنين العشار متواتر رواه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجم الكثير والجم الغفير قال جابر فصاح الجذع صياح الصغير فضمه اليه وفى بعض الروايات والذى نفسى بيده لو لم أتمه لم يزل هكذا الى يوم القيامة حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الحسن اذا

شعرها من البلادرحى الترمس والبقشمع والورد النضيج والبنفسج والنيلوفر الناطرنج والبابونج والنسرين وان أهل مصر الغالب عليهم الاقراح واتباع الشهوات والانهماك فى اللذات وتصديق الخالات وفى اخلاقهم برقة وعندهم بشاشة وملقة ومكر وخداع ولا يتظرون فى عواقب الامور وعندهم قلة الصبر فى الشدائد والقنوط من الفرج وشدة الخوف من السلطان ويتغيرون بالامور المستقبلة قبل أن تقع ويقال مصر باقوالها الهاذ كرناه فى جواهر البحور (وأول من سكن مصر شيث بن آدم عليهما السلام ورد ذلك ان آباء آدم أرضى له فكان فيه وفى بنيه النبوة والدين وأنزل الله عليه تسعا وعشرين صحيفة فجاء الى أرض مصر

حديث هذا الحديث لكى وقال يا عباد الله الخشية تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه لمكانه فانتم أحق ان تشتاقوا الى لقائه ونظم بعضهم ذلك فقال

وحن اليه الجذع شوقا ورقة ● ورجع صوتا كالعشار مرددا
فبادره ضما فقر لوقته ● لكل امرئ من دهره ما تعودا

وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما لما هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة واليهود أكثر ما يستقبلون بيت المقدس أمر الله أن يستقبل بيت المقدس ففرحت اليهود فاستقبلها سبعة عشر شهرا وكان صلى الله عليه وسلم يحب أن يستقبل قبلة ابراهيم فكان يدعو وينظر الى السماء فنزلت الآية ترترى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها قول وجهك شطر المسجد الحرام وعن سعيد بن المسيب قال صعت سعد بن أبى وقاص يقول صلى صلى الله عليه وسلم بعد مقدمه المدينة ستة عشر شهرا الى بيت المقدس ثم حول بعد ذلك الى المسجد الحرام قبل بدر بشهرين قال زهرى صرفت القبلة نحو المسجد الحرام رجب على رأس ستة عشر شهرا من مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حول الله القبلة حصل لبعض الناس من المنافقين والكفار ارتياب وزيغ عن الهدى وشك وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها أى ما الموجب لانصرافهم عنها تارة كذا وتارة كذا فأنزل الله فى جوابهم قل لله المشرق والمغرب أى الحكم والتصرف كله لله يشير أنه يوجههم تارة وجهنا فاطاعة فى امتثال أمره ولو وجهنا كل يوم الى سبعة معتدة نحن عبيده وفى تصرفه وخدامه حيثما وجهنا وجهنا وقيل قالت اليهود اشتاق الى بلد أبيه ويوشك أن يرضى قومه ولو ثبت على قبلتنا لرجونا ان يكون هو الذى نتظره فأنزل الله تعالى وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم يعنى اليهود الذين أنكروا استقبال الكعبة وانصرافهم عن بيت المقدس يعلمون ان الله سيوجههم اليها بما فى كتبهم عن أنبيائهم (فائدة) فى ذكر نزول جبريل عليه السلام على ان ارسل عليهم الصلاة والسلام نزل على آدم اثنى عشر مرة ونزل على ادريس أربع مرات ونزل على نوح خمس مرات ونزل على ابراهيم اثنتين وأربعين مرة ونزل فى صغره ونزل على موسى أربع عشر مرة ونزل على عيسى عشر مرات ثلاثا فى صغره ونزل على الله صلى الله عليه وسلم أربعا وعشرين ألف مرة كذلك ابن عادل فى تفسيره فى سورة النحل عند قوله تعالى ينزل الملائكة بالروح من أمره وروى ان جبريل عليه السلام نزل على النبى صلى الله عليه وسلم فى مرض موته فقال يا جبريل هل تنزل من بعدى فقال ثم ما يرسول الله أنزل عشر مرات أرفع العشر جواهر من الارض قال يا جبريل وما نوقهن قال الاول أرفع البركة من الارض الثانى أرفع المحبة من قلوب الخلق الثالث أرفع الشفقة من قلوب الاقارب الرابع أرفع العدل من الامراء الخامس أرفع الحياء من النساء السادس أرفع الصبر من الفقراء السابع أرفع الورع والزهد من العلماء الثامن أرفع الصفاء من الاغنياء التاسع أرفع القرآن العاشر أرفع الايمان وقيل ان عدة الانبياء عليهم الصلاة والسلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفا منهم ثلثمائة وثلاثة عشر نبيا مرسلا والباقى لغو منهم فى القرآن اسعة عشر ثمانية وعشرون منهم من لم يكن مرسلا بعضهم كان يوحى اليه فى المنام وبعضهم كان يسمع الصوت من الملك من غير ان يرى شخصه (تنبيه فى أخبار الانبياء عليهم الصلاة والسلام) روى عن أبى هريرة رضى الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله آدم طوله ستون ذراعا فأنزل عليه تحريم الميتة والدم ولحوم الخنزير يوم الجمعة وفيه أهبط الى الارض وأنزل معه الحجر الاسود وعصا موسى وكانت من آس الجنة وعاش ألف عام وعرض أحد عشر يوما وقبض يوم الجمعة وصلى عليه ستين وفى رواية كان طوله ستين ذراعا فى عرض سبعة أذرع وأنزل الله عليه الكلمات الوجودية والعدمية وعلمه سبعين ألف باب من العلم وبيت حتى بلغ ولده ولد ولده أربعين ألفا واختلف فى موضع قبره فقال أبو اليقظان دفن فى شارق الغرى وقال محمد بن حبيب دفن بمكة فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له غار الكنز وقال

وكانت تحمى بأبوين فغزلها هو وأولاد أخيه قابيل فسكن شيث فوق الجبل وسكن أولاد أخيه قابيل أسفل الوادى (واستخلف شيث) ولده أنوش (واستخلف أنوش) ابنه قينان (واستخلف قينان) ابنه مهلايل (واستخلف مهلايل) ابنه يرد ودفع الوصية اليه وعلمه جميع العلوم وأخبره بما يحدث فى العالم ونظر فى النجوم وفى الكتاب الذى نزل على آدم (وولد لبرد) اخنوخ وهو هرمس أى ادريس عليه السلام (وكان) الملك فى ذلك الوقت قنبل وهو ادريس عليه السلام وهو ابن أربعين سنة وأراده الملك بسر مقعده الله ونزل عليه ثلاثين صحيفة ودفع اليه أبوه وصية جسده والعلوم التى عنده وولد بمصر وتوج منها وطاف الارض كلها

ابن عباس ودفن ببلاد الهند في موضع يقال له بوزيا فلما كان أيام الطوفان حمله نوح عليه السلام ودفنه ببيت المقدس وقال هرون وتمام آدم عليه السلام وضع بباب الكعبة وصلى عليه جبريل والملائكة ودفن في مسجد الخيف وقد روى ان الله تعالى أضعف آدم بثلاث تحنف على يد جبريل عليه السلام بالعقل والحياء والدين وقيل له يا آدم اخترأيتهن شئت فألهمه الله ان اختار العقل فقيل للحياء والدين ارتفعا فقالا أمرنا أن لا نفارق العقل وقد روى ان الله تعالى لما خلق آدم قاله من أنت قال أنت أنا علم يارب فقال أنت انسان فقال وما الانسانية يارب قال اطلاق الوجه وحلاوة اللسان وبسط اليدين والخلق الحسن قال صاحب البردة وحسنه بشر الى النبي صلى الله عليه وسلم بالخلق الحسن

فاق النبيين في خلق وفي خلق ● ولم يدانوه في علم ولا كرم

وفي الحديث ان حسن الخلق معلق بسلسلة في باب الجنة مربوطة بصاحبه يذهب صاحبه كل مذهب فلا تزال به حتى تردد الى الجنة وان سوء الخلق معلق بسلسلة في باب جهنم مربوطة بصاحبه فلا تزال به حتى تدخله النار أن يرد فانه أن يعد يبشر صدره الاسلام وما يريد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا روى الحسن عن أبي الحسن عن جده الحسن انه قال ان أحسن الحسن الخلق الحسن (شيث عليه السلام) نبي مرسل وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وهو أول من بنى الكعبة بالطين والحجر وعاش سبعمائة سنة وهذه أخذت الشرعة اد بس عليه السلام نبي مرسل أنزل الله عليه ثلاثين صحيفة ولد بمصر وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب وأول من نظر في علم النجوم فهو أول من نظر في علم الكيمياء وهو أول من رتب الناس على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع ذلك من الحقائق الحكمية والادوار الفلكية وهو أول من رتب الناس على ثلاث طبقات كهنة وملوك ورعية ورفع الى السماء وهو ابن ثمانمائة سنة وعشرين سنة ● نوح عليه السلام ابن لامك بن متوشلخ ابن ادريس نبي مبعوث بعد ادريس وهو ابن خمسين سنة وأربعين سنة وهو أول من قسم الارض بين أولاده فأعطاسام ما أعطاه بلاد الحجاز واليمن والشام وهو أبو العرب والفرس والروم وأما حام فأعطاه بلاد المغرب وهو أبو السودان وابربر والقبط وأما يافث فأعطاه بلاد المشرق وهو أبو يأجوج ومأجوج والترك والصقالبة ولبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وعملها ثلاثين ذراعا وعمل لها ثلاث طبقات فجعل في أسفلها الدواب والوحش وفي وسطها الانس وفي أعلاها الطير وروى انه كان اذا أراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فرست وعاش بعد الغرق خمسين سنة ● هود عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى عاد بن عوص بن سام وبعثه الى ثمود فكذبوه فأهلكهم الله بالصواعق والزلازلة وعاش ثمانمائة سنة وخمسين سنة ● حنظلة بن صفوان عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أصحاب الرس فقتلوه وأحرقوه بالنار فسمخوهم الله حجارة ● ابراهيم الخليل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى النمرود بن كنعان فأهلكه الله ببعوضة قال أبو الحسن الماوردي ابراهيم بالسريانية أبو رحيم وأنزل عليه عشر صحائف وهو أول من قاتل بالسيف وأول من اختتن وأول من لبس السراويل وأول من جز شاربه وأول من قص اظفاره وأول من رأى الشيب وأول من أضاف الضيوف وأول من ثرد الثريد وعاش مائة وخمسا وسبعين سنة ودفن عند قبر سارة بمزرعة حجرون بالماء المهملة ● ذو القرنين كان في زمن ابراهيم عليه السلام قال هكرمة كان ذو القرنين نبيا وقال علي بن أبي طالب كان عبدا صالحا وكان الخضر وزيره وان خالته وكان له مربع مائة في مائة وموضع هل لواته وبها فتح أقاليم البلاد وقهر الفاسدين ملك الدنيا مؤمنان ذو القرنين سليمان وكافران بختنصر وقردون كنعان (توضيح) الاسكندر اثنان روى وهو صاحب الخضر وبونانى وهو صاحب ارسطو وأيضا ذو القرنين اثنان الاكبر وهو الذى سخر الدجلة والفرات وكان أنفه ذراعا وهو بعد نوح عليه السلام وذو القرنين الاصغر وهو بعد سليمان ولقمان اثنان العادى وهو الذى زمن ذى الحكم ولقمان الثانى وهرق زمن داود عليه السلام روى انه لما هلك عاد بقى لقمان بالحرم فقال يارب أعطني عمر سبعة أنسر وكان يعيش النسر ثلثمائة سنة فلما مات النسر السابع مات لقمان وموسى اثنان

ورجع رد ما خلق الى الله تعالى فاجاوبه وأطاعه ملك مصر وآمن به فنظر في تدبير أمرها وكان النيل يأتيهم سيحا فيحتاجون من مسيله الى أعالى الجبال والاراضى العالية حتى ينقص فينزلون ويزرعون حيثما وجدوا في الارض تربة وكان يأتي في وقت الزراعة وفي غير وقتها فلما جاء ادريس جمع أهل مصر وعددهم في أول مسيل اليها وبدر وزن الارض ووزن الماء على الارض وأمرهم باصلاح ما أراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض وفعل ذلك بما رأى في علم النجوم والهندسة والهيئة وكان أول من تكلم في هذه العلوم وأخرجها من القوة الى الفعل ووضع فيها الكتب ورسم فيها التعليم ثم سار الى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها ورحم أهلها وزاد في مسافة

موفى بن بيشار وموسى بن عمران وهرساحب فرعون * لوط عليه السلام نجي مرسل بعثه الله الى اهل سدوم فكذبوه فاهلكهم الله بحجارة من سجيل وعاش ثمانين سنة * اسماعيل عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى العمالقة وهو أول من ركب الخيل ومن ولده قيدار وعاش مائة وثمانين سنة * اسحق عليه السلام نبي مرسل ولد بعد اسماعيل عليه السلام بثلاث عشرة سنة وولد اسحق العيص ويعقوب وهو ابن ستين سنة فاما العيص فانه تزوج بنت عمه اسمعيل عليه السلام فولدت اذ وم وسار وا ملوك الارض واليونان من ولده وعاش مائة وثمانين سنة وتوفي بفلسطين ودفن عند قبر أبيه بمغارة حبرون يعقوب عليه السلام نبي مرسل وهو اسرائيل الله وعاش مائة وسبعة وعشرين سنة * يوسف عليه السلام نبي مرسل وأول من صنع الطرطاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام وعاش مائة وعشرين سنة عمر * أيوب عليه السلام نبي مرسل وكان رومياً من أولاد عيص بن اسحق استنبأه الله سبحانه وتعالى وكثر أهله وماله فابتلاه الله بهلاك أولاده بهدم بيت عليهم وذهاب أمواله والمرض في بدنه ثمان عشرة سنة أو ثلاث عشرة أو سبعة وسبع أشهر وسبع ساعات روى ان امرأته قالت له يوما لو دعوت الله سبحانه وتعالى ان ينشفك فقال لها كم كانت مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال استحي من الله سبحانه وتعالى ان أدعوه وما بلغت مدة بلائي مدة رخائي وعاش ثلاثا وتسعين سنة وكان في ضيافته أربعون ألف وكيل * شعيب عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل مدين فكذبوه فاهلكهم الله بالصيحة وهو خطيب الانبياء عاش مائة وأربعين سنة وقبره بالمسجد الحرام قبالة الحجر الاسود * موسى عليه السلام نجي مرسل أرسله الله تعالى وأخاه هرون عليه السلام الى فرعون فكذبوهما فاظهر فيه الله وجنوده في اليم وأنزل على موسى عشر صحائف التوراة في الواح الزمرد وهي ألف سورة في كل سورة ألف آية روى عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كلم الله موسى مائة ألف وعشرين ألفا وثمانمائة وثلاث عشرة كلمة وعاش موسى عليه السلام مائة وعشرين سنة وقبره عند الكثيب الاحمر بفلسطين وعاش هرون مائة وعشرين سنة ومات قبل موسى بثلاثين سنة في التيه * انخضر عليه السلام قيل انه نجي من الانبياء وقيل انه ولي من أولياء الله تعالى * يوشع بن نون عليه السلام نبي مرسل بعثه الله بعد موسى عليه السلام وقدر دالله الشمس في قتال الجبارين على مدينة أريحاء وهو الذي أرسل الله تعالى على قومه ظلمة فمات بهم في ساعة واحدة سبعون ألفا وعاش مائة وعشرين سنة * كالب بن يوفنا عليه السلام قيل انه نجي وقيل انه ولي * حزقيل عليه السلام قيل انه نجي بعثه الله الى بني اسرائيل وهو حزقيل بن بوري الذي أحياه الله القوم الذين خرجوا من ديارهم بعد موتهم بدعائه ولاجله قال عطاء الخراساني كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو مالك ثمانين ألفا وقال ابن جرير أربعين ألفا وقال ابن أبي رباح سبعين ألفا * الياس عليه السلام نجي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وأعطاه الله قوة سبعين نبيا وقطع عنه علة المطعم والمشرب وكان اسمه ملكيا ارضياسما وياه السبع بن مدى بن سوار بن افرائم ابن يوسف الصديق بعثه الله بعد الياس عليه السلام الى بني اسرائيل وعاش خمسا وعشرين سنة * ذوالكفل عليه السلام بعثه الله بالشام وهو من أولاد أيوب عليه السلام قال أبو موسى الاشعري ان ذا الكفل لم يكن نبيا ولكن كان رجلا صالحا وقيل هو الياس وقيل هو زكريا * شمويل عليه السلام ابن بالي بن علقمة بن عم أرسله الله الى بني اسرائيل وعمره بالعبرانية اسمعيل وهو الذي أقام لطالوت الملك * داود عليه السلام نجي مرسل أنزل الله عليه الزبور بالعبرانية وهي مائة وخمسون سورة وألان الله الحديد ولم يعط أحد من الخلق مثل صوته وكان لا يأكل الا من عمل يده وهو أول من ألف أما بعد قال ابن عباس رضي الله عنهما كان يصرخ بحراب كل ليلة ثلاثين ألفا وكان عمره اذا وماتة سنة شيخ جنازته أربعون ألف راهب وكان الانس والجن يستمعون لحسن قراءته اذا قرأ الزبور وكذلك

جرى النيل وسات ادريس بمصر فمكث ذلك في حسن الحضارة وقيل رفع الى السماء وهو ابن ثلثمائة وعشرين وقيل وستين سنة وقد ملك مصر بعده أربعة وثلاثون فرعونا أقلهم عمرا مائتا سنة وأكثرهم عمرا ستمائة سنة ولم يكن فيهم أعتى ولا أشر من فرعون موسى * فقال وهب ابن منبه كان فرعون موسى قصيرا قبل كان طوله ستة أشبار وطول لحيته سبعة أشبار وقيل كان طوله قدر ذراع (وقال قتادة) الفراعنة ثلاثة أولهم سنان بن الاشل صاحب سارة كان في زمن الخليل عصر (الثاني) الريان بن الوليد وهو فرعون يوسف (الثالث) الوليد بن مصعب فرعون موسى وهو صاحب قول عاد فرعون وهو ابن عنق الفراعنة انتهى وكان من جملة الفراعنة الذين ملكوا

الوحوش والطير وبستة عون وكان يحمل من مجلسه الى بعض الارفاق أربعمائة حنازة على قدمات في مجلسه من لذة سماع صوته وحسن قراءته ٭ سليمان عليه السلام نبي مرسل قال كعب بن محمد القرظي كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ وخمسة وعشرين فرسخا الانس ومثلها الجن ومثلها الوحوش ومثلها الطير وهو أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم وأول من دخل الحمام وأول من صنع له النورة وكان حوض سليمان ستمائة ألف وكان له ألف بيت من قوارير على خشب فيها ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية قال ابن عباس رضي الله عنهما كان في مطبخ سليمان مائة ألف رحل وكان يذبح له كل يوم ألف شاة وثلاثون ألف بقرة وكان يأكل الشعير وبليس الصوف وعاش ثلاثا وخمسين سنة فبينما هو متكئ على عصاه فمات فخفف على ساحل بحر طبرية ٭ لقمان الحكيم ابن باعور وابن أخت أيوب عاش خمسمائة وخمسين سنة واختلف في نبوته فقال عكرمة كان نبيا وقال حذيفة كان عبدا صالحا فرقيل كان قاضيا في بني اسرائيل وقيل كان عبدا أسود نوبيا من سودان مصر وقيل كان خياطا أو نجارا أو راعي غنم وقد أخذ الحكمة عن أبي ذي وقيل ما بين سعيد الرملة وسوقها وفيه قبر سبعين نبيا وكان داود عليه السلام يقول يا لقمان لقد أوتيت الحكمة وصرفت عنك النقمة (قاعدة) المعمرون ثبت عليه السلام عاش سبعمائة سنة فتوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة الا خمسين عاما وعاش بعد الغرق خمسين عاما ابراهيم عليه السلام عاش مائة وخمسة وسبعين عاما اسمعيل عليه السلام عاش مائة وثمانين عاما وكذلك اسحق عليه السلام يعقوب عليه السلام عاش مائة وسبعين عاما يوسف عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما شعيب عليه السلام عاش مائة وأربعين عاما موسى عليه السلام عاش مائة وعشرين عاما وكذلك هرون عليه السلام وكذلك يوشع عليه السلام لقمان عاش خمسمائة وستين عاما المستوعر بن يزيد عاش ثلثمائة وثلاثين عاما معمر بن كعب الحميري عاش مائة وخمسين عاما صاحب بن الظرب عاش ثلثمائة عام وكذلك كعب بن مبدي وكان من حكماء العرب وادرك الاسلام واختلف في اسلامه قس بن ساعدة الايادي عاش ستمائة عام وكان من عقلاء العرب وشعرائهم وهو أول من أقر منهم بالبعث وأول من قال في الخطبة اما بعد در بدن الصوة عاش دهرا طويلا حتى سقط حاجباه على عينيه ولم يسلم وشهد حنينا بعيد الجرهمي عاش مائة وعشرين سنة معاذ بن مسلم عاش مائة وخمسين عاما صاحب بني مروان وفيه يقول الشاعر

فل لمن اذا مر ربته ٭ قد شمع من طول عمرك الابد

رحمانا لما في بصدوده من أخبار الانبياء ٭ يونس عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى أهل نينوى قرية بمصر وهو ابن أربعين عاما فالتقمه الحوت فمكث في بطنه ثلاثة أيام وقيل سبعة أيام وقيل أربعين يوما ثم عاد عليه السلام من أنصاء بعثه الله تعالى الى بني اسرائيل وهو الذي بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم أرسله عليه السلام نبي بعثه الله الى بني اسرائيل فكذبوه فأرسل لهم يختنصر فخرب بيت المقدس وأحرق التوراة وقتل من بني اه رائيل سبعين ألفا واسر سبعين ألف فلام وذهب بهم الى بابل وقيهم دانيال وحزقيل النبي عليه السلام وسبعة آلاف من آل داود عليه السلام مزبر عليه السلام بن شعر بق عليه السلام أماته الله وهو ابن أربعين سنة أماته مائة عام ثم بعثه وهو ابن مائة وأربعين سنة وقيل ابن مائة وعشرين سنة وأحياه حزقيل ٭ دانيال عليه السلام نبي مرسل بعثه الله الى بني اسرائيل وهو من آتاه الله الحكمة والنبوة وألقاه يختنصر في اتون الحمام فلم يحترق وهو أنقذه الله بني اسرائيل من أرض بابل وقبره بالسويس ٭ زكريا عليه السلام بعثه الله الى بني اسرائيل فقتلوه وكان نجارا ٭ يحيى عليه السلام روى انه كان نجارا وفهم التوراة وهو ابن ثلاث سنين أو سبع وقتل بدمشق واسم المرأة التي قتلته أرميل وانها قتلت سبعين نبيا آخرهم يحيى عليه الصلاة والسلام قال سعيد بن المسيب لما دخل يختنصر دمشق رأى دم يحيى عليه السلام يغور فقتل عليه سبعة وخمسين الفا وقد بعث الله ٭ موسى وعيسى ألف خاص بني اسرائيل ٭ عيسى عليه السلام نبي

مصر سبعة من الكهان لهم الاعمال العجيبة والامور الغريبة (الاول) اسعد مسلم وهو أول من اتخذ مغياسا لزيادة النيل وعمل بركة من نحاس وعليها عقابان ذكر وانثى وفيها فليل من الماء فاذا كان أول شهر بؤونه فيه النيل استعمت الكهنة وتكلموا بكلام فيعتبر أحد العقابين فان كانيه الذكر كان النيل عاليا وان كان الانثى كان النيل ناقصا (الكاهن الثاني) اسمه اشماش من أعماله العجيبة انه عمل ميزانا في هيكل الشمس وكتب على الكفة الاولى حقا وعلى الثانية باطلا وعمل تحتها قصرصا فاذا حضر الظالم والمظلوم أخذ قصرص رمى عليهما ما يزيد عمل كل قصرص منهما في كفة فتثقل كفة المظلوم وترتفع كفة الظالم (الكاهن الثالث)

مرسل بعثه الله على رأس ثلاثين سنة من عمره فكذبوه فرفعه الله الى السماء وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وأنزل عليه الانجيل باللغة السريانية وهو كلمة الله وأمه مريم بنت عمران وهو من أولى العزم المرسلين واحيا الله به سام بن نوح عليه السلام بعد اربعة آلاف سنة قال كعب بعث الله بعد عيسى ابن مريم رسولين من الحواريين من مدينة انطاكية حبيب النجار وهو ثالث المرسلين وقبره بانطاكية شمه ود ومن زمن هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى رفع عيسى عليه السلام خمسة الاف وخمسمائة وخمسون سنة وكانت الفطرة التي لم يبعث فيها رسول أربعمائة وأثر بعة وثلاثين سنة (فائدة) لابأس بذكرها وهو ابن الصفي الحلي نعت اسم عيسى عليه السلام

سألت الحب ما معنى وطيبي ٭ من العرب الكرام فقال عيسى

فقلت له انتسبت لاى قوم ٭ تكرمن الكرام فقال عيسى — عيسى
فقلت وما تصيد لك في الوادي ٭ تصيل الحمام فقال عيسى — عشبي
فقلت وما انيسك في الفيافي ٭ بآناء الظلام فقال عيسى — عيسى
فقلت وعم تسئل كل غاد ٭ يرحل الدوام فقال عيسى — عنسي
فقلت ولم حميت نصب حب ٭ دعاك الى المقام فقال عيسى — عيني
فقلت لقد سلبت القلب مني ٭ بلحظك والقوام فقال عيسى — عسى
فقلت عساك تسمح لي بوصل ٭ أجابر التمام فقال عيسى — عسى
فقلت وما الذي يدعوك حتى ٭ تعالى بالكلام فقال عيسى — عيني
فقلت له صدقت وأي شيء ٭ تقول على النظام فقال عيسى — فعيني
فقلت بمن أعيش وأنت سؤلي ٭ وتصيد بالغرام فقال عيسى — عشبي

وذيله الشهاب الحجازي بما أملى به الصفي الحلي من الالغاز المعنية فقال

فقلت ادراك ياسؤلي طربا ٭ لانشاد النظام فقال عيسى — فعيني
فقلت أراك حيرانا ذهولا ٭ فما تسأل حديث فقال عيسى — عنيني
فقلت من الهوى حملت ثقلا ٭ بما حملتنيه فقال عيسى — عيني
فقلت ولا أريد سواك فاعطف ٭ على فقري اليك فقال عيسى — فعيني
فقلت أراك ذا نظر بخدود ٭ تثقب بالقوام فقال عيسى — عيني
فقلت فديت في حبك فارحم ٭ وداوي ذا السقام فقال عيسى — عيني
فقلت معاتبا فاحر خدا ٭ لماذا الاحمرار فقال عيسى — عنيني
فقلت ملاطفا من أي شيء ٭ تعايل ذا القوام فقال عيسى — عنيني

(فائدة) أول من تكلم بالتصوف في الاسلام الامام علي رضي الله عنه من ذلك قوله كل محب فطبيب الكرم الاعجب الذهب معدنه كل عجب فطبيب الكرم الاعجب الذهب معدنه كل عجب فطبيب الكرم الاعجب الذهب معدنه كل عج

كتب النبي صلى الله عليه وسلم المقوقس ودعاه الى الاسلام وكان الرسول اليه حاطب بن ابي بلتعة رضي الله عنه ذكر البيضاوي في تفسيره في أول سورة الممتحنة في قوله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تزلت في حاطب المذكور فانه لما هم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يغزو أهل مكة كتب اليهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد كم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بني عبد المطلب فنزل جبريل عليه السلام وأخبره بذلك فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضرب واعنقها فادركوها فتحدث فعل عليا السيف فأخرجه من عقيصتها فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حاطب ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحت ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وليس لي فيهم من يحمي اهلي فأردت ان آخذ عندهم يدا وقد علمت ان كتابي لا يغني عنهم شيئا فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعذره فجعلا ينافحان عنه فقال النبي صلى الله عليه وسلم انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله اضرب عنقه فقال انه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم فانزل الله السورة الى قوله فقد ضل سواء السبيل وقيل نزلت في سارة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة قالت ما بقي أحد نخافه فكانت تؤذي المسلمين بلسانها فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا والزبير والمقداد وطلحة وعمارا والمرثد فأدركوها في الروضة فطلبوا منها الكتاب فقالت ما معي كتاب فأناخ المقداد راحلتها وابتدر القوم متاعها فلم يجدوا شيئا فقال علي ما نرى كتابا فقال لها لتخرجن الكتاب او لتلقين الثياب فلما رأت الجد منه حلت قرون ضفيرتها واخرجت الكتاب منها فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا حاطبا فقال ما حملك على هذا فقال يا رسول الله ما كفرت منذ اسلمت ولا غششتك منذ نصحت ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وكنت أظنه يخرج من السماء قبل ان يخرج من الشام وقد علمت ان نبيا قد بدا وكنت أظنه يخرج في العرب في أرض جهد وبؤس والغبط لا تطرهني فأرجع الى صاحبتي ثم دعا بكاتب يكتب بالعربية فكتب أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت وما عدوه اليه وقد علمت ان نبيا قد بقي وكنت أظنه يخرج من الشام وقد أكرمت رسولك وبعثت اليك بجاريتين لهما مكانة في القبط وهي مارية وأختها شيرين وخصيا قال له ماجور وبغلة وحمارا وصلالا وقباطي من قباطي مصر وكان الذي بعثه المقوقس مع الهدية بخصاء اسمه جبير القبطي فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم الهدية فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدية فلما نظر الى مارية وأختها أعجبتاه وكرمتا ان يجمع بينهما فقال اللهم اخترلنبيك فاختارا الله مارية فأسلمت وأحسنت إسلامها وكتبت أختها اسماء فأسلمت فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت الانصاري رضي الله عنه ولم تزل مصر في يد المقوقس مدة حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأيام خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدرا من خلافة عمر رضي الله عنه وفتحت مصر في سنة تسع عشرة من الهجرة روى أن سيد ناهر بن الخطاب رضي الله عنه لما قدم الجابية خلا به عمرو بن العاص وقال يا أمير

ومحل في وسط المدينة صورة امرأة جالسة في بحر هاسبي كانها تزف ضده فان امرأة أصابها وجع في جسمها سمعت ذلك الموضع من جسدتلك الصورة تقبر أمن ساعتها (الكاهن الرابع) عمل شجرها أصنامها من حديد بخط حليف اذا قرب منها الظالم خطفته ونعلقت به فلا تفارقه حتى يقر بظلمه ومحل صنما من كدان أسود وسماه عبد رحل يقبا كون اليه فمن زلخ عن الحق ثبت مكانه ولم يقدر على الخروج حتى ينتصف من نفسه ولو أقام سنين (الكاهن الخامس) عمل شجرة من نحاس فمتى وصل اليها ظالم لم تبرح حتى يؤخذ فشبهت الناس لما في أيامهم وعمل على باب المدينة صنمين صنما عن يمين الباب وصنما عن يساره

المؤمنين أنا ذن لى بالمسير الى مصر فانك ان فعلتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى أكثر أهل الارض أموالا وأعجزهم حربا وقتالا فتخوف عمر رضى الله عنه على المسلمين فلم يزل يعظم أمرها عنده حتى ركن لذلك عمر رضى الله عنه فعقد له على أربعة آلاف رجل وقال له سر وامض واستعن بالله واستنصره فسار عمر وسبق نزل العريش وهو من حدود أرض مصر ثم سار حتى وصل قريبا من مصر فنازلها المقوقس فتقالا شديدا فكتب عمر بن العاص الى سيدنا عمر بن الخطاب يستنجده فأمده باثنى عشر الفا منهم أربعة قوم وابار بعة آلاف وهم الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وسلمة بن مخلد فوصلوا اليه وأحاطوا بالحصن فنصب عمر رضى الله عنه الفسطاط وهو البيت الذى من الشعر فاموا على باب الحصن سبعة أشهر فلما رأى المقوقس ذلك نزل فى سفينة كانت بباب الحصن وهو قصر الشمع ومعه أهل القوة الحقى بالجزيرة توهى الرشوة وسأل فى الصلح فبعث اليه عمر وبن العاص رضى الله عنه عبادة بن الصامت والمقداد بن الاسود فصالحه المقوقس على القبط والروم وجعل الخيار له فى أن يوافى كتاب ملكهم بما يكون وأن القبط يعطون عن كل بالغ من الرجال دينارين فكان عدتهم يوم الصلح ستة آلاف نفس وأن عليهم الضيافة للوارد ين ثلاثة أيام وذلك فى سنة ثمان عشرة من الهجرة ثم ان المقوقس توجه الى الاسكندرية وفى سنة تسع عشرة من الهجرة هلك الروم وفتحت الاسكندرية وقت الظهر يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين وذلك بعد ان حوصرت أربعة عشر شهرا وقتل من المسلمين ثلاثة عشر رجلا والله تعالى أعلم

فاذا دخل أحد فان كان من أهل الخير فحمل الصنم الذى عن يمين الباب وان كان من أهل الشر يحمل الصنم الذى عن يسار الباب (الكاهن السادس) هل درهما اذا ابتاع صاحبه شيأ اشترط على البائع ان يزيده برتنه من النوع الذى يشتريه فاذا وضع فى الميزان ووضع فى مقابلته كل موجود من الصنف المذكور يشتريه لا يعطيه ووجد هذا الدرهم فى كنوز مصر فى أيام بنى أمية (الكاهن السابع) كان يعمل أعمالا عجيبة من جملتها انه كان يجلس فى المصاب فى صورة انسان عظيم فاذا قام مدة ثم غاب فاقاموا بلا ملك ان رأوه فى صورة الشمس فى برج الحمل فاعلموهم أنه لا يعود اليهم وان يولوا فلانا بعده (وسبب قولية الوليد)

﴿ الباب الاول فى خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولى بعدهم وهو الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنه ﴾

روى عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لحوضى اربعة أركان وكن منه فى يد أبى بكر والثانى فى يد عمر والثالث فى يد عثمان والرابع فى يد على فى أحب أبا بكر وأبغض عمر ليست أبو بكر ممن أحب عمر وأبغض أبا بكر ليست عمر ممن أحب عثمان وأبغض عليا ليست عثمان ممن أحب عليا وأبغض عثمان ليست على ممن أحسن القول فى أبى بكر فقد أقام الدين ومن أحسن القول فى عمر فقد أوضح السبيل ومن أحسن القول فى عثمان فقد استنار بنور رب العالمين ومن أحسن القول فى على فقد استمسك بالعروة الوثقى ومن أحسن القول فى أصحابى فهو مؤمن ومن ساء القول فى أصحابه فهو منافق ويروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم متوكئا على أبى بكر وعمر وهو يقول هكذا نحشر وهكذا نبعث وهكذا ندخل الجنة وروى عن ابن آدم قال رأيت مكتوبا على العرش بالكعبة قبلت له ما الذى أخرجك من دين آبائك فقال تبدلت خير امنه فقلت وكيف ذاك قال كنت أبحر فلما توسطنا البحر انكسرت المركب فلم تزل الامواج تدفعنى حتى رمتنى فى جزيرة من جزائر البحر ريانا أعجما كثير الشعر فلما نظر الى من الشهد والتين من الزيد فيها نهرعذب فشربت الله على ذلك وقلت آكل من الشجر وأشرب من هذا النهر حتى يقضى الله بامره فلما ذهب النهار خفت على نفسى من الوحش فطلعت على شجرة فنمت على غصن من أغصانها فلما كان فى جوف الليل واذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار فقلت يا رسول الله النبى المختار أبو بكر الصديق فعلى بمبغضهم لعنة الملك عمر الفاروق فتح الامصار عثمان الفتيل فى الدار على سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة العزيز الجبار ورأيتهم النار بئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الموفق السديد عمر بن الخطاب سور من حديد عثمان الفضيل الشهيد على بن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الملك المجيد ثم أقبلت الى البر فاذا أنا برأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب حمكة تخشيت على نفسى الهلكة ثم هربت فنطقت بلسان فصيح وقالت يا هذا قف وانا لم أملك فوقفت فقالت ما

ويملك فقلت ومن النصرانية فقالت وملك ارجع الى دين الحنيفية فقد حلت بفنائه قوم من مسلمي الجن لا يحبونهم الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلتها فقالت اتم اسلامك بالترحم على أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم فقلت ومن أتاكم بذلك فقالت قوم من حاضر واعند رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادي بلسان طلق فصيح الحي قد رعد تني أن تشبد أركاني فيقول الجليل جل جلاله فقد سعدت أركانك بأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الداية اترك المقام هيهنا الم الرجوع الى أهلك فقلت الرجوع الى أهلي فقالت اصبر حتى تحرر كب فبينما نحن كذلك واذا بعرب أقبلت تجري ولم أمت اليهم فدعوا الدر وفانتزلت فيه ثم حثت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر ألف رجل كلهم نصارى فقالوا ما الذي جاء بك الى هذا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا كلهم وأسلم واحن آخرهم ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وهاهنا بكى) عن عبد الواحد بن زيد قال كنت في مركب فطرحتنا الريح الى جزيرة فاذا فيها رجل بعيد صنما فقلت له يا رجل من تعبد فأوما الى الصنم فقلت ان معنا في المركب من يسوى مثل هذا لمن هذا بالله يعبد قال فأنتم من تعبدون قلنا الله قال وما الله قلنا الذي في السماء عرشه وفي الأرض سلطانه وفي الاحياء والاموات قضاؤه قال كيف علمتم بذلك قلنا وصاه الينا هذا الملك رسولا كريما فاخبر بذلك قال فما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الله اليه قال هل ترك عندكم علامة قلنا ترك عندنا كتاب الملك قال أرأى كتاب الملك بنبغي ان تكون كتب الملوك حسانا فأنبأه بالصفة فقال لا أعرف هذا فقرأنا عليه سورة من القرآن فلم نزل نقرأ عليه وهو يبكي حتى ختمنا السورة فقال لنبي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصي ثم أسلم ورحلنا معنا فعلمنا شرائع الاسلام وسور امن القرآن وكنا حين من الليل صلينا العشاء وأخذ ما مضاجعنا فقال لنا يا قوم هذا الاله الذي وألهوني عليه اذا جن الليل ينام فلما يعبد الله هو حي قيوم لا ينام قال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام فتجبنا كلامه فلما فقد نا صيادان فقلت لاصحابي هذا قرب عهد بالاسلام بفقد منا له دراهم رآه اعطاها له فقال ما هذا فقلنا لفقد تفتقده فقال لا اله الا الله لقد مولى على طريق ما سلكتموها أنا كنت في جزائر البحر اعبد صنما من دونه ولم يلبث بعيني فيضيعني وأنا أعرفه فلما كان في بعض الايام قبل الى انه في الموت فأتيته فقلت هل لك من حاجة فقال فقبي حولا بعيني من جاء بكي الى الجزيرة قال عبد الواحد فلقيني عيني فنمت عنده فرأيت مقابر عباد ان رضة وقبر بانية وفي القبر صبر عليه جارية فمر بي أحسن منها فقلت أسألك بالله الا ما عجلت به فقد اشتد شوقي اليه فأتيت فاذا به قد فارق الدنيا فقمت اليه فغسلته وكفنته وصليت عليه ودار يته فلما من الليل غثت فرأيته في القبر مع الجارية وهو يقرأ والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار

﴿خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه﴾

اسمه عبد الله بن أبي قحافة واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعيد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن عامر بن سعيد بن تيم بن مرة مات سلمة قيل كان اسم أبي بكر رضي الله عنه صدوب الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وانما سمي عتيقا لان النبي صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بستتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض الون خفيف العارضين يربع له في شهر ربيع الاول سنة احدى عشرة من الهجرة جلس على المنبر وخطب الناس فقال أيها الناس قد وليت أمركم ولست بخيركم انما أنا متبع ولست بمبتدع فان أحسنت فأعينوني وان زغت فقوموني فان الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم عندي

ابن مصعب الذي هو فرعون موسى على مصر كما أخبرته ابن عبد الحكم ان ملك مصر لما توفي تنازع الملك جماعة من أبناء الملك ولم يكن للملك عهد لاحد ولما اشتد الامر بينهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يصلح بينهم أول من يطلع من سفح الجبل فطلع فرعون بين عبد يلتفي نظرون على حمار قبل لهم ما لبيده فهما فاصدقوه فقالوا انا جعلناك حكما بيننا فبما تشاجرنا فيه من الملك وآتوه مواثيقهم على الرضا فلما استوثق منهم قال انى رأيت ان أملك نفسي عليكم فهو ان أذهب لضغائنكم وأجمع لامركم والامر من بعده الي كم فأمروه عليهم واقدروه في دار الملك عنف فأرسل الى أل صاحب أمر رجلا منهم فوعده ومناه ان يملكه على ملك صاحب لبلة

ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع الجهاد قوم فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة فى قوم الا عمهم الله بالبلاء أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فان عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله ثم قام سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمد الله واثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس كنت قلت لكم مقالة ما كانت فى كتاب الله عز وجل ولا كانت عهدا عهده رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى كنت ارجو ان يدبر الامر ولا كانت هن أرى ان الله عز وجل قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وثانى اثنين فى الغار فقوموا وبايعوا ابا بكر فقام الناس الى مبايعته عامة وبايع علي رضى الله عنه أبا بكر استغفر وانكسر رسم المسلمون بذلك فقال أبو سفيان بن حرب أرضيتم يا بنى عبد مناف ان تليكم تيم وان يلى أمركم ابن أبى قحافة والله لئن شئتم لاملأنها عليكم خيلا ورجالا فقال علي رضى الله عنه يا أبا سفيان ان المسلمين قد نصحوا بعضهم لبعض ولولا ان رأينا أبا بكر أهلا لما مايعناه ثم نبذ ذلك فى فضائله رضى الله عنه منها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر فى مرض موته بتجهيز اسامة بن زيد فى سبعة آلاف بطل لغزو الروم وانه أمر عسكره وذلك فى يوم الاثنين لاربع بقين من شهر صفر سنة احدى عشرة قال له صلى الله عليه وسلم مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فاعد صباحا على أهل ابنى وحرق عليهم وأسرع السير لعل الله يديم ظفرك فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم وخذعه الاعراب وقدم العيون والطلائع فلما كان يوم الاثنين بدئ برسول الله صلى الله عليه وسلم بالوجع فلم يصدع فلما كان يوم الخميس عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم لواء لبيده لاسامة ثم قال امض على بركة الله وفى سبيل الله فقاتل من كفر بالله خرج بلواء معقود فدفعه الى بريدة ابن الحطيب الاسلمى ثم قال اخرجوا بسم الله تقاتلون من كفر بالله خرج بلواء معقود فدفعه الى بريدة ابن الحطيب الاسلمى ثم قال اخرجوا بسم الله تقاتلون من كفر بالله فخ

فراجعه عمر رضى الله عنه فقام أبو بكر فأخذ بطيلسان عمر فقال ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة وأمرهم وتأمرني أن أنزعه قال فغضب ذلك عمر حتى رجع عمر رضى الله عنه الى الناس وأمرهم بالجواب فجهزوا وتهيأوا حتى جاوز أبو بكر فخرج معه وهو ماش وأسامة راكب وعبد الرحمن بن عوف يقود دابة أبي بكر فقال أسامة لا بي بكر يا خليفة رسول الله والله لتركبن أو لأنزلن فقال أبو بكر والله لا أركب والله لا تنزل وما علي أن أغبر قدمي ساعة في سبيل الله وعاد أبو بكر وسافر أسامة بالجيش ولم يشرع حتى اتته سنته وكان لا يمر بقبيل تريد الا ارتدادا الا وقالوا لولا ان هؤلاء قوة ما خرج هذا عنهم وهم وان أسامة وصل الى أهل أبين في عشرين ليلة فشن عليهم الغارة وسبى حريمهم حرق منازلهم وحوائطهم وأجلى أهل النخل في عرصاتهم وأصاب الغنائم منهم وكان أسامة على فرس أبيه فقتل قاتل أبيه في الغارة ورجع الى المدينة سالما وكان سن أسامة سبع عشرة سنة (وذكرت) على سبيل الاستطراد بعض الحاقه لاجل المناسبة يأتي ذكرها هنا فيه (منها) ما حكاه المسعودي في شرح المقامات ان المهدي لما دخل البصرة رأى اياس بن معاوية وهو صبي وخلفه أربعة آلاف من العلماء وأرباب الطيالسة واياس يفيدهم فقال المهدي أف لهذه الغثائي أما كان فيهم شيخ يفيدهم غير هذا الحدث فجاء المهدي التفت الى اياس وقال له كم سنك يا فتى قال سني أطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد بن حارثة قال وما رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وكان في الجيش من الصحابة من هو أقدم سنا من أسامة فقال له تقدم بارك الله فيك (وحكى) ان يحيى بن اكثم لما ولاه المأمون قضاء البصرة وكان سنه اذ ذاك عشرين سنة فاستصغره فقال أحدهم كم سن القاضي فقال أنا أكبر من منتاب بن أسيد الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على مكة يوم الفتح وانا اكبر من معاذ بن جبل الذي وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم قاضيا على اليمن وأكبر من كعب بن سوار الذي وجهه عمر قاضيا على البصرة فجعل جوابه احتجاجا (وحكى) ان المأمون لما حضر اليه يحيى بن أكثم المذكور أمال النظر اليه وكان يحيى بن أكثم دميم الخلقة فقال له يا أمير المؤمنين انظر الى خلقي ولا تنظر الى خلقي فقال له المأمون هلك هالك من أبوين وعن أختين ولم تقسم التركة حتى مات احدى الاختين عن ذكر فمن المسئلة فقال يا أمير المؤمنين ليت الاول ذكر أما الذي أعرفه المأمون فضله وقال بعز قائل بين الذكر والانثى قد سوى فعليك الجواب وقد ذكرناه لما استغاب عمر بن عبد العزيز قدم عليه وفود أهل كل بلد فقدم وفد أهل الحجاز فقدم منهم غلام لم يكلم وفد قبل عمر بغلام لم يقدم من هو أسن منك فقال العلام يا أمير المؤمنين انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فاذا منحك الله عبدا لسانا ناطقا وقلبا حافظا فقد أصابه الاختيار ولو كان الامر بالسن لكان هنا من هو أحق منك بمجلسك فقال عمر صدقت فهذا هو الحر الحلال فقال يا أمير المؤمنين نحن وفد النهنئة لم يكن بقدمنا الليل رغبة ولا رهبة الا انا قد أمنا في أهل ما اخترناه أدركنا ما لبغيتنا قال عمر عن سن الغلام فقيل له عشر سنين (وقد روى) ان محمد بن كعب القرظي كان حاضرا فنظر الى وجه عمر وقد تهلل عند ثناء العلام عليه فقال يا أمير المؤمنين لا يغرنك حول القوم بك معرفتك بنفسك فان لله وما خذ دعوى الثناء وفرهم الشكر فزلت أقدامهم فهو وان النار أعاذك الله ان تكون منهم واحمل السالف هذه الأمة فبكى عمر حتى خيف عليه وقال اللهم لا تفتنا بمن واعظ وقد سمعت من بعض الافاضل ان أبا عبيد الله المازري وهو غلام لم يبلغ الحلم جلس نهارا في شهر رمضان لتدريس العلم الشريف وخلفه ما يفوق على مائتي رحل من طلبة العلم الشريف يستفيدون منه ما يليقهم من العلوم فقال لهم اسيروا حتى أتعدى فقال له شخص من الحاضرين تكون شيخ هذه الطائفة وتتغدى نهارا في رمضان فأجابه بان قال له يا طويل الاذان ما وجب على صوم الطويل الرجل (وحكى) انه كان للعتابي غلام جميع الحسن حسن الصورة وكان متغرفا يحبه فكتب اليه يوما وقد عملت أبدك الله مسألة الى البلة واستعانة عليك وأنت منهم فرده كله على أهله وكان خراج مصر في زمنه على كل سنة اثنين وسبعين ألف ألف دينار يأخذ قرعون من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع فيه ما يريد والربع الثاني لجنده وما بقي وهبه على تحاربه وحباياه خواصه ودفع عدوه والربع الثالث في مصلحة الارض والمقتاج اليه من جسور وخلج وقناطر وآلة وآلة المزارعين على زروعهم وعمارة أرضهم والربع الرابع يدفن في الارض فيبقى ذخرا وربع ما يصب كل قرية من خراجها يدفن ذلك فيها الثابتة تقول أرباحية نظر أو بقفي بالحق ولو على نفسه فأحبه الناس لكثرة عدله فتوفي الملك فرعون عليهم فماش زمانا طويلا حتى مات منهم ثلاثة قرون وهو في قبره يقبر ويبقى وقال أنا رجع الأعلى فاستوفت قومه

تؤخر بعدى وتكبر قصدى وأنا أشكو أحوالى كلها اليك واستعين بك عليك فأجابه الغلام بهذا قول شكواك التفتى اتصافك وانشارياتنا تحتفى اوصافك ومكرر ومع صيانتنا أولى من الاجتماع على فضيحتنا فان وجدت أيدك الله فرصة ليس معها افتقاك الستر وقع الذكر صرت اليك ومع هذا لا بقى بلوغ الشهوات باسقاط المروآت ولا خير فى شئ يذهب لذته ويبقى تبعته فاختر أيدك الله أحد الأمرين اما طاعة الله لحفظك أو معصته لطاعتك فقال بل لطاعة الله أصعب وأوجب والرجوع اليه أحسن وأقرب والله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقيل فى المعنى

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها ● من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها ● لا خير فى لذة من بعدها نار

وقال ابراهيم بن محمد المهلبى الواسطى

كم تظرفت بين أهوى فيمنعنى ● منه الحياء وخوف الله والحذر
وكم خلوت بين أهوى فيقنعنى ● منه العفاف والتحديث والنظر
أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ● وليس لى فى حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية ● لا خير فى لذة من بعدها سقر

وحكى أن شخصا نظر الى ولد أمرد جميل الصورة فكتب اليه يقول

ماذا تقول اذا احتجت عنانى غد ● وأقول للرحمن هذا فاتنى

فأجابه الولد بان قال اقول له يارب هذا طلب منى فعل السوء فما وافقته (وحكى) ان رجلا خلا بولد أمرد فقال له فى ذلك فقال أردت أن أرى بهاب الفاعل والمفعول فقيل له وما هذا المنكر لك ينكافانال سوف جاء لمعنى (وحكى) عن على بن وسام البغدادى انه قال كنت أعشق غلاما بالخابى ابن حمدون فدمت له منه ومرة لا دب عليه فلما تعنى عقصرب فانتبه فالى فقال لى ما تنى بل همنا فقلت له قد أبول قال صدقت فى است خلاصى وأنشد يقول

وداري اذا نام سكانها ● يقيم الحدود بها العقرب
اذا قتل الناس عن مالهم ● فان عقار بها تضرب

وفى المعنى يقول

ولقد صربت مع الظلام لموعد ● حملته من قادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة ● سوداء عقربة أبان ذهابى
لا بارك الرحمن فيها انها ● دبابة دبت الى دباب

ومن عجيب أمر العقرب انها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يحرك شئ من بدنه ورجاء لسعت الاانى قلت والى ذلك أشار عمارة اليمنى فقال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب ● وباعد اذا لم تنتفع بالاقارب
ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما ● تموت الافاعى من سموم العقارب
فقد هد هذا معرش بلقيس هدهد ● وخوب فارقبل داسه مارب
اذا كان راس المال عمرك فاحترز ● عليه من التضييع فى غير واجب
وبين اختلاف الدهر والصبح معمرك ● يحير هذا بينه حبيبه بالعجائب

وفى ربيع الابرار أن أرض حمص لا تعيش بها العقرب وزعم أهلها ان ذلك لطلسم وان طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لوقتها وقد سمعت من شيخنا ممن أهل حمص أنه رحل منها وسكن فى مصر وكان من جملة أمتعته التى أصطحبها معه بساط فرشه بالمنزل الذى سكن فيه بمصر فتكلم ما دب عليه عقرب مات لوقته وهذا عجيب (وروى) الحافظ ابو نعيم فى تاريخ أصبهان والمسة فرى فى الدعوات والبيهقى فى الشعب عن على رضى الله عنه أنه قال لقد نهت النبى صلى الله عليه وسلم عقرب وهو فى الصلاة فلما فرغ قال لعن الله العقرب لا تدع مصليا ولا غيره ولا نبيا ولا غيره الا لدغته وتناول نعله فقتلها به ثم دعا بماء وملح فجعل

فأما هو وقال مروى يارب ان فرعون بعهدك ماثتى سنة فكيف أمهلته فأوحى الله تعالى اليه أنه عمر بلادى وأحسن الى عبادى ومن جملة احسانه أن هامان وزيره لما ابتدأ حفر خليج سردوس أتاه أهل قرية يستلونه أن يخرج الخليج اليهم فحفرت قريتهم ويعطونه مالا فاجتمع له من ذلك مائة ألف دينار ولا يعلم بمصر خليج أكثر عطوفا منه ما فعل هامان بفقره ولما أخبر فرعون بما أخذه من الاموال قال له وصل بنبنى لأهل القرية وهذا الربع الذى يدفن فى كل قبر يخرب كذوزة فرعون الذى يتعدث الناس انها ستظهر فيطلبها من يتتبع الكنوز وكان قبر فرعون اذا أكمل الربع فى كل سنة يرسل مع فائض من قزادة أردب فجمع فيذهب

يسمع عليها او يقرقل هوالله أحد والمعوذتين (وروى) عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ما لقيت من عقرب لدغتني البارحة قال أما انك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرك ان شاء الله (حكاية) عن جابر قال كان بالمدينة رجل يكنى أبا مدة كور برقى من العقرب وينفع بها الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا مدة كور ما رقيتك هذه فقال أعوذ كور شعينة قرينة سفعة بحر قطعا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بأس بها انهما وثيق أخذها سليمان بن داود على الجوام عندنا الذكر الضب وما أدراك ما الضب قال أبو نواس

اذا هبم النيام نحمل هنى ● وعن كان يصطلي الهبيب
فان النيك ما كان اغتصابا ● يتم الحب أو منع الرقيب

﴿وقال الاشعري﴾ كنت مثل الصبي عند وبيبي ● مصرا لمحبوب حبيبي
قلولا فحت زهرة ورد ● ينضب عند المحبوب رطيب

وقد جمع ابن دانيال آلات الدب في بيت فقال

قل لمادب في المعاصات الا ● لقبوق بالاثل الدباب
ولعمري قد كنت أفتكم الدب ● وآلاته هي في جواب
مثل درج ولوح وخيوط ● وعصيدر بيضة وتراب

قال في القاموس دب يدب دبا ودبيبا مشى على هيئة كالمشي في الحدد والبلاط في الثوب سرى وعقارب سرت عليه وأذنه وهو دبوب ودبيوب والدبيوب الجامع بين الرجال والنساء والنعام والقواد (وحكى) ان رجلا حكى وبعض القضاة حاضر ان الجاحظ مر على مكتب فرأى غلاما محسنا لخلف لا بد من تقبيله عشر قبلة المستوفى يعينه قال الغلام بينما انا كم قصر اذ اهدى الغلام واقرا لختم فقال القاضي ما حملك على فعلك فقال

تعلق العطف من خديه فانعطفا ● وكان من دينه ان لا يني فوفا
دب العذار على ميدان وجنته ● حتى اذا هم ان يسري به وقفا
كأنه كاتب عن المداده ● أراد يكتب لا ما فوق بتدا ألفا

فقال القاضي أتصبون أن أحكم بينكما بحكم الله أو بحكم الناس فقال الصبي بحكم الله قال القاضي قال الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ثم قبله كما قبلك فخضب الغلام وقال لا أريد ذلك فأنشد القاضي يقول

اذا كنت لتعتبني والبوس كارها ● فلا تغش في الاسواق الا منقبا
ولا تفرج الاصداغ من تحت طرة ● وتظهر منها فرق خديك مقربا
فتهتك مستورا وتتلف عاشقا ● وتترك قاضي المسلمين معذبا

فأنشد الغلام يقول

وقد كنت أرجو أن أرى العدل بيننا ● فأصبحني بعد الرجاء قنوط
متى تفلح الدنيا ويفلح أهلها ● اذا كان قاضي المسلمين يلوط

(حكاية لطيفة) وهي عشق صبي جارية في مكتب فجعل نفسه عند الفقيه مهريفا فترقب العريف غفلة الفقيه وكتب في لوحها

ماذا تقولين في صب أخي ولهٍ ● أضحى يصبك بين الناس ولهانا
ولم يجد فرجا ما يكابده ● الا هراقته الكتاب تبيانا
فكتبت تحته تقول

ان العريف اذا ما كان ذا ولهٍ ● يحبنا وبنا قد صار ولهانا
أوصله على غيظ الوشاة فدع ● لن يكون هلينا كيف ما كانا

فنظر الفقيه ذلك اللوح وقرأه وكتب تحته

صلى العريف ولا تخشين من أحد ● ان العريف حزين القلب ولهانا
أما الفقيه فلا تخشين حومته ● لانه قد بلى بالعشق ألوانا

أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائم ان في كل قرية فان وجد أحد القائدين موضعا يأتي قايد الفيل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه بأمر العامل على تلك الجهة فاذا بلغ فرعون ذلك امر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله فيرجع ويجد القائدان لم يجدا موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع ولما أراد الله هلاك فرعون خرج في طلب موسى عليه السلام وفي طلب بني اسرائيل وكان على مقدمة فرعون هامان في الف ألف وستمائة ألف سوى القلب والجناحين ولم يخرج معه من مصره فوق الالا بعين ولا دون العشرين وكان في عسكره ذلك اليوم سبعون ألف ادهم وقيل مائة ألف حصان أدهم فلما

فبينما هم كذلك اذ دخل ابو الجارية فاخذ اللوح وقرأ ما فيه وكتب تحته بقول

والله والله لا فرقت بينكما ● ولا أكون على ما فات ندمانا

أما الفقيه فلا والله ما نظرت ● عناى اعرض منه قط اقسانا

(حكى) ان بعضهم رأى امرأته مستلقية على طاقة فأحب اولازم المقام ببابها والمر ورتحت طاقتها الى ان اعيا وقل صبره وحصل على الايأس منها فدق عليها الباب فخرجت الجارية اليه فدفع اليها صحيفة وقال دعى سيدتك تقبل فى هذه الصحيفة فبالت فى الصحيفة وقالت للجارية تعبث وانظرى ما يصنع فلم يزل الى ان دخل الى بعض الخرابات فوضع ابريقه فى ذلك البول وقال يا مبشوم اذا فاتك لحم فاشرب المرق

﴿ذكر وفاة سيدنا ابى بكر رضى الله عنه﴾

عن ابن شهاب ان أبا بكر والحرث بن كلدة كانا ماكلان عريرة أحدث لابى بكر فقال الحرث ارفع يدك يا خليفة رسول الله والله ان فيها لسم سنة وأنا وأنت نموت فى يوم واحد عند انقضاء السنة فلا زالا عليلين حتى ماتا فى يوم واحد عند انقضاء السنة وقيل اغتسل فى يوم بارد فحم جسمه خمسة عشر يوما فقيل له ادع الطبيب فقال قد رأى فقال اوانى شىء قال فقال لم قال انى فعال لما أريد وقيل سبب موته لما ذهبته الحمية فى العار لتقاضى عليه السيد كذلك ان الاثبرى جامعه (تكاثرت علالة أبى بكر) من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين وثلاثة أشهر ونوفى ليلة الجمعة سابع جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى أن تغسله زوجته فغسلته ودفن بجانب رسول الله صلى الله عليه وسلم (روى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه لما بلغه وفاة أبى بكر رضى الله عنه جاء مسرعا باكيا وقال رحمك الله يا أبا بكر رأيته لقد كنت أول القوم اسلاما وأخلصهم ايمانا وأشدهم يقينا وأخوفهم بالله وأحوطهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم حسبة وأفضلهم مناقب وأكرمهم سوابقا وأرفعهم بهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشبههم به هديا وخلقا وصمتا وفضلا وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده فضلا وخيرا جزاك الله عن الاسلام خيرا صدقت رسول الله حين كذبه الناس فسماك الله فى كتابه العزيز صديقا فقال والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون وآنسته حين تخلفوا عنه حين فروا عنه حين شد الكفار عليه ثانى اثنين فى الغار والمترل عليه السكينة ورفيقه فى الهجرة وواطن الكرم فقويت حين ضعف أصحابك ورزنت حين استكانوا ونهضت حين وهنوا وتواضعت حين كبروا وعضدت برسول الله عزوجل حين وقفوا وكنت أطولهم صمتا وأشدهم قلبا وأشدهم يقينا وأحسنهم عملا وأحملهم ثقلا ماهنك مفقود وحدك مفقد ما أصاغر او وعبت ما أهلوا وعولت اذ طلعوا وصبرت اذ جزعوا وكنت كالجبل لا تحركه العواصف كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ضعيف فى بدنه قوى فى أمر دينه متواضع فى نفسه عظيم عند الله محبوب الى أهل الارض والسموات جزاك الله عنا ورضى الاسلام خيرا فلما حسان رضى الله عنه

اذا ذكرت شجيوما من الحدثه ● فاذ كر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية اتقاها وأعدلها ● بعد النبى وأوفاها بما حملا

الثانى الثانى المشهود مشهده ● وأول الناس منهم صدق الرسلا

وكان حب رسول الله قد علموا ● من البرية لم يبدل به رجلا

﴿خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه﴾

هو أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل بن عدى بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن رواح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لؤى بن غالب (وأمه) خنمة بنت هشام وهشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم أسلم بمكة وشهد المشاهد واسلامه سنة تسع من النبوة وبه تمت الاربعون وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار الى أبى بكر رضى

اتتهى موسى ومن معه من بنى اسرائيل الى بحر القلزم وهو منتهى حد مصر من شرقيها المعروف الآن ببركة القرم فلما بدت السويس والطور هاجت الرياح وترا كمت الامواج كالجبال فقال يوشع بن نون يا كليم الله أين امرت فقد شفشا فرعون من ورائنا والبحر امامنا فقال موسى عليه السلام الى هنا خلاص يوشع الماء وقال الذى بكم اعلم به وهو جرفيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله ابن أمرت فقال ههنا فكبح جرفيل فرسه أى قمعها بلجامها حتى طار الزبد من شدقيها ثم أدخلها فارتسبت فى الماء أى غارت فذهب قوم موسى يفعلون مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى عليه السلام يا يدرى كيف يصنع فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر

الله عنه بجمع القرآن في المصحف وجمع الناس في قيام شهر رمضان كان أبيّ يقوم بهم وهو حرة أصلع شديد الحمرة العينين في عارضيه خفة أصهب خفة الشعر خفة في التوراة قرن من حديد أمير شديد وإنما أسلم نزل جبريل وقال يا محمد استبشر أهل السماء بإسلام عمر وقال عليه الصلاة والسلام عمر سراج أهل الجنة في الجنة ولم يدعه بالخلافة بعده وموت أبي بكر رضي الله عنه لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة وإنما دفن أبو بكر صعد عمر المنبر جلس دون مجلس أبي بكر رضي الله عنه ثم قام فحمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال أيها الناس إني دعاني أمنوا اللهم إني ضليط فألهمني إلى أهل طاعتك يا واهبة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغلظة والشدة على أعدائك من غير ظلم مني ولا اعتداء عليهم اللهم إني شحيح فسخني في قوائب الموت قصدا من غير سرف ولا تبذير ولا رياء ولا سمعة ابتغي بذلك وجهك الكريم والدار الآخرة وارزقني خفض الجناح ولين الجانب للمؤمنين فإني كثير الغفلة والنسيان وأنه مني ذكرك على كل حال ثم قام الأرب الكعبة لا حلنهم على الطريق ثم نزل (نبذة) في مناقبه رضي الله تعالى عنه (منها) أنه لما استخلف حمل إليه مال بفرقه فبدأ بالحسن والحسين رضي الله عنهما فالتفت إليه ولده عبد الله وقال يا أبت إن كنت تقدمني بالعطية لمكانك في الخلافة فقال له مهلا لك أب كأبيهما أو جد كجدهما حتى أقدمك بالعطية فما آواد ذلك على أبيه رضي الله عنه فالتفت إليه وقال مرحبا بالله ومرحبا بأبي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عن جبريل عن الله عز وجل ان عمر سراج أهل الجنة في الجنة فما آمن بشراه ذلك فخر مرحبا مشدوها وقال خذ إليك الذي ذكرتها خاطبا على رضي الله عنه فما آلة إليه وأخذ الخطه بذلك فلما ذا قبض عمر رضي الله عنه قال لولده إذا مت فباد فتوارثه على خط الامام على رضي الله عنه ففعل ذلك (ومنها) انه خرج بطوف ليلة من الليالي بالمدينة بعض الكتاب سمع امرأة من نسائه تجده وهي تقول

تطاول هذا الليل تسري كواكبه ● وارقني الا أضجع الا هبه
لغير ضرتي من كنت ألفه قربه ● ولم أنسه لما أنسته أقاربه
فوالله لولا الله والعار بعده ● لحرك من هذا السرير جوانبه

ثم تنفست وقالت هان على ابن الخطاب وحشتي في بيتي وقبيحة زوجي علما أصبح بعث إليها نفقة وبعث إلى حاطبة يرد زوجها ثم ان عمر رضي الله عنه سأل ابنته حفصة كم تصبر المرأة فقالت أربعة أشهر وعشرا (ومنها) انه لما قدم بيت المقدس وقف بطرسوسيناء ولم يأمر بقتال فأرسل البطريق الذي ببيت المقدس رجلا من أعظم أصحابه وقال انظر إلى ملك العرب واتني بحليته فجاء فرآه راكبا على فرسه وعليه حبة صوف مرقعة مستقبل الشمس بوجهه وبكلاءة فرسه معلقة في قربوص السرج وهو يدخل يده في الخلاة فيخرج منها شيئا فيمضغه من النهار ويلوكه فوصف ذلك البطريق فقال البطريق الذي بفتح بيت المقدس فسلم والله من ساعته (ومنها) أنه أفتح في خلافته بلاد الروم والترك وبعض الصين والهند والجزر والشام والعراق والجزيرة وأرمينية وسلبس والنوبة (ومنها) ان عمرو بن العاص لما افتتح مصر أتى إليه أهلها وقالوا له أيها الأمير ان لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها فقال لهم وما هي قالوا انه اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من بؤنة من أشهر القبط عمدنا إلى جارية بكر وأخذنا من أبويها رضاهما من الحلي والثياب أفضل ما يكون ثم نلقيها في النيل فقال لهم عمرو لا يكون هذا في الاسلام وان الاسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومصرى لا يجري النيل فيها قليلا ولا كثيرا حتى هم أهل مصر بالرحيل فلما رأى عمرو بن العاص ذلك كتب إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكتب عمر إلى عمرو بن العاص إني كتبت إلى بطاقة فألقها في النيل فأخذ ها عمرو بن العاص فقرأها فإذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين عمر إلى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري وان كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأل الله الواحد القهار ان يجريك فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى

فضربه فانفلق فإذا هو من آل فرعون واقف على فرسه وصار البحر اثني عشر فرقا كل فرق كالطود العظيم بينها ما مالك تدخل كل سبط مسلكا يرى بعضهم بعضا من خلال الماء ودخل فرعون وقومه في آثرهم فلما استقروا جميعا أطبق الله البحر عليهم فاغرقهم أجمعين وإنما أراد موسى أن يسير بني اسرائيل فسل عنه الطريق فقال ماهذا فقال علماء بني اسرائيل ان يوسف لما حضره الموت أخذ علينا موثقا من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه منها فقال موسى أيكم يدري مكان قبره فلم يكن علم قبره الا عند عجوز نعساء فدلتهم عليه بعد أن اشترطت على موسى رد بصرها وشبابها وكونها رفيقته في الجنة

الله النيل ستة عشرة ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك السنة البيئة عن أهل مصر وصار بعمل فى ليلة وفاء النيل المبارك فى كل سنة اشارة وتعظيمة كبيرة ينصب بها قنادبل تعلق بحبال كثيرة على أخشاب مرتفعة توضع بمركب وتوقد القناديل وتسير فى البحر جميعا وشما لا وتزف بالطبول وتسمى عروسة البحر وذلك باق مستمر الى تاريخنه (ومنها) عن زيد بن أسلم وهو عبد بن عبيد بن سعد بن تاجر بن الخطاب قال خرجت مع عمر بن الخطاب الى الجرة راق وهى منزلة بظاهر المدينة فرأى نارا فقال لابن أسلم انظر الى تلك النار هل هو ركب أضر بهم الليل والبرد فعلت لا أعلم يا أمير المؤمنين قال انطلق بنا اليهم قال فكرهنا نهر ول فاذا امر أتمعها صغار وقد قدر منصوب على نار وصبيانها يبكون قال عمر رضى الله عنه السلام عليكم يا أهل هذا الضوء وكره ان يقول يا أهل هذه النار فقالت المرأة وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ادن بخير أو دفع فقال لماذا بال هذه الصبية يتضاغون قالت من الجوع قال فما لى هذا القدر وقالت ماء اسكتهم به فقال لماذا بعمر رحمك الله ما الذى يدرى عمر بن الخطاب بحالكم فالتفت أمير المؤمنين الى ورقال انطلق بنا فرحنا نهر ول الى المدينة حتى أتينا دار الدقيق وقال احمل هذا العدل على فعلت أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين فقال ثانيا احمله لى فعلت أنا أحق به منك يا أمير المؤمنين فقال ثالثا احمله لى ثكلتك أمك أنت تحمل حتى وزر ى يوم القيامة قال فحملته عليه وانطلق وأنا ملحف معه وهو يهرول حتى اتينا البيوت أتى ذلك العدل عند هذا فأخرج قطعة من دهن وألفاها فى القدر وجعل يقول للرأ فدرى وانا أحرك لسمعت قال أسلم والله لقد رأيت أمير المؤمنين وهو يتفخ فى النار والدخان يخرج من خلال شعر ذقنه حتى نضج القدر ثم أتزله بيده وقال لى اعطنى شيأ فأتته بقصعة فأفرغ الطعام فيها وقال لهم كلوا وأنا أسطح لكم ثم توارى من المرأة وجعل يربض بين السميع وأنا أقول يا أمير المؤمنين ما خلقت لهذا فلم يلتفت الى حتى رأيت الصغار يضحكون ثم قام وقاموا وهو يضحك ويصيح والله تعالى ثم جعل يده على يدى ثم قصدنا المدينة وقال لى يا أسلم ان الجوع حدو وقد أيتهم ثم رهم يبكون فأحببت ان أفاركهم رهم يضحكون (ومنها) ما ذكره القاضى البيضاوى فى تفسيره فى سورة البقرة عند قوله عز وجل من كان عدوا لجبريل قبل دخل عمر رضى الله عنه مدارس اليهود فسألهم عن جبريل فقالوا ذاك عدو نا يطلع محمدا على أسرارنا وانه صاحب كل خسف وعذاب وميكائيل صاحب الخصب والسلام فقال وما منزلتهما من الله سبحانه وتعالى فقالوا جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما عداوة فقال لان كنا كما تقولون فليسا بعدوين وانسما كلا كفرس الحمير ومن كان عدوا حدهما فهو عدو الله فرجع فوجد جبريل قد سبقه بالوحى فقال عليه أفضل الصلاة والسلام لقد وافقت ربك يا عمر (ومنها) ان طائفة من النصارى جاءت البصرة رضى الله عنه وسألته بان قالت له لاى شئ آدم دخل الجنة وخرج منها فقال لهم جنة الله نظيفة مليحة لا يكون فيها الا الطيب أخرج آدم منها حتى نظف ظهره من الزبالة التى هى مثله فى الدنيا وما صار نظيفا الا دخل الجنة (ومنها) ان الشعبى روى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال هبط مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلما أخذ فى الطواف استقبل الحجر وقال أما انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ومضى فقال له على بن أبى طالب يا أمير المؤمنين بل يضر وينفع قال له فما قال بكتاب الله عز وجل قال وأين ذلك من كتاب الله تعالى قال فى قوله تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريا تهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى خلق الله آدم ومسح بيده على ظهره أخرج ذريته من ظهره فعرفوه بما به الرب وانهم العبيد واخذ عليهم مواثيقهم وكتب ذلك فى رق وكان لهذا الحجر عينان ولسان فقال افتح فاك فقال فما لتقمه ذلك الرق وقال اشهد لمن وافاك يوم القيامة فهو بضر وينفع قال عمر أعوذ بالله ان أعيش فى قوم لست فيهم يا أبا الحسن (ذكر البيضاوى فى تفسيره) عند قوله تعالى واذن فى الناس بالحج يدوة الحج والاحرى روى انه عليه الصلاة والسلام صعد أبا قبيس فقال أيها الناس حجوا بيت ربكم فاستجاب الله من فى

فاجابها الى ذلك فنقلوا تابوت يوسف بعد ما مات بخمس ثلاثين سنة ودفن ببيت المقدس ● وغرق مع فرعون من أشراف أهل مصر وألف بخروجهم ألف ألف فبقيت مصر بعد غرقهم ليس فيها من أشراف أهلها أحد فلم يبق بها الا العبيد والاجراء والنساء فاجتمع رأيهن على أن يولين امرأة من يقال لها دلوكة ذات عقل ومعرفة وتجارب فخافت أن يطمع الملوك فى البلاد فقتلت سورا أحاط بجميع أرض مصر كلها المزارع والمدائن والقرى وجعلت فيه خليجا يجرى فيه الماء وجعلت على كل ثلاثة أميال نحو سارية مطلة وفيما بين ذلك نحو سارس صغار فيها على كل ميل وجعلت على كل نحو سارس رجالا وأجرت عليهم الارزاق وأمرتهم ان يجرسوا

اصلاب الرجال وارحام النساء فيما بين المشرق والمغرب ممن سبق فى علمه انه يجيء وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم امره بذلك فى حجة الوداع ﴿هريرة﴾ فنقلها من حياة الحيوان وهى بنت عامر رضى الله عنه جالس واذا برجل معه ابنه فقال له ويحك ما رأيت عمرا بالامس بغراب من هذا منك فقال يا أمير المؤمنين هذا ولده اعه الاوهى ميتة فاستوى عمر جالسا وقال حدثنى قال خرجت وأمه حامل به فقالت تفرج وتركنى على هذا الحال حاملا مثقلا فقلت استودع الله مالى بطنك فشرجت وطبت اهوامنا فاتيت واذا بابى مغلق فقلت ما فعلت فلانة فقالوا ماتت فقلت انا لله وانا اليه راجعون ثم انطلقت الى قبرها فبكيت عندها ثم رحمت فجلست الى بنى هى فيها نمانا كذلك اذ ارتفعت فى نارمن بين القبور فقلت لبنى هى ما هذه النار قالوا تلك نار ترى على قبر فلانة كل ليلة فقلت انا لله وانا اليه راجعون أما والله لقد كانت صوامة قوامة عفيفة مسلمة فانطلقت وانا بها الليل فاخذت الفاعر واتيت القبر فاذا القبر مفتوح واذا هى جالسة رهط الولد يدورحولها واذا منادياد ينادى أيها المستودع ربه وديعة خذوه بعلك فما ان الله لواستودعت أمه لوجدته اما اخذته وعاد القبر كما كان والله يا أمير المؤمنين ﴿فائدة﴾ اذا هلك منقار الغراب على انسان حفظ من العين واذا تمس الغراب الاسود جميعه فى الخل برمته وطلى به الشعر سود وعزيل الابلق ينفع من الخنازير واذا صرخ خرخة وعلق على الصبى الذى لم يبلغ الحلم نفعه من السعال المزمن وقطعه وتقدم حكاية النكال الدميرى أن رجلا من الانبط أخبرنى شفاها ان بهم اشخاصا صامتة وهو ربا بين المدينة قال وذلك ان امه ماتت وهى حامل به فلما مضى مدة من دفنها مامت امرأته فى اقارب لها فحفروا قبرها لدفن تلك المدينة فاحس الحفار بتنى يدور حول المدينة فطلع الحفار وهو مرهوب واخبر من حضر بما شاهده فى القبر فنظروه وحاشاهم أوقد دنا وانا راو أشرفوا على داخل القبر فوجدوه وقد انداه ملقا بالمدينة ملتحفا لذيه يهارونه اجرى الله فيه الدين وضاعه فاخذ الحفار الوذر فرفعه الى صدره وعصب عينيه خوفا من مفاجأة النور واطلعه من القبر وعاش وتزوج ورزق الاولاد فسبحان من يحيى العظام وهى رميم ﴿وأيضا﴾ سمعت من بعض الافاضل انه قال لى شفاها لعلت مسامرة الشيخ الا كبر فمرأيت بها أحجو بتوهى ان الشيخ الا كبر حكى ان بعض التجار أخبره انه سافر الى بلاد الهند فتجر فدخل مدينة من مدائن الهند فباع لشخص منها متجرا بالف مثقال ذهبا فسبحانه توجه به فباق معه من البضائع الى مدينة أخرى فباع ما بقى معه وملك الى ان قبض ثمن ما باعه ثم عاد الى المدينة الاولى فوجد الرجل الذى أخذ منه البضائع بالف مثقال مات يوم قدومه ودفن فحمل له من الهم والحزن ما لا يوصف وقال ان لله وانا اليه راجعون فقد ذهب مالى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فعال له شخص من أهل المدينة لا تحزن فانه لا يضيع لشئ من مالك قال وكيف لا أحزن والرجل قدمات ومن أين آخذ حقى بضاعتى فقال له صاحبك الميت بطالع من قبره بعد ثلاثة أيام ويعطيك حقك ويقضى على دينه قال فاستبعدت ذلك وقلت كيف يتصور ذلك وصرت متفكرا منتظرا من ذلك فلما مضت الثلاثة أيام طلع الرجل من قبره وفتح حانوته وجلس نهارا والناس حوله من ورثته وغيرهم ثم جئت اليه فقال لا يأس عليك أوأخذ قمرا كان بجانبه ونظر فيه وقال لك ألف مثقال ذهبا فقلت نعم فقد مالى فاخذ تهامما تقدم اليه بعدى من كان له عندك فمازال يوفى دينه الى ان قضاها جميعا وضبط ما بقى من أمتعته وقفل حانوته وسلم مفتاحه الى ورثته وتوجه الى المقبرة فتبعته الى ان تلاحقت به وقبضت على أثوابه وقلت له بالله عليك أنت صاحبنا المتوفى أم لا فقال لا وانما انا ملك من ملائكة ربى وقد جرت عادة الله تعالى فى أهل هذه المدينة اذا مات منهم أحد باقى الله شبهه على ملك من الملائكة ويطلع بعد ثلاثة أيام ويفعل ما رأيت قال فتعجبت من ذلك غاية العجب وانصرفت الى حال سبيلى وهذا من العجب العجاب قلت وفى ذلك من دقائق حكمة الله ما يبعث أولى الافكار على الاعتبار فرج الحى من الميت ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار ﴿وأقام﴾ عمر رضى الله عنه فى الخلافة عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال

بالاجراس فاذا أتاهم أحد يخافونه ضرب بعضهم الى بعض بالاجراس فاتاهم الخضير من أى وجه كان فى ساعة واحدة فقتلت بذلك مصر من آزادها وفرقت من بناته فى ستة أشهر ويقال له حمار العجوز وقد نبت بالصعيد منه بقايا وملكتهم دلوكة عشر بن سنة حتى بلغ من ابناء أكابرهم واشرافهم رجل ملكوه عليهم واستمر الملك لرجال ولم تزل مصر مقتتنة بتدبير تلك العجوز نحو أربعمائة سنة وجملة من ملك بمصر من الرجال عشرة الى ان ظهر بختنصر على بيت المقدس وسبى بنى اسرائيل ورجع بهم الى أرض بابل ثم ملك مصر واستولى عليها وأخذ ها من أيدى القبط وقتل من قتل وخرب مدائن مصر وقراها ولم يترك منها أحدا حتى بقيت مصر أربعين

﴿ذكر وفاته رضى الله عنه﴾

حكى الطبرى قال جاء كعب الاحبار اليه رضى الله عنه فقال له يا أمير المؤمنين اعهد فانك ميت بعد ثلاث فقال عمر وما يدريك قال أجده مكتوبا وليست بك قوة انقرب أجلك وكان عمر رضى الله عنه حينئذ لا يجد وجعا ولا ألما فلما كان الغد جاء كعب الاحبار وقال يا أمير المؤمنين ذهب يوم ومن بقى يوم وليلة قال فلما كان الصبح خرج بعمر الى الصلاة وكان يوكل بالصفوف رجالا فاذا استوت الصفوف جاء هو ينظر الى الناس فدخل أبو لؤلؤة الناصر وفى يده خنجر له رأسان ونصابه فى وسطه فضرب عمر ثلاث ضربات احداهن تحت سرته وهى التى قتلته وقتل معه كليب بن البكير الذى قيل فلما وجد عمر حر الحديد يسقط الى الارض وقال أبى الناصر عبد الرحمن بن عوف فانوانهم يا أمير المؤمنين قال فليتقدم يصلى بالناس فصلى عبد الرحمن بن عوف وعمر طريح على الارض ثم حمل الى داره ثم قال لولده اخرج فانظر من قتلنى فقال له يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة فقال الحمد لله الذى لم يجعل قاتلى الا على يد رجل لم يسجد لله سجدة واحدة يا عبد الله اذهب الى عائشة فاسألها هل تأذن لى ان أدفن مع النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر يا عبد الله ان اختلف القوم فكن مع الاكثر ولو ثلاثة يا عبد الله ائذن للناس أن يدخلوا قال فدخل الناس يدخلون والمهاجرون والانصار يسلمون وكان كعب الاحبار فى الناس فلما نظر عمر الى كعب الاحبار أنشأ يقول

فاربه فى كعب ثلاثا أعدها ● ولا شك ان الحق ما قاله كعب

وما بى حذار الموت انى لميت ● ولكن حذار الرمى بتبعه الذنب

ثم توفى ليلة الاربعاء لثلاث ليال مضى من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة ودفن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستين سنة عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه﴾

هو أبو عبد الله عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف وأمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف وأمها أم حكيم بنت عبد المطلب أسلم قديما وهاجر الهجرتين وأروى أسلمت رضى الله عنها وأسلم عثمان رضى الله عنه فى أول الاسلام على يد أبى بكر قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الارقم ولم يدخل بيده لانه تخلف عن بدر ﴿كان أبيض اللون﴾ وقيل أسمر اللون رقيق البشرة كث شعر الرأس طويل اللحية وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتى النبى صلى الله عليه وسلم رقية وأم كلثوم وسمع أبو سعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم ان عثمان رضيت عنه فارض عنه وحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش العسرة فقال عثمان رضى الله عنه على مائة بعير بحرتها ثم حث فقال على ثلثمائة بعير فقال عليه الصلاة والسلام ما على عثمان بعد هذا وكان عثمان رضى الله عنه يطعم الطعام العام والخاص ويدخل بيته يأكل الربت بالخل يوسع له بالخلافة أول المحرم سنة أربع وعشرين من الهجرة ﴿وذلك﴾ فى قضاء رضى الله عنه ﴿منها﴾ انه سئل على رضى الله عنه عن عثمان قال ذاك امرؤ يدعى فى الملأ الاعلى ذا النورين وعن أبى سعيد الخدرى قال رمقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من أول الليل الى طلوع الفجر يقول اللهم انى رضيت عن عثمان فارض عنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغفر لعثمان ما تقدم من ذنبه وما تأخر وما أسر وما أعلن وما هو كائن الى يوم القيامة وفى رواية جابر انى رسول الله صلى الله عليه وسلم يختار فرجل فلم يصل عليه فقيل له يا رسول الله ما ذاك ترك الصلاة على أحد قبل هذا قال انه كان يبغض عثمان فبغضه الله عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يؤتى بعثمان فى سبعين ألفا عند الميزان ممن استوجبوا النار وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه انه قال دخل عثمان رضى الله عنه على النبى صلى الله

سنة نوما بالليل ثم أما كل يجرى ليلها يذهب لا ينتفع به أحد ثم رد هم اليها بعد الاربعين سنة فعمروها فانزل منزل معمرة قمن يومئذ (ثم) ظهرت الروم وغلبت على سائر الممالك التى فى وسط الارض فقاتلت الروم أهل مصر ثلاث سنين يحاصرونهم ويصابرونهم القتال فى البر والبحر فلما رأى ذلك أهل مصر صالحوا الروم غلبهم الخليفة فارس على الشام فحولوا فى مصر وما معها فاما منع أهل مصر وأعانهم الروم وقاتلت دونهم فلما ألحت فارس على أهل مصر وخشوا ظهورهم عليهم صالحوا فارس على أن يكون ما صالحوا به الروم بين الروم وفارس فرضيت الروم بذلك حين خافت ظهور فارس عليها وأقامت مصر بين الروم وفارس نصف فين سبع سنين ثم استحاشت

عليه وسلم وركبته بادية فقطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبته فقيل له دخل عليك أبو بكر وعمر وعلى لم تغطها فقال لم رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أستحيي ممن تستحيي منه الملائكة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لما أسري بي الى السماء دخلت جنة عدن فاصطيت تفاحة فلما رضختها في فمي انفلقت عن حوراء مهيناء مرباضة الاجفان فقلت لها من أنت فقالت انا الخليفة من بعدك يقتل ظلما عثمان بن عفان (ومن فضائله) رضي الله عنه عن أبي قلابة قال كنت في رفقة بالشام فيهم رجلا يقول واو بلاه النار فقمت اليه واذا رجل مقطوع الرجلين واليدين أعمى العينين منكب على وجهه فسألته عن حاله فقال انى كنت عند دخل على عثمان يوم الدار فلما قتل ضربت زوجتي فلطمتها فقال عثمان مالك تضرب الله بدبك ورحليك وأعمى عينيك وأدخلك النار قال فأخذتني رعدة عظيمة وخرجت هاربا روأيت بيدي من دمائه النار (ومن فضائله) رضي الله عنه انه افتتح في أيام خلافته سابور وافر بقية وسواحل الاردن وسواحل الروم واصطخر الاخرة وفارس الاولى وطبرستان وكرمان وسجستان والاساورة (ومنها) انه اختص بهواه وأبو عبيدة بن عامر ابن الجراح رضي الله عنهما فقال أبو عبيدة يا عثمان تخرج عني في الكلأ وأنا أفضل منك بثلاث فقال عثمان وما هن قال الاولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب والثانية شهدت بدرا ولم تشهده والثالثة كنت عن يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم في الوقعة ولم تثبت أنت فقال عثمان صدقت أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الى مكة في حاجته وبعدي وقال هذه بدعة عثمان بن عفان وكانت يده الشريفة خيرا من يدي وأما وقعة بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفني في المدينة ولم يمكني مخالفته وكانت ابنته رقية مريضة وشغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها وأما أنام زاحي يوم أحد فان الله عفاعني وأضاف فعلي الى الشيطان فقال تعالى ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم فخصه عثمان أي عليه ﴿ذكر قتله﴾ رضي الله عنه حصر في ذي الحجة سنة خمس والثلاثين وهو يدارا كثر من عشرين يوما روى عن أبي عمرو الكندي انه قال أشرف علينا عثمان يوم الدار وقال أيها الناس لا تقتلوني فانكم ان تقتلوني لا تصلوا جميعا أبدا ولا تقاتلون عدوا بعدي أبدا وعن عبد الله بن سلام قال أتيت عثمان يوم الدار فدخلت لأسلم عليه وهو محصور فقال مرحبا أخي فقلت يسرني لو كنت فداك يا أمير المؤمنين فقال ألا بلغ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مثل لي في هذه الخوخة وأشار عثمان بيده الى خوخة في اعلى داره فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم قال فدلى دلوا فشربت منه فها أنا أجد بردوه ذاك الدلو بين ثدي وبين كتفي فقال ان شئت أفطرت عندنا وان شئت نصرت علىهم فاخترت الفطر وكان عنده بالدار سبعة آلاف رجل ثم دخلوا عليه من داربني حزم الانصاري فضربه نيار بن فياض الاسلمي وقيل جبلة بن الايهم وقيل سوار بن حمران وقيل رومان اليه الى وجهه بمشقص في وجهه فسال الدم في حجره وكان قتله بالمدينة يوم الجمعة لثمان عشرة أو سبع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين وهو يومئذ ابن ثنتين وثمانين سنة ودفن بالبقيع ليلا وصلى عليه جبير بن مطعم فكانت خلافته اثنتي عشر سنة الا اثنى عشرة ليلة

﴿خلافة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه﴾

وهو علي بن أبي طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف وهي أول هاشمية ولدت هاشميا أسلمت وهاجرت الى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أول من أسلم من الذكور والصبيان واختلف في سنه قيل كان له خمس عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة شهد المشاهد كلها غير تبوك وكان رضي الله عنه شديد الادمة عظيم العينين أقرب الى القصر أبطن كثير الشعر عريض المنكبين يسبل ازاره بالخلافة سنة خمس وثلاثين من الهجرة فانه لما قتل عثمان اجتمع الناس من المهاجرين والانصار على الامام علي رضي الله عنه وقالوا لا بد لنا من امام وأنت أحق بها

الروم أي هذه صفته وظهرت فارس وأخذ بالقتال والمدد حتى ظهر واهليهم وتركوا مصالحهم وديارهم التي بالشام ومصر وكان ذلك في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه نزلت الم غلبت الروم الآن ثم غلبت الروم فارسا فصارت الشام كلها لصلح أهل مصر كلها لما الروم وليس لفارس منه شيء وبذلك في زمن الهدنة سنتين من الهجرة تركان هرقل صاحب الروم قد وجه المقوقس الى مصر أميرا عليها وجعل اليه جوسها وحماية خراجها فنزل الاسكندرية لم تزل مصر في ملك الروم حتى فتحها الله على المسلمين وكان من أمر المقوقس أن بصبر بمصر ويشتي بالاسكندرية واحد تمرها كالبصر من طرف هرقل احدى وثلاثين سنة حتى انقضى

فقال لهم لا حاجة لي في امركم فمن اختمر وهو يريد قالوا نختارك قال اذا لا بد فان بيعتي لا تكون خفية تخرج الى المسجد وعليه ازار وقميص وعمامة خز ونعلاه في يده متكئ على قوسه وبايعه الناس وكان اول يد مدت اليه يد طلحة بن عبد الله وكانت يده مشلولة فنظر اليه حبيب بن ذؤيب وقال انا اول يد مدت اليه بالبيعة يفشلاه لا يتم هذا الامر وكانت البيعة يوم الجمعة ثم ان عليا صعد المنبر وحمد الله واثنى على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ايها الناس ان هذه امر تكم ليس لاحد فيها حق الا من امرتموه وقد اقترفنا بالامس على امر وكنت كاحدكم فابيتم الا ان اكون عليكم . أميرا وليس لي ان آخذ درهما دونكم فان شئتم والا فقالوا بل نحن على ما فارقناك عليه بالامس وبايعه الناس كافة ثم دخل بيته فدخل عليه المغيرة بن شعبة وقال يا أمير المؤمنين ان لك عندي نصيحة قال وما هي قال ان أردت أن تستقيم لك الخلافة فاستعمل طلحة بن عبد الله على الكوفة وعبد الله بن الزبير بن العوام على البصرة وعبد الله بن أبي سفيان على الشام على ما كانوا عليه حتى تلزمهم طاعتك وتأتيك بيعتهم فاذا استقر قرارها رأيت رأيك تعزل من تريد وتولي من تريد فقال أما طلحة والزبير فسأري فيهما رأيي وأما معاوية والله لا يراني الله أستعمله على عاتق ولكني أدعوه الى البيعة فان هو أجابني والا حاربته فانصرف المغيرة مغضبا وهو يقول

نصحت عليا في ابن هند مقالة ● فردت فلم أحمد لها الدهر غائبه
وقلت له أوجز عليه بعهده ● ولا تعرضن حتى يسد قمر معاويه
وتعلم أهل الشام ان قد ملكته ● وان أدنصارت لامرك واهبه
فتصلح فيه ما تريد فانه ● لداهية فارفق به أي داهيه
فلم يقبل النصح الذي قد نصحته ● وكانت له تلك النصيحة كاذبه

فلما بلغ معاوية كتب الى علي رضي الله عنه أما بعد فلو علمت ان الحرب يبلغ بنا وبك الى ما نحن بعضنا على بعض وان كانت قد قطعت على عقولنا فقد بقي لنا ما تزم به ما مضى ونصلح به ما بقي وقد كنت سألتك الشام على أن لا يلزمني لك طاعة وأنا أدعوكم اليوم الى مادعوتكم اليه بالامس فانك لا ترجو من البقاء الا ما أرجو ولا تخافني من الفناء الا ما أخافك وقد وقفت الاحداء وذهبت الرجال ولعمري لو هبت منافٍ وليس لبعضنا على بعض فضل يستدل به على عز يزلزل به عرش تكتب اليه على بن أبي طالب رضي الله عنه أما بعد فقد جاءني كتابك تذكر فيه انا لو علمنا ان الحرب بلغ بنا وبك الى ما نحن بعضنا على بعض وانا رأينا بك فتحا منها بقدر ان تبلغها وأما طلبك مني الشام فاني ما أطمعتك بالامس فأمطمعك اليوم وأما استواؤنا في الخوف والرجاء فليس على حد سواء وليس أهل الشام على الدنيا بأحرص من أهل العراق وأما قولك انا بنو عبد مناف فكذلك نحن وليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا الطليق كالمهاجر ولا المبطل كالمحق ولولا المؤمن كاد شعب في أبي دينا فضل النبوة التي قتلنا بها العز بزو بعنها الحرور السلام فكتب اليه معاوية رضي الله عنه يا أبا الحسن انا لي فضائل كثيرة كان أبي سيد أبي الجاهلية وصرت أنا ملك أبي الاسلام وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب الوحي فقال علي رضي الله عنه أبغاثر في معاوية أكتب بالغلام

محمد النبي أخو صدقٍ ● وحزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يمسي ويضحى ● يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي ● فمالحمه بعدي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها ● فأيكما له سهم كسهمي
سبقتكم الى الاسلام طفلا ● صغيرا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب طاعتي فرضا عليكم ● رسول الله يوم غدير خم
فويل ثم ويل ثم ويل ● لمن يردا القيامة خصمه خصمي

فكتب

عمرو بن العاص رضي الله عنه الديار المصرية في سنة عشرين من الهجرة النبوية في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلما أتى مصر أقام بها ثلاثة أشهر وكان المقوقس بقصر الشمع على بعد النيل وكانت السفن تجري تحته فلما رأى العرب أشرفوا على أخذ البلد نزل في مركب كانت راسية على باب قصره ثم توجه هاربا الى الفرما والاسكندرية وكان يعلم ان العرب لا بد لهم من أن يملكوا مصر وذلك انه كان بالاسكندرية باب مغلق عليه أربعة وعشرون قفلا عازم على فتحه المقوقس فتحه القمس والرهبان وقالوا له كل من تقدم من الملوك لم يفتحه ويضع عليه قفلا وأنت الآخر اجعل عليه قفلا وضن تعطيك ما حفرك من المال الذي خلفت أنه فيه فامتنع

فسكت اليه معاوية أما بعد يا على فانك قلت ما بضرك وتركت ما ينفعك وايم الله لاضربنك بشهاب
فارس لا تدركه الرياح ان وقع فى الارض ارتسب أو وقع فى الصخر تقب والسلام فكتب اليه على أما
بعد يا معاوية فانى قاتل عثمان وحدك وبذلك السيف الذى قتلتم به من لم أستبدل به السيف سيفا ولا بغير
الله ربا ولا بغير النبى نبيا فاعمل ما شئت ستحق بما قلائد ما فاتك كل جبار هنيدا وطوى الورقة
ودفعها الى رجل أسود يقال له الطرماح فعمم الطرماح بعمامة سوداء وركب ناقة ثم سار حتى وافى
دمشق فقال أعوان معاوية هذا اعرابى قدم من عند على بن أبى طالب فدعوا حتى نهز أبه فقال له
بالاعرابى معك خبر من أهل السماء حدثت به أهل الارض وما خلفت وراءك قال هلك الموت لغيض
أر واحكم فقالوا انصب ان تدخل على أمير المؤمنين فقال الطرماح نحن المؤمنون فأين أمير هذينا قال
فذهبوا الى معاوية يخبرونه بقدوم الطرماح فأمر بأحضاره فلما دنا من قصر معاوية وأراد ان يدخل معاوية
جالس على باب القصر فقال الطرماح من يكون هذا البيتوت الواسع الحلقوم المضروب على الظرطوم
فقالوا هذا ابن هند يا معاوية أمير المؤمنين فقالوا أنصب الدخول على المولى فقال أحب الدخول على ابن
آكلة الاكباد الضالة عن طريق الرشاد التى هال الله فى حقها فى حمالة الحطب من هند فلما حضر
بين يدى معاوية نظر بطل ساطه فقال له معاوية هات كتابك فقال الطرماح ما معى كتاب ولا تنزل عن مرتبتك
وتأخذ كتابى بيدك فقد أمرت أن لا أسلمه الا من يدى الى يدك فقام معاوية من مكانه وقبل الكتاب
فلما فتحه فلما قرأه اختلط فنظر فاذا للطرماح كيف خلفت علباء اصحابه قال خلفته خمصا سالما سليما
ان أتى بيضا هزمه وان أتى حمصا هدمه وأصحابه حوله كالبحور الزاخرة والصبابة القاهرة وهو
بينهم كالقمر المنير ان تهمهم ارتدعوا وان أمرهم ائتمروا فأمره معاوية بالف دينار فأخذها
وانصرف راضيا وردناه كفاية والله أعلم بصحيفة الحال واليه المرجع والمآب ﴿ نبذة ﴾ فى فضائل
الامام على رضى الله عنه * منها ما حكى عن كيل رضى الله عنه قال دخلت على أمير المؤمنين على بن
أبى طالب رضى الله عنه وبين يديه قصعة فيها ثريد خبز شعير وملح وزيت فقال يا كميل هلم الى الزاد
فقدمت وأكلت ثم قلت يا أمير المؤمنين لو أحسنت الى نفسك فى لون يختلف فأنه يحكى لى من دخل
على معاوية وحضر الطعام عنده انه قدم له مائدة فيها ألوان وستون لونا وفيها لون لم نعرفه فسألت
معاوية فقال يا صاحب مطبخنا فسأله عنه فقال انه دفنة الكمأة التى فى مصارين البط مغلية بدهن الفستق
والعسل والسكر الطبرزذ والعنبر والمارورد فقال يا كميل ذلك طعام الجبابرة وروى عن عبد الله بن
أسعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى بى أتيت الى رب عز وجل فأوحى الى أو أمرنى فى على
بثلاث انه سيد المؤمنين ويلى المتقين وقائد الغر المحجلين * وروى عن أنس رضى الله عنه انه قال قال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخرج فادع لنا أبا بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعبد
الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص والزبير وعدة من الانصار فلما دعوتهم فلما اجتمعوا عنده صلى
الله عليه وسلم وكان على قائما فى حاجة النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله
المحمود بنعمته المعبود بقدرته المطاع بسلطانه المرهوب من عذابه وسطوته النافذ أمره فى سمائه
وأرضه الذى خلق الخلق بقدرته وميزهم بأحكامه وأعزهم بنبيه محمد وان الله تبارك اسمه وتعالت
عظمته جعل الصاهر نسبا لا عارا وأمرا مفترضا وقربه الارحام وألزم به الانام فقال عز من قائل
وهو الذى خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا فأمر الله يجرى الى قضائه وقضاؤه
يجرى الى قدره ولكل قضاء قدر ولكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده
أم الكتاب ثم ان الله عز وجل أمرنى أن أزوج فاطمة بنت خديجة من على بن أبى طالب فأشهدوا الى
قد زوجته على أربعمائة مثقال فضة ان رضى بذلك ثم دعا بطبق من بسر فوضعه بين أيدينا ثم قال انهبوا
فنهبنا فيه فلما نهب اذ دخل على على النبى صلى الله عليه وسلم فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم فى
وجهه وقال ان الله أمرنى أن أزوجك فاطمة على أربعمائة مثقال فضة أرضيت بذلك فقال رضيت بذلك

وفتحه ودخل فلم يصدقه شيأ من المال لكن رأى منقوشا على حيطانه تصاوير العرب ارا كبين خيولا وعلى رؤسهم عمائم وسيوف معلقين بها وكتابة فى صدر المكان عملك العرب المدينة فى هذه السنة فلما قرأ عمرو ابن العاص مصر واستقر بها قصد التوجه الى مدينة الاسكندرية فلما وصل اليها وحاصرها حصارا شديدا حتى أشرف على أخذها أرسل اليه المقوقس يسألهم فى الصلح وأن يجعل لهم عليه الجزية فأتى الى عمرو بن العاص فدخل على باب الاسكندرية فقال له أتؤمننى على نفسى وصبانى وما أقفل الباب فأجابه عمرو بذلك ففتح له الباب ودخل هو ومن معه من المسلمين فملكوها وأمروا المقوقس وكان ذلك يوم الجمعة بعد العصر

يارسول الله قال أنس فقال النبي صلى الله عليه وسلم جمع الله شملكما وأسعد جدكما وبارك عليكما وزوجتيكما بكرا كبيرا هنيا قال أنس فوالله لقد أخرج منهما كبيرا هنيا ومنها ما حكى عن ضرار رضي الله عنه أنه قال كان علي رضي الله عنه بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا وحكما عدلا تتفجر الحكم من جوانبه وينطق العلم من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب نفسه بحجب من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا دعوناه ويعطينا اذا سألناه وبنحبته اذا استبنأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لشدة جنان لن نكلمه هيبة ولا نبتدئه لعظمته فان تبسم تبسم عن لؤلؤ منظوم يعظم أهل الدين ويحب المساكين لا يطمع القوى في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل ستوره وغارت نجومه وقد تمثل في محرابه قابضا على لحيته يتململ تململ السقيم ويبكي بكاء الحزين ويقول يا دنيا غري غيري لا حاجة لي بك اياي تعرضت وإلي تشوقت هيهات هيهات قد بتتك ثلاثا لا حاجة لي فيك فعمرك قصير وخطرك حقير آواؤك من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فغيض ضرار ما وجد عليه قال كزين امرأة تذبح رجلها في حجرها فلا ترقأ لها عبرة ولا تشفى لها حسرة وأخبر أبو عبد الله بن منصور بن سكين التستري قال أخبرنا محمد بن الحسن بن شراب قال حدثنا القاضي موسى بن اسحق قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أحمد بن فضيل عن عبد الله الاسدي قال كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول في مناجاته الهي لولا ما حملت من امرى ما شكوت عبراتي ولولا ما ذكرت من الافراط ما سمحت عبراتي الهي فم مثبتات العثرات بمرسلات العبرات وهب كثير السيئات لقليل الحسنات الهي ان كنت لا ترحم الا المجدين فما حاصل الخاطئون وان كنت لا تكرم الا الأهل الاحسان فالى بصنع المسيئين وان كان لا يفوز يوم الحشر الا المتقون فكيف يستطيع المذنبون الهي ان كان لا يجوز على الصراط الا من أجازته براءة عفوك فالى بالجواز ان لم يتب قبل حلول أجله الهي ان كان جهلي عن موجود بك مهدجنا بأيامي أو قعهم غضبك بين المشركين في كراياتهم الهي فأوجب لنا بالاسلام مدخور هباتك واستصف لنا ما كررته الجرائم بصفح صلاتك الهي ارحم غربتنا اذا ضمتنا بطون لحودنا وعميت علينا بالمآبر سوق بيوتنا وأضيعها ما على الايمان في قبورنا وخلفنا فرادى في أضيق المضاجع وصرصرة النابا في أنكى المصانع وصرنا في دياركم كأنما هاموة وهي فيهم بالاهم الهي اذا جئناك هراة مغبرة من ثرى الاجداث رؤسنا وشاهية من ثرى الملاحد وجوهنا وناشئة من أهوال القيامة أبصارنا وبادية هناك للعيون سوآتنا ومنقلبة من تململ الاوزار ظهورنا ومشرئبة بها قد دهتنا من أهلينا وأولادنا فلا تضعف علينا المصائب باعراض وجهك الكريم عنا وسلب فائدة ما مثلته الرجاء منا الهي ما حنت هذه العيون الى بكائها ولا جادت بمدر عبراتها ولا اشتهرت بتحبيب المشكلات فقد عزائها الا المسالب من نفورها وابائها وما دعاها اليه عواقب بلائها وأنت القادر يا كريم على كشف همائها الهي ثبت حلاوة ما يسنح قلبه لساني من النطق في بلاغته بزهادة ما يرد قلبي من التصنع في دلالته الهي أحرث بالعروف وأنت أولى به من المأمورين وامرت بمسألة السؤل وأنت خير المسؤلين الهي كيف نقل بنا اليأس عن الاسالك كما أهمنا بطلابه وقد أدمنا من تأميلنا بابك أسبغ أثوابه الهي اذا تلونا من صفاتك شديد العقاب أشفقنا واذا تلونا من المغفرة الرحيم فرحنا فنحن بين أمرين لا يؤمننا منطلق ولا تيئسنا رحمتك الهي ان قصرت بنا مساعينا عن استحقاق نظرك فما قصرت بنا عن احراز رحمتك ان من الدفاع نفعك الهي كيف نفرح بصحة الدنيا ومدبرنا كيف نتلهى في عمرانها أمورنا وكيف يطيب لنا اللهو واللعب غرورنا وقد وعدتنا باقتراب آجالنا فورنا الهي كيف نبهج بدار غربت لنا حاضر حتها وقيدتنا بايدي المنايا حبائل غدرتها وجعلتنا مكرهين جرع مرارتها ودللتنا العيون على انقطاع عيشتها الهي فالبك التجئ من مكايد خدعتها وبك نستعين

أول جمادى الآخرة سنة عشرين من الهجرة وقيل سنة اثنتين وعشرين ثم جمع عمر والى مصر وأراد أن يبني مدينة الفسطاط وسبب تسميتها بذلك انه وصل الى مصر نصبه خيمة تسمى الفسطاط فلما توجه الى الاسكندرية أمر بازالة تلك الخيمة فوجد فيها عشاقيه عامة فدفرخت فيه فتركت القبة لاجلها فسقفة على فراخ اليمامة فلما توجه الى الاسكندرية وجد رجم منها فسأل له تنزل في أى مكان قال مكان الخيمة التي تركتها وعليها اليمامة فسميت مصر الفسطاط وصارت مدينة عظيمة بها عدة مساجد وحمامات وطواحين ومعاصر وكانت جيدة على ساحل البحر ولم تزل عامرة الى الدولة الفاطمية فخربت بسبب

على عبورقطرتها وبلكنه تعصم الجوارح على خلاف شهوتها وبلك تستكش جلابيب حيرتها وبلك يقوم من القلوب استضعاف جهالتها الهى كيف اقد وران تخم من فيها من طوارق الزرايا وقد أصيب كل دار بهم من اسهم المنايا الهى ما تجمع بانضنا على الديار ان لم يوحشناهنالك موافقة الاجار الهى ماتضر بفرقة الاخوان والقرابات اذا قربتنا اليك يا ذا العطايات الهى ارحمنى اذا انظم من الدنيا اقرى واتخمى من الخلود فيها كرى وصرت فى المنسين كن نسى الهى كبر سنى ورق عظمى ورق جلدى ونال الدهر منى واقترب اجلى ونفدت آمالى ونفدت شهوتى وبقيت تبعتى واتعبت محاسبتى وبل جسمى وتقطعت أوصالى وتفرقت أعضائى الهى فارحمنى الهى أخشنى ذنوبى وانقطعت حالتى فلا حجة لى ولا عذر فانا المقر بجرمى والمعترف باساءتى والاسير بذنبى المرتهن بعملى المشهور فى خطيئتى المحكم من قصدى الهى فصل على محمد وعلى آل محمد وارحمنى برحمتك وتجاوز عنى اللهم ان صدقى فى جنب اعتمالى على فقد كبرنى جنب رجائك اعلى الهى كيف انقلب بالخيبة من عندك محروما وكان ظنى بجودك ان تقلبنى مرحوما لا فلم اسلط على حسن ظنى بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائى لك بين الآملين الهى فان كنا مرحومين فانا لتأنيك فى عاجل امرنا وان كنا معذبين فى عاجل امرنا لتوجيه وان كنا فقيرين مرحومين فانا لتأنيك على أنفسنا اذ فاتنا من جودك ما نطلبه الهى عظم جرمى اذ كنت المبارزه وكبر ذنبى اذ كنت المطالب به الهى اذا ذكرت ذنوبى وعظم خفرانك وحدت الحاصل فى بينهما مفورضرانك الهى ان أوحشتنى الخطايا من محاسن لطفك فقد آنسنى البقر بكرمك مطمعك الهى ان امتنع الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد اوجبتنى المعرفة بكريم آلائك الهى ان عظم لبى من تقويم ما يطغى فما عزب ايقاى بنظرك فى فيما يفنينى به الهى حسنك ملبوه فقد البسك قوب عدمى وفقرى وأقام مقام الاذلين بين يديك ذل حاجتى الهى أكرمنى اذ كنت من سؤالك وحمد معروفك فاخطاطى بأهل فوائك الهى اصبحت على باب من ابواب عطائك سائلا ومن التعرض لغيرك بالمسئلة عائلا وليس من جميل امتنانك ان تردسائلا ملهوفا ومضطر الانتظار أمرك مألوفا الهى أقمت على قنطرة الاخطار هلوعا بالانحسار والاعتبار وانا الهالك ان لم تعن عليها بتخفيف الاصار الهى أمن أهل الشقاء خلقتنى فأطيل بكفى ام من أهل السعادة فأنشر رجائى الهى ان لم تهدنى الى الاسلام بما هديت ولم تطلق لسانى بدعائك ما دعوت ولم تعرفنى حلاوة نعمتك ما عرفت ولم تبصرنى فى شديد عقابك ما استبصرت الهى ان أقعدنى التخلف عن السبوح الابرار فقد أقامنى الثقة بك على مدارج الاخيار الهى نفسا أعززتها بتأييدك لها نك فكيف ذليلها بين اطباق ثرابك الهى لسانا كسوته من وحدانيتك الثقى افواجها كيف تهوى اليه من النار مضلات التياجها الهى كل مكروب فاليك يلتجئ وكل محزون فاليك يرتجئ الهى عهم العابدون بجزيل ثوابك فشمروا وسمع الذابون بسعة غفرانك فطمعوا حتى ازدحمت عصائب العصاة ببابك وضج منهم اليك الضجيج بالدعاء فى بلادك وكل أمل صادق صاحبه اليك محتاج وكل قلب تركه بارب وحب الخلوص منك منها فأنت المسؤل الذى لا تسود فى وجوه المطالب الهى ان اخطأت طريق النظر لنفسى بما فيه كرامتها فقد اصبت طريق الفزع بما فيه سلامتها الهى ان كانت نفسى قد استعدتنى متمردة على ما يؤذيها فقد استعدتها الآن بدعائك على ما يحميها الهى ان قصلت فى الحكم على نفسى بما فيه حتفها فقد أفصلت فى تقريبى اياها من رحمتك أسباب رأفتها الهى ان قطعنى قلة ارادتى فى المسير اليك فقد وصلته بما أعدته من فضل تعويلى عليك الهى اذا ذكرت رحمتك ضجت لها عيون رسائلى واذ ذكرت محفظك بكتب طاعتها عيون سائلى الهى أدهوك دعاء من لم يرج غيرك فى دعائه أم أرجوك لرجاء من لم يقصد غيرك فى رجائه الهى كيف أسكت بالافهام لسان ضرائحى وقد أطلقنى ما بهم من مصير عاقبتى الهى قد علمت حاجة جسمى الى ما تكفلت له من الرزق فى حياتى وعرفت قلة استغنائى عنه

الافرنج وجيشهم الى دار مصر بنى عمرو بن العاص بها جامعه الكبير وقف على قبلته سبعون من الصحابة رضى الله عنهم وهو أول جامع بنى فى الاسلام بمصر المحروسة وهو جامع مبارك يستجاب فيه الدعاء وحرت عادة مصر بعد ان تلاشى أمرها بالنسبة الى زمن فرعون فكانت مساحتها مائة ألف فدان وتزرع غير البور ألف فدان وكان فيها فى الزمن الاول مائة وخمسون كورة مدينة وثلاثمائة وستون قرية فلما ملكها بختنصر وتزيها أصبحت بعد ذلك وصار بها خمس وثلاثون كورة مدينة ثم تناقصت حتى صارت فى دولة عمرو بن العاص أربعين كورة وعدد قراها ألفان وثلاثمائة وخمسة وسبعون قرية دون الكنوز وكان خراجها

في الجنة بعد وفاتي فيامن سميع بي متفضلا في العاجل فلا تحتمنيه يوم فاقتي اليه في الآجل الهي ان عذبتني فبعد خلتك ما اردت فعذبني وان رحمتني فبعد لقيته مسيئا فاخيبته الهي لا احتراس مع الذنب الا بعصمتك ولا وصول الى عمل الخيرات الا بتثبيتك وكيف لي بافادة ما سلبتني فيه مشيئتك وكيف لي باحتراس من الذنب مالم تدركني فيه عصمتك الهي أنت دللتني على سؤال الجنة قبل معرفتها فأفيلت النفس بعد العرفان على مسئلتها أفتطفي على خير بالسؤال ثم تخذمه وأنت الكريم المحمود في كل ما تصنعه بادا الجلال والاكرام الهي ان كنت غير مستأهل لما ارجو من رحمتك فأنت أهل ان تجود على المذنبين بفضل سعتك الهي نفسي قانطة بنا بديك وقد اضاها حسن التوكل عليك فاصنع بي ما أنت أهله وتغمدني برحمة منك الهي ان كان دنائي أجلى ولم يقربني منك هيل فقد دحملت الاعتراف بالذنب رسائل على فان غفرت فمن أولى منك بذلك وان عذبت فمن أعدل منك في الحكم هنالك الهي انك لم تزل بارا بي في أيام حياتي فلا تقطع برك بي بعد مماتي الهي كيف أيأس من حسن نظرك بعد موتي وأنت لم تولني الا الجميل في حياتي الهي نوفي قد أفنت وبحبل لك قد اجارتني فتول في امري ما أنت أهله وجد علي بفضلك على من لم تجر محموله يامن لا عدي عليك خافة صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد واغفر لي ما خفي عن الناس من امري الهي ليس اعتذاري اليك اعتذار من يستغني عن قبول عذره فاقبل عذري يا خير من اعتذر اليه المسيئون الهي لو أردت اهانتي لم تهدني ولو أردت فضيحتي لم تعافني فتحنني بعافيتك وادمم علي ما به سترتني الهي لولا ما اقترفت من الذنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك وانت كرم الا كرمين بتصديق آمال الآملين فارحم من استرحمك في تجاوز ومن المذنبين الهي نفسي تخشى بانك تغفر فما أكرم جاه أمنيتي فقد بشرت بعفوك وصدق كرمك مبشرات تمنيها وهب لي يا جود ك مقصرات تجنيها الهي اقتني الحسنات بين جودك وكرمك واقتني السيئات بين عفوك ومغفرتك وقد رجوت ان لا يضيع بين هذين وهذين محسن رجاني الهي اذا شهد الاحسان بتوحيدي وأنطق لساني بتمجيدك ودلني القرآن على فضل جودك فكيف لا يبتل رجائي بحسن موعودك الهي تتابع احسانك يدلني على حسن نظرك فكيف يشقى امرؤ أولته منك حسن النظر الهي اذا نظرت بالهيبة لي عين عظمتك فما نامت عن استنقاذي عيون رحمتك الهي ان عرضني ذنبي لعقابك فقد أدناني رجائي من ثوابك الهي ان غفرت فبفضلك وان عذبت فبعدلك فيا من لا يرى الا فضله ولا يخاف الا عدله صل على محمد وامنن علي بفضلك ولا تستقص علي بعدلك الهي خلقت لي جسما وجعلت لي آلات أطيعك بها واعصيك وأغضبك بها وأرضيك وجعلت لي من نفسي داعيا الى الشهوات وأسكنتني دار املت من الآفات وفلت لي ازدجر فبفضلك أعتصم واحتر واستوفق فيما يرضيك واسألك فان سؤالي لا يستقيم الهي لو عرفت اعتذارا وتنصلا هو ابلغ من الاعتراف بالذنب لاتيته فهب لي ذنبي بالاعتراف ولا ترفني في طلبي بالحيلة عند الانصراف الهي كاني بنفسي وقد اطلعتك في سترتها وانصرفي عنها المشيعون من عشيرتها من شفير القبر وبودتها ورمتها المعادي لها في الحياة فتحدرها وتخلف على الناظرين اليها ذل فاقتها ولا على من رآها قوست الثرى بحسر حيلتها وفاقت ملائكته غريب فأى عشيه الاقربون وبعيد جفاء الاهلون وخذله المؤملون نزل بالقبر غريبا فاسهم في الصدر غريبا وقد كنت في دار الدنيا داعيا ونظرك الى في هذا اليوم راجيا فتحسن عندذلك ضيافتي وتكون أشفق على من أهلي وقرابتي الهي سترت على في الدنيا ذنوبا فلم تظهرها فلا تفضحني يوم القاك على رؤس الخلائق بها واسترتها على هنالك بأرحم الراحمين الهي لو طبقت ذنوبي بين السماء والارض وخرقت النجوم وبلغت أسفل الثرى ما ردني اليأس عن موقع ظنك ولا صرفني القنوط عن انتظار رضوانك الهي سعت نفسي اليك تستوهبها وقدمت افواه أملها تستوجبها فهب لها ما سألت وجد لها بما طلبت فانك كريم الا كرمين بتصديق

في رؤس عمرو بن العاص الفي عشر الف الف دينار ثم تغيرت أحوال مصر في دولة الاسلام الى الغاية وخرب غالب قراها والخط خواجها ولم ينزل عمرو بن العاص واليا على مصر الى أن توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه وولي عثمان بن عفان فعزله وولى بدله عبد الله بن أبي سرح فلما أتى الى مصر أرسل عمرو الى المدينة الشريفة يطلب عبد الله بن أبي سرح خراج مصر في تلك السنة أربعة عشر الف الف دينار فلما وصل ذلك الى عثمان بالمدينة نظر الى عمرو بن العاص وقال له قدرت اللهم يا عمرو فقال له نعم ولكن جاءت اولادها فان هذه الزيادة التي أخذها عبد الله بن أبي سرح انما هي كل الجاموس فانه أخذ من كل رأس دينارا فخارجا عن الخراج وحصل لاهل

أمل الآملين الهي قد أصبت من الذنوب ما عرفت وأسرفت على نفسي بما قد علمت فأحطني اما عبد اطاعك فأكرمته وأما عاصي فرحمتني الهي دعوتك بالدعاء الذي علمتني فلا تحرمني من حسناتك التي عرفتني من النعمة ان حمدتني بحسن دعائك ومن عرفانها ان توجب لي حسن جزائك الهي انتظرت عفوك كما ينتظر المسيئون ولست آيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي حمدك بسط املي وشكرك قبل حملي فحل على محمد وعلى آل محمد وبوئني في بقائك وأعظم رجائي في جزائك الهي أنت الكريم الذي لا يخيب أمل الآملين ولا يبطل عند ذلك سعي السابقين الهي ان كنت لا استحق معروفك فوسع لي استوجبه فمكن أنت أهل التفضل به على فالكريم من لم يضع معروفه عند من لا يستوجبه الهي مسكنني لا يحبه الا عطاؤك وأمنيتي لا يغنيها الا تعطاؤك الهي استوفقك لما يدنيني منك وأعوذ بك مما يصرفني عنك الهي أحب الامور الى نفسي واعودها علي منفعة ما استرشد نهاية بعد ابتدائه اليه ودلتها رحمتك عليه فاستعملها بذلك حتى اذا أتت ارحم الراحمين بهامتي الهي أرجوك رجاء من لا يخافك وأخافك خوف من لا يرجو فؤادك فحتى بالخوف شرها الحاذر واطلق بالرجاء خيرها الحاذر الهي انتظرت عفوك كانتظاره المذنبون ولستوآيسا من رحمتك التي يتوقعها المحسنون الهي مددت اليك يدا بالذنوب مأسورة وعينا بالرجاء مزورة وحدقتي لمن دعاك بالندم تذلا ان يجعله بكرمك تفضلا الهي ان عرضتني ذنوبي لمقابلتك فقد دنا لي رجائي من نوالك الهي لم أسلط على حسن ظني بك قنوط الآيسين فلا تبطل صدق رجائي لك بين الآملين الهي ان اقترضت فبفرما أحببت من الدعي اياي فبالايمان اضمنها المخلصات من اهوائي الهي ان أخطأت طريق النظر بما فيه كرماتها فقد أصبت طريق الفزع بما فيه سلاماتها الهي ما اضيق الطريق على من لم تكن أنت دليله وما اوحش المسالك على من لم تكن أنيسه الهي انام نعمك عبيدك حين ذكرت خطيئاتي وما لها لا تنهل وما أدري ما يكون اليه مصيري وماذا يهجم عليه عند البلاغ مسيري وأرى نفسي تخادعني وأياي تخادعني وقد خفقت فوق رأسي ألوية الموت ورمتني من قريب أعين الفوت فما عذري وقد أوجس في صماخي رائع الصوت لقد رجوت عن أبسني بين الاحياء ثوبة فاتنه ان لا يعريني بين الاموات بعيود آفته ولقد رجوت عن قولاني باق حياتي باحسانه ان يسعفني بعد وفاتي بغفرانه يا أنيس كل غريب أنس لي القبر وحشتي وبالقائل تل وحيد ارحم في القبر وحدتي وباعالم السر والاخفى ويا كاشف الضر والبلوى كيف تطرد لي من بين ساكني السرى وكيف صنعك لي في دار الوحشة والبلا قد كنت لي لطيفا أيام حياتي فلا تضيع بركة عني بعد وفاتي يا أفضل المتفضلين في آلائه وأتم المتفضلين في نعمائه كثرت عندي أياديك فعجزت عن احصائها وضعفت ذرعاني شكري لك لمائل جزائها فلك الحمد على ما أوليت ولك الشكر على ما أبليت باخير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج يا ذا الاكرام أتوسل اليك برحمة القرآن أعتمده عليك فصل على محمد وآل محمد واختم لي بخير واعصمني من النار واسقني الجنة مع الابرار ولا تفضحني بسريرتي حيا وميتا وهب لي الذنوب التي فيما بيني وبينك وأرض عبادك عني في مظالمهم قبلي واحطني عن رضيت عنه فحرمته على النار وأسبغ لي اموري التي دعوتك بها في الدنيا والآخرة يا حنان يا منان يا ذا الجلال والاكرام يا حي يا قيوم يا من لا يشغله الخلق والامر تبارك يا أحسن الخالقين يا رحيم يا قدير يا كريم صل على محمد وآله الطيبين وعليه وعليهم السلام ورحمة الله وبركاته انه حميد مجيد والحمد لله رب العالمين وردي عن شريح انه قال اشتريت دارا بالكوفة فبلغ ذلك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال يا شريح اشتريت تلك دارا بالكوفة فقلت نعم فقال أشهدت عدولا فقلت نعم فقال اتق الله فانه سيأتيك من لا ينظر فيك كتابك ولا يسألك عن بينتك اذا نظرت أن لا تكون اشتريت دارا من غير مالك ووزنت من غير مالك فاذا أنت قد خسرت الدارين جميعا الدنيا والآخرة يا شريح لقد كنت حين اشتريت هذه الدار صرت الى كنت أكتب لك الصك على هذه النسخة اذا ما كنت تشتري بايد هي فلت وما كنت تكتب الا بأمير

مصر بسبب ذلك شغب شديد في وهي أول ثلمة اثلمت بهم ثم أعيد هو بن العاص الى ولاية مصر في زمن معاوية وأقام أمير ها الى أن مات بها ليلة عيد النطر سنة ثلاث وأربعين على المشهور ودفن بالمقطم وهو جبل الجيوشي من ناحية الغير وكان طريق الناس يومئذ الى الحجاز فأحب أن يعفو عن قبره من قبره من الناس وهو أول أمير مات بمصر

﴿الباب الاول في خلافة الخلفاء الاربعة ومن ولي بعدهم﴾

وهو الحسن بن علي وفي دولة بني أمية والدولة العباسية ومن ولي مصر من نواب الخلفاء الراشدين والدولتين المذكورتين ومن دخل في ذلك بالتغلب من ابن طولون والاخشيدية ولنقدم على ذلك نبذة يسيرة على رسم الله عليه وسلم تبركا به فنقول

المؤمنين قال كتبت بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما اشترى العبد الذليل من ميت قد أزعج الرحيل اشترى هذا العبد المعتوه بالأمل من هذا العبد المزعج بالاجل دار المحنة والغرور من الجانب الفاني في عسكر الهالكين فما حدود أربعة فحدها الاول ينتهي الى دواهي الآفات الثاني ينتهي الى دواهي الهلكات الثالث ينتهي الى دواهي المصيبات والحد الرابع ينتهي الى الهوى والردى والشيطان الغوى وفي هذا الحد مشرع باب هذه الدار الى الخروج من عز القنوع والدخول في ذل الحرص والفضول فما ادرك هذا المشتري من درك كسرى وقيصر وتبع وحمير ومن بنى وشيد وقصر أنبت بالمغرور الليم ليعثر بالمتلفى المغبر نازل قبلا ورتفى والخلائق قبلا أبشل هذا العيش يفرح عاقل وكانت خلافة الامام علي رضي الله عنه أربع سنين وتسعة أشهر وتوفي قتيلا يوم الجمعة سابع عشر رمضان سنة أربعين من الهجرة وكان سنه ثلاثا وستين سنة ودفن حيث صلى بصعيد مصر ايضا الامارة بالكوفة وغيرها قيل وقته أعلم وكل السبب في قتله رضي الله تعالى عنه وكرم وجهه لما اختلف نوابه ونواب معاوية بسبب قتل عثمان ابن عفان اتفق طائفة من الخوارج على قتلهم فقال عبد الرحمن بن ملجم أنا أكفيكم عليا وقال الحجاج بن عبد الرحمن الصريمي وأنا أقتل معاوية فأما عبد الرحمن بن ملجم فانه توجه الى الكوفة وكان يكتم أمره ولا يظهر الذي يقصده على أحد ثم انه أتى قوما من بني تيم فرأى امرأة جميلة الصورة يقال لها قطام وكان الامام علي قتل أبا هارة أخاها وهو النهروان فخطبها ابن ملجم فقالت له لا أتزوجك الا على شروط ثلاثة اولها ثلاثة آلاف درهم والثانية قينة تغني والثالثة قتل علي بن ابي طالب فقال لها ما الله راهم والقينة فهما مهر وأما قتل علي بن أبي طالب فإذ ذكرت لي ذلك ومائر يدين منه قالت فلتمس ضربه بالسيف فان ضربته وسلمت شفيت نفسي منه ونفعك العيش معي والا فما عند الله خير مني فقال لها والله ما جئت الا لقتل علي بن أبي طالب وكان ما أراده الله في الازل توجه من عندها الى الكوفة وكان من عاده اذا الامام علي رضي الله عنه اذا خرج الى الصلاة من بيته وقف بباب المسجد ونادى أيها الناس الصلاة الصلاة وكان ابن ملجم قد وقف له مقابل المسجد فلما خرج الامام عليا وكان رفيقه قال ابن ملجم شبيهة بن نجرة قال ابن التيماح فرأيت بارقة السيف وسمعت قائلا يقول الحكم لله يا علي لجرأيت سيفا ثانيا فما سيف ابن ملجم فأصاب جبهة الامام علي رضي الله عنه مع قربه الى أن وصلت الى دماغه وأما سيف ابن نجرة فوقع في الطاق فقال علي لا يفوتنكم هذان الرجلان فشد الناس عليهم فما من كل جانب فأما ابن نجرة فتبعته خيل المغيرة بن شعبة فقتلوه وأما ابن ملجم فعبر وه وأخذ وه ورد وا خلوه على الامام علي رضي الله عنه فقال علي بوا طعامه واسقوه وأحسنوا فراشه فان أنا أعش فأنا ولي دمي فما أنا ان اقتص منه وأما ان أعفو عنه وان مت فالحق مورده وأنا حسبه مقترب العالمين ولا أعتدي ان الله لا يحب المعتدين قال لي في زهير الآداب ان علي رضي الله عنه لما رأى عبد الرحمن بن ملجم قال أنت الذي تخضب هذه من هذه فقبل له يا أمير المؤمنين ألا نقتله قال كيف يقتل الانسان قاتله وفي رواية دمين يقتلني وأحضر عبد الرحمن بن ملجم بعد وفاة الامام علي رضي الله عنه وجاء الناس بالنفط والبواري وقطعت يداه ورجلاه وكحلت عيناه ولم يمثل به ولم يتساو القرآن فلما أراد واقطع لسانه تأوه وامتنع من اخراجه فقيل له قطعت يداه ورجلاه ما تألم ولا امتنعت ولم هذا الامتناع عند قطع لسانك فقال لعلي فوتني شيء من تلاوة القرآن وأنا حي فشق وا شدقه وأخرجوا لسانه وقطعوه وقتل شر خلق الله تعالى صبح بين الصباح قال ابو بكر بن حماد بن الامام علي رضي الله عنه

قل لابن ملجم والاقدار غالبة ❊ هدمت ويحك للاسلام اركانا
قتلت افضل من يمشي على قدم ❊ واول الناس اسلاما واعيانا
واعلم الناس بالقرآن تم بما ❊ من النبي لناشرعا وتبيانا
صهر الرسول وعما سيد وناصره ❊ اشجعت منا نبه فزوار برهانا
وكان منه على رغم الحسود له ❊ ما كان هرون من موسى بن عمرانا

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بفتح الطاء المشددة وكسر اللام ابن هاشم بوزن اسم الفاعل بن عبد مناف بفتح الميم ابن قصي بضم القاف ابن كلاب بكسر الكاف على صيغة الجمع ابن مرة بضم الميم ابن كعب بفتح أوله وثانيه ابن لؤي بضم أوله وفتح الهمزة وتشديد التحتية ابن غالب بوزن اسم الفاعل ابن فهر بكسر أوله ابن مالك بن النضر بفتح أوله ابن كنانة بكسر أوله ابن خزيمة بن مدركة بضم أولهما ابن الياس قبل المثناة التحتية ابن مضر بضم أوله ابن نزار بكسر أوله وفتح الزاي قبل الالف ابن معد بفتح أوله وشد ثانيه ابن عدنان بوزن فعلان وهذا هو النسب المتفق عليه وليس فوقه شيء ثابت بطريق صحيح (وما نفع الروح في آدم) كان فور أمة محمد صلى الله عليه وسلم

وكان فى الحرب سيفا ماضيا بطلا ● ايشا اذا لاقى الاقران اقرانا
ذكرت قاتله والدمع منحدر ● فقلت سبحان رب العرش سبحانا
انى لأحسبه ما كان من بشر ● يمشى المعاد ولكن كان شيطانا
اشقى مرادا اذا عدت قبائلها ● واخسر الناس عند الله ميزانا
كعاقر الناقة الاولى التى حلبت ● على ثمود بارض الطور خسرانا
وكان بغيهم ان سوف يتبعها ● قبيل التتبيه ازماتا وأزمانا
فلا عفا الله عنه ما تحمله ● ولا سقى قبر عمران بن حطانا

﴿وقال أيضا﴾

وهو زعلى بالعراقين لهفة ● مصيبته احلت على كل مسلم
وقال سابنها من الله حادث ● يمضيها الشقى البرية بالدم
فيا كرها بالسيف شلت يمينه ● اشمت تطام عند قتل ابن ملجم
فيا ضربة من خاله مرض سعيه ● تبوأ منها مقعده فى جهنم

﴿وقال البصرى﴾

ولا عجب الاحدان ظفرت بها ● كلاب الاعادى من مصبح راعجم
فظربة وحشى سقت حمزة الردى ● وموت على من حسام ابن ملجم

﴿خلافة سيدنا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما﴾

هو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بسبعة ايام أو ما قام سنة أشهر وخلع نفسه فى ربيع الاول سنة احدى واربعين وما ئة سنة خمس وستة وسبعين واربعون سنة ودفن بالبقيع روى عنه سفينة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدى ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن ثلاثون سنة من خلافة أبى بكر رضى الله عنه وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم نظر الى الحسن والحسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنهم فقال رحما بها رحب وقربا بها قرب هذان سبطا محمد صلى الله عليه وسلم ورهطه وابراهيم رهبته السعيد وقرة قرش رشبلا هاشم وسيد اشباب أهل الجنة ثم انشأ يقول

بدران من شمس كريم بلبعة ● أفنانهم ابيد النبوة تزهر
من جوهر طاهرة فرع طاهر ● كرمت مناسبه وطاب العنصر
الطيبون أرومة من هاشم ● والا كرمون مآثرا لا تنكر
جبريل بينهم والنبى محمد ● والمرتضى وزعيم والكوثر
والبيت بينهم ومودتهم منهم ● ومنى يؤتها الصفر الا كبر
واذا وقفت على العشار عشية ● جرتهم جمراتها والمشعر

(مسئلة) مفيد تسئل عنها مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد المدلى الشافعى تغمده الله برحمته وهى هل يقال ان هومن ذرية العباس رضى الله عنه سيد وشريف وهل له تعليق علامة الشرف أم لا أجاب ليس الامور المذكورة لاحد من أولاد العباس ولا لاحد من أقاربه ولا أولاد بنائه صلى الله عليه وسلم الا لاولاد سيدتنا فاطمة رضى الله عنها فالشرف مختص بأولادها الحسن والحسين ونحن نعلم أما الحسن فانه عاش حياة النبى صلى الله عليه وسلم والعقب للحسن والخير رضى الله عنهما وأما اختصاصهما بالشرف جملة وفرعه جملا الامور كثيرة منها كونهما كانا فى حجر النبى صلى الله عليه وسلم فى تسميه فانهما سمياه بحبة النبى صلى الله عليه وسلم فما كونهما سيدى شباب أهل الجنة فانه صلى الله عليه وسلم انهما مما يضعفنى بزيتنى مايزينهما ويؤذينى مايؤذيهما وكونهما أشبه بنائه فى الخلق والخلق حتى فى المشى ومنها كرمه لهما حتى انهما كانت اذا جاءت ليه قام لها وأجلسها فى مجلسه لما أودعه الله فيهما من

يلمع فى جبهته كالشمس المشرقة ثم انتقل ذلك النور من صلب آدم عليه السلام الى رحم حواء ومنها الى صلب شيث ولم يزل ينتقل من أصلاب الطاهرين الى أرحام الطاهرات وهو معنى قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين وكان كل جد من أجداده من لدن آدم يأخذ العهد والميثاق أن لا يضع ذلك النور الا فى الطاهرات فأول من أخذ العهد آدم أخذه على شيث ورثت على أنوش وأنوش على قنن وهكذا الى أن وصلت النوبة الى عبد الله ابن عبد المطلب فلما اودع ذلك فى صلبه لم يكن من جهته فظهر به جمال وبهجة فكانت نساء قريش يرغبن فى نكاحه وقد اتى فى زمانه ما اتى يوسف عليه السلام من امرأة العزيز (وقد روى الترمذى) عن العباس

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق وجعلنى من خيارهم ثم تخير القبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة ثم تخير البيوت فجعلنى فى خيرهم بيتا فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا اى ذاتا واصلا ● وتخرج ابن جرير تفسير قوله تعالى حكاية عن ابراهيم الخليل عليه السلام واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام من مجاهد قال استجاب الله تعالى دعوته فسيدنا ابراهيم فى ولده فلم يعبد احد منهم صنما بعد دعوته وجعل من ذريته من يقيم الصلاة ● قال السيوطى رحمه الله وهذه الاوصاف كانت لاحمد صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر ذرية ابراهيم عليه السلام وكل ما ذكر من ذرية سيدنا ابراهيم من الخلص فان اولى الناس به سلسلة

المروة منها الله صلى الله عليه وسلم قال ابشر يا ابا بكر فان الله عز وجل قد زوجك فى السماء قبل ان أزوجك فى الارض وانه هبط على ملك من السماء قبل ان تأتينى فقال لى السلام عليك يا رسول الله ابشر يا جماع الشمل وطهارة النسل فما استتم كلامه حتى هبط جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته خير رضع من ثدى حورية ● مكتوب فيها سطران بالنور فقلت ما هذه الخطوط فقال ان الله عز وجل اطلع الى الارض اطلاعة فاختارك من خلقه فبعثه برسالته ثم اطلع اطلاعة ثانية فاختار لتلك منها الخازن بوا صاحبا فزوجه ابنتك فاطمة فقلت من هذا الرجل فقال الخوف فى الدين وان هلك فى النسب وقد أمرنى ان آمرك بتزويجها بعلى فى الارض وان ابشرهما بغلامين زكيين نجيبين فضلين ظاهر بن خير بن فى الدنيا والآخرة ● قاده ● ولا تاشيخ الاسلام ابن حجر الهيتمى فى كتابه الصواعق المحرقة حيث قال ينبغى لكل احد ان يكون له غيرة على هذا النسب الشريف وعلى ما ينتسب اليه صلى الله عليه وسلم احد الا ابا لهب فانه قد نزل بسبب اهل البيت النبوى مضبوطة على تعاول الايام واحاجيم التى جماناته مزون بحفظ هن ان يدعيها الجهال والمتام عنه ● من يقوم بنصبها فى كل زمان ومن يعتنى بنقاصبها وفى كل اوان خصوصا انساب الطالبيين والمطلبيين ومن ثم رقم الاصطلاح على اختصاص الذرية الطاهرة بفاطمة من بنى ذوى الشرف كما عساهن والجمهرة بالنسب الاخص اظهارا للمزية فشرفهم ثم فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة امر السلطان الاشرف شعبان ابن السلطان حسن بن الناصر محمد ابن قلاون ان يتازا عن الناصر بعد ثب على العناصم فعمل ذلك باكثر البلاد بمكة ● والشام وغيرهما وفى ذلك يقول ابن بجار الانداسى نزيل حلب وهو صاحب شرح القصيدة ابن مالك المعنى بالاهى والبصير

جعلوا لابناء الرسول علامة ● ان لا علامة شأن من لم يشهر
نور النبوة فى كريم وجوههم ● يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال فى ذلك جماعة من الشعراء ما يطول ذكره ومن احسنه قول الاديب محمد بن ابراهيم بن بركة الدمشقى

أطراف قيصان أتت من سندس ● شعرا علام على الاشراف
والاشرف السلطان خصهم وبها ● شرفا لبعد فهم من الاطراف

(فائدة) ● قلت وهو ان الابغة الجعدى المذكور كان من شعراء الجاهلية ثم ادرك الاسلام روى عنه انه قال اتيت النبى صلى الله عليه وسلم فانشدته قصيدتى حتى انتهيت الى قولى

أتيت رسول الله اذجاء بالهدى ● ويتلو كتابا كالمجرة نيرا
بلغت السماء مجدنا وجدودنا ● وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أين يا بلى فعلت الى الجنة يا رسول الله فقال الى الجنة ان شاء الله ثم انتهيت الى قولى

ولا خير فى حلم اذا لم يكن له ● وقار تحمى صفوه أن يكدرا
ولا خير فى جهل اذا لم يكن له ● حليم اذا ما أورد الامر اصدرا

فقال له صدقت وأحسنت لا يفضض الله فاك قال فرقت عمرى أحسن الناس ثغرا وعمرت عمرا طويلا فسكنت كل ما سقطت من سنى نبتت مكانها أخرى فدعوة النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنه ورضى عنه

﴿الباب الثانى فى دولة بنى امية﴾

كانت بالشام وعدة الخلفاء منهم أربعة عشر خليفة وكانت جملتهم بمصر وغيرها وعدة نصرفهم اثنتان وتسعون سنة (أولهم) معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه وامه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فى ذى الحجة سنة أربعين بمبيت المقدس قال الطبرى لما مات الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه اتفق معاوية بمصر وابن العاص على ان يكون معاوية بالشام وعمرو بن العاص بمصر ولا يكون لاحدهما الآخر كلام ثم جعل الناصر يقدمون على معاوية من سائر الاقطار وهو يرضى الناس بالاموال فلما فرغ ما عنده من الاموال كتب الى عمرو بن العاص انه قد كثر على وراد الحجاز ووفود العجم والشام والروم واليمن ولم يكن

عندى شئ أرضيهم به فصر الى خراج مصر سنة واحدة لاستعين به على من يرد على فقال هرون العاص فى نفسه متى سيرت اليه مالا يطلبه منى فى كل سنة فكتب جوابا لمعاوية يقول له هذه الابيات

معاوى ان تدركك نفس شحيحة * غدائر قتنى مصر أى والى * وما تلتها عفوا لرأسك شرطها
وقد دارت الحرب العوانى على ظبى * ولولا دفاع الاشعرى وحمله * لاصبحتها قد هو كافاقة الصبى
فكتب اليه معاوية انه قد تردد كتابى اليك يطلب خراج مصر وأنت تمتنع وقد نفع رأسه وغيره الى قولا واحدا وطلبا جازما والسلام فكتب اليه هرون العاص جوابا وهى القصيدة الخطيبة المشهورة التى أولها

معاوية الفضل لا تنسينى * وعن منهج الحق لا تعدلى * نسبت احتمالى فى حلق
على أهلها يوم لبس الحلى * وقد أقبلوا زمرا يهرعوا * ويأتون كالبعير المهل

ومنها أيضا

ولولا كنت كشمل النسا * ق عاف الخروج من المنزل * نسبت مخاورة الاشعرى
ولكن على دوحة الجندل * والعقد مه سهلا باردا * وأخرجت ذلك بالمنخل
ألين فيطمع فى جانبى * ومهمى قد غاب فى المفصل * وأخلعه امنه من خدعة
كخلع النعال من الارجل * وليستها فيسلك ما عجزت * ت كأس الخوانم فى الانمل

ومنها أيضا

ولم تسك رافقه من أهلها * ورب المقام ولم تكمل * وسيرت ذرك فى الخافقة
بين كثير الجنوب مع الشمال * نصرانك من حولها يا ابن هند * على البطل الاعظم الافضل
وكنت ولن ترعا فى المنا * مزفت اليك ولا مهرلى * وحيث تركت أعالى النفوس
تزلنا الى أسفل الارجل * ولم قد معنا من المطافى * وصايا مخصصة فى على

ومنها أيضا

وان كان يشكانسية * فأين الجمام من المنحل
وأين الثرى بأوانى الثرى * وأين معاوية من على

فلما سمع معاوية هذه الابيات لم يتعرض له بعد ذلك وقيل دخل عقيل بن أبى طالب على معاوية وقد كف بصره وجلس الى جانبه على سريره فقال له معاوية أنتم معاشر بنى هاشم تعالون فى أبصاركم فقال له عقيل وأنتم معاشر بنى أمية تعالون فى بصائركم فكنت ولم تتكلم وقيل ان معاوية قال يوما لجلسائه ما تعدون الغريب فيكم فقالوا الذى لا أحد له فقال بل الغريب الذى مات نظراؤه الآن كان بسمأ أنس بهم وأنسه * اذا ذهب القرن الذى أنت منهم و * وخلفت فى قرن فأنت غريب

مفرد فى المعنى أجالس معشر الاشكل فيهم * وأشكالى قد اهتنقرا الفودا

قيل دخل على معاوية وعليه عباءة فازدراه فقال يا أمير المؤمنين ان العباءة لا تكلمك ولم أكلمك من فيها فقال معاوية ما رأيت أحدا قط أسخف منك أولا ولا أكبر منه آخرا وقيل قال الاسكندر لرجل رآه من مجلسه فتكلم بفصاحة لكن حسن يا بالك تكلمن كلاما ملك فقال اما الكلام فأنا قادر عليه وأما الثياب فأنت قادر عليها فلم يقم عليه وأما قوله (ذكر قدوم عكرشة بنت الاطرش وبنو واحة على معاوية) قيل دخلت عليه وهى متكئة على عكازها فصلت عليه بالخلافة ثم جلست فقال لها معاوية يا عكرشة ليوم صرت عندك أمير المؤمنين فقالت له نعم اذا لا على حتى فقال معاوية يا عكرشة ليست يوم صفين المقلدة حمائل سيفك بين الصفين وأنت واقفة تقولين ايها الناس علىكم أنفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان الحشة لا يحزن من سكنها ولا يحوت من دخلها فاتبتها هو وهدايا ولا يدوم نعيمها ولا تتصرم همومها مستظهرين بالصبر على من طلب حقوقكم ان معاوية قد وقف عليكم بجيم العرب مخلف القلوب لا يفقهون الايمان ولا يدرون الحكمة دعاهم بالدنيا فأجابوه واستدعاهم بالباطل فلبوه فاتقوا الله عباد الله فى دين الله يا معشر المهاجرين والانصار امضوا على سيركم واصبروا على عزيمتكم واعلموا أن مصيركم الى الموت كأنى بكم غدا وقد لقيتم أهل الشام كالحر النافر فوكأنى أراك على عكازك هذه وقد انتكفأ عليك العسكر

الاجداد الشريفة الذين خصوا بالاصطفاء والنقل اليهم النبوة واحدا بعد واحد ولم يدخل والد اصدق عليه السلام وبقيه ذرية ابراهيم لانه دعا لاهل هذا البلد الا ترى قال اجعل هذا البلد آمنا وعقبه بقوله واجنبنى وبنى أن نعبد الاصنام فلو قال ياس من ذرية ابراهيم عليه السلام على الفطرة يعبدون الله تبارك وتعالى ويدل له قوله تعالى وجعلها كلمة باقية فى عقبه فان الكلمة الباقية هى التوحيد وعقب ابراهيم عليه السلام هم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وأبناؤه الكرام فأولاد ناجيان منهما ان فى اعلى درجات الجنان لانهما ماتا فى زمن الفترة وأهل الفترة ناجون وان شرعوا وبدلوا وعبدوا الاصنام على الراجح الامن اخبر

ان يقولون هذا معكرشة بنت الاطرش كان كدت تقتلين اهل الشام كان أمر الله قدرا مقدورا فما حملك
على ذلك قالت يا أمير المؤمنين يقول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم
وان الميت اذا كبر أمر الميت اعادته فقال لها معاوية صدقت اذكري حاجتك وما حثثتي به قالت
ان صدقا تأتوخذ من اشياءنا فتردعلي فقر اثنا وانفد فقدنا ذلك فلا يعيرنا كثير ولا ينتعش لنا فقير ثم
قالت فان كان ذلك من رأيك فثبتك من انتبه من الغفلة وراجع التوبة وان كان من رأي غيرك فمالك من
لا يستعين بالخونة ولا يستخدم الظلمة فقال لها معاوية اتقي الله انه يقول بعد من أمور ويحدثها أمور
تنفق وجوه وتنفد فقالت سبحان الله والله ما فرض لنا احتقاره ضرر لغيرنا وهو علام الغيوب فأمر لها
معاوية وان معه لما يرد صدقاتهم اليهم واصرافهم واعطاها خمسمائة دينار فأخذتها وانصرفت
وأقام معاوية في الخلافة عشرين سنة ونوفى في رجب سنة ستين وسنه ثمان وسبعون سنة ودفن بدمشق

﴿خلافة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان﴾

بويع له يوم مات أبوه قيل جلس يزيد يبنه يأكل الطعام فأجلس علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنهم على ركبته اليسرى وأجلس خالد ولده على ركبته اليمنى وكان سن كل واحد منهما خمس
سنين فقال لعلي يا أبا الحسن اما تقوم تتصارع أنت وابن عمك خالد فتقوم ع لمكما فقال علي بن الحسين
وما أتينا من الصراع يا عم اعطني سيفا واعطه سيفا وانظر ايانا الصبر على الموت فقال فقتل اليه يزيد فجرا
وقال والله كدت أحسب ان الضغائن تنفرغ من القلوب ولا تلد الحية الا حية يقشر فعه من على ركبته وكان
قبل ذلك يأكل معه في البيت فلم يطلبه بعدها وما زال يزيد في تلك السنة (وما يليها كلها) انما قتل الحسين بن
علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وحمل رأسه الى يزيد وضعه بين يديه فرقعه بقضيب كان معه يبدده على
ثناياه ثم أمر بالرأس فنصب أياما على باب دمشق وطلب يزيد أهل الشام واحضرهم حوله وأحضر عليا
الاصغر ابن الحسين والنساء معه ينظرون اليهم فقال يزيد لعلي ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في
أنفسكم الا في كتاب الذي قطع رحمي ونازعني في سلطاني فصنع الله به ما رأيت فقال علي ما أصاب من
مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب فقال يزيد لابنه خالد أجبه عما قال فلم يدر خالد ما يقول فقال
يزيد ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوعن كثير روى الطبري ان يزيد أمر بخطيب
جن أمية ان يصعد المنبر فصعد وخطب ونال من علي ومن الحسين وأطنب في ذلك فاستأذن علي بن الحسين
في ان يصعد المنبر ويزيد كره ان يفعل فامتنع يزيد من ذلك فألح عليه في ذلك فأذن له فصعد المنبر وخطب
خطبة بليغة حتى أبكى العيون وأوجل القلوب ومن جملة أيها الناس من عرفني فقد عرفني ولم يعرفني فأنى
أعرفه بنفسي وانسبه حسبي وأنبئه بحسبي أنا ابن مكة أنا ابن زمزم والصفا أنا ابن من حمل الركن بأطراف
الردا أنا ابن خير من اتزر وارتدى أنا ابن خير من التعل واحتفى أنا ابن خير من حج ولبى أنا ابن خير
من ركب البراق في الهوا أنا ابن خير من أسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى أنا ابن خير من
بلغ سدرة المنتهى أنا ابن من دنى فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى أنا ابن خير من صلى
ملائكة السما أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن علي المرتضى أنا ابن فاطمة الزهراء أنا ابن سيدة النساء
أنا ابن الاولياء أنا ابن آخر الاصفياء فعند ذلك ضج الناس بالبكاء وكادت أن تكون فتنة فولى وخشي
الفتنة وأمر حمل رأس الحسين الى الشام فوجت زينب بنت علي بن أبي طالب في نساء من قومه ممن جاء من
هاشم رهن حاصرات وكن يومئذ بدمشق وهي تنشد وتقول

ماذا تقولون ان قال النبي لكم * ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم * بعترتي وباهلي بعد مفتقدي
نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم * ما كان هذا جزائي اذ نصحت لكم ان تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

وقيل ان يزيد بن معاوية قال من جاءني برأس الحسين ملأت ركابه ذهبا وفرد واحدا من القوم وهو على
ما قيل انه شبل بن يزيد الحيري وقيل شمر بن ذي الجوشن وجئ برأسه ووضعه الى أخيه خولي وقيل شمر
لما قدم به على يزيد وضعه الحامل له بين يديه وأنشد شخاطا بالرأس يزيد

صلى الله عليه وسلم بعدم
مجاراتهم كأسرى القيس
واضرابه وقد حفظ الله
تعالى نسبه الشريف من
سفاح الجاهلية قال محمد
ابن السائب كتبت لنبي
صلى الله عليه وسلم خمسمائة
جدا وجدت فيهم سفاحا
ولا شيئا مما كان في أمر
الجاهلية فان بعض أهل
الجاهلية كان اذا اراد
النكاح يقول الزوج خطب
يقول ولي تناكح المرأة
تنكح وهذا هذهم عبارة
عن العقد وأما النكاح
عبد الله آمنة فكان عقدا
موافقا لما عليه شريعة
الاسلام مشتملا على تلك
الشروط المعتبرة وان لم تكن
بشرح بل بتوفيق من الله
تعالى وكذا في بقية أجداده
عليه الصلاة والسلام (وما
قرب وجوده) صلى الله عليه
وسلم رأى عبد المطلب وهو
ناشئ في الجزيرة مثلا

امار كابى فضة وذهبا ● انا قتلنا السيد المحببا
قتلنا خير الناس أما وأبا ● وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فقال له يزيد لما سمعت انه موصوف بهذه الاوصاف لاى شيء قدمت على قتله فامر بضرب عنقه لوقته وفاته ما أمله من الاذهب والى جهنم قد ذهب وقد سئل مولانا شيخ الاسلام الشيخ شهاب الدين أحمد الرملى الشافعى رحمه الله تعالى فى يزيد بن معاوية هل يجوز لعنه لانه قتل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم أو امر بقتله أو لا يجوز لعنه لانه لم يقتله ولا أمر بقتله وفى عبيد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا هل هو صحابى أو كافر أجاب رحمه الله لا يجوز لعن يزيد بن معاوية كما صرح به جماعة منهم صاحب الخلاصة وغيره لانه صلى الله عليه وسلم نهى عن لعن المسلمين ومن كان من أهل القبلة ولا يخالفه مقول بعض المتأخرين انهم اتفقوا على جواز لعن من قتل الحسين أو أمر بقتله أو اجازه ورضى به لان معناه على وجه التعميم وهو لعن الطوائف المذكورة بالاوصاف دون لعن معين لانسان ليكون من باب لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وقال غيره ان رواه أبو داود وان صاحبه بل لم يثبت انه قتل الحسين رضى الله عنه ولا أمر بقتله كما صرح به جماعة منهم حجة الاسلام الغزالى قال فى الانوار ولا يجوز لعن يزيد ولا تكفير فانه من جملة المسلمين ان شاء رحمه وان شاء عذبه كذا قاله الغزالى والمتولى وغيرهما وقد طعن عبد الله بن سنان بن أبى أنس فالقاه من فرسه وأجهز عليه خولى بن يزيد من حمير وزل البعير رأسه فاخذ بيده فنزل أخو مسلم بن يزيد فاجتز رأسه ودفعه الى أخيه خولى والقاه مولاه على يزيد وذكر والله قتله ومعت عيناه وقال ويحكم كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين ان عبد الله ابن مرجانة أتانا والله لو كنت صاحبه لعفوت عنه ثم قال رحم الله أبا عبد الله وغفر له وما دخل على بن الحسين فى السبى قال خلوا عنهم وكساهم وأخرج لهم جواثر كثيرة ثم قال لو كان بينهم وبين ابن مرجانة نسب ما قتلهم بل يردهم الى المدينة وأما عبد الرحمن بن ملجم الذى قتل عليا كرم الله وجهه فهو مسلم من الخوارج الذى يكفرون مرتكب الكبائر فقد قال الامام الشافعى رضى الله عنه انه قتل متأولا لانه وكيل امر أقتل على أبيها يعنى متأولا عند نفسه فيما كان مخطئا فيه وفيما لا يحتمل التأويل وليس لغير مجتهد يتأول كان له ان يتأول وقد قطع عبد الله ابن جعفر يد عون جليسه فليبرع ثم أراد قطع لسانه فجزع فقيل له لم جزعت فقطع يد ذلك وجليسك وجزعت لقطع لسانك قال انى أكره ان ارى ساعة عمل من جوارحى لا اذكر فيها اسم الله تعالى (تتمة معضلة) قال صاحب الذخائر الجامعة مات رجل بقال له فرنفل فراى شخص فى المنام فقال ايش حالك يا فرنفل قال انا فى جهنم قال ما فعل بك ربك قال ربى رب رحيم غفر لى وعفا عنى ولكن مر بلوط بك فى جهنم قال يزيد بن معاوية وانا واباه أصحب ذكر فى العامة وس فى باب الثناء فى حرف الذال المعجوة بالضم هو المأبون قال مؤلف النكت المكية اجمع العلماء من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة على تحريم اللواط ومن قال بحل ذلك فهو كافر بعد شيوعه خلافا لابن أهل السنة والكتاب قال صلى الله عليه وسلم من عمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به وعن جابر انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف على أمتى فعل قوم لوط فمن عمل عمل قوم لوط فاجلدوه وقال ابن عباس حد اللواط ان يرمى فاعله من سطح عال ثم يرجم حتى يموت وفى رواية ينكس من مكان مرتفع وقيل يهدم الجدار عليه وعن مالك والشافعى واحمد بن حنبل يرجم فى الاظهر لقوله صلى الله عليه وسلم اقتلوا الفاعل والمفعول به ومن استحله كفر واذا ركب الذكر اهتز العرش (حكى) عن بعض أهل اللطافة قال طلعت يوما لطواف الفرائصة فى نصف وترافقة لازورمن فيها من الاموات وأنحط على مافات والى ماهوآت واد كرهادم اللذات ومفرق الجماعات وميتم البنين والبنات وارتدع عما لى المعاصى والسيئات فاخترقت تيارها استحليت تجيها وعلت أحول بطرفى فى أزهارها وهى تها وأفكر كيف ساوت تلك البقعة بين الملك والمملوك وخالطت بين الغنى والعديم وكم فيها تجر مزار

فاته فزها مرهو يا وأتى كهنة قريش وقص عليهم رؤياه فسألته الكهنة ان صدقت رؤياك ليخرجن من ظهرك من يسود أهل السماء والارض فتزوج فاطمة بنت عمرو بن عائذ من نسل النضر وأمها عضرية بنت عبد الله بن عمران من نسل النضر أيضا فالظهارات بعبد الله الابيح وقصته فى الابيح مشهورة وسبب تسميته بذلك ان عمرو الجرهمى لما أحدث قومه بحرم الله الحوادث وقبض الله تعالى لهم من أخرجهم من مكة عمرو هاربا وزمزم فطمها وهرب الى اليمن ومعث مدفطويلة وزمزم مطمومة مجهولة الى أن رأى عبد المطلب رؤياه تشير له بحفرها فاراد ذلك فمنعته قريش وأذاه منها وهم حسدا وظلم بكن له ولد سوى الحرث فنذر انه تعالى لئن

وكبّره تقدس علاهُ عليه التراب والغبار فجعلت تارة ادير طرفي لعرفت عليه الدموع وتارة أعاتب قلبا لفراق الاحبة وجوع وتارة أندب ناسا سارو او أتحول الاطلال والربوع وتارة أبكي لفقد أناس كانت وجوههم أضوأ من الشموع وأسبغ الله الذي أرقدهم الحي نجيب الذي لا رادّ لامره ولا قضاؤه بمنوع فبينما انا كذلك وفي وسط الطريق سألت اذ نظرت في كوف الجبل الى بناء منقطع وسوسق في الجو مرتفع فمشيت الى ان وصلت اليه وقويت الجلوس على بابه فاستقر لتعب عليه واذا أنا بصوت داخل البناء أحسن من نغمات الاوتار وأطيب من صوت المزمار وتمجيبه الاطيار بكرر بصوته النياحه ويندب بنغمته أوقات الراحه بصوت تجمل اليه قلوب سامعيه لما فيه من الذكاء والفصاحه يهيج الاشواق ويفتت قلب المشتاق وتتطاول اليه الاعناق وتهمي بسماعه العيون من الآماق يقلب جريح كانه كابد مرارة الفراق وينشد ويقول

ما أنت يا قبر لا رض ولا فلك ✽ فكيف يجمع قبلك الشمس والقمر
يا لله يا قبر لا تبلي محاسنه ✽ وهل تغير ذاك المنظر النضر
وهل يجاورهُ قبر وهو جنته ✽ وهل في بنائه نشره العطر
وهل تدوم مسرات لعرفته ✽ هيهات فقد سلب فرحي بعده كدر

ثم شهقت شهقة ان اثرها شاهد وتراءى في تعبي بترادها رة طمع قلبي بثوا جاهر بكثم ترادها على ان سلبت كل مضمومي واذهبت نومي في فقلت والله لاجيئن الى هذا الباب واطلبن الى بواسع هذا الخطاب وانظر من هذا الذي هو مصاب فلما الاحظ هذا الشاكي فأشاكيه فلما سلبه وما نسبه فطرقت الباب طرق متردد في أمره حامدا لله على زيادة نعمه وشكره فتح لي الباب صبي يعا ولجوابه مربعا فاذا هي امرأة ذات جمال فائق رشكل لا لاق وقد شاهق صاحبة مطاف ومعاطف كان شمائلها سرقت من الظبي المعاطف بخفوره دلال وقد راعة دلال وبهاء وكمال كما قال فيها الشاعر

تشابه فصن البان كالدر والشمس ✽ وقد طورت من كل عيب ورعن رجس
ولبس لها بين البرية مشبه ✽ فبعضا من الحسن وبعضا من انكس
اذا نظرت عيناي نور جمالها ✽ تزايدني شوقي وودي مع الانس
فما كي لغصن البان والدر والدجى ✽ وحاول تهاري في محاسنها درمي
سمى خاق يحتى على يوسفها ✽ فما في سواها في حياتي لي رمي

ثم سألت انا في العيون نعمت وسلمت السلام التام وكرمت فبدأت بقراءة آيات من كتاب الله تعالى رب الارباب وأحدثتها السكان التراب ثم تجاسرت كلامي على اوتقدمت اليها وسلمت عليها ورسألتها عن قصتها وحالها وشبيتها وماجرى لها فقلت اما مرهذا الذي تندبينه وفي هذه البرية تبكينه وتتحيينه اذهبت عنوان شبابك وقتلت نفسك بين التراب فقالت يا اخي هذا بعلي الذي أحسن الي فيما مضى وخلفني في الشقاوة والقضا فقلت لها يا أختي اشغلي بعبادة فعلك منه فالموت سبيل لا بد منه فما زلت بكاء وعويلا ونظرت الى القبر طويلا بدمع هاطل يشبه السيول وأنشدت تقول

يا ساكن القبر في القبر طويلا ✽ يرثى لهذا القبر من زوره شخص
تخالفت قبلك أحوالي أمسي وضحي ✽ الى لقيك وطرف طال الوسن
وخالف القلب قبلك العين من كد ✽ واسود وجهي وابيضت من الحزن
من بعد بعدك بت القبل ساهرة ✽ فيهن يا لجوى سكني الى سكني
وأصبحت بعدك الاطلال خالية ✽ وكم أيادٍ لبعلي ثم كم منن
وكنت هو نا لجمع النائبات وكم ✽ أحسنت يا بعل لي في سالف الزمن

ثم بكت حتى أغشى عليها ومالت كلتي بالشفقة اليها وأحرقت قلبي ببكاها ورحمت فلقتها وتواها فلما فرغت من البكاء مالت بجانبها الى جانبي وغازلتني بالعين وبالكف وتهيجت على بالحصر والردف فلما

ولله عشر بنين ليس فيهن أحدهم وبسبعين بناتهم على صغر زمنهم فتكفل له عشر بنين وهم الحرث والزبير وجعل وصرار والمقدم وأبو لهب والعباس وحمزة وأبو طالب وعبد الله ولما فرت عينه بهم نام ليلة عند الكعبة فرأى في منامه قائلا يقول له بعد المطلب أوفى بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وأمر بذبح كبش وأطعمه للفقراء والمساكين ثم نام فرأى اقرب ماهو أكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا ثم نام فرأى ان قرب ماهو أكبر من ذلك فقربه من نومه وقرب جملا ثم نام فرأى أن قرب ماهو أكبر من ذلك فقال قرب أحد أولادك الذي تذرته فنظر نحاشديدا ثم جمع أولاده وأخبرهم

رأيت ذلك من حالها وما أبدته من فعالها تزايد في الطمع ورد خالي في سداد خلتها الرجا ولم أجد عن هواها سبيلا ومخرجا فلت بسيدتي يحق من أبسبك الجميل وخصك بالحسن والبهاء والكمال الا ما رضيت بي فالك بعلا ونلت مني أهلا لا كرن أسبق الناس الى مرضاتك وابذل الجهود في قضاء حاجاتك فنظرت لي شزرا وغضبا وامتلأ قلبي منها رعبا وأنشدت تقول

أتطلب مني أن أكون مزوجا ● فلست اري هذا سبيلا ومخرجا
ولم أبق زوجا مثل في الورى ● ولا مثله لي في البرية مرتجا
فوالله لا اتجهت من تحت خيره ● الى أن أراه من فنا القبر أخرجا
فزوجني له قدر وعلم وحكمة ● وحلم وفضل وهو للكرم مزعجا
فبالله دع هذا الكلام ولا تكن ● يقولك هذا مابرحت مهرجا
فبالزلت مقبلة بغير تزوج ● وربي من ضيقي يكون مفرجا

ثم قالت وحق رب العباد الذي البسني حلة الجداد وقضى علي بالفراق والبعاد لا كان ذلك الى يوم المعاد فقلت لها يا سيدتي اذا لم تنعمي لي بالزواج وأنا من هذا الامر في ضيق والزواج فما أتتل يحق الله شفى كل علة وأبرد كل غلة الا ما تصدقت علي مملوكك بقبلة فقالت لقد اقسمت علي بقسم عظيم وحلفتني بالله الرحيم ثم ناحت وبكت لرقعة الاحباب وتأوهت تأوه المصاب ولعبت بعود كانه كان معها في التراب وقالت ان كان ولا بد باشاب فاعظم قسمك تكون الغلبة من فوق النقاب فلما سمعت ذلك بادرت اليها وأرميت كابتي عليها ونهضت ليماشي نهضة العاشق اليها وقبلتها تقبيل الرجل المشغوف وانشدت أقول

أحباب قلبي أبعدوا بالخطاب ● ولا طفوا واهتضموا المكروب
وقد رضوا من بعدما قد بعدوا ● وراق لي وفقي وطاب العتاب
وأنعموا لي بالوفا عاجلا ● بقبلة قبلت فوق النقاب
وطالت الخلوة ما بيننا ● ونائب الهجران ولى وغاب

ثم قلت يا سيدتي يحق الله علام الغيوب وكاشف الكروب الا ما رضيتني وصال محب محبوب فنظرت الي هنيذاك وقالت يا شاب ان قلبي بالعراق مكسور وحالي معذور وتطلب مني ان توتعني في محظور ويكون ذلك بين القبور وبيني وبين معلمك هو تاكغير مستور واعمى الاله الغفور فوالله لا كان ذلك الى يوم النشور وأنشدت تقول

أتطلب مني الوصل في حيرة القبر ● وتقصدني المحذور يا سامح تمني
لبرداء اتحى ● فلا كان هذا القول لو ينفقني عمري
وفي حيرة الاموات اعمى خلائق ● ونحن على دينه وثمن قاعدنا الى ابد الدهر

قال فحصل لي عند ذلك الايأس وتزايد في نحورها القلق والوسواس وتزايدت بي الحسرات وانهملت العبرات وقلت يا سيدتي يحق الله يرى ولايرى وبحرمة نبي امرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الى السموات العلى الى سدرة المنتهى لنحو طاقة عمري ومنى وجج واعتمر وحلق ورجم وتعبد في سوى الا ما قضيت لي بالوصل وطرا فقالت والله لقد اقسمت علي بما يقسم الورى ولئن لا كان هذا ولا جرى فان كان ولا بد فيكون من ورا فما استتمت كلامها حتى اجبتها الى ما اختارت وأدرتها على جنبها الذي اختارت وقد اقبل فيما اشارت ومهجتي من الفرح قد طارت فبقيت من مؤثر السرور بين وكثمت سرها رعت في الابلاج وتركته ساهما طول بلا اخوج وأنا في لذة حبور ورقة دنات فرحا ومرور فلما قضيت الحاجة وزالت عني اللجاجة أنشدت أقول

قد راعوني أحبابي وما كسروا ● قلبي وبالوصل ما بين الورى جبروا

شذوره ودعاهم الى الوفاء فقالوا جيعا انا لك ماذا تعون فس تذبح منا فاذبح فقال لها حذفك منبحي فدحا بكسر القاف أي سهما لم يكتب فيه اسمه ففعلوا وأخذ قداحهم ودخل جوف الكعبة ودعا هبل الى القيم كما كانوا يستعون وقام عبد المطلب يدعو الله تعالى خرج على عبد الله وكان أجيهم اليه فقبض عليه وأخذ الشفرة وأقبل على ذبحه فمنعه سادة قريش وقالوا لا تفعل حتى تعذر الى ربك ولئن فعلت هذا لم يزل الرجل يأتي بابنه فيذبحه ويكون سنة ولكن انطلق الى كاهنة فلعلها تأمرك بامر فيه فرج فانطلقوا حتى أتوه خيبر فقص عليها عبد المطلب القصة فقالت كم الدية فيكم فقالوا مائة من الابل فقالت ارجعوا الى

تقسما كان أحلى وصلنا عجلا ✽ ونحن في لذة منها وسلوتها ✽ كدر
والواش مشتغل والرقيب صما ✽ وساد في عن محاسن وجهها سفروا
هذا هو العيش لو دام الزمان به ✽ لكن زماني هذا كله غير
فانهم لقولي واسمع يا أخا ثقة ✽ قولا بدا ما كدا في الورى سمر

فقلت بعد ذلك لا بد من معرفة الأفوز بقرعها وصحبتها فقلت يا صديقي صق اسمعيل الذبيح وصق من حمل النار ورد ولا سلاما على ابراهيم بعد ان كان فيها طريحا وصق من اليهود المسيح الا ما كنت لي من وجهك الصبيح ومتعتني بحياتك المليح لا كون لك قاطعا فارقا لمحاسنك واصفا ولا شاكرا أشفاك الله خادما وعلى بابك لم أزل ولا زما فدت يدها بتكاليف وكشفت عن وجهها الظريف وذاد هو شية بيضاء قد فرشت سطرين وحكت بياض الجبين فعلاني البكاء والنحيب والزفير واللهيب ووقعت في فم عظيم وحزن مضنى كظيم وقلت الهي بحرمة محمد صلى الله عليه وسلم وشرف هذه الشيبة وشيب الله أعظم خيبة يا أنفس الناس والمحبس من الوسواس الخناس هذه الشيبة التي لا يستحي الله من عذابها ولا يبالي من أي باب من أبواب النار أتى بها ما حملك أيها الشيخ المنصور على هذه الصورة وما الجالك يا مأبون الى هذه الضرورة فقال لي يا قليل الآداب يا من لم يزل من وراء الحجاب يا عديم الرأي والتوفيق والصواب هكذا اصطادك الارنب فعلمت نفسك يا جاهل وتخيل ايس بعاقل وقومت أن به مرض الامراض يحتال به على غرض من الاغراض فتركته ودخلت المدينة ومضيت بقية حزينة فسألت الناس عن الاحباب والاصحاب عن هذا الشيخ الغليل المبرز الذي ستروجه وكشف طيزه فقيل لي هذا كتب الحبر فانصرفت وأنا متفكر في هذه القضية رشوم هذه الرزية ونسأل الله حسن الخاتمة بجاه محمد وآله (حكى الراقم في تذكرته) قيل أول من ظهرت فيه الاينة العزيز صاحب يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وكان أبوه يعقوب لما مأبونا واذا أحزنه الدهر يهجر ابراهيم بقول واللات والعزى لا علاك الدهر وكان جالينوس مأبونا نفس به غلام خباز فطارت دجاجة ففزع الغلام وقام منه فقال جالينوس دعني والدجاج فما زال يصفه للمرضى حتى انقطع أصل الدجاج من المدينة ودخل طبيب على صديق له فرأى تحته غلاما وفوقه آخر فقال له ما حذا فقال اللذة المشاعة ✽ حكى ✽ صاحب النوادر ان احر أة من الموالي جلست فوق محمل وهو ناشم على قفاه وادخلت ذكره في فرجها ثم ان رجلا آخر علا هذا وأدخل ذكره في دبرها فصار لهما بينهما انخفاض وارتفاع وغير ذلك نوى تارة تلقم شمتها لهذا وتارة تلقم شمتها لهذا هو تنهنها وتارة تلتفت وتلقم شمتها لهذا هو تنهنها واستمرت على هذا الحال الى ان تم لعمل شمتها ما سألت من ذلك فقالت هذا الكلام العافي وايصال اللذة المتخالي والعود الى وذيل لما يون لم يزمت هذا الغلام قال ان في ابره خمسة أشياء من العرض الطويل والمديد والبسيط والوافر والكامل وقيل لما يون ان ابنك به اينة فقال المفتاح لا يخرج من بين شيبة وقيل لما يون في شهر رمضان هذا شهر كساه فقال آبق الله اليهود والنصارى وقال بعضهم

رأيت تحت عميد بان برهزه ✽ فقلت ترضى بذا قحبت من رجل
وكيف يعلو عبد السوء قال نعم ✽ في اسوة بانحطاط الشمس من زحل

(وقال آخر)

رأيت أبيض لون تحت أسوده ✽ والوجه منه يضاهي الشمس في الحمل
فقلت هذا عجيب قال لا عجب ✽ في اسوة بانحطاط الشمس من زحل

(وقال آخر)

يقول له المعشوق وهو يلوطه ✽ اما لك تحيني بعبد الك تنام
فقال وهل في العيش للناس لذة ✽ اذا لم يكن فرق الكرام كرام

(وقال آخر)

بلادكم شهر قوا صاحبكم ✽ وقرواعمه عشرة من الابل
شاهر بوا عليه وعليها ✽ القداح فان خرجت
القداح على صاحبكم ✽ فزيدوا في الابل ثم اضربوا
بينهما حتى يرضى ربكم فاذا ✽ خرجت على الابل فاذبحوها
فقد رضي ربكم وفدى ✽ صاحبكم فرجع القوم الى
مكة وقربوا عبد الله وقربوا ✽ عشرة من الابل وقام
عبد المطلب يدعو ✽ فخرجت القداح على ولده
عبد الله فلم يزل يزيد عشرا ✽ عشرا حتى بلغت الابل
مائة فخرجت القداح على ✽ الابل فنحرت وتركت
لا يصد عنها انسان ولا طائر ✽ ولا ضيم وفي الخبر أنه صلى
الله عليه وسلم قال أنا ابن ✽ الذبيحين والذبيحان عبد الله
واسمعيل بن ابراهيم عليهما ✽ السلام وقيل اسحق
وأما أمه صلى الله عليه

ولم أنس حلفانكه وهو واسع * طويل عمر بض المشكبين نتيف
فقال لخمي الازر يقعد هونا * فقال اد خلوا خلف السكرام يضيف

وقد سمعت ان شخصا من ذوى الاعراض ابتلى بمرض الابنة تفشى ان يشاع عنه ذلك فيهتن عند الناس فصنع له خشبة مثل الذكر وكان اذا تفرغ عليه المرض خلا بنفسه فى بستان له داخل داره ويصنع طلق أبو ايه وخوفا أن يطلع عليه أحد ويفتح لنفسه الخشبة ان يغيب عن وجوده ولما يفرق بتضرع الى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والابتهال فى ازالة هذا المرض وكان يعتريه فى كل شهر مايزيد على أربع مرات وكان مدة ابتلائه بهذا المرض مصفر اللون متغير الوجه ثم انه غفل يوما عن قفل باب البستان وكان متزوجا بابنة عمه وكلما يدخل البستان ويغلقه يصعل لحاجته نظر ونظن انه تختل باحدفدا خلها مايدا خل النساء من الغيرة وكذلك ترصده عند دخول البستان رجاء أن تطلع على حاله فلم يتيسر لها ذلك فمضت يوما فوجدت باب البستان مفتوحا فدخلت فوجدت ابن عمها وهو ملقى على الارض منكب على وجهه مكشوف العورة وقد نزع الخشبة من دبره وهو مغشى عليه فنظرت الى دبره وقد خرج منه دودة حامرقان وهى تنفتف حول حلقة دبره على ماخرج من العفونات فأنزعت الدودة من دبره فوجدتم الصواقير وهو لايشعر بهم انهاوصلت حتى قطنة بداخل علبة صغيرة فلما أفاق تضرع الى الله تعالى على معافاته من هذا المرض ثم مضى عليه ثلاثة شهور ولم يعتره شئ فحمد الله على ذلك وعمل مولدا فقالت له ابنة عمه ماسبب هذا المولد فقال لها كان اعتراني مرض وأزاله الله فضحكت فقال لها ماسبب هذا الضحك فلم تبده لها فلم يزل يلح عليها حتى أبدته له بالخبر وجاءت له بالعلبة التى بها الدودة وأخرجت من القطنة فنظر اليها وقال جزاك الله خيرا فيما فعلت وأحسن اليها فهان من ذلك عليه بلاء وقال بعض الحكماء الابنة مرض ونزل الله به الجبابرة هو احتكاك فى المسربة من داخل يورث ألما فلا يزيد على صاحبها الا بحسك الذكر وتطهر المنى وقد ذكر العارف بالله تعالى الشيخ عبد الوهاب الشعرانى فى مختصره لتذكرة لسويدى يؤخذ الماء الذى تغمر فيه السمك المملوح ويحقن به صاحب الابنة عشرين يوما كل يوم مرة فانه يذهب وكذلك يؤخذ الشعر الذى على الفخذ الايمن من الضبع الذكر والانثى ويحرق ويدهن به رماد صاحب الابنة يبرأ باذن الله تعالى وذكر الامام الاكمل جمال الدين محمد فى رسالته الشهابية فى علم الطب أن هذا المرض قد يعترض لمن اعتاد بالمواظبة واتيان النساء فى الدبر ويكون منيه كثيرا قليل الحركة وقلبه ضعيفا واذا تشاءر قليلا العلاج الضرب والحبس والاستتابة وايقاعه فى جوم ونحوم ربما كانت ران يستفرغ البالغ بمثل الفارياقون وتسقيم الحنظل وان شرب كل يوم وزن درهم من البسفايج نفعه وكذلك من السورنجان وذكروا ان أكل قلب الديك مشويا ينفعه وكذلك الحمام واذا أكل من ورق الآس وزن درهم نفعه وكذلك أكل الثوم والمواظبة عليه بالصابون أو بعروق قمير الخطمى نفعه فسأل الله العفو والعافية من هذه البلية ورجعنا الى ماضر بصدده من أمر يزيد فانه أقام ثلاث سنوات وسبعة أشهر وتوفى فى ربيع الاخر ربيع الاول سنة أربع وستين وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدمشق

﴿ خلافة سيدنا عبد الله بن الزبير رضى الله عنه ﴾

هو أول مولود ولد بالمدينة المنورة بعد عشرين شهرا من الهجرة ربيع له بمكة سنة أربع وستين وخلع يزيد بن معاوية ولعنه وعابه بشرب الخمر ولعب الكلاب والعهود والغدرة عن الدين وكثرة القيء وقتل الحسين وخلوا لحزم الاقراف وبايعه كثير من الامصار وقد اختزنا السكون عما وقع لسيدنا عبد الله بن الزبير فان واقعته مستفيضة والله يحكم بين العباد وروى المهلبى فى كلامه عن غزوة أحد فى حديث مسند انه لما وله عبد الله بن الزبير نظر اليه النبى صلى الله عليه وسلم وقال هو وأبوه الجنة فلما سمعت بذلك أمهما أسكت عن ارضاعه فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم ارضعيه ولو بما هو كبش بين ذئاب وذئاب عليها ثياب ليعلم ان البيت أو ليقتلن دونه فقام تسع سنين وقتل فى خلافة عبد الملك بن مروان

وسلم فهى آمنة بنت وهب ابن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشية (رضى الله عنها) صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة فى رجب أمر الله تعالى رضوان خازن الجنان أن يفتح الفردوس وناذى منادى فى السموات والارض ان النور المخزون المكنون الذى يكون منه الهادى الامين المأمون فى هذه الليلة يستقر فى بطن أمه الذى يتم فيه خلقه ويخرج للناس بشيرا ونذيرا تهلك حمله وظهرت فيه العجائب وقدموم الاثنين ثامن عشر ربيع الاول عام الفيل فى عهد كسرى أنوشروان وقد مضى من ملكه اثنتان وأربعون سنة وأقام فى مكة سبعة أربع سنين وتوفى أبو عبد الله قبل وضعه بشهرين وتوفيت أمه وهو ابن ست سنين

على يد عامله الحجاج الثقفي في سادس جمادى الآخرة بمكة سنة ثلاث وسبعين

﴿خلافة معاوية بن يزيد المكنى بابي ليلى﴾

كان رجلا صالحا صعد المنبر وشهد أن عليا رضي الله عنه كان أحق بالخلافة من جده وان الحسين رضي الله عنه كان أولى بها من أبيه ثم جلس ولم يلا وخطب خطبة بليغة تشتمل على الثناء على الله والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختفته العبرة فبكى طويلا ثم قال صرت أنا الثالث والساخط على أكثر من الراضي وما كنت لأتعمل آثامكم ولا يراني الله جئت قدرته متقلدا أوزاركم وأثقاله بتبعاتكم فشأنكم وأمركم فمن رضيته منكم ولوه خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام فأقام خليفة أربعين يوما ولما احتضر قال لوالي المدينة فقال ما دمت حيا وأنا متجرع مرارتها فتوفي بعد أربعين يوما وكان عمره ثلاثا وعشرين سنة

﴿خلافة مروان بن الحكم﴾

ولما قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بثمان سنين وحي بينه وبين ثانيه ابن الزبير بخمار بة على المدينة المنورة يوميه له بالشام ستة أيام وستين وملكه بمصر والشام حكى أن معاوية كتب الى ما ملفه قتل عثمان وكان مروان اذ ذاك بالمدينة المنورة اذا قرأت كتابي هذا فكن كالهدلا يصاد الا بغلة ولا ساور الا من حبلة وكالثعلب لا يغلب الا رفثا ولا خف نفسك عنهم اخفاء الثعلب عند طمس الاكف وابحث عن أخبارهم بحث الدجاجة عن حبة الدخن عند نقاعهم الحازم في الحرب خير من ألف فارس لان الفارس يقتل عشرة أو عشرين والحازم يقتل مائة حيا كبيرا وقال قلما رأيت التركيز في القائد في الحرب أن يكون فيه شيء من أخلاق البهائم والطيور كصباحة الديك وقلب الاسد وحملة الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلاب على الجراحة وحاسة الكركي وحذر الغراب وغارة الذئب وقيل الحزم أبلغ من النجدة وأقام مروان عشر شهور وكان سنه ستا وثمانين سنة وقتلته زوجته بأن وضعت على وجهه مخدة تحتها وسادة فمات وخلف أحد عشر ولدا

﴿خلافة عبد الملك بن مروان﴾

وبويع له يوم مات أبوه قبل قتل عبد الله بن الزبير وكان من دهاة العالم وأحزمهم رأيا حتى قيل كل الدهر لعبد الملك الامر وان لقائد الرأي والارشاد في هذا الشعب البلاد له في أول أمره واستيلاء القائمين على غالب ملكه حتى على مقر ملكه دمشق وانتظامها بعد ذلك في أتم حال ودخولها بعد الخروج في أحرز زمانه وأعظم ملك لكن كانت له في بداية أمره وجاف في سيرجهوره (حكى) في سراج الملوك ان عبد الملك بن مروان أرق ليلة فأسهد في معبر احدثه فكان فيما حدثه ان قال له يا أمير المؤمنين انه كان بالموصل يوما ويا لبصرة يوما فخطبت يوما الموصل لا بنابنت يوما البصرة فقالت يوما البصرة لا أفعل الا أن تجعل في صداقها مائة ضيعة فتراب فقالت يوما الموصل لا أقدر على ذلك الآن ولكن ان دام والية سلمه الله تعالى سنة واحدة صيرت لك ذلك فسبط عبد الملك وجلس للظلام وأنصف الناس بعضهم من بعض وتفقد أمور الولاة وما نقل من كتاب معاوية الظرفاء ان ملكا الروم أرسل الى عبد الملك يطلب منه علما من علمائهم يسئله عن مسائل فأرسل له الشعبي فلما وصل الرسول الى الروم سأله عن أشياء منها أن قال له بلغنا ان الملائكة يسجدون الليل والنهار لا يفترون أيخلق مخلوق لا يفعل فقال الشعبي مثلهم كمثل النفير يصعد وينزل وأنت تشكلم وتأكل وتشرب قال صدقت نقال له بلغنا أن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون كيف ذلك قال نعم كالجنين في بطن أمه يأكل ويشرب ولو تغوط داخل البشيمة لاحترق قال صدقت قال وبلغنا أن نعيم الجنة لا ينقص بالانفاق كيف ذلك قال نعم كالسراج تقتبس منه جميع المصابيح ولا ينقص

وكفله جده عبد المطلب الى أن توفي وهو ابن ثمان سنين وكفله عمه أبو طالب وخرج معه الى الشام وهو ابن ثنتي عشرة سنة ثم خرج في تجارة لخديجة وهو ابن خمس وعشرين سنة وتزوجها وهي ابنة أربعين سنة وبنت قريش الكعبة ورضيت بحكمه في وضع الحجر الاسود وهو ابن خمس وثلاثين سنة وبعث وهو ابن أربعين سنة وتوفي أبو طالب وهو ابن تسع وأربعين وثمانية أشهر وأحد عشر يوما وتوفيت خديجة بعده بأيام بثلاثة أيام وخرج الى الطائف بعد هذا بثلاثة أشهر وعمره زيد بن حارثة فأقام شهرا ثم رجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي فما مكث له خمسون سنة وقد عليه من نصيبين وأسلموا ومكث له احدى وخمسون سنة أمرى به والله اعلم

فوره قال صدقت فأنعم عليه وكتب الى الخليفة معه عجبت منكم كيف لا تعجلون رسولكم خليفة فلما قرأ عبد الملك بن مروان ما كتب ملك الروم قال يا شعبي انظر ما قال عدنك قال يا أمير المؤمنين ما رأيت ولو رآك لاستهزء فرمى ما استحقر وما استعظم فقال لقد درك كم عطاؤك قال ألفين ثم سكت الملك لحظة وقال كم عطاؤك قال ألفان قال له لقلت أولا ألفين وقلت لملك أمير المؤمنين نابعة في الجن ثم لما أعرب نابعة في الاعراب ولا يحسن ان أعرب وقلت لامير المؤمنين فأعجبه ذلك وقال المؤاخاة جوهر الحرّ فقال الشعبي هذا يخو ولا ينفق فأمر له بثلاثين ألف درهم وثياب فاخرة فاخذها وانصرف • روى أبو العز أحمد بن عبيد الله المصلي فيما قرأ على أستاذه وقال ارعني أنبأ فلان عن فلان عن أبي حاتم العتبي قال لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة جمع ولده وفيهم مسلمة وكان سيدهم فقال أوصيكم بتقوى الله فانها عصمة باقية وجنة واقية وهي أحصن كهف وأزين حلية وابنعطف الكبير منكم على الصغير وليعرف الصغير منكم حق الكبير مع سلامة الصدور والاخذ بجميل الامور وايا كم والفرقة والخلاف فيهما هلاك الاولون وذل ذو والعز المطلوبون انظروا مسلمة فانه سيد وان رأيته نائبا فكن له نائبا كالذي منه تعبر وبحكمه كالذي به تستجيزون واحكموا الحجاج فانه والملك المنابر وثبت لسلك الملك وكونوا في أمره وزواده الادب بينكم كالعقارب وكونوا في الحرب أحرارا وللمعروف منارا واختاروا في المشورة ولينوا في الشدة توفعوا الانتاج عند ذوي الاحساب والاباء فانه أصون لاحسابكم واشكر لما يسدى اليهم ثم أقبل على ابنه الوليد فقال لا أظنك الا ستصير خليفة وتعين حتفين الامة ولسكن شمر وأنذر والبس جلد غرود لي في حفرتي وخلني ونداني وعليك برشأنك ثم ادع النمار الى البيعة فمن قال هكذا فاقتل بالسيف هكذا ثم أرسل الى عبد الله بن يزيد بن معاوية وخالد بن أسيد فاقتلهما على تدبرات لم يعتد اليكما الا نعم اغتربنا آثارا عافية الله يا ملك قال لا ولكن حضر من الامر ما تبان فهل في أنفسكما من بيعة الوليد قالا لا والله ما فينا أحد أحق بها منه بعدك يا أمير المؤمنين قال أولى لكما أما والله لو قلتما غير ذلك لضربت عنقكما ثم رفع رأسه فاذا السيف مشهور ثم قال مسلمة ايا كم والهياج بانكم ان سلمتم سلم الناس وان قدمتم كان الفساد أسرع وأنشد

لقد أفسد الموت الحياة وقد أتى • على شيخه يوم على عصيب
فان تمكن الايام أحسن مرة • الى فقده عادت لهن ذنوب
أتى بعد حلو العيش منهن مرة • فكرت على آثارهن كروب

فقال سليمان مات والله أمير المؤمنين وكانت مدة تصرف عبد الملك بن مروان احدى وعشرين سنة ومات سنة ست وثمانين وسنه ستون سنة وعما يحكى ان ملكا من ملوك النصارى أرسل راهبا من علماء ملته يناظر علماء المسلمين وكان أبو حنيفة اذذاك صغيرا فلما جاء الراهب الى علماء المسلمين واجتمع في المسجد الجامع رق المنبر ليسألهم عن مسائل فقام أبو حنيفة من بين العلماء وقال للراهب أتسأل أنت أم مسؤل فقال سائل فقال انزل مكانك الارض ومكاني المنبر فصعد أبو حنيفة المنبر وقال سل ما شئت قال الراهب ما تقول الله قال أبو حنيفة هل تعدون الهدد قال نعم قال ما تقول الواحد قال لا شيء قبله قال اذا كان الواحد الفاني لا شيء قبله فالله سبحانه وتعالى لا شيء قبله ثم قال في أي جهة يكون وجه الله قال اذا أوقدت السراج فبأي جهة يكون وجهه قال ذاك نور به علا البيت وليس له جهة قال اذا كان النور الزائل الحادث لا جهة له فوجه ربي جل وعلا من غير الجهة والمكان قال بما يذاب استقل الله قال اذا كان عالم موحد مثلي رفعه واذا كان كفر مثلك وضعه كل يوم هو في شأن فخرس الراهب وقوجه تخزيا روى عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى كل يوم هو في شأن قال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما

البلاء من المشركين على المسلمين استأذنوني في الهجرة فقال قد أريت دار هجرتكم وهي أرض سبخة ذات نخل بين لابتين ثم مكث بعد ذلك أياما وخرج الى أصحابه وهو مسرور وقال قد أخبرت بدار هجرتكم ألا وهي يثرب فمن أراد منكم الخروج فليخرج فسار القوم يتجهزون ويرتحلون الى المدينة ولم يبق بمكة الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعلي رضي الله عنه ثم خرج صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الى الغار ومنه الى المدينة وكان خروجه من مكة يوم الاثنين وقدومه المدينة يوم الاثنين هلال ربيع الاول وقام بمكة علي رضي الله عنه بعده خمس عشرة ليلة وأدى ما عنده صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام ثم أدركه بقباء يوم الاثنين ثم أسس مسجد قباء وهو المسجد الذي أسس على التقوى ثم خرج من قباء

ويضع آخرين ذكر البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى كل يوم هو في شان يبعث أشخاصا ويعيد أحوالا على ما سبق به قضاؤه وجرى به القلم ورد لقول اليهود ان الله لا يقضي يوم السبت شيأ ﴿ثم﴾ ولد الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان رضي الله عنه سنة ثمانين من الهجرة ومات ببغداد سنة خمسين ومائة فعمره سبعون سنة وولد الامام مالك بن أنس رضي الله عنه سنة أربع وتسعين من الهجرة ودفن بالمدينة المنورة سنة تسع وسبعين ومائة فعمره خمس وثمانون سنة وولد الامام الشافعي رضي الله عنه سنة خمسين ومائة ودفن بمصر المحروسة سنة أربع ومائتين فعمره أربع وخمسون سنة وولد الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه سنة اربع وستين ومائة ودفن ببغداد سنة احدى وأربعين ومائتين فعمره سبع وسبعون سنة والله أعلم

يوم الجمعة حين ارتفع النهار فادركته الجمعة في بني سالم ابن عوف فصلاها بهن كان معه من المسلمين وركب راحلته متوجها الى المدينة فلما قدم على ناقته سار وا يسكون زمامها ويقولون يارسول الله هلم الى القوة والمنعة فيقول خلوا سبيلها فانها مأمورة فصارت تنظر يمينا وشمالا حتى أتت دار مالك بن النجار ثم سارت حتى نزلت على باب أبي أيوب الانصاري ثم سارت وبركت في مبركها الاول وألقت بلطن منقارها وسوتت من خبران تنفع فاها نزل عنها صلى الله عليه وسلم وقال هذا المنزل ان شاء الله واحتمل أبو أيوب رحله وادخله بيته ومعه زيد ابن حارثة وقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر ثم بنى مسجده الشريف ثم أذن له في الجهاد فاول

﴿خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات أبوه سنة ست وثمانين بعهد من أبيه فلما تولى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال انا الله وانا اليه راجعون يا لها من مصيبة ما أعظمها وأجسمها وأفجعها وأوجعها وأمر المؤمنين ويا لها من نعمة ما أعظمها وأجسمها وأوجب الشكر لله على جميع خلقه التي صار بلغيها فكان اول من عزى نفسه وهنأها بالخلافة فلما بايعه الناس جلس مجلس أبيه عبد الملك وجمع اهل بيته ثم قال

انفروا الضعائن والحسائد منكم ● هذا المغيب وفي حضور المشهد
فصلاح ذات الدين طول بقائكم ● ان مد في عمري وان لم يمدد
فلئن فقدت هذا الذهر الف بينكم ● بتوصل وتراحم وتودد
حتى تاين قلوبكم وجلودكم ● لمسود فيكم وشر مسود

والوليد المذكور هو الذي عمر الجامع الذي بدمشق المعروف بجامع بني أمية (حدث) ابو ابراهيم بن هشام أنه قال حدثني أبي عن جدي قال قال عبد الملك بن مروان بن زياد بلغ بأبا زعمة قد طلبني الوليد بالدين وأظهر العشيمة كتبة فما أني هنا فلما اذن العشاء أظهر كآبة وعنده الوليد وسليمان فقال له روح ما هذه الكآبة يا أمير المؤمنين لا يسوءك الله ولا يريك مكروها قال ذكرت مالي عندي من حقوق هذه الامة والى أين يصير أمرها بعدي فقال روح بفرائك يا أمير المؤمنين فاين أنت من الوليد سيد شباب العرب فقال يا بأقرمة لا يشق أن أبي العرب الامن ينكلم بكلامها فقام الوليد ودخل منزله ورحم أصحاب الحمرة فاقام سنة أشهر مهمهم وخرج وهو أجهل بالخصوص ذكر شيخ الاسلام العلامة عمر الوردي في تاريخه ان جملة ما انفق على عمارة الجامع الذي عمره الوليد بدمشق مائة الف صندوق من الذهب وفي كل صندوق آربعة عشر الف دينار واجتمع في ترخيمه اثنا عشر الف مرخم ومع كل نوع من انواع الفصوص الحكمة والمرمر الصفة وقال ان العمودين الذين تحت القبة اشتراهما الوليد بالف وخمسمائة دينار ويقال ان رخام الجامع المذكور كان مجوبا ولما اذا وضع على النار ذاب وفي المحراب عمودان صغيران يقال انهما كانا في عرش بلقيس ومنارة الجامع الشرقية يقال ان عيسى عليه الصلاة والسلام ينزل عليها في آخر الزمان وعند هاجر يقال انه قطعة من الحجر الذي ضرب به موسى عليه الصلاة والسلام عصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا وذكر صاحب مراج الملوك قال خرج الوليد بن عبد الملك من باب الجامع الصغير فوجد رجلا عند الحائط قطعت أذنه الشرقية يا كل الطين بالتراب فوقف على رأسه وقال له ما شانك أيها الرجل حتى انفردت عن الناس فقال أحببت العزلة قال وما علتك على أكل الطين بالتراب قال في ذلك قصر فلما رجع الوليد الى منزله أحر بإحضاره فلما مثل بين يديه قال أصدقني بالحق والا ضربت عنقك فقال الرجل يا أمير المؤمنين كان أصلي رجلا جالا ومندي ثلاثة من الجمال أنقل عليها القمح والحبوب بطعامك الى بعض الايام فأتيت الى خربة بالشام فحصرني البول فقعدت لا بول فرأيت البول ينصب في شق فاتبعته حتى انكشف عن حفيرة كالمطمورة فنزلت فيها فرأيت فيها مالا يسكو بالفاضة واحمل

وأفرغت ما كان عليها من الغلال وملأت الركائب من ذلك المال وفطنت المكان الذي فيه الذهب كما كان فأقامت قليلا وجدت مهى مختلا فقلت ارجع الى ذلك المكان واملأها من الذهب ففعلت الى ذلك الموضع فخفي عني فرجعت الى الجمال فلم أجد ها في المكان الذي تركتها فيه فتأسفت على ذلك المال وآليت هل نفسي أن لا آكل الخبز الا بالتراب ورويت ان الجمال التي كانت عليها الذهب أتت الى بعض عمال الوليد وأناخت بها عليها فاحضرها الى الوليد وكان هذا سبب العمارة الجامع وقيل ان الوليد توهك فبلغه ان أحدا سليمان شمت فيه فكتب اليه يقول

تمنى رجال أن أموت فان أمت ● فتلك طريق لست فيها بأوحد
وقد علموا ولا ينفع العلم عندهم ● انى مت ما من شامت بمخلد
منيته تجري لوقت وحتفه ● سيلحقه يوما على غير موعد
فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ● تهيأ لأخرى مثلها فكأن قد

فكتب اليه فهمت ما كتبت يا امير المؤمنين فوالله ان كنت تحب ذلك فأميل لم يخطر لي نفسي الى لا ولا احدى به ومتى من أهل فسلام أتمنى زوال ملكك لا يطيب من تحذار لقد بلغ أمير المؤمنين سالم بن عبد الملك لساني وأمر بوسمي ومن يسمع من أهل الشمينية بوسمك ان يسمع في قفا الثياب ويقطع ذوي الارحام وكتب في آخره

ومن يتتبع جاهدا كل مذنب ● يجده ولم يسلم له الدهر صاحب

فكتب اليه الوليد فهمت كتابك وأنت الصادق في المقال الكامل الفعال فاشفع الى شبيه بك لأمن اعتذارك ولا أبعد منك من الشيء الذي قيل فيك والسلام (وحكي) ان شخصا بلغه عن شخص انه انتقصه وعابه فكتب اليه الحمد لله العالم الغيوب المتزعن النقائص والعيوب والصلاة على من يشفع في فصل القضا ويخالق الناس بأخلاق الرضا سيدنا من اذا قرأوا بالبسملة سنوا ومن شرعه ان جاء كم فاسق بنبأ فتبينوا وعلى من أوتي الرسالة لم يصدر على شيء الا كتبتم في هذا الجهالة اذ ليس من الانسانية ولا من المعقول ان يضطر بال حافل ماذ كرتم فضلا عن ان يقول وليس من عصابا الاذ كياء اعتقاد السوء بكلام الاشقياء وليس من شأن الكرام البالغة بالايذاء بمثل هذا الكلام ولكن التحمل وورث التجمل كما قيل

تحمل عظيم الذنب عن قصبه ● وان كنت مظلوما فقل انا الحالم

والله مطلع على القلوب علام النهاد والغيوب ولكن صبر جميل وحسبنا الله ونعم الوكيل وفي معنى ذلك قال أمير المؤمنين القائم بأمر الله

جمعت لدى من الغرام عجائب ● خلعن قلبي في أسى وتوحش
خل يصد وعاذل متنمص ● ومعاند يؤذي وغام يشي

(وقال ابن عطية)

لا تسمعن من المسود غيبة ● فكلامه ضرب من الهذيان
ان كان قد أوحى اليه تعرضا ● فالناس قد كذبوا على الرحمن
سل غيره عني لتعلم أنه ● وامخط عليه فيما لحال رماني
لا يثبت الحق المبين لحاكم ● في الشرع حتى ينطق الخصمان

ومن فكت صاحب الفريد الطيفة لا بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهي أنه كان له أخ اسمه أحمد وكانا متناوبان القضاء من جانب القاضي محمد بن القيب فمات نوبة الشيخ عمر وأحمد مستمر فكتب الشيخ عمر للقاضي محمد بن القيب

حلفني وأخي تباريح البلا ● وجعلتنا ضدين مختلفين

شرزاته هزرة الاواء خرج الى الجهاد بر بعير قريش ثم فزرة العشيرة بفتح العين ثم شين معجمة مفتوحة وهي أرض بني مدلج بناحية الينبع فسارت الى الشام ولم يدركها ولما رجع الى المدينة من العشيرة تلم بقية الاتسع ليال حتى سافر يريد بني سليم ولما وصل الى ماء من مياههم أقام عليه ثلاث ليال ثم رجع الى المدينة ولم يلق حربا وتسمى هذه بدرا الاولى ولما بلغه صلى الله عليه وسلم رجوع العير من الشام خرج اليها في ثلاثمائة وثلاثة عشر وخرج أبو سفيان من مكة في قريب من الالف وحصل القتال الشديد ونصر الله المسلمين وتسمى هذه بدرا الثانية وبدر القتائم ثم غزا صلى الله عليه وسلم بني قينقاع بفتح القاف وضم النون

يا حى عالم عصره وزمانه ● فلك التصرف فى دم الاخوين

﴿فكتب اليه جوابا﴾

أيا عمر استعفه لغير هذا ● فاحمد فيه بالولاية مطمئن
فان يك فيك معرفة وعدل ● فاحمد فيه معرفة ووزن

ثم ان الشيخ عمر بن الوردى راى منامًا أزعجه وهاله وهو انه قيل له على ولاية القضاء فلما أصبح جاء الى القاضى محمد بن النقيب وحلف أيمانا مغلظة انه ما بقى يلى القضاء مطلقا وأنشد يقول

خلعت ثوب القضاء هذا ● ولم أكن فيه بالظلوم
ان زال جاه القضاء عنى ● يكون لى الجاه بالعلوم

حدث عبد الصمد بن معقل قال قيل لوهب بن منبه يا أبا عبد الله كنت ترى الرؤيا فتحدث بها فما تلبث ان تراها كما رأيت قال هيهات ذهب ذلك عنى مذ وليت القضاء وانه تولى القضاء فى زمن عمر بن عبد العزيز وقال البهازهر

حبيبى ماهذا الجفا الذى أرى ● وأين التقاضى بيننا والتعاطف
اقد نقل الواشون عنى باطلا ● وملت لما قالوا فزادوا وأسرفوا
وقد كان قول الناس فى الناس قبلها ● فكذب يعقوب وصدق يوسف
وبيتك قل لى ما الذى قد صنعته ● فانك تدرى ما أقول وتعتسف
فان كان قولا صح انى قلته ● فالقول تأويل ولقولى مصرف
وحب أنه قول من الله منزل ● فقد بدل الشورا قوم وحرفوا
وهذا أنا والله وأنت جميعنا ● يكون لنا يوم عظيم ومووقف

وكان صلى الله عليه وسلم عاهدهم وعاهد بنى قريظة وبنى النضير أن لا يحاربوه ولا يظاهروا عليه عدوه فغدروا لما كانت وقعة بدر أظهروا العداوة والحسد فنبذ والعهد فقال لهم صلى الله عليه وسلم يا معشر اليهود احذروا ان ينزل بكم ما نزل بقريش من النقمة أى يبدر فلم يقبلوا وأظهروا الشدة فسار اليهم صلى الله عليه وسلم واعطى اللواء الابيض عمه حمزة بن عبد المطلب وقصدهم الى حصونهم فحاصرهم خمس عشرة ليلة أشد الحصار فقذف الله فى قلوبهم الرعب فسألوه صلى الله عليه وسلم ان يجلى سبيلهم ويخرجوا من المدينة بأولادهم وصبيانهم ويتركوا أموالهم فاجابهم وأخذ أموالهم فيما رأيا بعد من المدينة ونزلوا باذرعات قرية من الشام (ثم كانت

﴿خلافة سليمان بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات اخوه (قيل) دخل أبو حازم عليه بعد ما استخلف وكان أبو حازم من أهل الزهد فقال يا أبا حازم ما الذى كرهنا الموت قال لانكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم فتكرهون النقلة من العمران الى الخراب قال اخبرنى كيف القدوم على الله فقال يا امير المؤمنين أما المحسن فكالغائب الذى أتى الى أهله فرحا مسرورا وأما المسىء فكالعبد الآبق الذى أتى مولاه خائفا محزونا ثم شاء وجاء وشاء فبكى فبكى امير المؤمنين بكاء شديدا فقال رجل من جلسائه أسأت الى أمير المؤمنين فقال ابو حازم اسكت فان الله اخذ ميثاق العلماء ليبينن للناس العلم ولا يكتمونه ثم خرج فلما وصل الى منزله بعث اليه مالا فرده وقال للرسول قل له والله يا أمير المؤمنين انى لا أرضاك فكيف أرضاه لنفسى وأنشد فى المعنى

منازل تبناك شيدتها ● وأخربت دارك فى الآخره
فأصبحت ترغب فى ذى الخراب ● وتسرع عن هذه العامره
فلو كنت شيدت دار البقا ● ولم ترض بالصفقة الخاسره
لسارعت سرعة من قد نجا ● وصرت الى الصفرة الطاهره

ذكر صاحب السكردان انه فى أيام سليمان بن عبد الملك ورد كتاب من ابن هبيرة أن بحضارى وقت السحر سمع قعقعة عظيمة من السماء ورأى كأعصار القاصف أسقط منه الحوامل فنظروا فاذا قد انفرج من السماء فرجة عظيمة ونزل أشخاص رؤسهم فى السماء وأرجلهم فى الارض وقالوا بقول يا اهل الارض اعتبروا يا أهل السماء هذا صغير أمر الملك سمعى الله فعذبه فلما طلع النهار وجاء الناس الى ذلك الموضع فوجدوا خفا عظيما لا يدرك له قرار يصعد منه دخان أسود كل ذلك مثبوت على بقاضى بخارى بأربعين عدلا ٭ روى عن زكريا التميمى أنه قال بينما سليمان بن عبد الملك فى المسجد الحرام اذ اتى بحجر منقوش فأتى بوهب بن منبه فقرأه فاذا فيه يا ابن آدم لو انك رأيت قرب ما بقى من أجلك لزهدت فى طول أملك ولرغبت فى الزيادة فى عملك ولقصرت من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك بك اذا زلت بك قدمك وأسلمك أهلك وحشمك وبان منك الولد ورفضك الذيب والوالد فلا أنت الى دنياك عائد ولا فى حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة قبل الحسرة والندامة وذكر ان سليمان بن عبد الملك كان شرها فى أكله فلما حج فى سنة سبع وتسعين توجه الى الطائف تطلبا لبرطوبة فأتاه بعض العرب برمان من رمان الطائف فأكل منه ثمانية وسبعين رمانة ثم أتوه بزبيب فأكل منه سلتين ثم قال أطعمونى من خوخان الطائف فأتوه بأربعة وثمانين خوخة فأكل من كل خوخ بجميعه وكلبتيه حتى أتى على آخرها ثم قعد على البساط وأكل مع الناس على عادته وأقام فى الخلافة سنتين وثمانية أشهر وتوفى فى سرغ سنة تسع وتسعين وستة حتى وارى بعون سنة

﴿ خلافة سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ﴾

هو الاشج الذى ورد فى حقه الحديث الشريف الناقص والد اشج أعدل بنى أمية سبحانه من أنار فرسته فصار أبوه يسمع له الدم ويقول ان كنت أشج بنى أمية انك لسعيد فكان كذلك وكان اماما عادلا فقيها محدثا روى عن أجلة من العلماء وروى عنه أجلة يوم مات ابن عم سليمان (عما يضكى) ان المنصور قال لعمر بن هبيرة فطنى بما رأيت أو بما سمعت قال بل بما رأيت قال مات عمر بن عبد العزيز وخلف أحد عشر ابنا وبلغت تركته سبعة عشر دينارا كفن منها بخمسة دنانير واشترى موضعا لقبره بدينارين وأصاب كل واحد من أولاده ثمانية عشر قيراطا من دينار ومات هشام بن عبد الملك وخلف أحد عشر ابنا وأصاب كل واحد من أولاده ألف ألف دينار فرأيت رجلا من ولد عمر قد حمل فى يوم واحد على مائة فرس فى سبيل الله ورأيت رجلا من أولاد هشام على فارعة الطريق يسأل التصدق

رأيت صلاح المرء يصلح أهله ٭ ويعقبهم من بعده الصلاح
يعظم فى الدنيا لفضل صلاحه ٭ ويحفظ بعد الموت فى المال والولد

﴿ وفى المعنى أيضا ﴾

لاتجمعن تبقى بشاشته ٭ يبقى الاله ويفنى المال والولد
لم تغن عن هرمس يوما حزائنه ٭ والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ دانت الغوره له ٭ والانس والجن فى أحقابه ترد
أين الملوك التى كانت لعزتها ٭ من كل قطر اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود ولا كذب ٭ لابد من ورده يوما كما وردوا

وهذه الابيات من جملة أبيات لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن نصر بن كلاب بن مرة بن كعب بن مالك القرشى الاسدى وأول الابيات

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ٭ أنا النذير فلا يغرركم أحد
لاتعبدون الهاغير خالقكم ٭ فان هممتم فقولوا بيننا جحد

غزوة السويق) خامس ذى الحجة من السنة الثانية من الهجرة وذلك انه لما أصاب قريشا فى بدر ما أصابهم نذر أبو سفيان ان يغزو محمدا وأصحابه يخرج من مكة فى مائتى راكب حتى نزل قريبا من المدينة جعل يخنس بينها نحو ميسل وقطع جانبا من النخيل ولقى رجلين من الانصار فقتلهما وبلغ الخبر صلى الله عليه وسلم فخرج فى طلبه فهرب هو وأصحابه وصار وا يرمون السويق وهى قيود الشعير المحمص لخفتها فسمى السويق أخذه الصحابة ويحملونه زادهم فلذا سميت غزوة السويق (ثم كانت غزوة كرة كرة الكدرى) وهى ارض بها طير وفى الوانها حمرة كدرة وذلك انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان قوما من بنى سليم وقطعان يريدون الاغارة على المدينة فسار اليهم فى

سبحان ذى العرش سبحانا يعاده ٭ رب البرية فرد واحد صمد
سبحانه ثم سبحانا يعاده ٭ وقبل سبحه الجودى والجمد
مسخر كل من تحت السماء له ٭ لا ينبغى أن يرى له ولد
له ما فى السموات التى بعدت ٭ وما تحت الثرى وما فى الملك والولد

روى ان ورقة لما مرّ عبادة الاوثان وطلب الدين فى الآفاق وقرأ الكتب وكانت خديجة بنت خويلد تسأله عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لها ما أراه الا نبى هذه الامة الذى ينتظر به موسى وعيسى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا ورقة فانى رأيته فى ثياب بيض وروى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ان خديجة بنت خويلد طلقت بالنبى صلى الله عليه وسلم حتى أتت ورقة ابن نوفل وهو عم خديجة أخو أبيها وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرى فيكتب بالعبرية من الانجيل ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة أى عم اسمع من ابن أخيك قال ورقة يا ابن أخى ماذا ترى فأخبره صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال ورقة هذا الناموس الذى أنزل على موسى يا ليتنى فيها جذعا أكون حيا حين يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجى هم قال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به الا عودى وان يدركنى يومك أنصرك نصرا مؤزرا ثم لم ينشب ورقة ان توفى وروى عن هشام بن عروة عن أبيه ان خديجة بنت خويلد كانت تأتى ورقة وتخبره بما يظهر امر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ورقة ائن كان ما يقول حقا انه ليأتيه الناموس الاكبر ناموس عيسى الذى يخبر به أهل الكتاب وائن نطق وأنا حى لاينالن الله فيه بلاء حسنا وروى ان زيد بن عمرو وورقة بن نوفل ذهبا الى الشام يلتمسان الدين فأتيا راهب فسألاه فقال ان الذى تطلبان ليس بعد وهذا زمانه وانه نبى هذه الامة الذى يخرج من قبل تهامة فرجعا وروى عن جابر بن عبد الله انه قال سئل النبى صلى الله عليه وسلم عن أبى طالب هل تنفعه نبوتك قال نعم أخرجته من نجر تهمتهم الى فضاح فيها ومثل هن خديجة انها ماتت قبل الفرائض وأحكام القرآن فقال أبعرتها فى الجنة فى بيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب وسئل عن ورقة بن نوفل فقال أبصرته فى بطنان الجنة عليه السقرى وسئل عن زيد بن عمرو بن نفيل فقال يبعث امة وحده وقيل انه اوتعم شريح فى أيام خلافة عمر بن عبد العزيز وقع مع المطر برد عظيمة فانكسرت لخرج منها كاغد عليه مكتوب هذه براءة من الله العزيز الجبار لعمر بن عبد العزيز من النار هنيئا له وأقام سنتين وخمسة أشهر وتوفى فى رجب سنة احدى ومائة وسنه تسع وثلاثون سنة ودفن بدير سمعان بارض حمص وقبره بزاز

﴿خلافة يزيد بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات عمر بن عبد العزيز فقام أربعة أشهر وتوفى فى رجب سنتين وعشرين وتوفى بحبران فى شهر شعبان سنة خمس ومائة وسنه تسع وعشرون سنة ودفر بدمشق وكان عادلا مشهورا آخرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ونفس الجيش من أرزاقهم فمن الناقص وهو عمر بن عبد العزيز أعدلا بنى أمية والله أعلم

﴿خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان﴾

بويع له يوم مات أخوه وسنه خمس وثلاثون سنة قيل بيننا هو فى سيده ونصه اذ نظر الى ظبى تتبعه الكلاب وأمه الى سبى أعرابى يرعى غنما فقال هشام يا سبى دونك هذا الظبى فانه فاتنى فرفع رأسه اليه وقال له باجاهلا بقدر الاخيار لقد نظرت الى ياسمة صفار وكلتى باسمة فقار فكلامك كلام جبار وفعلك فعل حمار فقال له هشام ويلك أتعرفنى فقال قد عرفنى بلؤسواء أدبك اذ بدأتنى بكلامك قبل سلامك فقال له ويلك أناهشام بن عبد الملك فقال الاعرابى لاقرب الله دارك ولا حيا مرارك

ماتين من أصحابه فهربوا وأخذ ابلهم وكانت خمسمائة بعير مع رعاتهم منهم غلام يقال له يسار فأخذه صلى الله عليه وسلم واعتقه لانه رآه يصلى بعد أن اسلم وما قرب من المدينة خمسا فخص كل رجل بعيرين (ثم كانت غزوة احد) بكسر الهمزة وفتح الحاء المهملة وتشديد الزاى وذلك انه صلى الله عليه وسلم لقيه ان رجلا يقال له دهنور بضم الدال وسكون الهاء المهملتين ثم مثناة ثم راء الحرث الغطفانى من بنى محارب جمع جمعا من بنى ثعلبة وأراد الاغارة على المدينة فخرج اليهم صلى الله عليه وسلم فى أربعمائة وخمسين رجلا من اصحابه فلما سمعوا به هربوا فى رؤس الجبال (ثم كانت غزوة بحران) بفتح الباء الموحدة وبقال بضمها ثم

ما اكثر كلامك واقل كرامتك فما استتم كلامه حتى احدقت به الجند من كل جانب كل منهم يقول السلام عليك يا امير المؤمنين فقال هشام اقصر واهن هذا الكلام واحفظوا هذا الغلام فقبضوا عليه ورجع هشام الى قصره وجلس في مجلسه وقال على بالغلام فاتى به فلما رأى الغلام كثرة الحجاب والوزراء وابناء الدولة فيه يكثرن بهم ولم يسأل منهم بل جعل ذقنه على صدره ينظر حيث تقع قدماه الى ان وصل الى هشام فوقف بين يديه فمكس رأسه الى الارض وسكت عن السلام وامتنع من التكلام فقال له بعض الخدم يا كلب العرب ما منعك ان تسلم على أمير المؤمنين فالتفت اليه مغضبا وقال يا برذعة الحمار منعني من ذلك طول الطريق وتم زاد الرجعة والتوبيخ فقال هشام وقد ترايا به الغضب يا بني اقد حضرت في يوم خصر فيه أعداءك وخاب فيه أملك وانصر فيه بصرك فقال والله يا هشام لان لم يكن في المد تقصير وكان في الاجل تأخير لاضر في من كلامك لاقليل ولا كثير فقال له الحاجب بلغ من تحكك ان تخاطب أمير المؤمنين كلمة بكلمة فقال مهلا قالت الجدل ولا علك الويل والمحل اما سمعت ما قال الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها فعند ذلك قام هشام واعتلا هيفا شديدا وقال يا سياف على برأس هذا الغلام فقد اكثر الكلام به الا يخطر على الاوهام فاخذ الصبي وبركه في نطع الدم وسل سيف النقمة على رأسه وقال الباقي يا امير المؤمنين عبدك المذل بنفسه المتقلب في رسه اضرب عنقه وانا ارى من دونه قال نعم فاستأذن ثانيا فاذن له ثم استأذن ثالثا فهم هشام أن يأذن فقهقه الصبي حتى بدت نواجذه فزاد هشام تعجبا وقال يا سبي اتضحك معتوها ترى الذي فارقت الدنيا انت تضحك هزؤا بنفسك فقال يا امير المؤمنين لئن كان في العمر تأخير لاضر في من كلامك قليل ولا كثير ولكن ابيات حضرت الساعة فاحببت ان اقولها قبل ان اموت وان اكثرت العيون فقال هشام هات وأوجز فقال

نبئت ان البازلي مرة ✽ مصفور برساله المقدور
فتكلم العصفور في اظفاره ✽ والبازمنه مسك عليه يطير
ما في بأيقني لمثلك شبعة ✽ وانش اكلت فانني لجقير

فتبسم هشام وقال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا لفظ هذا الغلط في اول وقت من اوقاته وطلب ما دون الخلافة لاعطيته يا غلام احش فاجوارهرا حسن فاجازته ويحشى في الحال سبيل وهبا ناسب ذلك ما رفع الى الدين حملوبه فانه لما كان على بن طاهر آخر قواد المامون عند محاصرته بغداد فاحتاج الى مال يعرفه فكتب الى المامون يطلب منه مالا يعرفه فكتب الى خالد بن يعطيه ما يحتاج اليه فلما منع خالد من ذلك فلما آخذ على بن طاهر بغداد آخر خالدا وقال له لا قتلنك بشتم قتلة قبل له من المال شيأ كثيرا فهو يقبله فقال خالد قد قبل شيء فاعمله ثم شانك وما اردت فقال على بن طاهر هات وقال

نبئت ان البازلي مرة ✽ مصفور برساله المقدور

الى آخر الابيات المتقدم ذكرها وكان علي بن طاهر يحب الشعر فقال اخدمت وعفا عنه ومن احسن ما قيل في الاعتراف بالذنب وطلب العفو قول ابن زيدون في رسالته

ان لا يكن ذنب فعفوك واسع ✽ أوكان لي ذنب فعفك أوسع

(وقال أيضا) تلمست هل من شافع لي فلم أجد ✽ سوى رحمة أعطاكها الله تشفع
أثن حلت الاجرام مني وأفظعت ✽ لعفوك من جرمي أجل وأوسع

(وقال) لاشيء أعظم من ذنبي سوى أملي ✽ في حسن صنيعك عن جرمي ومن زللي
فان يكن ذا وذا في القدر قد عظما ✽ فأنت أعظم من ذنبي ومن أملي

وأقام هشام في الخلافة تسع عشرة سنة وتوفي بالرصافة سنة خمس وعشرين ومائة وكان وكاد الوليد

بعاه مهملة ساكنة في السنة الثالثة من الهجرة (ثم كانت غزوة احد) في السنة الثالثة أيضا وهو جبل على ثلاثة اميال من المدينة وسببها انه لما اصاب قريشا في بدر ما اصابهم وخلص ابو سفيان بالعير ووصل الى مكة مشى اشراف قريش الى من كان له تجارة في تلك العير التي كانت وقعة بدر بسببها وكانت تلك العير محبوسة في دار الندوة ثم تدفع الى ابي جهل فقالوا ان محمدا وتر كراي نفس عدد كرجال فقتل رجالا كثيرا ثم لم نأخذ وا بثارهم فاعينونا بهذا المال حتى نحاربه لعلنا ندرك منه ثارا لمن اصاب منا فطلبت نفوسهم على ان يجهزوا بربح ذلك العير جيشا الى محمد صلى الله عليه وسلم وكان رأس المال خمسين الف دينار وقد ربح كل

قد ختموا خزائن هشام وبيوت اموالهم فلم يوجد له كفن فكفنه خادم له وهكذا حال الدنيا

خلافة الوليد بن يزيد

بويع له بالخلافة يوم مات عمه هشام في يوم الاحد في عشر ليال خلون منه سنة خمس وعشرين ومائة وسنه اثنتان وأربعون سنة بعهد من أبيه وكان متعديا للحدود مستخفا بالقرآن والحديث وبحكي عنه انه في الخلاعة والمجون وسخافة الدين ونظم الشعر الركيك الضلالة وكفر ما يطول ذكره من ذلك ما ذكره المعافى بن زكريا ان الوليد نظر الى جارية نصرانية يقال لها سمراء حين بها وجعل يراسلها ويأبى عليه حتى بلغه ان عيد النصارى قد قرب وانها ستخرج فيه وكان في موضع العيد بستان حسن وكان النساء يدخلنه فصانع الوليد صاحب البستان أن يدخله لينظر النصرانية فوافقه وحضر الوليد وغير حلية وخرجت النصرانية البستان فجعلت تمشي حتى انتهت الى الوليد فقالت لصاحب البستان من هذا فقال رجل مصاب فجعلت تمازحه وتضاحكه حتى اشتغل من النظر اليها ومن حديثها فقال لصاحب البستان ويلك ندبر من ذلك الرجل فقالت لا تقل لها انه الوليد واتخذ غير حليته حتى ينظر اليك فكانت بعد ذلك أحرص على الاجتماع به وله معها مجالس مشهورة وأخبارها مسطورة وله فيها من الاشعار ما يجاوز حد العشق والغرام فمن ذلك قوله

أخي ثؤادك يا وليد عميدا ... صبا قد عيا الحسان صيودا
من حب وامقة العوارض طفلة ... برزت لنا تعو الكنيسة عيدا
مازلت أرمقها بعيني رامق ... حتى نصرت فما تقبل عودا
عود الصليب فويح نفسي من أرى ... منكم صليبا شكله معبودا
فأنت ربي أن أكن مكانه ... واكون في قلب الجحيم وقودا

قال الراوي لذلك ليبلغ مدرك الشيباني هذه الخلاعة انقال في عمر النصراني

يا ليتني كنت له صليبا ... لكنت منه أبدا قريبا
أبصر حسنا ثم أقم طيبا ... لا واشيا الخشى ولا رقيبا

فلما ظهر أمر الوليد وعلم الناس قال

لا جد أشقى وان قيل اتق ... وقعت بنصرانية تشرب الخمرا

وروى عن زينب بنت أم سلمة قالت دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم وعندنا غلام من آل المغيرة اسمه الوليد فقال من هذا يا أم سلمة قالت هذا الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اتخذتم الوليد حنانا فيوشك ان الوليد فانه سيكون في هذه الامة مرءون يقال له الوليد وعن سعيد بن المسيب هو بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال قلت لاختي أم سلمة تزوج النبي صلى الله عليه وسلم غلام فسموه الوليد فقال النبي صلى الله عليه وسلم سيجيء منه رجل يسمى الوليد هو أضر على هذه الامة من فرعون موسى على قومه ولما تعدى الوليد حده وحصر في قصره أراد استطلاق خواطر الجند المحاصرين له فلم يقبلوا اعتذاره بالجلس وأخذ سيفا وقال يوم كيوم عثمان ونشر المصحف يقرأ فيه وقتل في شهر جمادى الاولى سنة ست وعشرين ومائة وكانت مدة نصف سنة وشهرين وعشرين يوما

دينارا دينارا فكان الربح خمسين ألف دينار وخرجوا بها الى المدينة بنية صلى الله عليه وسلم وانزل الله تعالى على نبيه في ذلك ان الذين كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله الآية ورجع ابو سفيان من قريش ومن والاهم من قبائل العرب كتائب وتجمعت ثلاثة آلاف من القبائل والحلفاء وفيهم جابر بن مطعم بن عدي ووحشي قاتل حمزة وكان حبشيا وهند زوج أبي سفيان وأم حكيم بنت طارق وزوجها عكرمة رضي الله عنهم وهؤلاء اسلموا وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسيرهم وفيهم مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير وسمنا مائة درع ولبس صلى الله عليه وسلم درعين وهما ذات الفضول وفضة وتقلد سيفه ذا الفقار وأعطاه يا عليه

خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

بويع له يوم قتل ابن عمه الوليد فاقام خمسة اشهر وتوفي في سنة ست وعشرين ومائة وسنه أربعون سنة واقله أهل

﴿خلافة ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك﴾

بويع له يوم مات أخوه فى ذى الحجة وقام سبعين يوما وخلع نفسه فى سنة سبع وعشرين ومائة ومات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

﴿خلافة مروان المعروف بالحمار﴾

ومعنى بالحمار لان الذى يتولى بعده مضى قرن يقال له الحمار وقيل سمى هذا الاسم لصبره على الحرب وهو ابن مروان الاول بويع له يوم خلع ابراهيم فأقام ست سنين وشهرا الى ان قتل بناحية أبوصير من قرى مصر المعروسة فى ثالث شهر الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر خلفاء بنى أمية وبموته انقرضت دولة بنى أمية كما انقرض من قبلهم ان الدول وقد العز والبقاء

﴿الباب الثالث فى الدولة العباسية﴾

وكانوا بالعراق وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة تصرفهم فى العراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها سبعة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة ستين وتسعمائة وكانوا يفاتون بقاءهم فيها فيهم الى أن بسلوها للهدى آخر الزمان

﴿أولهم أبو العباس السفاح﴾

واسمه عبد الله بن محمد بن على ابن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس ابن عم النبى صلى الله عليه وسلم بويع له رابع عشر ربيع الاول سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأقام أربع سنوات وثمانية أشهر وستة أيام وتوفى بالجدرى فى المحرم سنة ست وثلاثين ومائة

﴿خلافة أبى جعفر المنصور﴾

بويع له يوم مات أخوه وستة ثلاث وستون سنة وهو الذى بنى بغداد سنة اربعين ومائة وقيل بها فى سنة ست وأربعين وفى سنة تسع وأربعين تم بناؤها وبغداد عبارة عن سبع محال لا تعتبر محلة منها الى غيرها وهى على شاطئ الدجلة فالاولى بالجانب الشرقى بالرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بأرباب الخلفة الحادى عشر والثانية منها أبو حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور فى الجانب الغربى وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف معبد خمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار الغز ويقال ان المنصور رسم راهبا كان فى صومعة من مكان ببغداد عندما أراد أن يختطها قال أرى بدان ابنى هذا مدينة فقال الحامى بها لملك يقال له أبو الدوانيق فضحك وقال أتاه ورأى وكان المنصور هو حلالته يعاسب على الدانق فسمى أبا الدوانيق وقد دوران أبا جعفر المنصور بن أربعة مدن على أربع طوالع لا يخربون أبدا الا بخراب الدنيا المدينة الاولى المنصورة وهى مدينة مطولها ميل فى ميل وبها خلق كثير وقيل ليس فيها الا النخل والقصب وهى مدينة حارة جدا والثانية المصبحة على بحر بين والثالثة بأرض الجزيرة والرابعة بغداذ كر الشيخ عمر الوردى فى خريدته ان بغداد فى الجانب الغربى على المحلة اتفق عليها المنصور أو ما الاعظمية وتقل أبواب واسط وركبها عليها وحملها مدينة مدورة وهو حمل دورها ثنتى عشر ألف قصبة وبنى بها قصرا عظيما وسط هاو بنى المهدى قصر المعاية فى الجهة الاخرى وبينهما مسافة المحلة بحصر من الشط وبقال ان حمامها تحصرت فى وقت من الاوقات فكانت ستين ألف حمام قال الظهرى فى تاريخه كان بها ستون ألف حمام كل حمام يحتاج على الاقل فى سنة أنفار ومثل ليلة العيد يحتاج كل نفر الى رطل صابون له ولاولاده وعياله فهذه ثلثمائة ألف وستون ألف رطل صابون والمشاع ان بغداد كانت مشحونة بالعلماء والفضلاء وأرباب الصنائع الظريفة النفيسة والآن خاليها خراب وقد تغيرت أوضاعها وخلت من العلماء والافاضل بقاعها وقد أخبرنى من أثق به من أفاضل الرجال انه توجه اليها ومكث بها مدة فلم يجد بها من يحرر المسائل العقيمة بل ولا فهم حاس غالب العلوم والله يفعل ما يشاء وذكر أنه لما نابت بغداد بالقاضى عبد الوهاب المالكى

فى الدين فاروى الاقدام مكرمة
والمرء يأمن فى لا يخصوص الغدر
(والجار الجار (المدينة) عرض
عليه اصحابه فردمنهم شبان
خمسة عشر وأما الباقى
الجماعان قتل من المسلمين
خلق كثير منهم جابر ابو
عبد الله فأخبر عنه النبى
صلى الله عليه وسلم ان الله
اوقفه بين يديه وقال له
سلنى اعطك فقال أسئلك
يارب ان أرد الى الدنيا
فأقتل فيك ثانيا فقال له عز
وجل انه سبق منى انهم
لا يرجعون الى الدنيا فقال
أى رب فابلغ من وراى
فأنزل الله تعالى ولا تحسبن
الذين قتلوا فى سبيل الله
أمواتا بل أحياء عند ربهم
يرزقون وكان قتادة يتقى
السهام بوجهه عن وجه
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاصابه سهم خرجت
منه حدقة فلما رآها صلى
الله عليه وسلم فى كفه دمعت

خرج منها طائفة لما صرفت عنه من اكابرها وفضلائها جماعة موفورة فقال لهم لما ودعهم لو وجدت بين ظهرانيكم كل غداة وعشية رشيقين ما فارقت بغداد فلم يكن فيهم من يتسائل له ذلك ومن شعره

بغداد دار لها من طيبة خلق ... وللمآلیس دار الضنك والضيق
أقمت فيها مضاما بين ساكنها ... كأنني صعد في بيت زنديق

(وفي المعنى)

يا راقدين الفرات ورجلة ... وعطشان يطلب شربة من ماء
ان البلاد كثيرة أنهارها ... ومصاب بغزير الانواء
ما ضاقت الدنيا ولا عدم السرى ... فيها ولا ضاقت على العلماء
أرض بارض والذي خلق الورى ... قد ضمن الارزاق في الاحياء

(وقال أيضا)

مالي لا أرغب من متمول ... يكثر فيه الدهر حسادي
ما الرزق في الكرخ مقيم ولا ... طوق الغلافي جيد بغداد

ذكر القاضي البيضاوي في تفسيره في سورة العرقان عند قوله تعالى يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا أي تركوه وصدوا عنه وعنه عليه الصلاة والسلام من تهلم القرآن وعاني مهجورا هذا وهو ظاهر بنظره يه جاء يوم القيامة معلقا به يقول يارب هذا المتخلف عني مهجورا أقول أن أهل بغداد وقفهم وجيههم وقلة مروآتهم من أهل مصر فانه ذكر ان القاضي عبد الوهاب المذكور لما قدم مصر تلقاه أكابر اهرفضلا وهابالبشر والبشارة والترحيب وأنزلوه في أحسن البيوت وأهدوا اليه الهدايا الوافرة والارزاق المتكاثرة صوارمنهم مزيرا لجزاهم الله تعالى خيرا على مروآتهم وقد شاهدنا ذلك في كثير من ورد عليهم من العلماء (وحكي) ان خالدا البابي البرمكي كان يكثر التردد على المنصور وكان المنصور يجله ويدنى مجلسه ويصغى لمحادثته فدخل عليه في بعض الايام وفي يده خاتم به فص من السموم القاتلة وأراد أن يجلس على عادته فرأى فصه مزاوره عظيمة من عجلة ومنعه من الجلوس فقال ما السبب يا أمير المؤمنين فقال له ادخل على يا سيد القائل فقال يا أمير المؤمنين جال في صدري شيء كان سببا لحمل الفص القتال وهو الذي خشيت من بعض الحدمة أن يدسوا عليك دسيسة من قبل فرعما كان فيها الهلاك والتشنيع فاذا حصل ذلك والعياذ بالله تعالى الحق الفص واستريح من التمثيل فاستحسن ذلك منه وأجلسه على عادته فلما سكن روعه قال يا أمير المؤمنين بالله عليك ماذا عرفت ان بي سما فقال له ان في مضدى ومبطه اذا دخل على أحد يسم يتحرك اليه فلم تجب فلما كان حاضرا وهذا من العجائب (وحكي) ان رجلا من أهل الشام قال للمنصور يا أمير المؤمنين من انتقم فاذا شفى غيظه ومن عفا فقد تفضل ومن أخذ حقه لم يجب شكره ولم يذكر فضله وكظم الغيظ حلم والنشفي طرف من العجز وقال زياد تأخير جزاء المحسن لؤم وتعجيل عقوبته دناءة والتثبت في العفو تمرعما أدى الى السلامة منها وتأخر الاحسان ربما أدى الى ندم لم يمكن صاحبه أن يتلافاه (وحكي) ان المنصور أمر وزيره أن يأتيه برجل لا يسأله عن شيء الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال فأتاه برجل وقال يا أمير المؤمنين هذا ما أردت فرفع منزلته وأدناه وجعله نصب عينيه فمكث عنده مدة لا يسأله عن شيء الا ويحسن الجواب ولا يبتدئه بسؤال فحظ عظيم عنده فأمر بوما وزيره ان يدفع اليه جائزة فأطاله وحدث بعد ذلك سفر للمنصور فخرج الرجل لوداعه فلما اذن له بالرجوع راحلة قال يا أمير المؤمنين هذه مدة أمرتني وأشار اليه جهة فاستدعى المنصور الوزير وقال ادفع اليه ما أمرت له به من الجائزة فدفع وقضى وقال يا أمير المؤمنين من أين علمت اني لم أدفع اليه فقال أشار الى قول الشاعر

يا راقدا ان الحكمة التي تغفل ... حذار العداه ولا تغفل
وارالة تفعل ما تقول وبعضهم ... ملقى الحديث بقول ما لا يفعل

(وحكي) ان الربيع بن الفضل قال كنت عند المنصور وعنده جماعة من أعمامه فقال لهم محمد بن مروان

هيناه وقال الهم في قتادة كما وفي وجه نبيك ثم ردها على الله عليه وسلم براحته الشريفة فكانت أحسن عينيه واحدهما بصرا وما رجع من غزوة احدوبات ليلة شاع في سبيعتها ان قريشا يريد بون الرجوع فانتدب لها الله عليه وسلم أصحابه للقتال وهي غزوة حمراء الاسد فأما جابه كل من كان بأحد راكثرهم جريح وتلقاه طلحة بن عبيد الله فقال أن سلاحك يا طلحة فقال قريب يارسول الله وذهب لسلاحه وكان به بضع وسبعون جراحة قال طلحة وأنا أهم بجراح رسول الله صلى الله عليه وسلم مني بجراحي قال يا طلحة أين ترى القوم قال قريبا قال أما انهم لا ينالون من نملك احتى يقتحم الله علينا نملة وتسلم الركن وسار حتى بلغ حمراء الاسد وهو مكان بينه وبين

فى معجمك فان أردت أن ترسل اليه وتسأله عن كلام جرى بيننا وبين ملك الروم فبعث اليه وقل عنه الحديث وقال حدثنى بكلام جرى بينك وبين ملك الروم فقال يا أمير المؤمنين كنا قوما ملوكا فلما انقضت بنا المدة أمرت بالمتاع فصير فى مركب لأحتمل بنا الى لوج شهر ثم صرت الى جزيرة النوبة فأمرت بالمضارب فضربت فأقبل أهل النوبة ينظرون الى متاعنا ويتعجبون من حسنه فأرسل ملك النوبة فإذا هو رجل طويل أسلع حاف عليه كساء وهو متوشح به ثم سلم وجلس على الارض ولم يجلس على بساطى فقلت له لم تركت الجلوس على بساطى فقال لانى ملك وحق لمن رفعنه الله أن يتواضع ثم صار ينظر فى وجهى وقال يا بنى العرب تطون الزرع بدوابكم وهو حرام عليكم فى كتابكم قلت عبيدنا فعلوا ذلك بالجهل فقال فما بالكم تشربون الخمر وهو حرام عليكم فى دينكم قلت عبيدنا واتباعنا فعلوا ذلك بالجهل منهم قال فما بالكم تلبسون الديباج وتتحلون بالذهب والفضة وهو حرام عليكم على لسان نبيكم قلت انا كنا قوما ملوكا فلما انقضت مدتنا استعنا باتباعنا وأتباعنا وخدمنا فى دنيانا كرهنا مخالفتهم ليس هذا بالدين مروان كانوا تقول الكلام عبيدنا واتباعنا وأتباعنا وخدمنا فى دنيانا كرهنا مخالفتهم عليهم ليس هذا بالدين مروان كانوا تقول واسكتهم قوم ملكتم فظلمتم وتركتم ما أمر تهم به فاذا شئتم الله وبأسكم ورفه فيكم لقد مننم تبلغ والى لاخشى ان يقول عليكم بلاء وانت ضيق فى فصيصين معك فارقبل عنى فلا زودت وارتحلت وأنشدت بقول

اذا ولیت فاحسن ما تلیه ✽ بعدلك فى الامارة بالعباد
وافضل مستشار كل وقت ✽ زمانك فانتصبى منه الاشارة

(حدث) يحيى بن عمار قال أنا بأحمد المنصور كان جالسا واضع على وجهه ذباب يحتى انجبر فقال انظر وامن بالباب فقالوا لقاتل بن سليمان فقال على به فلما دخل عليه قال له هل تعلم لماذا خلق الله الذباب قال نعم ليذل به الجبابرة فتبسم المنصور وفى شفاء الصدور وتاريخ ابن النجار مسندا أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يقوم على جماعة ذباب أما ذكرا فطبيعى فى الملائكة قال النبى صلعم يحرم فهد وفى سنة ثمان وخمسين وماءتين حزم على الحج أبو جعفر المنصور وكان يريد قتل سفيان الثورى رضى الله عنه فلما وصل الى بئر ميمونة بعث الى الحسن ابن زكاك فجاء ابن أرتج سفيان الثورى فاسلم وجاز الوقوف والخطب وكان سفيان الثورى جالسا بفناء الكعبة ورأسه فى حجر فصيل بن عياض وجلالة فى صدور الناس فجاء سفيان بن عيينة فقبل له يا أبا عبد الله قم واخلف ولا تشمت بنا لاعداء فتقدم الى استار الكعبة فأخذ هارقال برئت من هذه البنية ان دخلها أبو جعفر لما وجد الى مكانه فركب المصريحج بقربة ميمونة فلما كان بين الحجارين سقط عن فرسه فدقت عنقه فمات فى سابع ذى الحجة فى وقت الحج فحفر له ما تقدم ودفنوه فى آخرها ليعموا فيه من الناس ورائه قسم عبد سفيان فنظر والى عباد الله المخلصين وادلالهم على حناب رب العالمين وكيف حال أهل الدنيا المغرورين وكيف تضمحل عظمتهم فى سلطان السلاطين وما أحقر سلطنة المخلوقين من ماهمين مراه رعز والهم وسمر ورتهم بعبرة فاعتبروا ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار (قال الجبرتى) ان المتوكل وفى سالم بن حامد مشق وكان بها جماعة من العربعلم قوة ومنعة فقتلوا سالما فى يوم جمعة على باب دمشق فغضب المتوكل وقال من يكون فى صولة كصولة الحاج فقال افر يدون التركى أن أقلعها بأسهم المؤمنين فأمر بوجهزه الى بها فى سبعمة آلاف فارس واطلق له النهب وانتقل ثلاثة أيام فجاء ونزل فى بيت خاصة أصبح قال يا دمشق أى شئ يحل بك اليوم وقدم له بغلة ليركبها فلما وضع رجله فى الركاب ضربته بالروح فى صدره فسقط ميتا وقبره معروف شهير بها وذلك فى حدود الاربعين وماءتين وقال ابن يدون فى رسالته وقد تكون منية المتمنى فى أمنيته وروى الشيخ أمين الدين أبو البقاء مسلم بن محمود الشيرازى فى كتابه الفاصحة للغة الغاشمة ان يحيى العابد بهمروان قال كنت عند سفيان الثورى والتفت الى شيخ يقال حدث القوم بحديث الحية والعصا قال حدثنى عبد الجبار بن محمد بن حيران خرج الى متصيد فتمثلت بين يديه حية فقال أجرنى أجارك الله فى ظل يوم

المدينة ثمانية أميال ولما بلغ المشركين خبر خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم كبر عليهم ذلك ورجعوا الى مكة (وفى السنة الرابعة كانت غزوة بنى النضير) وهم قوم من اليهود بخيبر وسببها انه صلى الله عليه وسلم ذهب اليهم لحاجة عرضت له فقربهم من المدينة وكان معه من أصحابه جماعة دون العشرة فجلسوا بجانب جدار من بيوتهم فأرادوا الغدر به صلى الله عليه وسلم وان يصعد رجل الى الجدار ويلقى عليه حجرا فاخبره جبريل بذلك فقام وذهب الى المدينة وكان ذلك منهم نقضا لعهدهم فأرسل اليهم ان اخرجوا من بلدى لان بلدتهم كانت من أعمال المدينة فلم يخرجوا فتجهز اليهم وغزاهم (ثم كانت غزوة بدر الثانية) فى السنة الرابعة وسمى بدر الموعد

لان أبا سفيان نادى يوم أحد الموعد بيننا بيتكم بدر العام القابل فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه ألف وخمسمائة من أصحابه فأقاموا على بدر ثمانية أيام مدة الموسم وكان أبو سفيان قد خرج من مكة فى ألفين من قريش حتى نزل خارج مكة وقد تقاعس وهب من محمد صلى الله عليه وسلم الجميع قريشا وقال لهم انه لا يصلح هذا العام لقتال محمد فارجعوا فرجعوا وبلغ المسلمون ما كان معهم من التجارة وربحوا ربحا كثيرا وفيهم نزلت فانقلبوا بنعمة من الله وفضل الآية (ثم كانت غزوة دومة الجندل) أواخر السنة الرابعة الجندل بضم الدال المهملة بلدة قريبة من دمشق بالقصر الى جهة الجوف بينها وبين دمشق خمس مراحل وبينها وبين المدينة نحو خمسة عشر يوما سميت بدومة بنت مارية بن السكسك بن أشرس بن كندة وكانت تسكن هناك وقيل بل سميت بدومة بن اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقيل بل بناها دومة بن عنز بن وائل وقيل بل بناها دومة بن اسماعيل بن عبد الملك بن مروان وقيل بل بناها دومة بن عبد الملك بن مرثد بن سعد بن هذيم وقيل بل بناها دومة بن اسماعيل بن عبد الملك بن مروان وقيل بل بناها دومة بن اسماعيل

احتسب أمير المؤمنين وبه استعين على تقليد أمور المسلمين ونزل فبايع الناس وقد جمع أبو دلامة الشاعر بين تهنئة وتعزية فقال

هنيئا واحدة تترى مسرورة ● بامرها جذلى وأخرى تذرف
تبكى وتضحك تارة وبسرورها ● ما انكرت وبسرها ما تعرف
فبسوءها موت الخليفة مفرعا ● وبسرها أن اقام هذا يخلف
ما ان رأيت كما رأيت ولا ارى ● شعرا اصرعه وآخر انتف
هذا حباء الله فضل خلافة ● ولذا جنات النعيم تزخرف

كان المهدى يقول اد خلوا على العلماء والقضاة وأحضروهم هندى فلم يكن من حضورهم الارد المظالم حياء منهم لكان خيرا كثيرا ومكث فى الخلافة عشر سنة وتوفى فى المحرم سنة تسع

(خلافة موسى الهادى بن المهدى)

ويسمى له يوم مات أبوه وكان سنه أربعة وعشرين بعهد من والده وأخذ له البيعة شقيقه هرون الرشيد

● ذكر صاحب السكردان الهادى كان يوما فى بستان يتفرج على حمار ولا سلاح معه وبعد خرجه جماعة من خواصه وأهل بيته فدخل عليه حاجبه وأخبره أن بالباب بعض الخوارج له بأس ومكايد وقد ظفر به بعض القواد فأمر الهادى بادخاله فدخل عليه بين رجلين قد قبضا على يديه فلما بصر الخارجى الهادى جذب يديه من الرجلين واختطف سيف أحدهما وقصد الهادى فنفر كل من كان حوله وبقى وحده وهو ثابت على حماره حتى اذا دنا منه الخارجى وهم ان يعلوه بالسيف أو ما الى وراء الحمار جرى وأوهمه ان ضلا ما وراءه وقال يا غلام اضرب عنقه فظن الخارجى ان غلاما وراءه فالتفت الخارجى فنزل الهادى مسرعا عن حماره وقبض على عنق الخارجى وذبحه بالسيف الذى كان معه ثم أعاد الى ظهر حماره من فوره واتبع الهادى ينظرون اليه ويتعجبون عليه وقد ملئوا من عجبه حياء ورعبا فما تهم ولا خاطبهم فى ذلك بكلمة ولم يفارق السلاح بعد ذلك اليوم ولم يركب الا حواد امن الخيل فانظروا الى همة هذا الرجل فى ثياب جارية الملوك فانه قل من يفعل ذلك وهذه مرتبة لم يصل اليها أحد الا نادرا (حكى) من هيبة الحق تعالى انه قال هارون لما بلغه ان الهادى من المهيبة انه كان مغرما بجارية تسمى فادرا وكانت من أحسن النساء وجها وأطيبهن غناء اشتراها بعشرة آلاف دينار فبينما هو يشرب مع ندمائه اذ فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب فقيل له مالك يا أمير المؤمنين قال وقع فى قلبى الى أموت وان أخى هرون بلى الخلافة ويتزوج فادر افاصفر لونى فتوفى من ساعته ثم رجع عن ذلك وأمر باحضاره وحكى له ما خطر بباله فجعل هرون يترفق به فى ذلك فقال لا أرضى حتى تحلف بكل ما أحلفك به اذا مت لا تتزوج بها فرضى بذلك وحلف أيمانا مغلظة ودخل الى الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك فلبثت بعد ذلك سوى شهر ومات ولى الخلافة هرون الرشيد فطلب الجارية فقال يا أمير المؤمنين كيف تصنع فى الايمان فقال قد كفرت عنك وعنى فتزوج بها ووقعت فى قلبه موقعا عظيما وافتتن بها أعظم من أخيه الهادى حتى كانت تسكر وتنام فى حجره ملا يتحرك ولا ينقلب فيشمها هى فى بعض الليالى وهى فى حجره فلثمه فاذا بها انتبهت فزعة تمرهوبة فقال لها مالك فقالت رأيت أخاك الهادى الساعة فى النوم فانشدنى فى هذه الابيات

أخلفت عهدى بعدما ● جاورت سكان المقابر
ونسيتنى وحنثت فى ● ايمانك الزور الفواجر
ونكحت فادرة أخى ● صدق الذى سماك غادر
لا يهنئك الالف الجديد ولا تدر عنك الدوائر
ولحقتنى قبل الصبا ● ح وصرت حيث قدرت صائر

الاموال وانهم يريدون أن يدوخوا هذه المدينة فقتلت صلى الله عليه وسلم لهم الناس وخرج فى ألف مقاتل فلما دنا منهم وبلغهم الخبر تفرقوا فهجم على ما شيتهم وأصاب أصحابه رجلا منهم فسألهم عنهم فقال هربوا فأعرض عليه الاسلام فأسلم ثم كانت هزيمة الخندق فى شوال المستقبل وهى يقال لها غزوة الاحزاب وكان كفار قريش ومن عاونهم من يهود بنى النضير وقيل قبل العرب المشركين عشرة آلاف ولما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم خبرهم شاور أصحابه فى أن يبرز لهم أو يكون فيها فأشار عليه سلمان الفارسى رضى الله عنه بالخندق وقال يا رسول الله انا كنا بأرض فارس اذا تخوفنا الخيل خندقنا عليهم فأشاروا بذلك وضربوا الخندق على المدينة وظهر

قالت ثم رفى عنى وكان الابيات مكتوبة فى قلبى ما نسيت منها كلمة فقال لها هذه أحلام الشيطان فقالت كلا والله يا أمير المؤمنين ثم اضطربت بين يديه وماتت فى تلك الساعة ولا تسأل عن هرون الرشيد ومالقى بعدها فمكثت مدة الهادى سنة وشهرا ونصفا وتوفى فى ربيع الاول سنة سبعين ومائة

﴿خلافة هرون الرشيد﴾

بويع له يوم مات الهادى وسنه ثمانى وأربعون سنة ومولده بارى لما كان أبوه المهدى أميرا عليها وكان فصيحا بليغا أديبا كثير العبادة وكان يحج عاما ويغزو عاما وقد يجمع بينهما وكان يصلى فى خلافته فى كل يوم مائة ركعة لا يتركها الا لعلة وكان يتصدق فى كل يوم بالف درهم ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الاسلام وبلغه عن بشر المريسى انه كان يقول بخلق القرآن فقال لئن ظفرت به لاضربن عنقه وكان يأتى نعشه الى بيت الفضيل بن عياض ويعظمه وكان قاضيه الامام أبو يوسف وكان يحبه كثيرا ويمتثل أمره وكانت أيام الرشيد أيام خير وله اخبار فى الهيو والمذات مشهورة (فائدة) ولد الامام أبو يوسف سنة خمس وتسعين وتوفى سنة مائة واثنتين وثمانين وله ثمان وستون سنة رحمه الله تعالى (ومما يحكى عن هرون الرشيد) انه قال يوما لجلسائه من أرغد الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لهم كان لاعواد المنبر فيه سكفا فى ان لقمة تجام البر بها فمزه وان أهنى الناس عيشا رجل له دار يسكنها وزوجة يأوى اليها فكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه فان من عرفنا وعرفناه أفسدنا عليه دينه ودنياه (وحكى) المسعودى فى شرح المقامات قال أخبرنا الفقيه أبو العز أحمد بن عبد الله البكرى فى كتابه بسنده عن أيوب الوزان قال قال الفضل دخلت على الرشيد وعنده طبق ورد وعنده جارية مليحة أديبة شاعرة فقد أهدت اليه فقال يا فضل قل فى هذا الورد شيأ شبهه فقلت

كأنه خد موموق يقبله ٭ قم الحبيب وقد أبدى به خجلا

فقالت الجارية كأنه لون خدى حين يدفعنى ٭ كف الرشيد لامر يوجب الفعلا

فقال هرون الرشيد قم يا فضل فأخرج فان هذه الماحنة هيجتنا فقلت والله يا أمير المؤمنين لا أقوم الا بجنابرة فالى كنت سيبقيام ابرلا قضى لحتى استلقى على قفاه وأمر لى بحقرة فاخذتها ثم انصرفت وأرخيت الستور دونى (وحكى) عن هرون الرشيد انه خرج هو وأبو يعقوب النديم وجعفر البرمكى وأبو نواس الاصمعى واذا بشيخ فى الصحراء متكئ على حماره فقال الرشيد لجعفر سل هذا الشيخ عن اين فقال له جعفر من اين جئت فقال من البصرة قال واين تريد قال بغداد قال ومن اقصى فيها قال ألتمس دواء لعينى فقال له هرون مازحه فقال له مغرا خافى ان أصمم منه ما اكره فقال يبقى على ليلة الامازحته فقال جعفر للشيخ ان وصفت لك دواء ينفعك ما الذى تكافئنى به فقال الله تعالى يكافئك بما هو خير من ذلك فقال اسمع هذا السر الذى لا أسمعه لاحد غيرك خذ ذلك ثلاث أواق من شحاع الشمس وثلاث أواق من زهرة القمر وثلاث أواق من حبوب الربح وثلاث أواق من نور السراج واجمع الجميع فى هون بلا قعر ودقهم ثلاثة شهر فاذا دققتهم اجمعهم فى شقفة مشقوفة واحملهم ثلاثة اشهر فى الربح ثم اجعلهم فى قمعة ساق جمل فتحذى واستعمل هذا الدواء فى كل يوم ثلثمائة مرة عند النوم وهو على ذلك ثلاثة أشهر فانك تعافى ان شاء الله تعالى فلما سمع الشيخ كلامه انبطح من حماره وضرط فى وجهه ضرطة منكرة وقال خذ هذه الضرطة مكافأتك فاذا استعملت هذا الدواء وهب الله لى العافية أخذت التجار بقتحذ لك فى حياتك خدمة يقلم الله بها عينيك فاذا مت وعجل الله بروحك الى النار مخمت وجهك بقرك وأحليها تلطم عليك وتقول لك يا مقبح الاذن يا قبيح لا والله الا ما أصنع فقلت قال فضحك الرشيد حتى استلقى على قفاه ورمى له بثلاثة آلاف درهم ﴿وقيل﴾ ان هرون الرشيد حصل له فى بعض الايام حال من الاحوال وضيق صدر فاخذ معه بعض الخدام وخرج يتفرج على العادة وكان شخص يقال له أبو الحسن ابن تاجر من التجار وكان والده صاحب أموال كثيرة وأملاك وعقارات وأقطاع وضياع فتوفى

فيها معجزات كثيرة منها ما رواه جابر رضى الله عنه قال اشتد علينا فى بعض الخندق كدية فشكونا ها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بالماء من ماء فتفل فيه ودعا بما شاء الله ثم صب ذلك الماء على تلك الكدية فانهالت حتى عادت كالكثيب لا تردّ فأساولا مقحر ولا حول المدينة مكثوا مدة ورأوا الله عليهم ريحا عاصفا فى ليال شديدة البرد فقطعت أطناب خيامهم وأكفأت قدورهم على أفواههاوتمم الله المسلمين وخذل الاحزاب (ثم كانت غزوة المصطلق) فى شعبان سنة ست من الهجرة وهم بطن من خزاعة وسببها انه صلى الله عليه وسلم بلغه ان الحرث بن ضرار سيد بنى المصطلق رضى الله عنه فانه أسلم جمع لحربه رسول الله صلى الله عليه وسلم من

والده وحاز جميع ماخلفه ثم انه كان فى كل يوم يخرج الى الجسر فاول رجل يمر عليه يدعوه الى الضيافة فمر عليه فى ذلك اليوم الرشيد فتعلق به وقال له ياسيدى هل لك فى طعام وشراب فاجابه الرشيد وقال انه امض بنا ولم يعلم الحسن من هو ضيفه وسارا الى ان وصلا منزل ابى الحسن فلما دخل الرشيد وجد به قاعة ان نظرت الى حيطانها رأيت العجب وان نظرت الى بحاريها رأيت شاذروانها مفضضا بالذهب فلما استقر به الجلوس استدعى ابو الحسن بجارية كانها اقضب بان فاخذت وعدها وانشأت تقول

يامقيما ٭ مدة الزمان بقلبى ٭ وبعيدا تمنحه ٭ من عيانى

أنت روحى اذ كنت لست أراها ٭ فهى أدنى الى من كل دانى

قال فلما سمع الرشيد من الجارية هذه الابيات قال لها أحسنت بارك الله فيك وأعجبه منطقها وتعجب من أبى الحسن وهزءته وقال له يا أبا الحسن هل من حاجة تروم قضاءها أو هل من شهوة تشتهيها فقال أبو الحسن ان يجوز انا سيدنا وله امام به وأربع مشايخ يجوزان المسجد صاحب وسبع رهم كلما سمعوا نغمة أوشيء من اللهو ينفرون اهل الوالى وينفرونى الفرائم ويكدرون عيشى وانا معهم فى عذاب فلو تمكنت منهم كنت اضرب كل واحد منهم ألف سوط واصلب صاحب الربع واسترتح من كثرة أذاهم فقال الرشيد بلغك الله مرادك ثم ان الرشيد خاطله ووضع قرص بنج فى قدح وناوله فلم يستقر فى جوفه حتى نام فى وقته فقام الرشيد الى الباب فوجد غلمانه ينتظرونه فامر الرشيد بحمل أبى الحسن على بغلة وسار الى دار الخلافة وهو سكران لا يفيق ولا يشعر بنفسه فلما استقر الرشيد بدار الخلافة استدعى بوزيره جعفر وعبد الله بن طاهر والى بغداد وبعض خدمه الخواص وقال لهم جميعا اذا كان غدا تحضرون ثم هذا الغلام وأشار الى أبى الحسن وهو جالس على سرير الملك أعطوه الطاعة وسلموا عليه بالخلافة وأى شيء أمر به فافعلوه ثم دخل بعد ذلك الى حواريه وأصحاب خدمته وان يخاطبوه بامير المؤمنين فلما أفاق أبو الحسن وجد نفسه جالسا على سرير الملك والوزراء والوالى والخدم واقفون وهم يقبلون الارض بين يديه فاحتار أبو الحسن فى أمره ورفع رأسه فى عجب وجعل يفتح عينه قليلا قليلا ويحمل بنفسه ثم يقول ايش هذا الامر الذى انا فيه ثم نرمم رأسه ونادى بعض الجوارى فاجابته لبيك يا أمير المؤمنين فقال لها ما اسمك قالت شجرة الدر فقال لها اقدمى فى أى مكان انا ومن هو انا فقالت أنت أمير المؤمنين جالسا فى قصرك على سرير الخلافة فقال لها فى حاوتى أمرى وقد خرج عقلى وما كان الا النائم ولكن ايش أقول فى ضيق البارحة وما أظنه الا الشيطان أو سحر العب هذه شاة تدخل جماعات الخلاء فقالت صدقت ما رضعتها فى كمى حتى لا تتوهج ثم أخرجها من كمه ورضعها فى رجله فلما فقى حاجته وخرج قذوه له خلعة سنية ونظر الى نفسه وهو جالس على السرير وقال كل ما انا فيه خيال ومحال من الجان فبينما هو كذلك اذ دخل عليه بعض المماليك وقال له يا أمير المؤمنين ان الحاجب بالباب يستأذن فى الدخول فقال أبو الحسن يدخل فدخل وقبل الارض بين يديه وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين فقام أبو الحسن ونزل عن السرير الى الارض فقال له الحاجب الله الله يا أمير المؤمنين ما تفعل ان الناس كلهم غلمانك وقعت نظرك وأمير المؤمنين لا يفيق له القيام الى أحد ثم قبل له ان جعفر البرمكى وعبد الله بن طاهر وكل المماليك يستأذنون فى الدخول فاذن لهم فدخلوا وقبلوا الارض بين يديه وجعل كل منهم يخاطبه يا امير المؤمنين ففرح بذلك ورد عليهم السلام ثم نادى الوالى فقال له يا أمير المؤمنين فقال له اذهب فى هذه الساعة الى الدرب الفلانى وأمسك صاحب الربع وامام المسجد والاربعة مشايخ واضرب كل واحد منهم ألف سوط فاذا فرغت من ذلك اكتب عليهم قسامة أنهم لا يسكنون فى الدرب بعد تجريسهم والمناداة عليهم هذا جزاء من يؤذى

قد عليه من قومه ومن العرب فأرسل صلى الله عليه وسلم رجلا من وفد عاد واخبره بذلك فغضب الناس لقتالهم وأرسل اليهم عرض عليهم الاسلام فأبوا وحاربوا فأسلموا فلما رأوا استقامتهم وكانت الابل ألفين والشياه ستة آلاف واستعمل عليهم مولاه شقران بضم الشين المعجمة وبعد حبشيا وامعه صالح وفى هذه الغزوة كانت قصة الافك ثم كانت غزوة الحديبية وما فيها من الصلح وكانت فى آخر سنة ست من الهجرة (ثم كانت غزوة خيبر وما فيها) وكانت سنة سبع من الهجرة ثم كانت غزوة عمرة القضاء وسرية مؤتة وفتح مكة وغزوة حنين فى شهر ذى القعدة من سنة سبع من الهجرة وقيل سنة ثمان ثم غزوة حنين وبه يقال

جاره ثم اصلب صاحب الربع وبالك ان تتوانون فيما امرتك به ثم ان ابا الحسن التفت الى الحاجب وبقية الخدم وقال لهم اصبروا ثم استدعى بطعام كثير فاكل منه وقال له انى جيعان وقد سمعى شيئا كلمة فقال سمعا وطاعة وأخذ بيده الى أن أدخله مجلس الطعام وقد وابن يديه ما قد ذهن الاطعمة الفاخرة وقام على رأسه عشر جوار تهد أبكار فالتفت الى جارية منهن وقال لها اسمعى فقالت قضيب البان فقال لها يا قضيب البان من أنا فقالت أنت يا أمير المؤمنين فقال تكذبين والله بالطبقة أنت تضربين على فقالت خفت الله يا أمير المؤمنين هذا قصر لنا والجوارى جوارك فقال فى نفسه ما هو كثير على الله عز وجل ثم ان الجوارى أخذن بيده الى مجلس الشراب فرأى شيأ لا يهل العقل وصار يقول فى نفسه لا شك ان هزلا من الجان ويكون هذا الذى أضافنى من ملوك الجان وصار أى لى مكافأ تو جزاء ما فعلته معه من الجميل الا ان أمر أهوانه يقولون يا أمير المؤمنين وهؤلاء كلهم من الجان فالذى نصبى منهم على خير فيبنه اهو يحدث فى نفسه واذا بجارية من تلك الجوارى ملأت له كاسا من الخمر فتناوله منها وشربه ثم ان الجوارى تكاثرن عليه بالشراب وطرحت له احداهن قرص نجم فى القدح فلما استقر فى جوفه وقع الى الارض وصار لا يبى ولا يفيق فعند ذلك أمر الرشيد بحمله الى منزله فحملوه ووضعوه على فراشه وهو لا يشعر بنفسه فلما أفاق من سكرته آخر الليل رأى نفسه فى الظلام فصاح يا قضيب البان يا قضيب البان فلم يجبه أحد فجعت أمه وهو ينادى بهذه الاسماء فقامت وأتت اليه وقالت له ايش جرى عليك يا ولدى وما الذى أصابك أنت محبوس فلما سمع كلام أمه قال لها من أنت يا عجوز أنصحى حتى نقابلى أمير المؤمنين بهذه الالفاظ فقالت له أنا أمك يا ولدى فقال لها تكذبين أنا أمير المؤمنين صاحب البلاد والحاكم على العباد فقالت له اسكت والا تروح وحدك وحملت ترقه وتغر أهليه وتقول يا ولدى كانك رأيت هذا فى المنام وهذا كله من وساوس الشيطان ثم قالت له أبشرك ببشارة تسرنى قال لها وما هى قالت ان الخليفة أمر بضرب الامام والمشايخ وصلب صاحب الربع وكتب عليهم قسامة لاجل أن يقروا على أحد فلما سمع ابو الحسن من أمه هذا الكلام زعق زعقة كاد أن يفارق الدنيا وقال انا لله وانا اليه راجعون أنا الذى أمرت بضرب المشايخ وصلب صاحب الربع وفهم وأنا أمير المؤمنين ثم نزل الى الزقاق فى الليل ونادى يا على سودته ثم ان الناس من كان له سكموكة أو علامة عليه بهذه الدار يبيع ظلامته وينظر فى سكموكته قال فانتبه كل من الزقاق وسكموكه الى ان طلع النهار وجروه وأدخلوه البيمارستان ورفعوه فى الحديد وصار كل يوم يعالجونه ويسقونه الادوية المكرية ويضربونه بالسياط ويحلقون رأسه ولحيته ثلاثة أيام بلياليها والله تعالى أعلم

فشكا اليها فقالت له يا ولدى خف الله فى نفسك لو كنت أمير المؤمنين ما كنت فى هذا الحال فلما سمع من والدته ذلك قال والله صدقت ما كنا الا كنت نائم فرأيت انهم حملونى خليفة وحملونى الى خدامى وجوارى فقالت له يا ولدى ان الشيطان يغفل عن كل أكثر من هذا قال صدقت وأنا استغفر الله مما جرى منى فاخرجوه من البيمارستان وأدخلوه الحمام فلما أصاب العافية صنع طعاما وجلس يأكل فلم يطب له وحده فقال يا أمام يطب لى عيش ولا أكل وحدى فقالت له ان كنت تريد تعمل ما تشاء فتخلا فرجوعك الى البيمارستان أقرب فلم يلتفت اليها وقام يمشى الى الجسر ينظر فيه فبينما هو جالس اذا بالرشيد قد جاء اليه فى صفة تاجر وكان من حين فارقه يأتى كل يوم الى الجسر فيجده فلما رآه أبو الحسن قال له أهلا وسهلا ومرحبا يا ملك الجن فقال له الرشيد ايش عملت معك فقال له أى شئ تفعل معى كثير ما فعلت يا أوسع الجان أكلت الضرب ودخلت البيمارستان وحملونى مجنونا كل ذلك منك حتى جئت بك الى منزلى وأطعمتنى خيارا مأكلى وبعد ذلك سلطت على شياطينك يا مولاى يلعبون بعقلى من المساء الى الصباح اذهب الى حال سبيلك فقال له الرشيد قد بلغت مقصودك من الامام والمشايخ وصاحب الربع قال نعم فقال له الرشيد لعلك يا تبالك ما يسر خاطرك أكثر من هذا فقال له ابو الحسن ايش مقصودك منى قال مقصودى أكون ضيفك فى هذه الليلة فقال ابو الحسن على شرط ان تحلف لى بالذى هو منقوش على خاتم سليمان بن داود

لها غزوة حوازن وغزوة أوطاس وما وقع فيها من اهلاء الله تعالى واظهار شوكة الاسلام ومن استشهد فيها من المسلمين (ثم كانت غزوة الطائف) سنة ثمان من الهجرة أيضا ثم عند منصرفه من الطائف قدم عليه كعب بن زهير تائبا مسلما حتى جلس بين يديه صلى الله عليه وسلم وانشد له قصيدته المشهورة وهى بانت سعاد فقلبى اليوم متبول وما رجع منها الى المدينة أتته وفود العرب وكانت تلك السنة تسمى سنة الوفود ودخل الناس فى دين الله أفواجا وقد استوفينا الكلام على ما يتعلق بالغزوات وغيرها فى كتابنا المواهب اللدنية فى خير البرية (وفى السنة العاشرة كانت حجة الوداع) وكان معه صلى الله عليه وسلم أربعون ألفا ويزيدون

عليهما السلام ما تقلى سفاريتك بالهبون بى فقال له الرشيد سمعا وطاعة فأخذه أبو الحسن الى منزله ثم ان أبا الحسن قدم الطعام الى الرشيد وأتباعه فأكلوا بحسب الكفاية فلما فرغوا من الاكل قدموا الشراب والمفرحات فشربوا الى ان رأى الرشيد فرصة فوضع قرص بنى فى قدح فلما قربه صار لا يرى فأمر الرشيد بحمل ابى الحسن الى دار الخلافة وأمرهم ان يرفعوه على سريره فلما أفاق أبو الحسن آخر الليل جعل ينادى يا اماه فأجابوه الجوارى لبيك يا أمير المؤمنين فلما سمع ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ادركونى فى هذه الليلة فأتاها الخبر من التى تقعست ثم انه جعل يطيل النظر فى الذين حوله ويقول هؤلاء كلهم من الجان فى صفة الآدميين أسرى الى الله ثم التفت الى مملوك بجانبه وقاله مضى فى أذلى لارى أتانام أم يقظان فقال له المملوك كيف أعصمك فى ذلك وأنت أمير المؤمنين فقال له اقعل ما آمرتك به والاضربت عنقك فعضه فى أذنه حتى أتى الثاب على الثاب فزعق زعقة عظيمة هذا والرشيد خلف الستارة من داخل تخدع فمكل من كان حاضرا معه انقلبوا من الفصل وهم يقولون للمملوك أنت مجنون تعض أذن الخليفة فقال لهم أبو الحسن ما كنى بالثعاب الجن ماجرى على أنتم ما كم ذئب الذئب لكيم كم لاذى حلفتم فكان الزمن وأخوكم فى صفة الآدميين وأنا أستعين عليكم فى هذه الليلة بآية الكرسى والاخلاص والمعوذتين ثم ان الرشيد خرج من وراء الستارة وقال أهلا وسهلا يا أبا الحسن فعند ذلك عرفه أبو الحسن فقبل الارض بين يديه ودعا له بدوام العز والبقاء ثم ان الرشيد أدبه خلعة سنية ودفع له ألف دينار برجعله من أعز ندمائه (وحكى) ان الاصمعى دخل يوما على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين كانت لى جارة فى ضيعة كذا فلقينى من كان يقتلنى قال وما هو قال بينما أنا فى وسط البيد اذ رأيت شيخا قد نفض على خدى فى وقلم أره فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا من شعراء الجن فقلت له وما تريد منى قال اريد منك ان تصف لى فى هذا الوقت ما أحببت الارض وما أحبها وما اضيقها وما أوسعها فقلت له أو أحسن ذلك وأنت فاعرض على خلقى فأطلقنى وأردت ان أعجزه فقلت له لا يحصل فى باعث على النظم الا بالحاجة العظيمة فقال أنا أطلب كثيرا فقلت الف دينار فقال اثبت مكانك فوقفت بصيرا واذا بصرة وقعت من الهواء فأخذتها ووضعتها فى كمى وقلت

من لم يكن بين اقوام يسرهم ✽ فكل اوقاته نقص وخسران
فأطيب الارض ما تنفى عبيره هوى ✽ مع الخياطع الاحباب ميدان
واخبث الارض ما لا نفس فيه اذى ✽ خضر الجنان مع الاعداء نيران

فقال الاعتراف انصاف لقد اعجبنى حسن يديم تك ولكن صف لى هذه الارض من اى الاراضى فقلت له ان لم تعرفنى الجائزة لم تقتلنى فهى اطيب الارض واوسعها وان قتلتنى واحرمتنى الجائزة فهى اخبث الارض واضيقها فضحك كالاعداء القاصف وارتعدت منه فقال لى ما بالك ارتعدت وقد انبسطت معك اليوم فقلت له اذا كان بسطك يرعبنى فكيف انقباضك فضحك اكثر من الاول وقال اذهب يا اصمعى يحق للمملوك ان يدلك من مجالسهم فقال الرشيد فى الصرة فاظهرتها فقال الرشيد هذه من خزائنى وعليها اختمى هذا من لصوص الجن فهان من تجاك منه (وحكى) عن الاصمعى انه قال ضل فى بعير ظهرت فى ظلبه فدخلت حلة عرب ورأيت جماعة يسطون نارا ويقربهم شيخ ملتف بقطعة عباءة وهو يرتعد ويقول

يا رب ان اليوم اصبح كلشيها ✽ وانت بحالى يا مهيمن تعلم
فان كنت يوما مدخلى لجهنم ✽ ففى مثل هذا اليوم طابت جهنم

فتعجبت من فصاحته فسلمت عليه وقلت لاى شئ يدخلك جهنم فقال اقلة صلاتى فقلت لم لا تصلى فأنشد يقول

اتطلب ربى ان اصلى عاريا ✽ وابكسو فيرى حلة البرد والحر
فوالله لا اصليه ما عشت عاريا ✽ عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر
ولا الصبح الا يوم ثمس دفيئة ✽ وان غيمت فالويل للظهر والعصر

بعد الهجيرة سواها ومات ابنه ابراهيم فيها وبعث عليا الى اليمن بكتاب يدعوهم الى الاسلام فأجابه منهم خلق كثير وأسلمت هذان جيعا فى يوم واحد فسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخلت سنة احدى عشرة فرض فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لما قدم المدينة أقام بها الى آخر صفر وابتداء المرض لليلتين بقيتا منه وقبض ضحى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الاول فى بيت عائشة ودفن ليلة الاربعاء وسط الليل وصلى عليه المسلمون ارسالا ولم يؤمهم أحد وغسله على والعباس والفضل وقثم واما مة وصالح مولاه وهو شقران ودفن فى حجرة عائشة التى مات فيها صلى الله عليه وسلم (وولى بعده أبو بكر) رضى الله

وان يكسني ربي قيصا وجبة ● اصلي له مهما اعيش من العمر

قال فتعجبت من فصاحته واعطيته قيصا وجبة وقلت له قم صل فلبسهما واستدبر القبلة يصلي بالارض فاعدت فقلت له اما تستحي ان تتمثل هذا فقال

اليك اعتذاري من صلاتي قاعدا ● على غير طهر موميا نحو قبلتي

فما لي لبرد الماء يارب طاقة ● ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي

ولكنني استغفرالله شائبا ● واقضيكها يارب في وقت سيفتي

فان انالم افعل فدونك فاحتكم ● بما شئت من ضعفي ومن تتف قحبتي

فتركته وانصرفت متعجبا (وحكى) عن ابي العتاهية انه قال بينما انا جالس في حبس الرشيد اذ دخل علينا رسول فوثبنا مذعورين وساءه فسلم وجلس ساعة لا ينطق فقلت اصلحك الله ان للمحبوسين استراحا الى الاخبار وتطلعا الى الحديث وقد دخلت علينا فلم تخبرنا بشئ من امرك فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للداخل دهشة فابسطوه بالانس ولم تبد ثوقي بالبسط والانس فقلت صدقت وقص كل واحد منا قصة ثم اخرجت سويقا كان عندي فاستفته فبينما هو يشرب اذ دخل علينا الاعوان فقالوا له قم فقد امر بقتلك فارتد ناروعا وكان الخذان طيب النفس حتى استتم شرب السويق ثم قال الحاضر موت يحيى بن عبدالله بن الحسن الذي يقول

اذا انا لم اقبل من الدهر كلما ● تكرهت منه طال حتى على الدهر

الى الله اشكوا لا الى الخلق كلهم ● وليس الى المخلوق شئ من الامر

فعودت نفسي الصبر حتى الفته ● واسلمني حسن العزاء الى الصبر

وصيرني يأسا من الناس راجيا ● لسرعة لطف الله من حيث لا ادري

واوسع صدري للذي كرهته الاذى ● وقد كنت احيانا يضيق به صدري

وقد يأس الانسان في بعض حاله ● وتأتيه لطف الله من حيث لا يدري

ثم يمر شهر مرعوب ولا مر هوب فلا يمر على له بعد ذلك خبر ثم اني لفيته بعد سنين بالموقف فتعرفت اليه وقلت له ماشأنك وخبرك بعد ما فارقتنا فقال لما دخلت على الرشيد امر عبد الملك بوجود السيف ونصب هيئاني وأمر بقتلي فمر أي شفعي تحمر كان فقال لم تمر ك شفتيك لا أم لك فقلت بداهة

عانيه مولاي فقال أخبرني به فقلت اللهم يا من لا يرد قضاؤه عن كل سلطان متسع ولا يدفع بلاؤه عن كل ذي مجد رفيع يا كاشف الهم عن المأسور الضعيف عند معضل الخطب ودافع الهم عن المضطر اللهيف عند تزايد الكرب أسألك بأجل الوسائل لديك واقرب الوصائل اليك محمد خاتم النبيين وآل بيته اجمعين اهل طه ويس صلى الله عليه وعليهم أجمعين أن تجعل لي من أمري هذا فرجا ومن مخنق مخرجا انك صنيع العطاء جزيل العطاء فعال لما تشاء قال فتغرغرت عيناالرشيد بالدموع ثم قال حلوا وثاقه وادفعوا اليه زاده وراحلته واخفروه بأهله فرجعت من فوري وهذا أوله (وقال) الجلال السيوطي في كتابه الاذري في الفرج بعد ان امر المؤمنين هرون الرشيد لما اشتد غضبه على الامام الشافعي رحمة الله عليه نادى وزيره ليلا وقال اذهب بنفسك الى محمد الرقمي فادخل عليه بغير اذن واتني به على غير رضا قال فذهبت اليه وقد تقدمت من امير المؤمنين هرون الرشيد قتله فدخلت عليه فقلت الرشيد يدعوك فقال لي من قبل هذا الوقت وبغير اذن قال بذلك أمرت فقام معي الى أن قربت من الدخول فوجه ته بصرك شفتيه لا أدري ما يقرأ فلما دخل على الرشيد هابه واجله وأكرمه وصرفه أحسن انصراف حتى هبته وقلت بالله عليك الا ما اخبرتني بما قلت عند دخولك فوالله ما جئتك الا وأنا أعرف موضع السيف من قفاك فقال الامام رضي الله عنه حدثني فلان عن فلان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اتاه أمر الاحزاب نزل جبريل فعلمه هذه الكلمات فكتبتها الوزير وحفظها وحلها وكان يتعوذ بها وهي هذه اللهم انت

هذا واسمه عبد الله بن أبي خداقة واسم أبي خداقة سعدان ابن هاصر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب التيمي القرشي يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في مرة بن كعب وأمه سلمى بنت صخر بن سعد بن تيم ابن مرة ماتت مسلمة قبل كان اسلم أبي بكر رضي الله عنه عبد الكعبة فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله ولقبه بعتيق لانه صلى الله عليه وسلم قال من أراد ان ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبي بكر وهو أول الرجال اسلاما شهد المشاهد كلها وكان مولده بمكة بعد الفيل بستتين وأربعة أشهر وأيام وكان أبيض اللون خفيف العارضين ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب هو وعمر بن الخطاب الى

غير انى فيك أعرف وأنت عيادى فيك اعوذ وأنت ملاذى فيك الوذ يامن ذلت له رقاب الجبابرة وتضعضعت اعناق الفراعنة أجرنى من خزيك وعذابك واحفظنى فى ليلى ونهارى وزوّجى وقرارى وظعنى واسفارى لالااله الاأنت سبحانك وبحمدك تنزيها لااله الاانت وتكريما لسبحات وجهك اكفنى شر عبادك واحفظنى فى صرعاتك حفظك وعنايتك واحدعلى بضر بالرحم الراحمين (وحكى) عن احمد بن الخطيب عن أبيه وكان من أجل الكتاب قال دخلت يوما على أمير كان يوم أضحى فرأيت عنده عجوزا فى الحطام رثة وهيأة نظر وبيان فقلت لى أبى سلم على خالتك فقلت ومن هذه قالت هذه عتابة أم جعفر بن يحيى فقلت لااله الاالله أصار بك الدهر الى ما أرى فقالت يابنى الحياة كانت الدنيا عارية فتجعها معيرها وحقها سلبها ملبسها فقلت ما أعجب ما قلت قالت يابنى لقد مر على أضحى مثل هذا اليوم وعلى رأسى أربعمائة وصيفة وقد ظننت معهذا ان ابنى حاق فى نعم صرت لكم اليوم أطلب جلدى شاتين أجعل أحدهما ثارا والآخر خارا فقلت ما أصعب ما رأيت فانشأت تقول

كل المصائب قد تمر على الفتى ● فتهون غير شماتة الاعداء
ان المصائب تنقضى أسبابها ● وشماتة الأعداء بالمرصاد

قلت لها ثم ماذا قالت الموت فقلت اوذقت الموت فانشأت تقول

لاتحسبن الموت موت البلا ● لكنما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا ● أشد من ذاك لذل السؤال

﴿ويلهمهم﴾ لاتظهرن لعادل أوعاذر ● حالى فى العراء والضراء
فلرحمة المتوجعين حرارة ● فى القلب مثل شماتة الاعداء

﴿ويلهمهم أيضا﴾

أعيالك اصغى فصرت معنفى ● ليت الذى عرف الجميل تحملا
مالى شكوت اليك نار جواهى ● لتكون مطفيها فكنت المشعلا

المصائب جمع مصيبة وهو ما يصيب الانسان من حوادث الدهر ونوازله والشماتة التشفى واليت الاول من جملة أبيات لها عبد الله بن محمد بن أبى عيينة يعاتب بها أحد اليمنيين منها

من مبلغ عنى الأمير رسالة ● محصورة عندى من الانشاد
كل المصائب قد تمر على الفتى ● فتهون غير شماتة الحساد
واظن لى منها لديك خيبة ● ستكون عند الزاد آخر زاد

مالى أرى أمرى لديك كأنه ● من فضله ودون الاجواد

قبل لأيوب عليه السلام اى شئ كان فى بلائك أشد عليك قال شماتة الأعداء وقال ابن أكثم لايفرح بشدة الانسان الا من لؤم أصله وعما يناسب ذلك ان على بن عبد الجبار قال لزوجته سعدة النساء بنت طوق لعبة من لعبها فأنفقت فى ولیمتها ثمانمائة ألف دينار فلما تحت على رأيتها تتعرض للسؤال بعد اعوام فرأها بعض الاغنياء فعرفها فقال لها أين ما كنت فيه قالت خانتنا الدنيا قال لها تشتهين الآن قالت مل يطعنى طعاما قال لها هل أكلت خبزى منه قالت فما صرفت أمرى فى منزله فما كانت شيأ فاعرفها بعشرة آلاف درهم فقال رد عليك مالك كان عندنا اكثر منه فما بقى وولت قالت

دع الدنيا لعاشقها ● صبيح من ذبالتها
ولا تنس على فضلتها ● فلا يغرك الخمسة
تصيبك من رزالتها

(وبالسند) ان جعفرا لما صلب نادى هرون الرشيد كل من تعاه أو رثاه فعل به كما فعل به فكف الناس عن ذلك ثم ان اعرابيا كان ببادية بعيدة وفى كل سنة يأتى بقصيدة لجعفر المذكور فيعطيه ألف دينار جائزة فيأخذها وينصرف ويستعين بها فى قيامه على قيام أوده الى آخر العام فلما جاء الاعرابى

سقيفة بنى ساعدة حين الانصار يتشاورون فى أمر الخلافة فوقع بينهم كلام كثير حتى قال بعض الانصار منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش وكثر اللغط وارتفعت الاصوات فقال عمر لابى بكر ابسط يدك فبسط يده فبايعه ثم بايعه المهاجرون ثم الانصار قال ابن أعجمى ولما كان اليوم الثانى من السقيفة صعد أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه المنبر فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال يا أيها الناس ان الله قد أبقى فيكم كتابه الذى هدى الله به رسوله فان اعتصمتم بما اعتصم الله لهما كان هداكم الله وان الله قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين اذهما فى الغار فقوموا فبايعوه فبايع

بالقصيدة وجد جعفرا صلوا بالجانا الى المحل الذى هو صلوب فيه فأناخ راحلته وبكى بكاء شديدا وحزن حزنا عظيما وانشد القصيدة ثم أخذه النوم فنام فرأى جعفرا فقال له أتعبت نفسك وجئت فرأيتنا على ما رأيت لكن توجه الى البصرة واسئل عن رجل اسمه كذا من خواجات البصرة وقل له جعفر يقرئك السلام ويقول لك بأمارة القولة اعطى ألف دينار فتوجه الاعرابى الى البصرة ووجد الخواجا فاجتمع به وبلغه ما قاله جعفر فبكى بكاء شديدا حتى كاد أن يفارق الدنيا ثم انه أكرم الاعرابى واحسن اليه وقال له اقم عندنا ثلاثة أيام مكرما وأعطاه ألفا وخمسمائة دنار وقال له هذه الألف المأمور بها واما الخمسمائة دينار كرامة منى اليك ولك فى كل سنة ألف دينار مادمت حيا فلما أخذها الاعرابى وأراد الانصراف قال للخواجا بالله عليك لما اخبرتنى عن أصل القولة قال له كنت فى ابتداء أمرى فقيرا حمالا أطوف بالقول الحمار أبيعه فى شوارع بغداد فخرجت فى يوم باردة مطر وابيض على بدنى ما يق البرد فمارأيت أشد من شدة البرد وتارة أقع فى ماء المطر وأنا فى حالة مكدر بة تقشعر منها الابدان وكان جعفر بمنزله فى مكان عال مشرف رهنده خواصه وحواشيه فوقع نظره على فرق لحالى وأرسل أخذنى عنده وقال لى بسم الله ما معك من القول على جماعتى فأخذت اكيل بمكيال كان معى فكيل من أخذ كيلة قول فلما هانها فرغ جميع ما كان معى ولم يبق معى شئ ومع الذهاب مبرة أخذه ثم قال لى هل بقى معك شئ من القول فقلت القفة فيها سوى ورقة واحدة فأخذها جعفر وقلبها صفحتين فأخذ نصفها وأعطى النصف الثانى لاحدى مخادميه وقال لها بكم تشترى نصف هذه الورقة فقالت بقدر هذه الصبرة قال جعفر وأنا أشترى النصف الثانى بقدر الصبرة مرتين فهبت وقبضت نصفها فى أمرى وقلت هذا شئ محال فقال جعفر خذ شئ فوك فتوقفت فأمر أحد خدامه أن يجمع المال جميعا ووضعه فى قفتى فأخذته وانصرفت ثم رحلت الى البصرة فاتجرت بما معى من المال فوسع الله على دنياى ولله الحمد والمنة فاذا أعطيتك فى كل سنة ألف دينار فهى من بعض احسانه فانظر الى مكارم أخلاق جعفر والثناء عليه حيا وميتا رحمه الله تعالى وأقام هارون الرشيد فى الخلافة ثلاثا وعشرين سنة وتسعة عشر يوما ولما جردت المنية سيف الحمام على رأس هرون ومزق ثياب رشد الرشيد رب المئون وخلعت عنه الخلافة والسلطان وغسلته معالما الموج بما الاحفان رأى منامه انه يوجب بطوس فلما وصل الى طوس غلب عليه التوهك فتيقن بالموت وبكى واختار لنفسه مدفنا وقال احفروا لى قبرى هذا المحل فحفروا له قبرا فقال قربونى الى شفير لحدها وفى قبة سألت هيربة وزادت حسرته وقال يا ابن آدم الى هذا تصير ولا بد من هذا المصير ما الذى بنى مالبه ؟ قالت بنى سلطانيه فمات وصلى عليه ابنه صالح والحد فى القبر المذكور لثلاث مضين من جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة

﴿ خلافة محمد الامين بن هرون الرشيد ﴾

وبويع له يوم مات والده وكان مائج الصورة أبيض اللون جميلا لكن كان سيئ التدبير ضعيف الرأى لا يصغى الى قول مشير ولما ولى الخلافة اتخذ لهو شعارا وتهرب الخمر جهارا وخلع العذار فى العذارى واشترى مقدمة المغنية عائة ألف دينار وأخذ جارية حبها ابراهيم بن المهدى بعشرين ألف دينار وعزل أخاه المؤتمن وخلع أخاه المأمون وكان والده هرون الرشيد عهد له ولاخيه بعهد فجعل والده عبد الله المأمون ولى عهد بعد الامين وولاه مما اشترط ان يأمر هو كتب بذلك صحيفة ووضعها بالكعبة المشرفة وقد عمل بعض الشعراء فى ذلك جملة قصائد من جملتها

أتته الخلافة منقادة ✽ اليه تجرر أذيالها
ولم تك تصلح الا له ✽ ولم يك يصلح الا لها
فلما تعاطاها فارتدى ✽ بها وتهنأ سربالها
أتاه بوادرها والتى ✽ تخاف فكان اهزالها
فلا ملكه زينها بعده ✽ ولا هو زانته فى حالها
ولا ليت شعرى ما عذره ✽ غداة يقال له قالها

وقلد الامر هرون وأنفه ✽ بنا أمينا ومأمونا ومؤتمنا

ثم ان الامين عزم على انتزاع العهد من أخيه عبد الله المأمون وكان اذ ذاك مقيما بخراسان فنصحه عن هذا الغدر حازم بن خزيمة فقال يا أمير المؤمنين الغدر شؤم والناكث مغلوب منكوب وجرت العادة بنصر

الناس أبا بكر صابغة علة بعد بيعة السقيفة الخاصة ثم تكلم أبو بكر على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (أما بعد) أيها الناس فانى قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينونى وان أسأت فقومونى الصدق أمانة والكذب خيانة والضعيف منكم قوى عندى حتى آخذ الحق منه والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله تعالى أطيعونى ما أطعت الله فاذا عصيت الله تعالى فلا طاعة لى عليكم قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله وسمى خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من فعل ذلك ثم ولى عمر عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام (وولى بعده عمر بن الخطاب) باستخلاف أبى بكر رضى الله عنه وهو أول من دعى أمير المؤمنين وأول من كتب التاريخ وأول من أشار على أبى بكر

المظلوم فابى الامين وتبسد كلامه وعمل برأيه السقيم وهم على ذلك أشد تصميم فكتب الى المأمون يستدعيه ويذكر له حاجة الى لقائه وانه يفاوضه فى أمر مهم عظيم تضيق عنه الكتب وأكد فى تعجيل القدوم عليه وكان للمأمون جواسيس يبعد اده فكتبوا اليه ان اخاك يريد تعويل الخلافة فعدل الى ولده موسى فاطم المأمون جواسه على ذلك فاشار واعليه بالثبات وانتظار الفرج والاعتذار الى أخيه عن التخلف فكتب اليه يعتذر بتشعب أهل خراسان وبين يتطاول اليها من ملوك الكفار فلم يقبل عذره وكتب اليه ثانيا يأمره بالقدوم عليه وخوفه مغبة التهاون فشاور أصحابه فشجعوا على رأيهم وهن مفارقة خراسان فكتب الى الامين يهونه بخراسان ان المأمون قد فطن لما يراد به وانه مع شم حاذم وان وزراءه قد أجمعوا على نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك واحر القيض على من فى بغداد من حشم المأمون وركائه واموالهم وارسل اخذ صحيفة البيعة من مكة المشرفة ومزقها ودعا الناس الى خلع المأمون من عهد الخلافة وتولية البيعة لابنه موسى وكان اذذاك طفلا فاجابه الناس الى ذلك وبايعوه وسمى موسى الناطق بالحق وقال ولم يكن موسى يومئذ ينطق بالحق ولا بالباطل واستكفل له على بن عيسى بن هامان وكان هذا اولى خراسان قبل هذا فاصطنع فى أهلها خلائل الصنائع وقلدا المعاوى فى أعناق الرجال وكان شأنه بخراسان عظيما فاجتمع اشتاره من فى أمر خراسان فضمن له ما يريده منها واخبره له لو بلغ خراسان لم يمتنع عليه منها اثنان فجهزه اليها واحسن جهازه ولاه على بلد يقدم عليها واعطاه أموالا جزيلة وجوز معه جهور جنوده وأصحبه بالسلاح والكراع ما شاء وأرسل معه جيشا عدته أربعون الفا فبلغ المأمون ذلك فاضطرب امره وعلم انه يعجزه عن مقاومته على بن عيسى فركب يوما فى منتزهه ليستمع بتواضعه ويشاور هم فى أمر فتعرض له شيخ مجوسى من الفرس فناداه مستغيثا شاب من ظلمه فلما انتظر اليه المأمون والى كبر سنه رق له وأمر بحمله على دابة الى الموضع الذى يقصده المأمون فلما استقر به الجلوس أمر بادخال الشيخ عليه فلما دخل عليه أمره بالجلوس فى ناحيته من المجلس ثم اقبل على خواصه وهزلهم بما رصل اليه من اخبار الامين وأمرهم بادارة كراسى فى دائرة كل واحد منهم يراى فقال بعضهم نعتقد ان الامين وثق بقدرة الله يده ولنظر نصر الله تعالى فيما بين ذلك وقال بعضهم نقصد بعض ممالك الكفار فنفتح تلك الجملة وتنصب عن رأيها وقال بعضهم نعجز عنك النزك على هذا القادر القاطع وما زالت الملوك تفعل هكذا مر كين المأمون الى ذلك ثم فكر وقال كيف أدعو الى الجهاد على حرب المسلمة من بيعلم قال وهو ماعنى فقام واقعدنى الشيخ الفارسى وقال له ما حاجتك فقال له بالعربية حدثت لحاجة فعرض لى ما هو أكد منها فقال المأمون وما هو فقال انى دخلت على أمير المؤمنين والناظر متصفه بالمحبة ثم ألقيت محبته فى قلبى وقد تظافرت على أيام الامين ثلاث قوى من الزقر وق الحسن وق الاصطناع وق الاتباع وان رأيت أن أقول ما عندى فعلت فقال له المأمون انى تعهدتك فاطرق المأمون فقال له الشيخ أيها الامير لا يصدنك عنى حقارة قدرى فانى برجلى من ولد البرجمين سيد ملوك الفرس والمتوسط بينها وبين أول الاوائل. (فائدة) قال الجبلى فى كتابه الاذكان الكامل وأما البراهمة فانهم يعبدون الله مطلقا لا من حيث نبى ولا من حيث رسول بل يقولون ما فى الوجود فهو الاوهو مخلوق لله فهم مقرون بوجود الله تعالى فى الوجود ولكنهم ينكرون الانبياء والرسل مطلقا فعبادتهم للحق من نوع عبادة الرسل قبل الانبياء وهم يزعمون انهم أولاد ابراهيم عليه السلام ويقولون ان عندهم كتابا كتبه ابراهيم عليه السلام من صحف شهران قولوا الله من عنده فيه ذكر الحقائق وهى خمسة أجزاء يبجلون قراءتهم لكل أحد الا الجزء الخامس لا يبجلونه لا الآحاد منهم وقد اشتهر بينهم ان من قرأ الجزء الخامس من كتابهم لا يدان يؤل أمره الى الاسلام فيدخل فى دين محمد صلى الله عليه وسلم وهذه الطائفة أكثر ما يوجدون ببلاد الهند ومن ناس منهم يفرون بزيهم انهم براهمة ليسوا منهم وهم مقرون بعبادة الاوثان فهم من عبدة الوثن ولا يعدون من هذه الطائفة عند هم فقال المأمون أيها الشيخ ان ذكرت من ملتك الى ملتنا الحقة ذكرك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من

يجمع القرآن فى المصحف وجمع الناس فى قيام شهر رمضان وما أسلم نزل جبريل وقال بالحمد استبشر أهل السماء باسلام عمر وبويع له بالخلافة بعد موت ابى بكر لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجيرة ولما دفن أبو بكر صعد المنبر فجلس دون مجلس أبى بكر ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم وخطب خطبة بليغة ذكر فيها فضائل كثيرة منها جريان النيل بكتابه الذى أرسله الى عمرو بن العاص لما افتتح مصر وكانت عادتهم أنه لا يجرى حتى يأتوا بجارية بكر يأخذونها من أبويها ويحلونها بالحلى والثياب ويلقونها فيه ففى تلك السنة أخبروا عمرو بن العاص بذلك فلم يرض بعادتهم وقال لا يكون هذا فى الاسلام

تفضى الى ذلك شدد ولا أفعله الآن ولعل الله يفعله فيما بعد فقال له المأمون قد سمعت كلام الوزراء فان كان عندك رأى فتكلم فقال كل منهم مجتهد فى الاصابة ولست أرضى شيأ مما ذهبوا اليه والى أحد فى الحكم التى أخذها آبائى عن آبائهم انه يدنى للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان يسلم نفسه بالتسليم لاحكام راعب العدل وقاسم الحظوظ ولا يضيع معه ذلك نفسه من الدفاع بحسب طاقته فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على القدر فقال له المأمون انه كان يقال لا رأى لكذوب وقد سمعت انصافك بالصدق والطمأنينة من غير امتحان وما ذاك الا لانك تختار اصابة الحزم ولكننا احببنا ان ننقلك خبرة حيتا بالمكاشفة الدالة على القبول وهل من نجيح انجح من هذا التوجه على بن عيسى لا يمكنه مقاومته لانه املك منا البلاد والاموال والرجال فقال الشيخ انى ان تحوجه هذا من نفسك بالطليق ان تعنى فى الطلق به فانه يقال ما كثر من كثره البغى ولا قوى من قوله الظلم ولا ملك من ملكه الغضب وقد رأينا احد ذلك حيث شاء حدوث مثله قلت له فقال المأمون هات فقال ان الخذنوذ ملك الجبال فلما أمر فيروز بن يزجهر ملك الفرس واراده الاطلاقه اخذ عليه عهدا انه لا يغزوه ولا يقصد بمكروه ثم حمل فى أقصى قلوص الجبال فلحق بخذنوذ وحالف فيروز انه لا يجاوز جابلبيض ولا يصيره كنجه لها حد اخر طاقه فرجع فيروز الى داره فلما استقر عزم على الغدر وان يغزو الخذنوذ والظفر وزراءه وخاصته على ذلك فحذروه الغدر وخوفوه عاقبة الغى فلم يزدده ذلك ولا زجره نذر كروه ايمانه وعهوده التى حلف بها الخذنوذ وانه لا يتعدى ذلك الصخرة فقال لهم انا عاهدته ان لا اتجاوزها وانا آمر جيشها على قبل بين يدى الجيش فلا يتجاوزها احد منهم فلما علموا ان الغدر الذى عزمت عليه لا مكان له امتنعوا عليه اجمعوا ان لا يرافدوه فى ذلك قال فجمع فيروز اخوته وهم اربعة عشر رجلا واحد منهم حسن القامة قاتلين وأمرهم بالتهيؤ بحرب الحيالطة فسار وابين يدى فيروز وهو فى جند وملا يظن لها الحرب وكان الخذنوذ يضعف عن مقاومة فيروز فرمى مرزبان من مرازبته فلما قربه حاقد ودينهم قاتله لا تقتل ابن الملك فان رب العالمين يمهل الملوك على الجور والظلم لأخذ الرعايا فاذا هدم اركان المدن فلا تتعرض لهم بشئ فلم يلتفت فيروز الى مقالتهم قال الشيخ فسار فيروز بجنوده حتى انتهى الى تلك الصخرة وحملها على قبل عظيم وسير ها بين يدى الجيش فما بعد يد ابرحتى أتاها الحيران بعض أسارى به فقتل وحلا تلك الرجاء اخرها فقتل ستة بثامن قاتل أخيه فلما رآه فيروز جال عظيم ليصالح من القتيل فقال له الآخر فى الابقتل قاتل أخى فاحم فيروز بطرده فطرده فجاء الى ذلك الاسوار فدل عليه ليقتله فلما رآه الاسوار فرسه هاربا وانتهى خبره الى فيروز فعجب كيف فرمته جاءه أفضل وزرائه وتزل عن دابته واخبره أنه محتاج الى الخلوة معه فخبر به قبة فى ذلك المكان وخلا وزيره فقال الوزير أيها الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعرفت عجز الملوك الماضية وقد ظهرت عناية الرب الاعلى لماضرب لك من المثل فى أمر هذا الاسوار العظيم الذى قتله ألوف من الجند فى حربه من بين يدى هذا المكان مع ضعفه وقوة ناصره وبأسك الا بقيه وتعديه فقال الملك انه لم يفر لعجزه عنه بل لخوفه منا وعقوبتنا فقال الوزير برهان قوله بهارمزى مبارزة الاسوار للمكين وقد رأى ذلك قد ما الاسوار وأمن المكين وقال له أرأيت لو أمرتك بمبارزة الاسوار فقتلته اترضى به فى دم أخيك وان قتلك ذهب دمك قد اقال نعم دعونى واياه فانه على قرس الفرار ولا يسوى درع التكبير فاقتل بسيف البغى وأنا على فرس البصيرة لا بأس درع التقتيل فقتل بسيف الحق فقال الوزير ان كلام هذا المكين أبلغ فى الموعظة والظفر ثم تقدم كل منهم الى صاحبه وليس مع المكين سوى خنجر فصبق سيف الاسوار الى المكين فأثر فيه أثرا يسيرا فقبض على الاسوار وجذبه اليه ورماه على الارض ومال عليه مفتحه بالخنجر فقال الوزير أيها الملك هذا مثل ضربه لك رب العالم فبات فقر ر زمكانه يدبر أمره فى رجوعه أو ذهابه ثم انه انقاد فوادر كان يقال الهوى كالنهار اذا استحكم انقاد هاسر اختلادها (فائدة) تعريف الهوى هو ميل النفس الى الشهوة حتى لا أر حوا مارقال بعض العلماء الهوى أنواع وهو شئ بحسنه النظر أو السمع فيخطر بالبال ثم

يتمو

والاجود ملاءمتها قبله فمكث الليل لا يخرج فحبر بؤنقر أيب ومصرى حتى هو أهل مصر بالرحيل منها فلما رأى مصر وبن العاص ذلك كتب الى حمرين الخطاب يخبره بذلك فكتب اليه بطاقة صغيرة وأمره ان يلقيها فى النيل فاخذها حمرو وقرأها فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين حمرين الخطاب الى نيل مصر أما بعد فان كنت تجرى من قبلك فلا تجرى وان كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسئل الله الواحد القهار أن يجريك فانا أرجو انك الطالقة فى النيل قبل الصليب بيوم واحد فلما أصبحوا يوم الصليب أجرى الله النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة واحدة وقطع الله تلك العادة السيئة عن أهل مصر وفى خلافته فتحت

يقوفيقوى فبصر بحمية قال الشيخ ولما بلغ الخفشوار قصد فيروزآباد فثبت في أمره ووكله الى الرأي الاعلى ثم ان فيروزآباد حرمة الخفشوار ورمى بلاده وأغار على أرضه وسباه شره على رعيته وما وصل الى مقعد الخفشوا نزل اليه واستعان عليه بالرأي الاعلى فانكسر فير وزمنهزما فاستولى الخفشوار على جميع أمواله ورجاله فغنم الاموال وقتل الرجال وجد في طلب فيروز وحثى تظفره وأمر أهل بيته وحاشيته بملكه فلما سمع المأمون كلام الشيخ مر بذلك وقال ان كل سرور يهاد هو ذلك اليه من الامان والتوحيد صادقت مقالتك قبولا فقال أما الآن فانهم أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فأكرمه المأمون وخلع عليه وأرسل المأمون ظاهر بن الحسين الى علي بن عيسى فحال خروجه أخذ في كره اهم فيما على الضعفاء فيها وأسبل كمه فتبددت الدراهم فتطير من ذلك فقال شاعره

هذا تبدد شمله لاعسيره ● وذهابه فيما ذهاب الهم

سيرجع الهم نصف حزنه ● لاخير في امسا كه في الكم

فتفاءل بذلك وخرج لقتال علي بن عيسى ومعه أربعة آلاف فقاتلوهم فانهزم علي بن عيسى وقتل وفتح وتشتت عساكره وما ظاهر برأس علي بن عيسى الى المأمون كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ففوى قلب المأمون وكثر اتباعه وجمع الجموع وسار الى بغداد فقال أخيه الامين لا تزال المأمون يحسن تدبيره ويضعف أمرا الامين الى ان حوصر الامين في بغداد وتفرقت جنوده وهو يرى الى المأمون قال محمد بن زياد فحدثني ابراهيم بن المهدي انه كان مع الامين لما حوصر قال طلبني الامين في ليلة مقمرة فقال ما ترى في حسن هذه الليلة وصوء هذا القمر فقلت اضرب بهي بيدا فقلت نعم ثم سقاني وطلب جارية تغنيه اسمها ضعف فطرب منها وشاهد فغنت بشعر النابغة الجعدي فقالت

كليب لعمري كان أكثر ناصرا ● وأيسر ذنبا منك ضرج بالدم

فتطير من ذلك وقال لها تغني غير هذا البيت فغنت

أبكى فراقه ويوما فارقني ● ان التفرق للاحباب بكاء

مازال بعدو عليهم ريب دهرهم ● حتى تغلو او ريب الدهر عداء

فقال لها لعنك الله أما تغنين غير هذا البيت فقالت

أما وربة السكون والحرك ● ان المنايا كثيرة الشرك

ما اختلف الليل والنهار ولا ● دارت نجوم السماء في الفلك

الا لنقل من دولة وهنت ● فمزال سلطانها الى ملك

سلطان ذي العرش دائما أبدا ● ليس بفان ولا بمشترك

فقال لها قومي لعنك الله فغنت في كاس بلور فكسرته فازداد تطيره فقال يا ابراهيم ما أظن أمري الا قد اقترب واذا بصوت سمعناه من الشارع يقول قضى الامر الذي فيه تستفتيان فقتل الامين وحز رأسه وطيف به في بغداد ونودي عليه هذا رأس الخلوع الى ان سكنت الفتنة وتم على الامين ما تم وكان ذلك على أمه زبيدة نظر ما تم وزبيدة بنت جعفر بن المنصور وكان جدها المنصور يقصها وهي طفلة ويقول لها أنت زبيدة فاشتهرت بها وكانت من الخيرات ولها مآثر الى الآن منها الجواء عين حنين الى مكة وهو وادقليل الامطار بين جبال سود وتلال عالية من المياه والنبات فنقبت زبيدة الجبال الى ان سلك الماء من أرض الحل الى أرض الحرم وانفقت على عملها ألف ألف وسبعمائة ألف مثقال من الذهب فلما تم عملها اجتمع المباشر ون والعمال لديها وأتوجوادة ترهم لاحراج حسابهم اصرفوه ليخرجوا من عهدة ما عملوه وكانت في قصر الام مشرف على الدجلة فأخذت الدفاتر منهم ورمتها في الدجلة وقالت تركنا الحساب ليوم الحساب ثم قسم عندها شيء فهو له ومن بقي له شيء أعطيته او ابيته والحلم رحمها الله تعالى وأسكنها الفردوس في أعلى عليين (حديث عجيب) قال الجوهري قولهم أشأم من طويس وهو

مصر ودمشق واليصرة وبعلبك وحمص وحرب هرقل من اعظا قيسارية الى فسطاطينية (وولي بعده عثمان بن عفان) وكنيته أبو عمرو بعد ثلاثة أيام من وفاة عمر بحكم الشورى فبقي والياً ثنتي عشرة سنة كاملة غير عشرة أيام وقتل سنة خمس وثلاثين في ذي الحجة وله فضائل كثيرة منها تجهيز جيش العسرة بتلك الناقة بعير يا خلالها وأقتابها وكان يطعم الناس طعام الامارة ويدخل بيته يأكل الزيت والخل وكان على مصر في مدة خلافته عبد الله ابن أبي سرح وذلك انه خلع عمرو بن العاص وولى عبد الله على مصر فأقام على ولايته الى ان مات في سنة ثلاث وثلاثين من الهجرة فكانت مدة ولايته على مصر اثنتي عشرة سنة (ثم ولي بعده علي بن أبي

مختف بالمدينة كان يقول يا أهل المدينة فوقوا خروج الدجال مادمت حيا بين ظهرانيكم فانا ذمت فقد أمنتم لاني دفنت في البيت الذي مات فيها النبي صلى الله عليه وسلم وفلحت في اليوم الذي مات فيه أبو بكر رضي الله عنه و بلغت الحلق في اليوم الذي قتل فيه عمر رضي الله عنه وتزوجت في اليوم الذي قتل فيه عثمان ورلدي ولدي في اليوم الذي قتل فيه علي رضي الله عنه وكان اسمه طارسا فلما تحنث جعلوه طويسا

رسمي بعبد النجيح وقال في نفسه ... انني عبد النعيم ● ثم أنا طارس الجحيم

وأنا أشأم من يمشي على ظهر الحطيم ... أنا ضاحي ثم لام ● ثم قاف شؤوم

أي ثم حروميم وشؤم اليم فكأنه قال أنا ضاحي أشأم الناس وحكى الامام مالك عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان يكن الحرج في شيء ففي ثلاث المرأة والدار والفرس وفي مسند أبي داود الطيالسي عن عائشة أنه قيل لها ان أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشؤم في ثلاث المرأة والدار والفرس فقالت عائشة ترضى الله عنها لم يحفظ أبو هريرة لانه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قاتل الله اليهود يقولون الشؤم في ثلاث الدار والمرأة والفرس فسمع آخر الحديث ولم يسمع أوله قال جماعة من العلماء شؤم الدار ضيقها وسوء جيرانها وأذاهم وشؤم المرأة عدم ولادتها وسلاطة لسانها وترفعها على الزوج قال الامام مالك رضي الله عنه الحسنة في الدنيا امرأة الصالحة وفي الآخرة الحور العين وعذاب النار امرأة السوء وشؤم الفرس ان لا يغزى عليها وقيل حرانها رخلا منها وشؤم الخادم سوء خلقه وقلة تعهده لما فوض اليه وقيل المراد بالشؤم عدم الموافقة ﴿فائدة﴾ الايام المحمة في كل شهر سبعة وهي اليوم الثالث من الشهر فيه قتل قابيل هابيل اليوم الخامس فيه أخرج الله آدم من الجنة وفيه أرسل الله العذاب على قوم يونس وفيه طرح يوسف في الجب اليوم الثالث عشر فيه سلب الله ملك أيوب وأرسل الله عليه البلاء وفيه سلب الله ملك سليمان وفيه قتلت اليهود الانبياء اليوم السادس عشر فيه خسف الله بقوم لوط وفيه مسخ ستة آلاف نصراني وجعلوا خنازير وصعقت اليهود فردة وفيه شقت اليهود زكريا بالمنشار اليوم الحادي والعشرون فيه ولد فرعون وفيه أغرق فيه أرسل على قوم فرعون الآيات وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم اليوم الرابع والعشرون فيه شق النمرود بطن سيمون امرأة نوح الخليل عليه السلام في النار وفيه عقرت ناقة صالح اليوم الخامس والعشرون فيه ارسلت الريح العقيم على قوم هود ضابط الايام المحسة من كل شهر ماقاله الشاعر

محيل ثم هوك فهل ● تعود ليال بضد الامل

فما كان نقط يد فصه ● وما كان حلاة فصحصل

أقام الامين في الخلافة أربع سنين وثمانية أشهر وكان قتله في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة من الهجرة النبوية

﴿خلافة عبد الله المأمون بن هرون الرشيد﴾

أمه جارية سوداء اسمها مراجل من جواري المطيع ماتت في نفاسها وحكايتها مشهورة مع زبيدة وكانت زبيدة قد استولت على عقل الرشيد تتصرف فيه كيفما تحب وترتيبها بيعة بالخلافة بعد قتل أخيه وكان من أحسن رجال بني العباس سؤدد وعلما وفراسة وفهما سمع الحديث على جماعة وبرع في فنون النثر والنظم والادب واعتنى بالعلوم الفلسفية وعلوم الاوائل (حكي) انه افتتح مدينة من مدائن النصارى فبلغه ان بكنيستها كتب اليونان فطلبها من النصارى فتوقفوا في اعطائها فاوراجعوا بها فهم وعلماء ملتهم فأشاروا عليهم بأرسالها وقالوا لهم ما دامت كتب اليونان في ملتنا لا وافدتم أقلامنا فوصلت اليه صحبها فاشتغل بها فضل وأضل وحكم الناس بالعقل بخلق القرآن ولولا ذلك لكان من أكمل الخلفاء وكان يضرب به المثل ذكر العلامة ابراهيم الاندلسي ثم الدمشقي في كتابه الكوكب الوهاج أن ابراهيم بن المهدي وهو أخو هرون الرشيد لما آل الامر الى ابن أخيه المأمون لم يبايعه وذهب الى الري وأقام بها وادعى الخلافة

طالب رضي الله عنه) ستة خمس وثلاثون من الهجرة فقاتله لما قتل عثمان احتمع الناس من المهاجرين والانصار على علي رضي الله عنه وقالوا لا بد لنا من امام وأنت أحق بها فقال لهم لا حاجة لي في امركم فمن اختر تموه رضيته فقالوا نختارك فقال اذا كان ولا بد فان بيعتي لا تكون خفية تخرج الى المسجد وبايعه الناس ورحل من المدينة الى الكوفة واستقر بها وكانت مدة خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وعشرة أيام وقتل قبله في الكوفة سنة أربعين من الهجرة في شهر رمضان وله من العمر ثلاث وستون سنة وكان الوالي على مصر في مدة خلافته قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الانصاري تولى عليها ست وثلاثين من الهجيرة وأقام على

انفسه واقام مالكها ستة واحد وعشرين شهرا واتى عشر يوما وابن اخيه المأمون يتوقع منه العود الى الطاعة والانقياد فى ملكه فلما أيس من عوده الى الطاعة ركب بخيله ورجله ودخل الرى فى طلب عمه فاوسعه الامان اختفى خوفا على دمه فجعل المأمون لمن دل عليه مائة الف دينار وقال ابراهيم خفت على نفسى وتغيرت فى أمرى فخرجت من دارى وقت الظهيرة وأنا لا أدرى أين أتوجه فمشيت الى بغداد فدخلت شارعا هو أعظم شارع فرأيت فى صدر الشارع عبدا أسود قائما على باب داره فتقدمت اليه وقلت له هل عندك موضع أقيم فيه ساعة فقال نعم وفتح لى الباب فدخلت الى بيت نظيف مع انه بعد أن أدخلنى أغلق الباب ومضى فتوهمت انه سمع الجعالة فى وانه خرج يدل على فبقيت كالطالب على النار وأنا مفكر فى أمرى فبينما انا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كل ما يحتاج اليه ثم التفت الى وقال جعلنى الله فداءك أنا رجل حجام وأنا أعلم انك متحرف فى شأنك بعالم تقع عليه يدى قال ابراهيم وكان لى حاجة الى الطعام فطيبت نفسى قدر ما أذ كرانى أكلت مثلها فلما فضيت أمرى من الطعام قال لى ليس من قدرى أن أحادثك فان رأيت أن تشرف عبدك بذلك علوا أو أسفل قال ابراهيم فقلت وأنا أظن انه لم يعرفنى ومن أين لك انى أحسن المسارعة فقال يا سبحان الله مولانا أشهر من ذلك أنت سيدى ابراهيم المهدى الذى جعل المأمون لمن دل عليك مائة الف دينار قال ابراهيم فلما قال لى ذلك عظم فى حتى وثبت مروعة هندى فوافقته على بغيته منى ومرتعاطرى فراق اهلى ورادى ففلت

وعمى الذى أهدى ليوسف أهله ● وأعزه فى المجن وهو أسير
أن يسحب لنا فيهم شملنا ● والله رب العالمين قدير

قال فلما سمع ذلك منى قال يا سيدى أنا أذن لى أن أقول ما سمع خاطرى فقلت له هات فقال

شكرنا الى أحبابنا طول ليلنا ● فقالوا لتاما قصر الليل عندنا
وذا الليل الا نوم يقضى عيوننا ● سريعا ولا يقضى لنا النوم أعينا
اذا ما مضى الليل المضر بقى الهوى ● يؤنبنا ورهم يستبشرون اذا رأونا
فلو انهم كانوا يلاقون مثل ما ● نلاقى لما كانوا فى المضاجع منلنا

قال ابراهيم فوالله لقد مكثت بالبيت قدسارو ذهب عنى كل ما كان من الجزع ثم قال بعد أن سألته تعبرنا انا قليل عدادنا ● فقلت لها ان الكرام قليل
ومأضرنا أنا قليل وجارنا ● عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا أناس لا نرى الموت سبة ● اذا ما رأته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا ● وتكرهه آجالهم فتطول

قال ابراهيم ما معناه فقد دخلنى من الفكرة فى نفاسة هذا الجام وحسن أدبه وظرفه ثم أخرجت خريطة كانت معى فى هذه الخريطة بعض مهماتك وتركت عندى المن المزيد ان أمنت من خوفى قال ابراهيم فأعاد الخريطة على وقال يا سيدى ان الصعاليك منا لا تدرلهم عند كبر أ خذ على ما وهبنيه الزمان من قريك ومالوك عندى عثرة فاقالة لئن راحتقنى فى ذلك لقد نلت نفسى قال ابراهيم فاعدت الخريطة الى كمى وقد أثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره قال لى يا سيدى ان هذا المكان أخفى لك من غيره ولعيس فى مؤنتك أثقل فأقم عندى الى ان يفرج الله عنك فرحمت وسألته ان ينفق من تلك الخريطة فلم يفعل فأقمت عنده اياما هى تلك الحالة فخبرت من الاقامة رتربيت يرى النساء بالخلف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر فاذا أنا بموضع حرسة وش بها فحبسنى جندى من كان يحدثنى فعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فنه لق فى قدفته وفرست فرمينهما فى ذلك الزلق وصار عبرة وتبادرت اليه الناس فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر فدخلت شارعا فوجدت باب دار واسر أة فى

ولايته حتى أرسل له معاوية يدعوه الى القيام بطلب دم عثمان ووعده ان يكون نائبه على العراقين اذا تم له الامر فلم يشجع عنه انه بايع معاوية فعزله على رومى على مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه فلم يزل بمصر قائما على الامر حتى كانت وقعة صفين بين على ومعاوية واستخلف أهل مصر محمد بن أبى بكر رضى الله عنه فولى على رضى الله عنه عليهم الاشتر النخعى ثم مات فأرجع محمد بن أبى بكر الى ولاية مصر الى ان أرسل له معاوية عمرو بن العاص فى جيوش كثيرة فقتل بعض الجيوش محمد بن أبى بكر واستولى على مصر عمرو بن العاص الى ان مات بها كما مر رومى معاوية عليها ولده عبد الله فعمل له عليها ستين ثم عزله وولى اخاه عبيدة بن أبى

دهليزه فقلت يا سيدة النساء أحقني دمحق في رحل خائف فقالت لا بأس عليك وأطلعتني الى غرفة وفرشت لي ووقعت لي طعاما وقالت ليد أو ولدك قبيناهي كذلك واذا بالباب قد دق دقا عنيفا فخرجت وفتحت الباب واذا بصاحبي الذي أوقعته على الجسر وهو مسند ورأسه يجري على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا عدا مادهاك فقال ظفرت بالغنى وانفلت مني وأخبرها بالحال فأوجعت توبخة وعصبت بجار أسه وفرشت له ولم علينا ولا طلعت الى وقالت أظنك صاحب القضية فقلت نعم فقالت لا بأس عليك ثم جددت في الكرامة فدقت عندها ثلاثة أيام ثم قالت اني خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع فيقع عليك فاخرج بنفسك فأتيتها الليلة الرابعة في الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زي النساء وخرجت من عندها فاتيت بيت مولاتنا كانت تنادمنا فلما رآني بكت وفرحت وحدثت الله على سلامتي وخرجت كأنها تريد السوق لاهتمام بالضيافة فما شعرت الا بابراهيم الموصلي في خيله ورجله والمولا معه حتى سلمتني اليه وحملت بالرمق الذي أنا فيه للمأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلني عليه فلما دخلت عليه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلمك الله ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان ولي الثأر يحق في القصاص والعفو أقرب للتقوى وقد عفا الله فوق كل ذي عفو وكما جعل ذنبي فوق كل ذنب فان تأخذ بعملك وان تعف فبفضلك ثم قلت

ذنبي اليك عظيم ● وأنت أعظم منه ● فجد بفضلك أولى
واصفح بحلمك عنه ● ان لم أكن في فعالي ● من الكرام فكنه

قال ابراهيم فرفع المأمون رأسه فأدرته وقلت

أنت ذنب عظيما ● وأنت للعفو أهل ● فان عفوت فمن ● وان جزيت فعدل

وفي المعنى أيضا قول الشريف علي العقيلي

ياطاهر الثوب كاد ينفحني ● لولم أكن لا بسا ردائك لي
اخلع علي جديدا من ثيابك قد ● رقعت بالعذر ما تخرق بالزلل

وفي المعنى أيضا قال بعض المحدثين

فان عاتبتني فبسوء فعلي ● وما ظلمت عقوبة مستفيد
وان تغفر فاحسان جديد ● دعوت به الى شكر مزيد

قال فرق المأمون واستروحت رائحة الرحمة منه ثم أقبل على أخيه أبي اسحق وعلى جميع من حضر من خاصته وقال ما ترون في أمره فكل أشار بقتلي الا ابراهيم اختلف في القتل فقال كيف هي فقال المأمون لا حدهم تحاكما فقال يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثله قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد له مثلك فعفا عني مثله فتسكن المأمون ورأسه وأنشد متمثلا

قومي هم قتلوا أميم أخي ● فاذا رميت يصيبني سهمي

وفي المعنى

ان الكريم اذا تمكن من أذى ● جاءته أخلاق الكرام فأطفا
وترى اللئيم اذا تمكن من أذى ● يطغى فلا يبقى لمصطلم موضعا

قال ابراهيم فحكمت المفتعة عن رأسي وكبرت تكبيرة عظيمة وقلت عفا الله أمير المؤمنين قال لا بأس عليك ياعم فقلت ذخيا يا أمير المؤمنين اعظم من رأسه ومعه بعد رموفوك أعظم من أن أعطي معه شكر ولكن أقول

ان الذي خلق المكارم حازها ● في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة ● والكل تملؤهم بقلب خاشع
ماان عصيتك والفواحش دأبي ● أسيابها الا بقيمة طامع
وعفرت همي لم يكن عن مثله ● عفو ولم يشع اليك بشافع
ورحمت أفئدة الخلائق بعد ما ● وحنين والدة بقلب جازع

سفيان ثم عزله وولى عتبة ابن طاهر الجهني ثم عزله ولى معاوية بن حديج ثم عزله وولى مسلمة بن مخلد واستمر على ولاية مصر الى أن مات في خلافة يزيد فولى بعده سعيد بن يزيد فلما ولى ابن الزبير ولى على مصر عبد الرحمن بن مخرز من القرشي ثم ولى الخلافة أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وبايعه على الموت أكثر من أربعين الفا من أهل الكوفة وغيرهم واطاعه الناس واحبوه أكثر من حبهم لابيه فبقي ستة أشهر وخلع نفسه كراهية في سفك الدماء ودس عليه يزيد بن معاوية السم مع بعض أزواجه فمكث مريضا أربعين يوما ومات بالمدينة خامس ربيع الاول سنة خمس وأربعين من الهجرة ودفن بالبقيع ولما حضرته

فقال المامون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك وردت عليك مالك وضياعك فقلت

رددت مالي ولم تبخل علي به ● وقبل ردك مالي قد حقنت دمي

فاوليتك دمي أبقى رضائك به ● والمال حتى أسل النعل من قدمي

ما كان ذاك سوى عارية رجعت ● اليك لولم تعرها كنت لم تتم

فان يجد تك مالا وليت من نعم ● الى الى المؤثم اولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام دواء ما أحسنه وخلع عليه وقال ياعم ان أباك احمدني والعباس قد أشارا بقتلك فقلت انهما نصحاك يا أمير المؤمنين ولكن أنت يا أنت أهله ودفعت ما خفت عارجوت فقال المأمون حقد وامسك يحمد اعتذرك وقد عفوت عنك ولم أرجع الى مرارة الشامتين نحن ان المامون عبد طلوبا ثم رفع رأسه وقال ياعم أتدري لماذا عبدت فقلت شكر الله الذي ظفرك بعدو دولتك فقال ما أردت ذلك ولكن شكر الله الذي ألهمني العفو عنك قال ابراهيم فشرحت له سورة أصري وماجرى لي مع الحجام والجندي والمرأة قوا لمولاة التي تحت علي فأمر المأمون باحضار المولاة رهي في دارها تنتظر الجائزة فقال لها حملك على ما فعلت مع سيدك فقالت الرغبة في المال فقال لها هل أشوار أو زج فقالت لا فامر بضربها مائتي سوط وخلد عينها ثم قال احضروا الجندي وامرأته والحجام فأحضروا فسأل الجندي عن السبب الذي حمله على ما فعل فقال الرغبة في المال فقال المأمون يجب أن تكون بهما وبكل من يعمل عملهم الجلوس في دكان حجام ليعلم الحجامة وأن تزوج زوجة الجندي وادخلوها القصر وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للامامات ثم قال للحجام قد علمت من مروءتك ما يوجب المبالغة في اكرامك ويسار اليد وارد الجندي عليه الجنيهات وامر له برزق الجندي وزيادة ألف دينار حدث محمد الرماني قال كنت أحدث من وقعت عليه الشمس أيام الواثق بمال مصر فطلبني السلطان طلبا شديدا حتى ضاقت علي الارض برحبها فخرجت من البلد مرتادا ملاذا عزيزا يمنع الدار هو به وأتزلف عليه حتى انتهيت الى بني شيبان بن ثعلبة فجئت الى بيت مشرف يظهر رايته والى جانبه فرس مربوط ورمح مركوز فلم يسئلوني عن شيء ولم أسئلهم وتقدمت فسلمت على أهل الظباء فرد علي السلام نساء من وراء الستر فلما نزلت عن الفرس خلال الستور بعيون كعيون أعشاق الظباء فقالت احداهن اشهد أني لم أحسن قط كيف يطمئن المطلوب أو يأمن المرعوب وقلما يخيب من السلطان طالبه والخوف غالبه دون أن يأوي الى جبل يعصمه أو معقل يمنعه فقالت ياحضري لقد ترجم لسانك عن قلب صغير وذنب كبير قد نزلت بفنائه بيضاء لا يضام فيه أحد ولا يروع فيه كيد ما دام فحذا الحي سندا وليد هذا البيت الاسود من فتيان أخي كليب واعمامه مشيبان صعلوك الحي في ماله وسيدهم في فعاله لا ينازع ولا يدافع له حفظ الجوار وموقد النار وطلب الثار فقلت الآن ذهبت مني وحشتي وسكنت روعتي فقالي في يا فتاة يا بارية اخرجي فنادي مولاك لتخرج الجارية فقالت الاهيبة حتى جاءت رهو معها في جمع من حيهم فرأت ظلا ما حسن حضر شاربه واخضر عارضه فقال أي المنعمين علينا قابلت المرأة فقلت يا أبا مرهف هذا رجل نبت به أوطانه وازعجه سلطانه وارحبت زمانه وداحب جوارك ورغب في ذمتك وقد ضمنا له ما يضمن لمثله منك فقال بل الله ثم أنت خذ بيدي وجاس وجلست ثم قال يا بني أوصي رحمي أشهدكم أني قد رحلت الرحل في ذمتي وجواري فمن أراده فقد أرادني ومن كاده فقد كادني وما بلغ مني في أمر من الحال الا وبلوغكم مثله فيسمع الرجل منكم ما يمكن اليه قلبه وتطمئن اليه نفسه فما رأيت جوابا قط أحسن من جوابهم اذ قالوا يا عمهم ما هي بأول منة منت بها علينا ولا يد بيضاء طوقتنا بها ومازال ابوك قبلك في بناء الشرف الناروة ورفع العلم عنا فهذه أنفسنا وأموالنا بين يديك ثم ضرب لي قبة الى جانب بيته فلم أزل عزيزا منيعا حتى سمع بي السلطان بما أمات وهناهي فانصرفت الى اهلي (وحكى) عن المامون انه خرج يوما يتنزه فبينما هو يسير اذ رأى صبية على كتفها قربة وقد أثقلتها وهي تنادي يا أبت ادرك فلحقتك فلبثي قوها فلما قفل بقربها تعجب المأمون من

الوفاة فقال لاخيه الحسين رضي الله عنهم ما بالا أخي ان أباك استشرف لهذا الامر فصرفه الله تعالى عنه مرارا وما تولى هذا الامر ونزع حتى جرد السيف فلم ينتزعه وما سعيت له وأنا واثق لا أرى ان يصبح الله تعالى لنا اهل البيت بين النبوة والخلافة وبالك ان يدخل اهل الكوفة (تولى الخلافة بعده أبو محمد الرحمن معاوية بن أبي سفيان) وكانت مدة خلافته بعد ان خلص له الامر تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر وخمسة أيام وكان أمير اهل الشام عشرين سنة وذلك بقية خلافة عمر وعثمان وفي خلافة علي ما عزله صار منفردا فكمل أمير الخليفة أربعين سنة وتوفي سنة ستين في رجب (وولي بعده يزيد ولده) فاقام ثلاث سنين وثمانية أشهر وفي مدة

فصاحتها على صغر سنها وقال لها هل تعرفين من العربية شيأ قالت اولست من العرب قال فمن أيها قالت من اليمن قال فمن أيها قالت من قضاعة قال فمن أيها قالت من كلب قال فانك لمن كلاب قالت لا ولكن قريب فما يدريني كلبات اما أنا فقد سألتني عن حسبي ونسبي فانبعت لك ولكن عن تكون انت قال عن تبغضه اليمن كلها قالت فاذا أنت من مضر فمن أيها قال عن تبغضه مضر كلها قالت فاذا أنت من قريش فمن أيها قال عن تبغضه قريش كلها قالت فاذا أنت من بني هاشم فمن أيها قال عن تحسد بنو هاشم كلها قالت فاذا أنت المأمون ورب الكعبية ثم وثبت قائمة وأنشدت تقول

مأمون ياذا المتن الشريفه ● وصاحب المرتبة المنيفه
وقائد العساكر الكثيفه ● هل لك في أرجوزة لطيفه
اطرق لمن فقه أبي حنيفه ● لا والذي أنت له خليفه
ما قلمت في حياتنا عيفه ● عاملتنا بمؤن خفيفه
الأس والتلبوق قطيفه ● والذئب والثعلب في سقيفه

قال فتعجب المأمون من حسن بديهتها على صغر سنها فقال أيما أحب اليك مائة ألف درهم مؤجلة أم عشرة آلاف معجلة قالت المائة ألف المؤجلة لانك اللي لعلي الوفي بها فأعطاها المال ثم ألف فأخذته وانصرفت (وحكي) ان المأمون رأى رؤيا في منامه فتيها في صبح مستوحشا فاحضر الكهنة في المعبرين فلم رأت رؤيا ما أسبتها فقال لهم يا أمير المؤمنين رأيت كأني طلعت الى جبل عال وتراءت لي صحراء واسعة وسمرت الى بقرة ملحة ثم صعدت الى جبل فيه كهفان ثم صعدت الى بئر عذبة وتراءت الى اجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله قال له المأمون صدقت من أين عرفتها قال لما وقعت عيني عليك وضعت يدك على رأسك ثم أمرت لها على وجهك ولحيتك فقلت أشهد أن لا اله الا الله فقلت الرأس رأس جبل عال والجبينان صحراء واسعة والعينان بئر ملحة والانف جبل بين كهفين والفم بئر عذبة واللحية أجمة قصب فانتبهت وأنت تقول لا اله الا الله (وروى) عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا لاول عبارة وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقصها الا على حبيب أو لبيب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان فاذا حلم أحدكم حلما يخافه فليبصق عن يساره وليتعوذ بالله من شرها فانها لا تضره (وروى) ان الرؤيا قد تعتد الى اثنتين وعشرين سنة وبعد ذلك ان شاء الله تعالى (وروى) ان يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام رأى الرؤيا وهو ابن سبع عشرة سنة وعاش اثنتين وثمانين سنة وملك ثلاثة وثمانين سنة وملك في السجن سبع سنين واجتمع بأبويه وخالته بعد سنتين من تصرفه في خزائن مصر فتكون الجملة اثنتين وعشرين سنة قال الله تعالى حكاية عن يوسف يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا ذكر ذلك المقريزي في خططه قال قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس في تاريخ مصران غلاما لأبي سعيد الخطاب أخبره انه رأى رؤيا عجيبة فبينما هو جالس في حانوت استاذه واذا بابن العسال المعبر ومعه رجل من أهل الريف يطلب عهود خشب لطاحون واشترى من ابن عقيل عهود بخمسة دنانير فجاء من أهل السوق وقصوص عليه منامات رآها وهو يعبرها لهم فلما كرت له رؤيا رآها قال لي في أي وقت رأيتها من الليل ففلت انتبهت بعد رؤياي وقت كذا فقال هذه رؤيا لا أعبرها الا بعشرين دينارا فأخذت عليه فقال استاذي لابن العسال هذا الغلام ضعيف فقير لا يملك شيأ فقال لي لست آخذ الا العشرين دينار افلم يزل حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العمود فقال ابن عقيل ان صحت الرؤيا وقعت البلخ العمود فقال ان هذا الغلام يأخذ في مثل هذا اليوم ألف دينار فقال ابن عقيل وان لم يصح هذا قال يكون العمود عندك الى مثل هذا اليوم قال ابن عقيل قد انصفت فلما كان مثل ذلك اليوم فتحت دكان استاذي واستلفيت على ظهري أفكر فيما قال ابن العسال ومن تصرفي الالف دينار فقلت لعل سقف الدكان ينفرج وسط منه هذا المال وجعلت

ثلاثة ارسل الى الحسين ابن علي رضي الله عنه وقتله لكونه اعتنع من البيعة له وأرسل له أهل الكوفة يبايعونه فيخلعوا من جور يزيد فذهب اليهم بعد امتناعه من ذلك مرارا ليقفي الله امرا كان مفعولا وكان موته عاشر المحرم سنة احدى وستين ومكث يزيد بعد حسين وموات ولا يجوز لعنه على الراجح (وولي بعده ولده معاوية بن يزيد) وكان سالما فاقام أربعين يوما ورأى شدة هذا الامر فخلع نفسه ولم يتم بعد موت بعد أربعين يوما من خلعه (وولي بعده عبد الله بن الزبير) بمكة ولم يختلف عليه أحد الا مروان بن الحكم فانه ظهر بالشام توجه الى مصر فملكها واستعمل عليها ولده عبد العزيز فبايعوه ثم رجع الى الشام وجدد له

أحمل يفكري الى الفيحي فبينما انا كذلك اذ وقف على جماعة من أعوان الاستاذ أبي علي بن زنبور وطلبوني الى ديوانه فقلت وما يصنع فقالوا في اذا حدثه سمعت كلامه وما يريد منك فقلت ما أقدر أمشي فقالوا اكتر حمارا ثم كبه ولم يكن معي ما أكتريه الحمار فتزعت تكتمر ابر يلي ورهنته على درهمين فاكتريت لي الحمار ومضيت معهم الى ديوان أبي علي بن أبي زنبور فلما دخلت عليه قال أنت ابن عقيل فقلت لا ياسيدي أنا غلام في حانوته فقال ويحك أتحسن قسمة الخشب قلت بلى قال فاذهب معهم هؤلاء وقوم لنا الخشب بحيث لا يزيد ولا ينقص قضيت معهم الى أبي الحراني خشب كثير من أثل وساج جاف وغير ذلك مما يصلح للمراكب وقالوا لي انظر الى هذا الموسخ فقومته بالفي دينار فاحتملوني ولم أضبط قيمة الخشب ثم ردوني الى أبي علي فقال لي قومت الخشب كما أمرتك فقلت نعم قال بكم قومته فقلت بألفي دينار فقال انظر لئلا تغلط فقلت هو كذلك فقال لي خذه بالفي دينار فقلت أنا أفقر مما أملك دينارا فقال لي ألست تحسن تدبره فقلت بلى قال فخذه ونحن نصبر عليك الى أن تبسط شيأ فشيأ فكتبته على ورجعت الى الخشب لا عرف عدده ورأيت معي به الحراس فوافيت جماعتهم أهل سوقنا وشيوخهم قد اتوا الى الخشب فقالوا قومت الخشب بالفي دينار وهو يساوي أضعاف ذلك فقلت اسكتوا الملا يسمعكم أحد فقال بعضهم لبعض اعطوه اذا رجع وتسلموه أنتم فقال قائل منهم اعطوا رجعه خمسمائة دينار فقلت لا والله ما آخذ أقل من ألف دينار فأخذتهم بانقد الصيرفي ومر انه وشددتهم الى طرف دار الي ومضيت معهم الى ديوان أبي علي وحولت أسماءهم مكان اسمي ورجعت الى استاذي فقال قبضت الالف دينار قلت نعم وثمر كنت الدراهم بين يديه وقلت له خذ لنفسك العمود فقال والله ما آخذ منك شيأ رجاء ابن العسال فأخذ العمود وانصرف (حكى) شهر يار بن رستم الديلمي قال كنت صديقا لابي شجاع بويه بن الديلم وكان فقيرا وله ثلاثة اولاد وهم عماد الدولة ابو الحسن علي وركن الدولة أبو علي الحسن ومعز الدولة الحسن أحمد وكان بويه يصطاد السمك ويتخطب بثمنه فماتت زوجته وخلفت أولاده الثلاثة الذين ذكرناهم فحزن عليها حزنا شديدا فدخلت عليه يوما فعذلته على كثرة حزنه وقلت له أنت رجل تحمل الحزن وهؤلاء المساكين أولادك يهلكهم الحزن وسليته جهدي وأخذته هو وأولاده الى منزلي لياكلوا طعاما يشغله عن حزنه فبينما نحن كذلك اذ اجتاز بنا رجل يزعم انه منجم ومعه الماشات فأحضره أبو شجاع وقال له رأيت في منامي كاني أبول فخرج من ذكري نار عظيمة فاستطالت وعلت حتى كادت تبلغ السماء ثم افترقت تلك النار فصارت شعبا وتولد من تلك الشعب عدة شعب فأما منامك الذي بإزائك النيران ورأيت البلاد والعباد خامدين لتلك النيران فقال المنجم هذا منام عظيم لا أفسره الا بخلعة وفرس فقال أبو شجاع والله ما أملك الا الثياب التي على جسدي فان أخذتها بقيت عريانا فقال المنجم فعشرة دنانير فقال والله ما أملك دينارا واحدا فكيف عشرة فأعطاه ما تيسر فقال المنجم اعلم انه يكون لك ثلاثة أولاد يملكون الارض ويعلو ذكرهم كما علت تلك النار ثم يكون من سلالة كل واحد منهم ملوك عدة بقدر ما رأيت من تلك الشعب فقال أبو شجاع للرجل أما تتقي الله تبشر بنا لأرجل فقير وأولادي هؤلاء فقراء مساكين يصيرون ملوكا فقال أخبرني بوقت ميلاد هم فلعل يحسب ثم قبض على يد أبي الحسن فقبلها وقال هذا والله الذي يملك البلاد وهذا من بعده وقبض على يد أخيه الحسن فأعتاط منه أبو شجاع وقال اسفه واحقاقه فرط في نصيبه يد بكم فقال اذ قرأوا هذا الذي تقصدونه وأنتم ملوك فخصه وأنه وأعطاه أبو شجاع عشرة دراهم وخرج وتركهم فقدموا عند ملك يقال له ما كانين كان في بلاد طبرستان وما زالت الاحوال تنتقل بهم الى أن جعل لهم من الاموال شيء كثير الى ان اشتهر أمرهم وحسنت سيرتهم واجتمع عليهم من الجند خلق كثير وقد آل بهم الحال حتى ملكوا بغداد من الخلفاء العباسية واقتسمت شهر تهم بدولة بني بويه وصاروا المؤرخون يكتبون ذلك في تواريخ كايدكرون دولة بلاد فارس من بعدهم من أرباب الدول وهذا أمر عجيب واتفاق غريب والله القادر على كل شيء ورد كرلي من أفي به الله مع

البيعة وذلك في سنة تسع وستين وثمانمائة فاقام الا ست وثمانين فامر بعده عبد الملك فاقام شهرا الا ليلة ثم صرف وولي بعده ابنه عبد الله فاقام الى التسعين فعزله أخوه الوليد وولي مرى بن شرير ثم كان ظلوما عسوفا فاقام وانبا بمصر الى أن مات سنة تسع وتسعين وولي بعده عبد الملك ابن رفاعة فاقام الى سنة تسع وتسعين ثم ولي بعده أيوب الاصبحي فاقام الى سنة احدى ومائة ثم ولي بشر بن صفوان الكلبي فاقام الى سنة ثلاث ومائة ثم توفي أخوه حنظلة فاقام الى سنة خمس ومائة ثم تولى عبد بن عبد الملك أخو هشام ابن عبد الملك الخليفة ثم توفي حنش بن الوليد فاقام الى سنة ثمان عشرة ومائة

ان بعض مملوك الاسلام رأى فى منامه ان احدى رجليه وصلت الى السماء فنقص ذلك على معبر حاذق فقال له تصحب بطانة احدى فى رجليك رقعة حمر مرقوم فيها أبو بكر وعمر فتفقده فوجد الرقعة فقبض على صاحبه فأقر بالفرض ووجد كل خف عمل على هذا النمط فقتل الرافضى شر قتلة وأحسن الى المعبر بصنة جزيلة وافرة (وحكى) ان قحطانا من بغداد كان صاحب نعمة وافرة ومال كثير فنفد من يده وصار لا يملك شيأ ولا يثبل قوته الا بجهد جهيد فنام ذات ليلة وهو مغموم مقهور فرأى فى منامه فاتلا يقول له رزقك بمصر فاتبعه وتوجه اليه فسار الى مصر فلما توجه اليها أدركه المساء فنام فى مسجد وكان يبوار ذلك المسجد بيت فقدر الله تعالى ان جماعة من اللصوص دخلوا ذلك المسجد وتوسطوا منه الى البيت المذكور فأخذ أهله فى الصياح فأغاثهم الوالى بأتباعه فهربت اللصوص ودخل الوالى المسجد فوجد الرجل البغدادى فقبض عليه وضربه بالدرة ضربا مؤلما حتى أشرف على الهلاك ومضت عليه ثلاثة أيام فى السجن ثم أحضره الوالى وقال له من أى البلاد أنت قال من بغداد فقال له وما جاء بك الى مصر قال لى رأيت فى منامى قائلا يقول لى ان رزقك بمصر فتوجهت اليه فلما حدثت بمصر وحدث الرزق ذلك المقدار الذى نلته فقصدت الوالى حتى يبعث تواجده وقال له بالقبل العقل ثلاث مرات آن لك ان تبقى فى منامى يقول لى بت فى بغداد بخط كذا وبوصفه كذا بوصفه بنية تحتها فسقية تحتها مال له بال فتوجه الى بغداد فلم أقم حتى وافيت ص قلعة تحت مر بلدة فى بلدة تجرى باهى أضعاف أحلام وأعطاه دراهم وقال له استعن بها على عودك الى بلدك فأخذها وعاد الى بغداد ومضت ان البيت الذى وصفه الوالى ببغداد هو بيت ذلك الرجل فلما وصل منزله حفرت البئر فرأى مالا كثيرا فأخذه ووسع الله عليه رزقه وهذا أتفاق عجيب (سئل) بعض العلماء عن قوله صلى الله عليه وسلم من رآنى فى المنام فقد رآنى حقا وقال السائل هو فى الليلة الواحدة بل فى الساعة الواحدة يراه جماعة فى أماكن شتى من أطراف الارض فقال نعم

هو كالشمس فى كبد السماء وضوءها ● يغشى البلاد مشارقا ومغاربا

وهو مأخوذ من قول ابن الرومى

كالشمس فى كبد السماء تحلها ● ويشاهدها فى سائر الآفاق

وللعارف الله سبحانه وتعالى على مؤلف هذه الحالة أنه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم مرتين وسيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام مرة واحدة وسألهما الدعاء فدعيا له بالاصلاح والتوفيق وسيدنا ابراهيم الخليل وولده سيدنا اسمعيل عليهما الصلاة والسلام وسيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام مرتين وسيدنا الحسن بن الخطاب وسيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنهما ورأى أم النبى صلى الله عليه وسلم وقبره الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف ولما حججت فى ثمان عشرة ألف فلا أرى أنه منامنا رهو الحرم والقبر الشريف وجبل عرفات ومحل الموقف رأيته يقظة ورؤيا قال الله البر السلام الذى من علينا برؤية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى المنام أين من علينا برؤيته فى اليقظة فانه قال عليه الصلاة والسلام من رآنى فى المنام فسيرانى فى اليقظة فان الشيطان لا يتمثل فى (لطيفة) حكى ان رجلا رأى فى منامه كأنه مات فى بعض الازقة فرأى حفرة فقيل له افرأى فيها كنزا فتوقع فيها فوجد ملاة ذهبا فأخذها وحملها فانتبه من نومه طمأنينا بان المال بين يديه فوجد ثيابه وفرشه متضمخين بالنجاسة من بول وغائط وقيل من نكد الوجود ان الانسان يرى فى منامه انه وجد مالا أو أصاب جوهرا أو ظفر بخير فاذا انتبه لم ير من ذلك شيأ ورب أحدث فاذا انتبه وجد الحدث بعينه قال الشاعر

ارى فى منامى كل شئ يسرنى ● ورؤياى بعد النوم أدهى وأفجع
فان كان خيرا كان اضغاث حالم ● وان كان شرا جاء من قبل أصبع

وقال أبو العلاء المعرى

الى الله أشكو انى كل ليلة ● اذا نمت لم أعدم خواطر أرؤس

وولى بعده عبد الرحمن بن خالد فأقام سبعة أشهر وصرف وراعيه حنظلة بن صفوان فى سنة هذه ثم صرف وولى بعده حسان ابن العتاهية الكيبى سنة تسع وعشرين ثم أعيد حنش بن الوليد وعزل منها سنة ثمان وعشرين وولى جويرة بن سهل الباهلى ثم ولى المغيرة بن عبيد الغزارى سنة احدى وثلاثين ثم ولى الامير عبيد الله بن مروان سنة اثنتين وثلاثين ومائة وهو آخر من تولى على مصر من جهة أمية وما ذكر من كون ولاية ابن الزبير بعد ولاية معاوية الصغير هو الصحيح عند المؤرخين وبعضهم يذكر بعد ولاية عبد الملك ابن مروان وذلك انما كانت فى بعض معاوية الصغير اجتمع على بيعة عبد الله بن الزبير أهل الحجاز واليمن

فان كان شرا كان لا بد واقعا ● وان كان خيرا كان أضغاث أحلام

وقال الاحنف العكبري

وأحلى في المنام كل خير ● فسبحان لا أراه ولا يراني

وان أبصرت شرا في منامي ● رأيت الشر من قبل الاذان

ورجعنا الى مأمون بصدده من أخباره المأمون (حكى) انه كان كثير الخير والجهاد وقتل الصنجر في شهر رمضان ثلاثا وثلاثين ختمة وكان العلماء في أيامه يتحنون بجبرهم على القول بخلق القرآن فمدوا عليه فأهلكه الله وقيل ان سبب موته انه اشتهى أكل عنب فقيل فاراد ذلك فلم يوافقوا أحدا غشه النفاخ فمات كلهما في وقته ومكث في الخلافة عشرين سنة وخمسة أشهر وكانت وفاته لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنة ثمان عشرة ومائتين ودفن بطوس وكان سنه ثمان وأربعين سنة

﴿خلافة أبي اسحق المعتصم بن هرون الرشيد﴾

وهو يدعى بالثمن ولد سنة ثمان وثمانين في ثامن شهر رمضان عشر ليلة خلت من رمضان وهو ثامن أولاد الرشيد وثامن الخلفاء من بني العباس وقع ثمان فتوحات ووقف ببابه ثمان ملوك وقتل ثمانية أعداء وكان عهده ثمان وأربعين سنة وخلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وخلف ثمانية بنين وثمان بنات وثمانية آلاف ألف دينار وثمانين ألف فرس وثمانين ألف خيمة وثمانية آلاف عبد وثمانية آلاف جارية وفي ثمانية قصور ونقش على خاتمه الحمد لله ثمانية أحرف وكان ثمانية الاف آلة ثمانية عشر ألفا وهذا الذي لا يكاد يكون كان جالسا في مجلس أنسه والكاس بيده فبلغه أن امرأته في بقعة في الأمر عند ملج من ملوج الروم في هور يتوانها لطمها بيده لطمة واحدة فاصابت وجهها فماتت فقال لها العلج ما يجيء اليك الا على فرس أبلق يجرأ جانظم الكاس وتركه لساعته وقال والله لا غزينه الا بعد فلك الشرفة من الامر وقتل العلج فلما أصبح الصباح نادى بالرحيل الى غزو تعورية وأمر عسكره ان لا يخرج أحد منهم الا على أبلق فخرج في سبعين ألف فرس أبلق فلما فتح هوريه دخلها وهو يقول الشرفة ليست للبيك ولكن للعلج صاحب الاسيرة الشريفة فوقف وضرب عنقه وفك قيده وقال للسالي الثني بالكاس فاتاه به فغل ختمه وضربه بذ قرا قاب في تذ قرته في باب المكتسبين بالصراط ان رجلا جاء الى باب المعتصم وقال قولوا على الباب صراط فقيل له اذهب فعندنا حاتم الطبي وهو أحذق الصراطين فقال عندنا ما ليس عنده فاستؤذن له فلما دخل قال له المعتصم ما عندك فقال أضرط ضرطة تعتق السراويل فان فعلت ذلك فلك مائة دينار وان عجزت فمائة سوط فعمل وأخذ الدنانير (وحكى) عن رجل انه كان يفتح الباب بضرطته وكان سعيد بن حميد يضرط على ايقاع العيدان وعابه بكى عن شخص من الموالي انه حضر في مجلس وكان به هوا فقام رجل بوسط المجلس ورفع يديه على الارض ورفع رجليه في الهواء فصار منكسا رأسه الى الارض ورجلاه الى فوق وسار يحرك رجليه على ايقاع العود وكلما حرك رجليه ضرط ضرطة واستمر على ذلك الى ان فرغ العواد وفي المثل أشهر من ضرطة وهب وما أحسن قول ابن الرومي يمتدحه

قد أكثر الناس في وهب وضرطته ● حتى لقد مل ما قالوا وقد بردا

لم تلق ضرطة هاجيه كضرطته ● في الآخرين ولم يسمع كما سمعا

يارهب لا تكثرن بالعائبين فما ● فاعلم أنت غيث يجارمعا

وقيل ان بعضهم وقعت في رحله شوكة فاراد ت زوجته قلعها فلما حركتها بالابرة ضرط فقال لها أتيتها قالت لا ولكن سمعت صوتها وحكى ان جاريتها نطت أمه ليلة بكاسة فضرطت ثم أرادت أن تضربه على سمع حسها فلا فقالت ما تضرب هذا الكساء قال حاتم ما دام ضراطك في بقيه لا يساوي درهما وروى ان البديع الهمذاني دخل على الصاحب ابن عباد فنتر خرجه وأجلسه على السرجه فضرط فاراد البديع

والعراق وخراسان وحج بالناس ثماني حجج وكان عبد الملك بن مروان واليا على أهل الشام فأرسل الى ابن الزبير نائبه الحجاج بن يوسف الثقفي فذهب اليه بمكة وحاربه حتى قتله في الحرم وكانت مدة خلافة ابن الزبير تسع سنين وشهرين ولما قتل خلص الامر لعبد الملك بن مروان الى ان مات ستة سنة وثمانين بدمشق (وولي بعده) ابنه أبو العباس الوليد بن عبد الملك ستة سبع وثمانين واستمر الى سنة ست وتسعين ومات بدمشق (وولي بعده أخوه سليمان ابن عبد الملك) وتوفي سنة تسع وتسعين بعد ان عهد بالخلافة الى ابن عمه أبي حفص عمر بن عبد العزيز ابن مروان فاستمر سنتين وخمسة أشهر ثم مات يوم الجمعة لخمس بقين من رجب

أن ينفي عن نفسه التهمة فقال يامولاي ان هذا صريرالقفت فقال الصاحب بل صرير التمت فخرج من عنده خجلا وانقطع منه فكتب اليه الصاحب

قل لبديع لايطيب على خميل ● من ضرطة أشبهت نأمة على هود
فانها الريح لاتستطيع قصبها ● اذليس أنت سليمان بن داود

(وفي الالغاز في الضرطة)

ومولود لم تعرف العلمت أمها ● وليس لها روح ولاتتحرك
يفوقه منها القوم من غير رؤية ● رصاحبها من عارها يتمحك

وقال الآخر

انفلتت منه ضرطة سمعت ● فكاد منها يصيبني العرق
فانزعجت في دون فاعلها ● وماظننت الغراط بالزرق

قيل وقف بين يدي الحجاج رجل من البادية فلما أخذ في الكلام ضرط فضرب بيده على استه وقال اما ان تتكلمي فاسكت واما ان تسكتي فاتكلم لامير بما الشهي ● حدث واصل أبو بكر عن مجاهد قال وجد النبي صلى الله عليه وسلم ريحا فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من وجد ريحا فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال ليقم صاحب الريح فليتوضأ فاستحيا الرجل أن يقوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقم صاحب هذه الريح فليتوضأ ان الله لايستحي من الحق فقال العباس يارسول الله أعلا نقوم كانا فقال قوموا كلكم فتوضؤا وقيل لبعض الاعراب وقد أسن كيف أنت اليوم قال ذهب الاطيبان الناب والنصاب وبقي الارطبان المعالق والغراط قيل ان بعض الفقراء أصابه قولنج شديد في بعض المساجد ليلا فجعل يتأوه ويتقلق ويقول يارب ضرطة ورفع صوته بضرطة فقالله أصبح وقد أشرف على الهلاك وبين الموت قال اللهم اني أسألك الجنة فقال له بعض رفقائه ماراًيت أحق منك أنت من الغروب الى الآن تسأل الله في ضرطة فما فرجت حتى فتسأله الجنة التي عرضها السموات والارض رجعنا الى ما نحن بصدده قال لنظيره كان المعتصم من اشد الناس قوة وربطشا كان يحمل زنة الرجل بين أصبعيه فيكسره وذكر ذلك الحافظ السيوطي وذلك قوة عظيمة مارصل اليها أحد (وبما اتفق) ان ملك الروم وهو اذذاك من أكبر ملوك النصارى أرسل كتابا الى المعتصم يهدده فاستشاط غيظا وأمر بجوابه فكتب له الجواب فلم يرضه حتى ماكتب ومزق الكتاب الذي ورد اليه من ملك الروم وأمر أن يكتب في قطعة منه بسم الله الرحمن الرحيم الجواب ماتراه لا ماتقراه وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار وقصد زمن ساعته فتحه المنجمون وقالوا له ان الطالع لم يحن فقال عليهم لاهلينا وساقر من يومه ولاحتث به العسكر ووقع حرب عظيم قتل فيه من النصارى ستون ألفا وقتل بعد ذلك ملك النصارى وكان ذلك فتحا عظيما من أعظم فتوحات الاسلام وقد مدحه الشعراء بقصائد محمدانية واحسن ماقيل قصيدة أبي تمام الطائي التي مطلعها السيف أصدق انباء من الكتب ● في حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لاسود الصحائف في ● متونهن جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة ● بين الخميسين لافي السبعة الشهب
أين الرواية بل أين النجوم وما ● صاغوه من زخرف فيها وما كذب
تردبنت قط أم راقبل موقعه ● لم يثنه ماحمل بالارمان والسلب
فتح تفتح أبواب السماء له ● وتبرز الارض في أثوابها القشب

(ومنها) تدبير معتصم بالله منتقم ● لله مرتقب في الله مرتغب
(ومنها) لم يغز قوما ولم ينهض الى بلد ● الاتقدمه جيش من الرعب
(ومنها) حتى تركت عمود الشرك منقعرا ● ولم تعرج على الاوتاد والطنب
ان الاسود أسود الغاب همتها ● يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

سنة احدى وماءة وله من العمر تسع وعشرون سنة وكان يقال له اشج بني مروان وقبره بدير سمعان من أعمال حمص والمثل يضرب بعدله (وولي بعده ابن عمه يزيد) ابن عبد الملك بن مروان أربعة أعوام وشهر واحدا وماءتان سنة خمس وماءة (وولي بعده أخوه هشام) ابن عبد الملك بن مروان فبقي متوليا تسع عشر سنة وتسعة أشهر غير أيام وماءات سنة خمس وعشرين وماءة (وولي بعده الوليد) بن يزيد ابن عبد الملك بن مروان سنة واحدة وشهرين وكانت سيرته قبيحة (وولي بعده يزيد بن الوليد) وهو الذي قتل ابن عمه الوليد المذكور ومكث سنة اشهر وكانت سيرته جيدة وأزال منكرات كثيرة ويقال له الناقص لانه انتقص أرزاق الجند وكان عادلا يقارب

خليفة الله جازاه الله سعيا عن ❊ جرومة الدين والاسلام والحسب

(ومنها) فبين أياملك الذى نصرت بها ❊ وبين أيام بدر أقرب النسب

وعما يناسب ذلك ان بعض الملوك عزم على السفر لغزو وعسكر له فتحه المنجمون وقالوا ان القمر فى العقرب والحركة مذمومة فدخل حمل الملك وهو جالس مع ندمائه بعض الحاليك الحسان الوجوه وهو متوقع بفوس فوقف بين يدى الملك منظرا اليه بعض الندماء وقال للملك يامولانا القمر قد حل فى القوس حقيقة فسافر الملك فوقعه فلم ير أحسن من ذلك السفر وظفر به العدو وعاد وهو محظوظ وعما يناسب ذلك أيضا ان سلطانا كان له وزير بلغه عنه أمور تقتضى محاربته فجهز اليه جيشا وسلم عساكرى ياسلطنهم ورياتهم ورتبهم فى دار وتوجه قاصدين القتال وكان بظهر دار السلطان تربة قنادبل معلقة فأصابها ريح من الرياح فأسقطت فتطير السلطان من ذلك وقصد ابطال السفر فقال له شخص من اخصائه وخلته يامولانا ياتكم بلغت الثرى فاقدم تحسن ذلك واقدم عنه الوهم وسافر فظفره الله بعدوه وعاد فرحا مسرورا رجعنا الى ماكنا بصدده وكان المعتصم من أعظم الخلفاء الذين الزموا الناس بالقول بخلق القرآن وهذه من أعظم خلاله الرديئة نعم انه كان أميا لا خط له من المكالمات العلمية بل حظه على ذلك مجرد الجهل وانما احتضر قال اللهم انك تعلم انى أخاف الله من قبل وأرجوك من قبلك الامر قبلى فبما لا يزول ملكه ارحم ملكا قد زال ملكه وانشد

تجشم من الدنيا فانك لا تبقى ❊ وخل هواها صافيا وهو الرنقا

ولا تأمنن الدهر انى أمنته ❊ فلم يبق لى حالا ولم يرع لى حقا

فكنت صناديد الرجال ولم أدع ❊ عدوا ولم أمهل على جسد خنقا

وأخليت دار الملك من كل نازل ❊ وفرقتهم شر بلوم وتهم شرقا

فلما بلغت النجم عزا ورفعة ❊ ودانت رقاب الخلق أجمع لى رقا

ومالى الردى مهما فاخمد جمرتى ❊ فهانا ذا فى الحفرتى حاجلا ملقى

وأفسدت دنيا يارديني سماحة ❊ فهل ذا الذى فى مصرعه أتملق

فيالهف شعرى بعد موتى ما أرى ❊ الى رحمة الرحمن أم نار ألقى

وقولى ليلة الخميس لاحد عشر ليلة بقين من ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين

(خلافة أبى جعفر هرون الواثق بن المعتصم)

بويع له بالخلافة يوم مات والده وسنه ست وثلاثون سنة وكان هاشما شاعرا فاتكا شجاعا وفى واقعة حال

حماك بالترجس والورد ❊ معتدل القامة والقد

فالهبت هيبتى نار الجوى ❊ وزادنى الوقعة والصد

ملكت فى الملك وانطلاقه ❊ فصار ملكى سبب البعد

مولى تشكى الظلم من عبده ❊ فانصفوا المولى من العبد

وأقام خليفة خمس سنين وتسعة شهور ومات يوم الاربعاء لست بقين من ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ولما مات ترك وحده واشتغل الناس بالبيعة للمتوكل الجاهر دون فاستولى عينه فأكلها فسبحان العزيز المتعال الذى لا يزول ملكه ولا يعتريه زوال

(خلافة جعفر المتوكل بن الواثق)

بويع له يوم مات والده وسنه احدى وارجعون سنة وكان كريما عالما ظهر السنة واكرم علماء الحديث وأمات البدع ومنع القول بخلق القرآن وشنع على المعتزلة والجهمية وأمر نائبه بمصر ان يعاقب محبة قاضى مصر محمد بن أبى الليث يطوف به الاسواق لانه كان معتزليا يقول بالجهة وبخلق القرآن ففعل به ذلك وكتب الى سائر الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وليس المراد أعنى المعتزلة فى قوتهم بل الى أيام المتوكل

فى سيرته هو بن عبد العزيز وهما المرادان بقول العرب الناقص والاتم أعدل بنى مروان فالناقص يزيد والاتم عمر ولما مات ولى بعده ابراهيم بن الوليد واقام ثلاثة أشهر واضطرب الامر واختلط (وولى بعده مروان بن محمد) سنة سبع وعشرين ومائة واضطرب الامر عليه فهرب وقتل بمصر بموضع يقال له أبو صير بالفيوم سنة اثنتين وثلاثين ومائة وانقطعت بموته دولة بنى أمية وهم أربعة عشر أربعة معاوية وثلاثة بنوهم مروان ومدتهم الثمان وتسعون عاما وهى ألف شهر وانتقل الامر الى بنى العباس بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم وكانت ولايتهم بالعراق وبنيهم منهم نوابا بمصر والشام وعدتهم سبع وثلاثون خليفة ومدة

تكلمة واذ كر البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام فى قوله تعالى ان الذين فرقوا دينهم بدوه فاكتنوا بعض وكفر ببعض وافترقوا فيه قال عليه الصلاة والسلام افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى الهاوية الا واحدة وستفترق امتى على ثلاث وسبعين كلها فى الهاوية الا واحدة يعنى المعتزلة حيث يطلق على فرق منهم الواصلية والهذيلية والنظامية والبشرية والعمرية والمردادية والثمامية والهشامية والجاحظية والجبائية ومن مشاهيرهم الاعيان الخمسة واصل الهذيل العلاف وابراهيم النظام وواصل بن عطاء وكان ألثغ يصرف الراء ويجعلها غينا فاذا التزم بلسانه حروف الراء من كلامه محق ضرب به المثل فقال بعض الشعراء

احطت وصل الراء لم تنطق به ● وقطعتنى حتى كأنك واصل
لا تجعلنى مثل هجرة واصل ● بحذفى حذف ما انا واصل

(وقال أيضا) كانى فى الزمان اسم صحيح ● يرى فتسكت فيه العوامل
مزيدى فى البناء كواو عمرو ● ومانى الخط فيه كراء واصل

قبل ان يعصمه كتب رقعة ورقم فيها أمر امير المؤمنين ان تحفر بئر فى الطريق ويشرب منها الشارد والوارد ودفعها الواصل وهو بحضرة امير المؤمنين ليجيزه عن قراءته فلما قضها وراى ما فيها أجابه وارتجل حكم خليفة الله ان ينبش قليب فى الفلاة يستقى منه العادى والبادى ولم يتلعثم واصل بن عطاء هذا فى سنة احدى وعشرين ومائتين وانشد بعض الشعراء يقول فى الثغ

يقل الراء حين ينطق فينا ● فيسمى لون الشقائق أسغ
قلته يوما نصدق وزرنى ● كى نرى الراح فى زى معصفر
قال تشغب من الحمام وطبقى ● صكع غاق فحيحق مكفغ
باه واعطا فقيق الهواشى ● وعظ الصب فى الكياسة بلغ

ومن مشاهير المعتزلة أيضا أحمد بن حائط وبشر بن المعتمر ومعمر بن عباد السلمى وأبو موسى بن عيسى المردار والمعمرية براهب المعتزلة وهشامية من الشرهم وهشام بن عمر الفوطى وأبو الحسن بن عمرو الخياط وأبو على الجبائى فهؤلاء رؤس مذهب الاعتزال وهم أساطين هذا البدع واليهم تنسب هذه الفرق ومن فضلاء المعتزلة أبو الحسن البصرى والكعبى والقاضى عبد الجبار الرمانى الجصوى وأبو على الفارسى وأقفى القضاة الماوردى ومذاهبهم ﴿فائدة﴾ لا بأس بذكر ما الماوردى وأبو الحسن وقيل أبو القاسم على بن محمد بن حبيب الماوردى مات ببغداد يوم الثلاثاء سلخ ربيع الاول سنة خمسين وأربعمائة ودفن فى يوم الثلاثاء وهو ابن ست وثمانين سنة قال بعضهم لما ألف كتبه لم يظهرها فى حياته فلما مرض مرض موته قال لبعض أصحابه ان تأليفى فى ركن البيت بعينى بيته وأخاف ان لا تقبل منى ولكنى اذا كنت فى النزع فأخبه فى يدك فى يدى فان بسطت فخلافه القبول وان قبضت فعلامة عدمه فلما رقها قال فلما كان فى النزع فعلت فبسطت يده فعلمت بذلك فقبرها فنشرها الناس قالوه ان خلكان الدمشقى أقول والظاهر ان المنفوه عليه بذلك اما بغضا أو حسدا والله أعلم بحقيقة الحال ومن المعتزلة الصاحب بن عباد والزمخشرى صاحب الكشاف وذكر ابن خلكان عن بعض الفضلاء ان الزمخشرى أوصى ان يكتب على قبره هذه الابيات

يا من يرى مد البعوض جناحها ● فى ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها فى نحرها ● والمخ فى تلك العظام النحل
امنن على بتوبة تمحو بها ● ما كان منى فى الزمان الاول

وتوفى الزمخشرى ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة والسراج من فضلاء المعتزلة وفى أيام المتوكل ماتت النجوم فى السماء وجعلت تطاير شرقا وغربا كجراد انتشر من هروب الشمس فى طلوع الفجر ولم يقع مثل ذلك الا فى ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وللمتوكل تحاسن منها انه وضع على قبور الامام

تصرفهم بالعراق خمسمائة سنة ثم انتقلوا الى مصر وعدتهم بها خمسة عشر خليفة واستمرت الخلافة فيهم الى سنة خمس وستمائة وكان بقاؤها فيهم الى ان يسلموها للمهدى فى آخر الزمان (وأول من وفد منهم عبد الله السفاح) ابن محمد بن على بن عبد الله بن عباس بالكوفة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فاقام اربع سنين وثمانية أشهر (وولى بعده المنصور) أبو جعفر وكان أكبر سنا من السفاح واسمه عبد الله ابن محمد ببغداد وهو الذى بنى بغداد سنة مائة وأربعين وجعلها قاعدة ملكه وسماها مدينة السلام وأقام اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثمان وخمسين وهو متوجه الى الحج ودفن قريبا من مكة (وولى بعده المهدى) محمد

أحمد بن حنبل رضامة بيضاء كالورق ونقش عليها هذا قبر شيخ أهل السنة رزين هذه الامة العالي الهمة الذي لا تأخذه في الله لومة لائم أبي عبد الله أحمد بن محمد الشيباني قيل للامام أحمد بن حنبل ما تنعى قال سنة اثنتين وأربعين بينا نحن (وقيل) لبعض الكتبة ما تنعى قال قلما مشا فا وحبرا فا وجلودا رقا فا وقيل لبعض الصوفية ما تنعى قال نقتا ردا لفا ولا أريد رقا (فائدة) نقل القرطبي عن الامام أبي بكر الطوسي رحمهما الله انه سئل عن قوم يجتمعون في مكان يقرؤن شيأ من القرآن ثم ينشدهم منشد شيأ من الشعر فيرقصون ويطربون ويصرخون بالوقوف والشباب بحل الحضور معهم حلال أم لا فقال مذهب الصوفية بطالة وجهالة وضلالة ونحن لا نعلم الا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأما الرقص والتواجد فأول من احدثه أصحاب السامري لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار فقاموا يرقصون حوله ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس مع أصحابه كأنما على رؤسهم الطير من الوقار فينبغي للسلطان وولاته أن يمنعوهم من الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يحضر معهم ولا يعينهم على باطلهم هذا مذهب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم من أئمة المسلمين ذكر القاضي الصنهدي في كتابه تمام المتون شرح رسالة ابن زيدون انه اتفق انه نقم ابن جهور على ابن زيدون فحبسه فاستعطفه برسالة فمن جملة قوله هب اني جنحت على العجل بشيء يذلك الى قوله تعالى واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا ما وجد الله تعالى لموسى عليه السلام ليقانه وهو أبعد بعون يوما كان قوم موسى آمنوا بربهم وخلوا مصر وليس لهم كتاب ولا شرع بعد فوعدهم الله موسى أن ينزل عليه التوراة فقال موسى لقومه اني ذاهب الى ربي آتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون ووعده أربعين ليلة ثلاثين ذي القعدة وعشرا من ذي الحجة واستخلف عليهم أخاه هرون فلما جاء الوعد أتى جبريل على فرس يقال له فرس الحياة لا تحرم على شيء الا حيي فلما رآه السامري وكان من بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة فرأى موضع الفرس وكان منافقا فان قوم يعبدون البقر فقال ان لهذا شأنا فأخذ نبضة من تربة حافر فرس جبريل وألقى في روع السامري انه اذا ألقى في شيء فيه وكان بنو اسرائيل قد استعاروا حليا كثيرا من قوم فرعون في عرس لهم ولما أهلك الله فرعون وقومه بقيت تلك الحلي في أيديهم قال السامري لبني اسرائيل ان الحلي التي استعرتموها من آل فرعون لكم حلفر فرا وأخرة وزاده فنوها فيها حتى يرجع موسى من ميقات ربه فيرى رأيه فلما اجتمعت الحلي صاغها السامري عجلا في ثلاثة أيام ثم ألقى القبضة التي أخذها من أثر حافر فرس جبريل فخرج عجلا من ذهب مرصعا بالجواهر من أحسن ما يكون وخار خورة وكان يمشي ويخور فقال السامري هذا إلهكم وإله موسى الذي نسيه هنا وكان بنو اسرائيل قد اخلفوا الموعد وعدوها باليوم مع الليلة حتى مضى عشرون يوما فلم يرجع موسى فوقعوا في الفتنة فعكفوا على عبادة العجل وكان الذي عكف منهم على العجل ثمانية آلاف يعبدونه الا هرون مع اثني عشر الف رجل فأوحى الله الى موسى انا قد فتنا قومك فرجع اليهم غضبان أسفا فقال يا قوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم ومن مناقب الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنهم انه بلغه ان رجلا من وراء النهر يحفظ ثلاثة آلاف حديث فرحل الامام أحمد اليه فوجده مشتغلا بأهله فلما فرغ عليه السلام من اشتغل بالطعام الكلب فوجد الامام أحمد في نفسه شيأ فأقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه فلما فرغ من طعام الكلب التفت الى الامام وقال كأنك وجدت في نفسك اذ اقبلت على الكلب ولم أقبل عليك قال لم قال حدثني أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجاء من ارتجاء عظم الله منه رجاءهم القيامة فلم يلج الجنة ثم قال الشيخ ان أرضا هذه ليست بأرض كلاب وقد قصدني هذا الكلب لخفت ان اقطع رجاءه فقال الامام أحمد هذا الحديث بكتفيتي ثم رجع ومن محاسن المتوكل انه

ابن عبد الله المنصور فأقام عشر سنين وشهرين وأياما وتوفي سنة تسع وستين ومائة (وولي بعده ابنه الهادي) موسى بن محمد المهدي فأقام عاما واحدا وشهرا وتوفي سنة سبعين ومائة (وولي بعده أخوه هرون الرشيد فأقام ثلاثا وعشرين سنة وشهرا وهو من أجل ملوك الارض له تفلسف في العلم والآداب وكان يصلي في كل يوم وليلة مائة ركعة ويتصدق من خالص ماله كل يوم بألف درهم وكان يحب العلم ويوقر أهله وكانت أيامه من حسنها كأنها أعراس وله أخبار كثيرة في الغزو والغزات وتوفي سنة ثلاث وتسعين ومائة (وولي بعده ابنه محمد الامين) فأقام أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وقتل ليلة الاحد لخمس بقين من

أرسل الى عامله بمصر الامير يزيد بن عبد الله أن يبطل ما كان بمصر من المقاييس المتقدمة ويبنى مقياسا لزيادة النيل فبناه فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين برأس جزيرة الفسطاط وسماه المقياس الجديد وهو الموجود الآن وكان بمصر مقاييس منها ما بقى فى أيام سليمان بن عبد الملك الاموى وبنى الامير أحمد ابن طولون مقياسا بجزيرة الفسطاط وبنى عمرو بن عبد العزيز مقياسا بحلوان غير الذراع وبنى المأمون مقياسا بسرمن رأى فهذه المقاييس التى بنيت فى صدر الاسلام وأما المقاييس التى وضعت قبل الاسلام وهو ما وضعه سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام فانه وضع مقياسا عند مدينة منف وهو أول من اتخذ مقياسا للنيل بالادفر واستمر معه ثمان دلوكة الهبروضعت مقياسا بأسنا وضعت مقياسا باخيم وان القبط وضعوا مقياسا بقصر الشمع عند دير البنات وآثاره باقية هناك الى أن بنى الامير يزيد المقياس المذكور فبطلت حكمة تلك المقاييس التى كانت قبل وان الامير يزيد لما بنى المقياس الجديد المذكور كتب صفته فى لوحين مركب حتى ثبت أساسه فى البحر ويشتمل هذا المقياس على فسقية مربعة يدخل لها الماء من مسارب فى وسطها عمود من رخام أبيض وفوقه بيت من خشب ووضعوا فى العمود خط موظوطا أسابيع وهى عبارة عن قرار بطة مقسمة على أذرع يعلم منها ما يزيد النيل فى كل يوم من أذرع الزيادة وجعل مساحة الذراع الى أن يبلغ اثنى عشر ذراعا فيكون الذراع ثمانية وعشرين أصبعا وعند اثنى عشر ذراعا الى فوق يصير الذراع أربعة وعشرين أصبعا وكانت أرض مصر كلها تروى الى زمان الكامل من سنة عشرة ذراعا الى سبعة عشر ذراعا وما زاد على ذلك يحصل به الضرر قال بعض الحكماء لو جعل الله فى النيل مسرحكمة لزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتمكن من ري البلاد وهبوط الماء عند بذر الزراعة لفضل اقليم مصر وتعذر كناه لانه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية وقد قال القائل

واحاهذا النيل أى عجيبة ● بكر بمثل حديثها لم يعهم
باقى الثرى فى العام وهو مسلم ● حتى اذا ماقيل حاد مودع
أبدا يزيد كما يزيد ويرجع ● مستهلا مثل الخلال فدهره

(وقال آخر فى المعنى)

كأن النيل ذو عقل ولب ● لما يبديه للناس منه
فيأتى حين حاجتهم اليه ● ويجفى حين يستغنون عنه

وروى ابن عبد الحكم عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما انه قال نيل مصر سيد الانهار وبحر الله كل بحر فى المشرق والمغرب فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر ان يمده فتمده الانهار بمائها وبحره الانهار والارض هيونا فاذا انتهت جريته الى ما أراد الله تعالى أوحى الى كل ما ان يرجع الى عنصره ومن يزيد بن حبيب ان معاوية بن أبى سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد فى هذا النيل فى كتاب الله عز وجل خبرا قال أى والذى فلق الحب وفلق لموسى البحر انى لاجد فى كتاب الله عز وجل ان الله تعالى يوحى اليه فى كل عام من بين يوحى اليه عند جريته ان الله تعالى يأمرك أن تجرى فيجرى ما كتب الله ثم يوحى اليه بعد ذلك عد يا نيل عبيد الله قال ابن عبد الحكم كان فى زمن الانفاط متولى قياس النيل جماعة من النصارى فلما بنى الامير يزيد هذا المقياس عزل النصارى من قياس النيل واستعمر اشخاص من المسلمين يقال له عبد الله بن عبد السلام بن أبى الراد وكان أصله من البصرة وكان يقيم بالجامع العمرى فاختاره الامير يزيد لقياس النيل الى ان توفى فى سنة ست وسبعين وما ئتين وكان دينا خيرا من أهل الصلاح والدين وله حال مع الله تعالى واستمر القياس لاولاده الى يومنا هذا قول وفى زماننا هذا قد علت الارض واهل مصر هما من عدم وقوع الترع والمسانى واصلاح الجسور فصارت الاراضى لا يحصل لها الرى الكامل الا بمزاد على عشرين ذراعا ومن لطائف المتوكل انه كان فى زمن الورد لا يلبس الا الثياب المورد ولا يفرش الا الفرش الموردة وكان فى زمنه لا يرى الورد الا فى مجلسه وكان يقول لا تعلمك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه وكان يقول لحاظ طما بالورد

الهرم سنة ثمان وتسعين ومائة ببغداد (وولى بعده أخوه عبد الله المأمون بن هرون الرشيد) فأقام عشرين سنة وخمسة أشهر وفى مدته خرج أهل مصر عن طاعة الخليفة وامتنعوا من ورود الخراج وطردوا العمال من البلاد وصارت فتنة عظيمة بمصر حتى كادت أن تضرب بالسيف وأطفأ تلك الفتنة وقتل من القبط خلقا كثيرا ورجع الى بغداد وتوفى فالرزانى أردن الروم فى رجب سنة ثمانية عشر ومائتين ودفن بطرطوس (وولى بعده المعتصم بالله محمد بن هرون الرشيد) ورحل بغداد واتخذ قاعدة ملكه بسر من رأى وكان لا يقرأ ولا يكتب فأقام ثمانية أعوام وثمانية أشهر وثمانية أيام وتوفى سنة سبع وعشرين ومائتين (وولى

عار على بأن بشملك ساقط ● أوان تراك فاطر الخلاء

وبالجملة فمحاسن الورد كثيرة وفوائده مستغيرة وقد وردت فيه اخبار كثيرة فروى ان ابراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام في المنام رأى كل النار صار لي رياضا ولما استقر بها اتخذت الملائكة ضجيعه وأحضروه على الارض واذهو بين مياه عذب ورياض تهتز بورد احمر ونرجس (فائدة) في اشارة الورد وهو مزتوح صوفي الورد يقول أنا الضيف الورد بين الشتاء والصيف والطيف الذي يزور كما يزور الطيف فالهفتنا وارقبي فان الوقت ضيف أطيب نفسي العاشق وكيبت لون المعشوق فاروح الناشق وأهيج المشوق فانا الزائر وانا المزور فمن طعم في بقائي فار ذلك زور ثم من علامات الدهر المذكور وناعيشي المرور انني حيثما ثبت رأيت الاشواك تزاحمني وتجاربني فانا بين الادغال مطروح وبنبال شوك مجروح وحدادي بصفير من رقر باهدي فهذا الحالي وانا اقطف الاوراد فمن صيرعلى تسكد الدنيا نال المراد فبينما أنا أرفل في ظل النضارة اذ قطعتني أيدي النظارة فاستلبتني من بين الازاهير الى ضيق القوارير يوذيب جسدي ويحرق زندي ويمزق جلدي ويقطر دمعي جسدي في حرق ودمعي في فرق وقد جعلت مارفع من هرفي لماهدا بما لاقيت من قلق فيناديني جهذا الاحتراق أهل الاحتراق ويمزجني بنفسي ذوو الاشواق أهل المعرفة بوقعون بقائي وأهل المحبة بتمنون بقائي

فان غبت عنكم كنت بالروح حاضرا ● فسبحان من أبقى تأملك والبعد

فقه من أخفى من الناس قائلا ● فانك ماء الورد انذهب الورد

حكى القاضي شهاب الدين بن فضل الله عن علي بن محمد الانصاري انه رأى في نوم ورد ورد أصفر في الوردة ألف ورقة فعددها فاذا هي كذلك وذكر القاضي شهاب الدين أيضا انه رأى وردة نصفها أحمر فالف الحمرة ونصفها أبيض ناصع البياض والورقة كانها مقسومة بقلم وكان ابراهيم الخواص رحمه الله يسأل الله تعالى في أيام الورد فيعتكف للعبادة ويقول في زمن الورد يغلب على ظني كثرة من يعصي الله تعالى فانا استغفر الله لهم وأسأله المعافية وقيل ان أطهر الزهور ورد وجوري بنفسج الكوفة وتر جس سرجان ومنور بغداد قال الصولي كان في قصر المتوكل أربعمائة جارية مابين مولدات وجوار بيض وحبش وكان من جملة ذلك جارية من مولدات البصرة يقال لها محبوبة تركت فائقة في الحسن والجمال وكانت تضرب بالعود وتحسن الغناء وتنظم الشعر وتكتب خطا مجيدا فاقتنتها المتوكل وكان لا يصبر عنها فاعتل عنده فلما رأت ميله اليها حقدته وبطرت النعمة فغضب عليها وهجرها ومنع أهل القصر من كلامها فمكثت على ذلك اياما وكان للمتوكل ميل اليها فاصبح ذات يوم وقال لجلسائه قد زارت هذه الليلة في منامي كاني صالحت محبوبة فقالوا نرجو من الله ان يكون ذلك يقظة فبينما هو في الحديث واذ بغلام قد أقبل فاخبر أمرت الى المتوكل فحدثها قام من المجلس ودخل دار الحريم وكان الذي أمرته اليه ان قالت معتذا من جرم محبوبة غناء وهي تضرب بالعود وما قدري ما سبب ذلك فسمعها تغني على العود وهذه الابيات

أدور في القصر لا أرى أحدا ● أشكو اليه ولا يكلمني

حتى كاني ركبت معصية ● ليس لها توبة تخلصني

فهل لنا شافع الى ملك ● قد زارني في الكرى وصالحني

حتى اذا ما الصباح لاح لنا ● ما دالي هجره وقاطعني

فلما سمع المتوكل هذه الابيات تعجب من هذا الاتفاق الغريب حيث رأت محبوبة مثل ما كان رأى فلما دخل الى حجرتها رأت حسنة به بادرت بالقيام اليه وأكبت على أقدامه تقبلها وقالت والله يا سيدي لقد رأيت هذه الواقعة البارحة في المنام فلما انتبهت من النوم تلوت هذه الابيات فقال لها المتوكل والله لقد رأيت مثل ذلك منامنا فعند ذلك اصطلحا وأقام عندها سبعة أيام بلياليها وكتبت محبوبة على خدها بالمسك أسم المتوكل وهو جعفر فلما رآها المتوكل أنشأ يقول

بعده ابنه الواثق بالله هرون بن محمد) فاقام خمس سنين وأشهرا وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين (وولي بعده أخوه المتوكل على الله جعفر بن محمد) فاقام أربع عشرة سنة وستة أشهر وسبعة أيام وقتل شهر شوال سنة تسع وأربعين ومائتين (وولي بعده ابنه المنتصر بالله محمد بن جعفر) فاقام سنة أشهر (وولي بعده المستعين بالله أحمد بن المنتصر) فاقام ثلاث سنين وتسعة أشهر وخلع سنة اثنتين وخمسين ومائتين وقتل (وولي بعده ابن أخيه المعتز بالله محمد ابن المتوكل على الله) فاقام ثلاث سنين وسبعة أشهر وقتل سنة خمس وخمسين ومائتين (وولي بعده ابن عمه المعتمد على الله أحمد بن جعفر المتوكل على الله) فاقام عشر سنين وتوفي سنة ست وستين

وكاتبة بالمسك في الخد حمفرا ✻ لنفسي حظ المسك من حيث أثرا
لئن كتبت في الخد سطرا بكفها ✻ لقد أردعت قلبي من الخط أسطرا

فباهى هواها في العربة جعفر ✻ سقى الله من سقيا ثنايا بأك جعفرا

والحامات المتوكل سلاما جميع من كان له من الجواري المتوكلية فانها المتوكل حزينة عليه حتى ماتت ودفنت بجانب قبره قال بعض الحكماء زينة النساء أربعة سواد شعر الرأس والحاجبين واشعار العينين والحدقة وأربعة بياض اللون والعين والاسنان والساق وأربعة حمرة اللسان والشفتان والوجنتان واللثة وأربعة مدورة الرأس والعنق والساعد والمعصم وأربعة طوال الظهر والاصابع والذراعان والساقان وأربعة واسعة لطيبة العينان والصدر والورك وأربعة دقيقة الحاجب والانف والشفتان والاصابع وأربعة غليظة الجزء الفخذان والعضلتان والكتفان وأربعة صغيرة الاذنان والثديان واليدان والرجلان وأربعة طيبة الريح الفم والانف والفرج وأربعة عفيفة الطرف والبطن واليد واللسان

(فائدة) اذا كانت المرأة حاملا وأردت ان تعلم هل حملها غلام أم جارية فخذ لها من رأسها وضعها في كفها وقلب عليها من ثديها فان أسرعت الخروج من اللبن فهي حامل بجارية وان أبطأت فهي حامل بغلام (فائدة) اذا أردت أن تعلم هل المرأة حامل أم لا فاسأل الرجل هل يقول المرأة حامل بغلام (فائدة) كل واحد على حدته ثم هذه الى أصلين من أصول الخمس وهما في الجملة فصب كل واحد على أصل خمس وهو الذي سب على بول الرجل والذي سب عليه بول المرأة يكون ذلك عند هروب الشهر فاذا كان من الغد فانظر الى الاصلين فايهما وجدته آخذا الى الفساد دل على ان الذي سب عليه مأؤه عاقر (فائدة) مجربة من أخذ من ذئب الحمار ثلاث شعرات حين ينزو على الاتان وشدهن على ساقه فانه لا تشرد ذكره ويستوي على صوته (فائدة) السبل يسحق ورق الغبيراء ويعجن منه قدر درهم يعسل ويعمل صوفة وتجعل على المرأة عقب الطهر يجامعها الرجل تحبل باذن الله تعالى (فائدة) أخرى اذا تبخرت المرأة بعاقر الحمار أسرع في خروج ولدها حيا سالما بسهولة وكذلك اذا كان ميتا حدث الجعتري الشاعر قال كنت عند المتوكل يوم تمامه فتذاكروا السيوف فقال بعض من حضر يا أمير المؤمنين وقع عندنا رجل من البصرة سيف من الهند ليس له نظير فامر المتوكل بالكتابة الى عامل البصرة أن يشتري له السيف الموصوف فاشتراه بعشرة آلاف درهم وأرسله اليه فسر المتوكل بوجوده وقال لوزيره الفتح بن خاقان اطلب لي غلاما ثقفي بتبعه ويصاحبه واحكم هذا السيف اليه ليكون واقفا على رأسي كل يوم ما دمت جالسا ففعل وبينما كلام المتوكل حتى دخل بافر التركي فدفع اليه المتوكل السيف قال الجعتري فوالله ما أخرج السيف المذكور من غمده الا لقتل المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان والى هذا المعنى أشار بزيدون في رسالته بقوله وتكون منية المتهنى في أمنيته ومن شعر الحافظ أبو بكر أحمد خطيب بغداد

لا تغبطن أخا الدنيا بتروفها ✻ ولا للذة وقت تجلت فرحا ✻ فالدهر أسرع شئ في تقلبه
وفعله بين أطراق قد وضحا ✻ كم شارب صفو لذاته منيته ✻ وكم تقلب سيفا من به نبحا

وكان السبب في قتل المتوكل انه عهد الى ولده المنتصر محمد بالخلافة أولا ثم وقع بينه وبين ابنه شئ فرجع عن عهده وبدا له ان يعهد الى أخيه الصغير محمد المعتز وكان يميل الى ابنه الصغير أكثر من الكبير فلما بلغ الجند ذلك تغيرت خواطرهم عليه فاجتمع ثم ان جماعة من الجند اتوا قوارير المنتصر على قتل أبيه فلما وثقوا منه بذلك ذهبوا الى قتله بافر المذكور وكان موصوفا بالشجاعة فلما جاء نصف الليل هجم عليه عشرة من الاتراك ومعهم بافر وجدوه قد سكر ونام وعنده وزيره الفتح بن خاقان فتقدم اليه بافر وضربه بالسيف على حاقنته فصاح صيحة عظيمة فصاح عليهم الفتح بن خاقان ويحكم يا كلاب كيف تقتلون خليفة الله فقتلوا الفتح بن خاقان أيضا مع أبو هو ضربوه في بساط ودفنوهما في الليل ولم يشعر بهما أحد قال عمر بن شيبان رأيت في الليلة التي قتل فيها المتوكل قائلا يقول هذه الابيات

يا نائم العين في أقطار جثمان ✻ أفض دموعك يا عمر بن شيبان

وستين (وولى بعده أخوه المعتضد بالله أحمد بن طلحة بن المتوكل) فأقام تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفى سنة تسع وثمانين ومائتين وكان قد رجع الى بغداد وسكنها وانقطع الى الخلافة بأنفسهم في خلافته (وولى بعده ابنه المكتفى بالله على بن أحمد) فأقام ستة أعوام ونصفا وعشرين يوما مات سنة خمس وتسعين ومائتين (وولى بعده أخوه المقتدر بالله جعفر بن أحمد) وله من العمر ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة من بنى العباس أصغر سنا منه فأقام خمسا وعشرين سنة غير أيام وتوفى في شوال سنة عشرين وثلثمائة (وولى بعده أخوه القاهر بالله محمد بن أحمد) فأقام عاما واحدا وستة أشهر وأياما وكان عنده سنة اثنتين وعشرين

أماترى الغنية الابرامس ماقعلوا • بالهاشمي وبالفتح بن خاقان
فابكوا على جعفر وابكوا اخليفتكم • فقد بكاه جميع الانس والجان

(وقال يزيد) كانت منيته والعين هاجمة • هلا أتته المنايا القناوصد
خليفة لم ينل مثل مانا له أحد • ولم يقم مثله روح ولا جسد

وكان المتوكل كثيرا مايذكر المتوكل والفتح بن خاقان في شعره ويرتاح لذكرهما أبدا وقال من قصيدة

تذاركني الاحسان منك وناثني • على فاقة ذلك الندى والتطول
ودفعت عني حين لا دفع غيري • لدفعك الاذى عني ولا المتوكل

وكان المتوكل أول خليفة قتل بيد الاتراك فظهر بذلك صدق الحديث النبوي الذي رواه ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتركوا الترك ماتركوكم فانه أول مايسلب ملككم وماوسع الله بنو قنطورا وأقام المتوكل في الخلافة أربع عشرة سنة وتسعة أشهر الى أن قتله بالفرب باشارة ولده محمد المنتصر في نصف شوال سنة سبع وأربعين ومائتين ولا عجب في ذلك فان الولد قد يكون ضرا على أبيه كما قيل

أرى ولد الفتى ضرا عليه • لقد سعد الذي أضحى عقيما
وأما ان يخلفه يتيما • وأما أن يوافيه حمام • فيبقى حزنه أبدا مقيما

(وفي المعنى)

فولد قد أنلتنا • وحبه حشا الهمتا • كذا تظن رشده • فما تنا كانت ا

(وفي المعنى ايضا)

اضرب وليدك تأديبا على رشد • ولا تقل هو طفل غير مكتمل
فرب شق برأس جر منفعة • وقس على شق رأس الهم والغلل

(وفي المعنى أيضا)

كان أبي يؤدبني • عدل أو قاضي البلد • لم يكن غير مايريد • يعتبرهن قوله

وفي الفردوس من أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان لا بر بي أحد كم ولا تخترير خيله ان عر بي ولدا من صلبه وفي الفردوس أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي على الناس زمان تشاركهم الشياطين في أولادهم قيل كيف ذلك يارسول الله قال نعم قالوا كيف نعرف أولادنا من أولادهم قال بقلة الحياء وقلة الترحم وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أن أحد كم اذا أتى أهله وقال بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فرزقا ولدا لم يضره الشيطان وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي ابن أبي طالب لا تجامع أهلك في النصف الثاني من الشهر فانه يصرعه الشياطين ويرى وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أربعة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة عاق ومنان ومدمن خمر ومكذب بالقدر وقال صلى الله عليه وسلم كل شيء بينه وبين الله حجاب الا شهادة أن لا اله الا الله ودعوة الوالدين وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده وقال صلى الله عليه وسلم ما أكرم شاب شيخا من أجل سنه الا قيض الله له عند كبر سنه من يكرمه وقال صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يكون أولد غيظا والطرفين غيظا وأبغض البدلاء غيضا وأبغض الكرم غيضا ويعيرون الصغير على الكبير والشيم على الكريم وقيل لبعض الحكماء لاى شيء تحب أولادنا وهم لا يحبوننا فقال لانهم منا ونحن منهم قال الشاعر

من كان يعلم ان ما تمناه • من بعد سبتك لا يحب بقاكا

ذكر البيضاوي في تفسيره عند قوله تعالى كما ربياني صغيرا وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوي بلغا من الكبر ان الخرمنا ما رأيا مني في الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما يفعلان ذلك

وثلثمائة وماني خاملا مضاعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولي بعده ابن أخيه الراضي بالله محمد بن جعفر المقتدر) فأقام ست سنين وعشرة أشهر وأياما ومات سنة تسع وعشرين وثلثمائة وهو آخر خليفة خطب على المنبر في يوم الجمعة وفي زمانه اختل أمر الخلافة جدا وصارت البلاد بين خارجي تغلب عليها أو عامل لا يعمل اليه مالا ولم يبق بيد الراضي غير بغداد والسواد (وولي بعده أخوه المتقي لله ابراهيم بن جعفر المقتدر بالله) فأقام أربع سنين غير شهر وكان صالحا ولم يتمكن من تدبير الامور ولم يتم وصلت عنه ثلاث سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى ان مات سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة (وولي بعده ابن عمه عبد الله المستكفي بالله وسنه أحد

وهما يصان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهم ما روى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان أبى أخذ مالى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب فائتنى بأبيك فأنزل جبريل عليه السلام فقال ان الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك اذا جاءك الشيخ فاسئله عن شئ قاله فى نفسه ما سمعته اذناه فلما جاءه الشيخ قال له النبى صلى الله عليه وسلم مابال ابنك يشكوك أتريد أن تأخذ ماله فقال له سله يارسول الله هل أنفقه الا على احدى عماته أو خالاته أو على نفسى فقال له النبى صلى الله عليه وسلم دعنا من هذا الأخير فى شئ قلته فى نفسك ما سمعته أذناك فقال الشيخ والله يارسول الله ما زال الله يزيدنا بك يقينا لقد قلت فى نفسى شيأ ما سمعته أذناى فقال قل فانا أسمع فقال

فغذوتك مولودا وعلتك يافعا ● تعل بما أحنو عليك وتنهل ● اذا ليلة ضاقت بك السقم لم أبت
لسقمك الا ساهرا أتململ ● كأنى أنا المطروق دونك بالذى ● طرقت به دونى فعيناى تهمل
فتفدك الردى نفسى عليك واننى ● لاعلم ان الموت وقت مؤجل ● فلما بلغت السن والغاية التى
اليها أبوا كنت فيه أؤمل ● جعلت جزائى غلظة وفظاظة ● كأنك أنت المنعم المتفضل
فليتك اذ لم ترع حق أبوتى ● فعلت كما الجار المجاور يفعل

قال فحينئذ أخذ النبى صلى الله عليه وسلم بتلابيب ابنه وقال أنت ومالك لأبيك فسبحان الله المنان من فضله أن يرتفذا درجة صاحبه موفقه فيفعله كرمه آمين (فائدة) لا بأس بذكر معانى هذا الفعل وايراد معانى هذا المعنى قول الشيخ المذكور فى قصيدته وعلتك يافعا فان الدماميني رحمه الله فى وصف الانسان ناظما أصح صفات الآدمى رضيطها ● لتلفظ درا تقتنيه يديها ● جنين اذا ما كان فى بطن أمه
ومن بعد يدعى بالصبى رضيعا ● فان فطموه فالغلام لسبعة ● كذا يافعا للعشر قلم يطيها
الى خمس عشر فالمراهق تمه ● لتحسن فيما تجتنيه صنيعا ● كذا الى خمس وعشرين جهة
دعاه الفاضلون مطيعا ● حميل لعشرين بعده ● بكهل الى الخمسين فادع سميعا
رشيدا الى حد الثمانين فاعده ● بهاتم هما لمات رحيما

﴿خلافة محمد المنتصر ابن المتوكل﴾

وبويع يوم قتل أبيه على كره وسنه أربع وعشرون سنة ولم يتهن بالخلافة لاستيلاء الموالى الاتراك على المملكة وكان على سذرتهم ويقول هؤلاء قتلوا الخلفاء وكانوا أيضا منه على حذر وأراد قتلهم لما أمكنهم الاقدام عليه لشد تحاذرهم منهم ثم ان المنتصر جلس يوما للهو وأمر بفرش بساط من ذخائر الخزينة تداولته الملوك فرأى فيه صورة رأس عليها تاج وعليه كتابة بالفارسية فطلب من يستخرج تلك الكتابة فاحضر رجل من الفرس فقرأها وعبس عند قراءتها فسأله المنتصر عنها فقال معنى هذه الكتابة انا الملك سيروية بن ابرويز بن هرمز قتلت أبى فى طلب الملك فلم أمكث بعده الا ستة أشهر فأمر فرجم المنتصر وقطع من ذلك وقت كما صنع بأبيه ورجم جسمه فطلب ابن طيفور المزين ليفصده فلما أحس بذلك طائفة الاتراك دعوا الى ابن طيفور ألف دينار وقالوا له اذا طلبك المنتصر لتفصده فافصده بمبضع مسموم وان المنتصر لما مات فى غمكة انتهبه زعارة مرعوبا وهو يبكى فسأله أمه مايبكيك قال أتممت دينى ودنياى رأيت أبى الساعة وهو يقول لتلقنى يا محمد لاحل الخلافة وقد لا تتمتع بها الا أياما قلائل ثم مصيرك الى النار فلما أصبح طلب ابن طيفور ليفصده بالمبضع المسموم فمات قال عمر بن عثمان رأيت المتوكل بعد قتله بستة أشهر فى المنام فقلت له ما فعل الله بك قال غفر لى بتعصبى للسنة بأن القرآن غير مخلوق فقلت له وما تصنع ههنا قال جئت أنتظر اخى محمد أحى اخاصمه بين يدى الله تعالى فلما أصبح أشيع بين الناس موت المنتصر وأقام المنتصر فى الخلافة ستة أشهر وتوفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين (حكى) أن طيفور المذكور لما قصد المنتصر بالمبضع المسموم مكث

وأربعون سنة وهو سن أبى جعفر المنصور ولم يل الخلافة بعده هما من وصل الى هذا السن فأقام ستة عشر شهرا ثم خلع وكلت عيناه ستة أربع وثلاثين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابن عمه المطيع لله القاسم بن المقتدر) فأقام ستا وعشرين سنة وأربعة أشهر وأياما وأمر مرض بالفالج وتغلل على الامر لابنه الطائع لله أبى بكر يوم الاربعاء ثالث عشرى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة ومات بعد شهرين وتسعة أيام فى المحرم سنة أربع وستين وثلثمائة وأقام الطائع اثنتين وأربعين سنة وتسعة عشر شهرا وأياما وخلع سنة احدى وثمانين وثلثمائة وعاش مخلوعا الى أن مات فى رمضان سنة ثلاث

قليلا بعد موت المنتصر ومرض فقال لتلميذه افصد لي فلم يأته الا بالبعض المحموم فصد مغات لوقته فكان كما يقال

أعاله ردت عليه ماجنى ● فالدهر قد جاراه من جنس العمل

﴿خلافة أبي العباس أحمد المستعين بالله ابن المعتصم هو المنتصر أخو المتوكل﴾

وبويع له يوم مات المنتصر وسنه احدى وثلاثون سنة قدمته التركية واختاروه وعهد لواحد أولاد المتوكل لانهم كانوا قتلوا ولما أن بلى الخلافة أحمد أولاده فيأخذ بثاره أبيه فاختار واحدا من أولاد المعتصم المستعين بالله وما كان له من الخلافة الا الاسم وكانت الجاليك الاتراك مستولين على الملك وكان الامر جميعه لوصيف وبغر حتى قيل

خليفة في قفص ● بين وصيف وبغا ● يقول ما قالاله ● كما تقول الببغا

وهي الدرة وعما أفاده الدماميني في كتابه عين الحياة ان الشيخ كمال الدين الادفوي ذكر في ترجمته محمد ابن محمد النصيبي القرمي الفاضل الخطوي الاديب انه حضر عند تقي الدين البصراوي الحاجب بقوص وكان يخلي به يتمم فيه الرؤساء والفضلاء والادباء حضر الشيخ علي الحريري وحكى انه رأى درة تقرأ سورة يس فقال النصيبي وكان شراب يقرأ سورة المجمعة فاذا جاء الى محل السجود سجد ويقول سجدة كل سوادي وألمعي بلك فؤادي ومعه من تخصص من كتبية بيت المال المعمور بمصر ان امرأة من أولاد امراء الدولة العثمانية توفيت وليس لها وارث الا بيت المال فضبطت تركتها فكان من جملة مخلفاتها درة ذكر انها تقرأ القرآن من أوله الى آخره فتصل خبرها بمحمد باشا الوزير حال تصرفه بمصر فطلبها من وكيل بيت المال فلما حملت اليه قامت في القراءة فقرأ شخص بحضورها سورة من القرآن فانتقل من آيه الى آية بغلطة فلما درته فتحب من كان حاضرا وهذا من العجب وكان المستعين نضال مطعما على التوابل يخ تجعل في ملبسه وهو أول من اقتضى الاكام العراض لجعل الكم ثلاثة أشبار ولما أتى المستعين الانقياد الى الاتراك خرج من بيت الخلافة وهو مختف وتوجه الى مدينة واسط فأقام بها وكاتبه الامراء والجند بأن يرجع الى بعداد فامتنع من ذلك فأرسلوه من قبض عليه بواسط وبعثه ثم ان الجند أحضروا المعتز وبايعوه بالخلافة وسار العسكر فرقتين فرقة مع المستعين وفرقة مع المعتز فقويت شوكة المعتز وتم أمره في الخلافة فأرسل سعد بن صالح الى واسط فقتل المستعين بعد ان أقام في السجن سبعة أشهر وكان قتله في ثالث شوال سنة احدى وخمسين ومائتين فكانت خلافته ثلاث سنين وأربعة أشهر والله تعالى أعلم

﴿خلافة المعتز محمد أبي عبد الله﴾

وبويع له يوم خلع أحمد المستعين وسنه ثلاث وعشرون سنة وكان بديع الحسن حسن الصورة وكان متضعفا وكان صالح بن وصيف مستوليا على المعتز وهو خائف منه فاجتمع الجندي على المعتز وقالوا له ان زاقم وعهده انه اذا اتفق عليهم وكبوا معه على صالح بن وصيف وقتلوه وقوله الملك فلم يكن في خزائنه ما يصرفه عليهم وطلب من أمه شيأ من المال وكانت تركية واسمها قبيحة فرط جماحها بين النساء فأبت ومنعت المال على ولدها وهو خليفة الاتراك على خلعه وركب عليه صالح بن وصيف ومحمد بن بغا وأتيا هو وأتوا الى دار الخلافة وهجموا على المعتز وجروه برجله وأرقدوه في الشمس وعذبوه حتى خلع نفسه ومنعوه من شرب الماء الى أن مات عطشا وكانت مدة تصرفه ثلاث سنين وسبعة أشهر وان صالح بن وصيف صادر قبيحة المذكور وتوعدها بما حى أخذ منها ألف ألف دينار وتسعة آلاف ألف دينار ومثلها درهم ذو سبعة من أردب يأقوت أحمر ثم أخرجت الى مكة واقامت بها الى أن ماتت وأقل الناس الترحم عليها حين ظهر عندها هذا المال ونصت على ولدها والله أعلم

﴿خلافة محمد الله المهتدي﴾

وتسمى بوتلمانة بن الحرمين الشريفين لبني العباس وأقيمت للمحسن العبيدي صاحب مصر والمغرب (وولي بعده أحمد القادر بالله) ابن المقتدر فأقام ثلاثا وأربعين سنة ولم يبلغ أحد من الخلفاء قبله في امرة الخلافة مدة ولا طول عمره لانه مات وهو ابن ثلاث وستين سنة وتوفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة (وولي بعده ابنه القائم بأمر الله) محمد ابن أحمد وأقام في الخلافة اربعة وأربعين عاما وتوفي سنة سبع وستين وأربعمائة (وولي بعده ابنه المقتدي بأمر الله) محمد بن عبد الله القائم بأمر الله وأقام في الخلافة ثمع عشرة سنة وتوفي سنة ست وثمانين وأربعمائة (وولي بعده ابنه المستظهر بالله

جميع له يوم خلع المعتز وسنه تسع وثلاثون سنة وكان كثير العبادة ليس له من الامر شيء وقد كان أبطل الملاهي ومنع الظلمة من الظلم والمكوس قيل دخل عليه رجل وقال له كم عندي نصيحة يا أمير المؤمنين فقال له ان هي التمام لعاصة المسلمين أم لخصلة قال لك يا أمير المؤمنين قال ليس الساهي بأعظم هو زلة ولا أقبح حالا من قائم ساه ولا تقاوض ان تكون حاسة نعمة فلا تذق فيخفك الله حد زلا تعاقب للنعمة زلك ثم أقبل على الناس فقال لا يتمهك الناس فانصح الا بما فيه رضاة الله تعالى فوالله لسلمن فيه صلاح فان مالنا الا الابدان ولهم القلوب ومن استرعاه الله نكشفه ومن ناداه الملك ناتو بته ومن أخذا قلنا عثرته الى أرى النصح أبلغ من العقوبة والسلامة مع العفو أسلم منها في العاجلة والقلوب لا تبقى لوالي يتعطف اذا استعطف ولا يعفو اذا قدر ولا يغفر اذا ظلم ولا يرحم اذا استرحم ولا يضق ان خلوط النفوس تتشاق في الغالب من الحد وهو تخطي زوال النعمة عن المحدود وهو من الكبائر كما قال في الروضة وهو داء لا دواء له وعد أولا يرجى زواله كما أشار اليه امامنا الشافعي رضي الله عنه في قوله من أبيات

كل العداوة قد ترجى ازالتها ● الا عداوة من عاداك من حسد

وحكى عن أبي العباس أحمد القادر انه بينما هو ذات ليلة في أسواق بغداد اذ سمع شخصا يقول لا أخرج طالت علينا دولة هذا الجيشوليس لاحد عندي رزق فامر خادمه معه أن يتوكل عليه ويحضره بين يديه فلما حضر بين يديه سأله عن حسبته فقال انى كنت من السعاة الذين يستعين بهم أرباب هذا الامر على معرفة أحوال الناس فدنوني أمير المؤمنين أقصاها وأظهر الاستغناء عنا فتحطلت معيشتنا وانكسر جانبنا هذا الناس فقال فتعرف من في بغداد من السعاة فقال نعم وأحضر كاتبا فكتب أسماءهم وأمر بأحضارهم ثم أجرى لكل واحد منهم معلوما وفاهم الى التفرغ للخاصة وتوجيههم هناك حيث وناهى أعداء الذين ثم اثقت الى حوله وقال لعلك أن هؤلاء ركب الله فيهم شرا وملأ صدورهم حقدا على العالم ولا بد فهم من ابراغ ذلك الشر فالاولى أن يكون ذلك في أعداء الدين ولا ينخص بهم على المسلمين وفي المعنى

قوم هم كدر الحياة وسمها ● عرض البلاء بهم وطال وطالا
بئسا كانون ضغينة وشحناء ● ويرون لحم الغائبين حلالا
وهو فراش الشر يوم ولمة ● ينهافتون تهافت الخيبالا
وهو هزاييل الحديث اذا وهو ● شرا تقطر منهم وسالا

(وحكى) أن السلطان محمد بن قلاوون رحمه الله أخبره وزيره الامير علاي الدين مغلطاي ان تاج الدين كاتب السماط خرج عنده أناسا بكل قبيح والتزم فيهم جملة من الذهب اذا صدروا وأخرجت وظائفهم فقال السلطان الوزير احضر تاج الدين المذكور فلما حضر بين يديه وسمع كلامه قال هل لك علم بما حدث في القاهرة يعرض شيء من هذه الاحوال قال نعم جماعة وعدهم فقال الوزير خذ هذا واحفظه وأحسن اليه واذا احضر لك هؤلاء الذين ذكرهم عرفني بهم فخرج من عنده وصار يذكر له جماعة جماعة وهو يعد هم الى ان لم يبق منهم أحد ودخل الى السلطان وعرفه بهم فقال اخرج الآن في هذه الساعة وجهز الجميع الى قبرص ولا تدع أحدا منهم في القاهرة فان هؤلاء مناجيبر يد الفرنج الناس فنفاهم أجمعين في المعنى

أقول وطرف الترجمن الغض شاخص ● الينا والتمام حولي الماسم
أيارب حتى في الحداثق أعين ● علينا وحتى في الرياحين غمام

وكتب بعض شهود الاهوار الى الوزير اني الفرج محمود بن فلان بخس قدمات فلان وخلف خمسين ألف دينار عينا ولم يخلف غير رطلة فان رأيت استقراض المال الى ان تبلغ الطفلة في عقارها وأملاكها كفاية فوقع على ظهر كتابه الطفلة جيرها الله والمال غرمه الله والساعي لعنه الله لا حاجة للسلطان بالمال ومن لي بردة انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت فقوم من قبورهم تتاجج أفواههم نارا قيل من هم يا رسول الله قال الهمزان الله يقول ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم

أحمد) فأقام خمسة عشر سنة وقلا ثة أشهر وعشرة أيام وتوفي سنة اثنى عشرة وخمسمائة (وولي بعده ابنه المسترشد بالله منصور) فأقام سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخلع وقتل سنة خمسمائة وتسع وعشرين (وولي بعده ولده الراشد بالله) منصور وتمموه بالمسكرات وخلعوه وأرسلوه الى الموصل فقتلوه سنة خمسمائة وثلاثين (وولي بعده عمه المقتفي لامر الله) ابن المستظهر بالله فأقام أربعا وعشرين سنة ثم قامت عليه الجند ورجوه ثم حبسوه شهرا من شهر شهر فمات بالظن سنة خمسمائة وخمس وخمسين (وولي بعده ولده المستنجد بالله) يوسف فأقام أحد عشر عاما وخمسة أيام وتوفي سنة خمسمائة وست وستين

بطونهم نارا (وحكى) انه لما ولى عبد العزيز بن عبد الملك دمشق ولم يكن فى بنى أمية اليه منهى حداثة سنه قال أهل دمشق هذا غلام شاب ولاهله بالامور وبتسمه فقام اليه رجل فقال أصلح الله الامير عندى نصيحة فقال له ليث شعرى ماهذه النصيحة التى ابتدأتنى بها من غير مدسيقة منى اليك قال جارلى خاص فقال ما انتفيت الله ولا أكرمت أميرك ولا حفظت جارك ان مشت نظرت فيما تقول فان كنت صادقا فلم ينفعك ذلك عندنا وان كنت كاذبا فتناك قال أتانى قال اذهب حيث شئت لاصبحك الله بخير فانى أراك شر رجل وروى ان معاوية رضى الله عنه قال يوما للاحنف بن قيس فى أمر بلغه عنه فانكر الاحنف فقال معاوية الثقة يبلغنى فقال الثقة لا يبلغ وقد جاء فى السنة النبوية أحاديث كثيرة فى ذم النميمة منها ما رواه حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتام وقد جاء عنه عليه أفضل الصلاة والسلام انه قال لعن الله المشائ قبل له وما المشائ يارسول الله قال الذى يسعى بصاحبه الى صاحبه فيهلك نفسه وصاحبه وصاحبه وصاحبه وعن الفضيل بن عياض رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظهر لاخيه الود والصفاء وأخبره الحقد والبغض أعماه الله وأصمه ببصره وقلبه وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى قال الذين اذا ذكروا ذكر الله الا أنبئكم بشر من شراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب وقال شر الناس عند الله منزلة من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس عند الله منزلة ذا الوجهين الذى يأتى هذا بوجه وذا بوجه وقال ان من شر الناس منزلة عند الله عبدا أذهب آخرته بدنيا غيره وروى عمار بن ياسر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار رواه أبو داود وصحيحه ابن حبان وأخرج الطبرانى من حديث أنس بلفظ من كان ذا لسانين جعل الله له يوم القيامة لسانين من نار وقال ابن برجان فى رسالته المشائون بنميم يعنى ان هؤلاء ذكرهم الله فى القرآن العظيم فى قوله تعالى هماز مشاء بنميم الهماز المغتاب الذى يأكل لحم الناس بالطعن والغيبة وقال الحسن هو الذى يلوى شدقه فى أقفية الناس والنمز الغيبة واحد وهو نقل الكلام السيئ والمعنى انه فتات يمشى بين الناس بالنميمة ليفسد فيما بينهم قال صلى الله عليه وسلم لا تقتلوا المسلم بين لا تنعوا هو راتهم (أو ست) العرابية اينها نهار أراد السفر قالت أى حى بالله تنيمة فاتها تزرع الضغينة وتفرق بين الاحبة وايالك والتعرض لعيوب فتخذ شرضا وفى المثل النميمة ارتة العداوة وما أحسن قول الشيخ شهاب الدين محمود

يا ملزمى ذنوبا مما حظت بها ● علما ولا خطرت يوما على فكرى
صدقت فى أيا المذنوب ولكن ● كذبت قبل بقين السمع والبصرى

وقال ابن الرماد أنهم اك ان الحاسدين تعدوا ● فينا بشر حديثهم لاخيره
فاحذر فديتك أن تكون حليمهم ● حتى يفرض فى حديث غيره

ومن أمثال العرب وايالك وكل مسه مدت فانه يأكل مع كل من أكل ويجرى مع كل ريح وقال وهب بن الورد دى خالطت الناس مذ خمسين سنة فما وجدت رجلا فغفر زلة ولا أقال فى عثرة ولا ستر فى عورة ولا أمنته اذا غضب ومن كلام النابغة الناس أحناس آكثرهم أضاميم ● وجئنا الى مائتين يعدونه من أمم

عبد الله المهدى فاتفق الاتراك على خلعه وركبوا عليه فخرج عليهم وفاتهم بنفسه الى ان أمكنوه باليد وعمر واعلى بطنه الى ان مات وكانت خلافته ستة الا اثنى عشر يوما وقد أهلم

﴿ خلافة المعتمد على الله أحمد بن المتوكل ﴾

بويع له يوم مات ابن عمه المهدى فى شهر رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وكان له اسمه مالك على الهمو والاذان فقدم أخاه طلحة ولقبه الموفق بالله وجعله ولى عهده وولاه المشرق والجزائر الى بين وقارس وطبرستان وجرجستان والسند وكان المعتمد ولى عهد اسمه جعفر لقبه المفوض الى الله وولاه المغرب

وولى بعده ولده الحسن المستغنى بامر الله فاقام سبعة أعوام وأربعة أشهر وتوفى سنة خمسمائة وثلاثة وسبعين بالطاعون وفى أيامه هادنت الحطيئة بحصن لبنى العباس بعد انقطاعها منها مائتين وخمس وعشرة سنة وتقرضت دولة بنى عبيد بمصر (وولى بعده أحمد الناصر لدين الله) فاقام سبعا وأربعين سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة وخطبه حتى يا لصين والاندلس (وولى بعده ولده الظاهر) فاقام تسعة أشهر وتوفى سنة ثلاث وعشرين وستمائة (وولى بعده ولده المستنصر بالله منصور) فاقام سبع عشرة سنة وتوفى سنة أربعين وستمائة وهو من أعمر الخلفاء ثمانين وخمسون سنة (وولى بعده ولده

والشام والجزيرة وعقد له ولاءين أبيض وأسود وعقدهما البيعة وضرط على أخيه الموفق اذا حدث به ريب المنون وولده صغير كان الموفق ولى عهد حوان كان عمر ولده كبيرا كان ولد ولى عهده وكتب بذلك معاقدة كتب كل منهما خطه عليها وكان الموفق قائما بامر استقلال بامور المملكة وكان أخوه المعتمد مكبا على لهوه ولذاته مهملا لاحوال الرعية فكره الناس وأحبوا أخاه لحلمه وظهرت له هيبة كبيرة وظهرت فى أيام المعتمد طائفة من الزنج تغلبت على المسلمين وكان ظهور أمر اسمه مهبول يدعى على المغيبات وقتل فى المسلمين ذكر الصولى انه قتل ألف ألف وخمسمائة ألف وكان يأمر النساء ويبيعهن وكان ذلك من أعظم المصيبات فى الاسلام ولعل هذا الكافر مداش أخذ هذا من المسلمين واستأصل أهلها وحصل دار مملكته واسط فانتدب لقتاله الموفق بالله وجمع الجموع فركض بخيله ورجله وجنوده الى ان التقت الفئتان فجفلت السودان من امام السيوف واتهزموا مابين مقتول ومأسور الى ان قتل كبيرهم مهبول ورجوه صاكروا ستوردت المدن التى أخذها كواسط وغيرها واطمأنت المسلمون وكافة العباد وانقهر الناصر لدين الله وصار له حينئذ للعباس ودخل بغداد فى عظم وهلوشأن ورأس مهبول الكافر على رأس رمح ورؤس كبار عسكره على رماح ردحاله المسلمون واستقر أخوه المعتمد على حاله منه كما على غيره ولذاته وله اسم الخلافة وجميع الامور يتلقاها الموفق بصدره وكان له وقد تجيب يدعى أحمد أبا العباس جعله الموفق ولى عهده واستعان به فى حروبه وأحواله وظهرت نجابته وقوته تخفى الموفق منه على نفسه وعلى ولد أخيه طضبه ، وكل من يثق به فى أمره واستمر محبوسا الى أن وقعت الوحشة بين المعتمد والموفق وتباغضت قلوبهما وتناحشت صدورهما وان الرياسة لا تقبل الاشتراك والغير تعلى الملك أسرع شئ ثم ان الموفق مرض واشتد عليه الحال وتحقق قلة ماله فبادر الى الحبس فحبس وولى أخو ولده وأمره وجاؤا به الى والده فلما رآه أيقن بالموت وقد فى وقال له يا ولدى فمذا اليوم عباك لك وأوصاه وفوض اليه وأوصاه بعمه المعتمد وكان ذلك قبل موته بثلاثة أيام وكانت وفاته فى سنة ثمان وسبعين ومائتين ودفت فيه أخوه المعتمد وظن انه استراح من الموفق وما علم أنه عما قليل به يلحق فكانت خلافة المعتمد ثلاثا وعشرين سنة وقوق فى سنة قسم وسبعين ومائتين والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿خلافة أحمد المعتضد ابن طلحة الموفق﴾

بويع له يوم مات ٥٥ وسنه ست وار بعون سنة وكان ملكه ما باظهار الجبروت وافر العقل شجاعا يقدم على الاسد وحده وكان أسفط المكروس فى أيامه ورفع الظلم عن الرعية وجدد ملك بنى العباس بعد ما وهى ورهن وكان يسمى السفاح الثانى وفيه يقول ابن الرومى

هنيأ بنى العباس أمامكم ● امام الهدى والجود والناس أحمد
كأبى العباس أنشى ملككم ● كذا أبى العباس أيضا يجدد
امام يظل الامس يشكو فراقه ● تأسف ملهوف ويشتاقه غد

وفيه أيضا يقول عبيد الله بن المعتز

أمامرى ملك بن هاشم ● هادم يزايد عدا ماذا
ياطالب الملك فكن مثله ● تستوجب الملك والافلا

وكان مع سطوته راعى جانب الحق وقد نقل الحافظ السيوطى عن عبد الله بن حمدون قال خرج المعتضد يوما وأنا معه فرعيته فمات بعض جنوده فيه فصاح صاحبها واستغاث بالمعتضد فاحضره وسأله عن سبب صياحه فقال له ثلاثة من غلمانك نزلوا المقشأة واخرجوها قاهرا عبيده باحضارهم فحضروا وضرب أعناقهم وهمى وهو يعاد نى فقال أحد فتى ياعبد الله ما الذى ينكره الناس من أحوالى فقلت له تسفك الدماء كثيرا فقال ما سفكت دما حراما قط فقلت له بأى ذنب قتلت أحدهن أبى الطيب قال انه دعانى الى الالحاد وظهر لى الحاده فقلت والثلاثة الذين نزلوا المقشأة الآن بماذا استحقت دماءهم ولأى شئ قتلتهم فقال والله ما قتلتهم وانما أحضرت ثلاثة من قطاع الطريق وأرهبت الناس انهم الذين نزلوا

(المستعصم بالله عبد الله) فاقام سبع عشرة سنة ترقوق سنة مائتان وتسع وخمسين بخيانة وزيره ابن العلقمى الذى كان رافضيا وخربت بغداد وزالت دولة بنى العباس منها وكان سبب زوالها استيلاء ملك الكرج وأمراؤهم عليهم ومن أعظم أسباب زوالها ان ابن العلقمى استولى على المستعصم وكان رافضيا معتزلا الاهل السنة يداريهم فى الظاهر ومنافقهم فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة من بنى العباس واعادتها الى العلويين واطفاء أهل السنة واظهار أهل البدعة فصار يكاتب كبير التتار وهولاكو ويطمعه فى ملك بغداد أو يخربها بضعف الخليفة وعلمه سورة أخذها برحسن للمستعصم توفير الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع

المقتفاة فامرت بضرب اعناقهم ثم احضر صاحب الشرطة وامر باحضار السلاقة الذين نزلوا المقتفاة فاحضرهم بانفسهم وشاهدتهم وعاينا سبب ذلك كما حكاه ابن ابي تجلة في سكرة انه ان سواد يا تي الى السلطان ملكشاه وهو يبكي فسأله عن سبب بكائه فقال اشتريت بطيخا بدرهمين لا أملك غيرهما فلقيني ثلاثة من الاتراك فأخذوني ومالي سواهما وكان ذلك في أوّل قدوم البطيخ فقال له امسك فاستدعى فراشا وقال له قد استنابت نفسي الى البطيخ فطفت في العسكر وانظر من عنده شيء فأحضره فاعداد الفراش ومعه بطيخ فقال له عند من اقمته قال عند الامير فلان فأحضره وقال له من أين هذا البطيخ فقال جاءه الغلمان قبل أيام هذه الساعة وقد عرف نية السلطان فعاد اليه وقال لم أجدهم فالتفت السلطان الى صاحب البطيخ وقال له هذا لعوك وقد وجبت لك حيث لم يحضر الغلمان الآن أخذ وامتاهلك والله لئن خلينه لاضربن عنقك فأخذه بيده وخرج من بين يدي السلطان واشترى الامير نفسه بثلثمائة درهم وعاد صاحب البطيخ الى السلطان وقال ياسيدي قد بعت المملوك بثلثمائة درهم قال أوقد رضيت قال نعم قال فامض مع السلامة وكانت مدة خلافة المعتضد تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا وتوفي في يوم الاثنين لثمان بقين من ربيع الآخر سنة تسع وثمانين ومائتين وخلف من الذكور أربعة واحدى عشرة بنتا والله تعالى أعلم

﴿خلافة علي المكتفي بالله ابن المعتضد أحد بن طلحة﴾

بويع له يوم مات أبوه سنة احدى وثلاثين سنة وأخذ البيعة للوزير أبو الحسن عبيد الله بن وهب له قبل موته بثلاثة أيام وكان المكتفي بالرقة فلما وصل اليه كتاب الوزير بادر وحضر من الرقة الى بغداد في سابع جمادى الاولى وكان يوم وصوله مشهودا ونزل دار الخلافة وخلع على الوزير الذكور وسبع خلع وكان المكتفي حسن الصورة يضرب به المثل وهذا قال عبيد الله بن المعتز يخاطب الدنيا

مزجت بين جمالها وفعالها ● فاذا الملاحة والقباحة لاتفي
والله لا أختارها ولو انها ● كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

فقرنه بالبدر والشمس في الجمال وقد أشار ابن سناء الملك الى هذا في قوله

ومليحة بالحسن يسفر وجهها ● بالبدر يهزأ ريقها بالقرقف
لا أرتضي بالشمس تشبيها لها ● والبدر بل لا أكتفي بالمكتفي

(وقال أبيضا في موضع آخر)

بأبي وأمي من يكون المكتفي ● بكماله وجماله كالمقتدي

قال الصولي سمعت المكتفي يقول في علمه والله ما أسفي على شيء الا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجت اليها وكنت مستغنيا عنها وكانت مدة تصرفه ستة أعوام ونصفا والنقل الى دار الخبر والبقاء في ليلة الاحد لثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين والله تعالى أعلم

﴿خلافة جعفر المقتدر ابن المعتضد﴾

بويع له بالخلافة يوم موت أخيه وعمره ثلاث عشرة سنة ولم يل الخلافة قبله أصغر منه وولي الخلافة ثلاث مرات هذه الاولى ولم يتم له فيها أمر لصغره فغلب عليه الجند واستقر على عزله وخلعه فخلعوه والله تعالى أعلم

﴿خلافة عبد الله بن المعتز بن المتوكل﴾

بويع له يوم خلع المقتدر واقبره الغالب بالله وبايعوه لعشر بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين ومائتين وهو ابن اثنتين وعشرين سنة وأخذ البيعة للوزير أبو العباس بل أشعر بني هاشم على الاطلاق وأكثرهم فضلا وأدبا وخولط بعلم الموسيقى وأشعار الشعراء في التشبيهات المبتكرة الغريبة المستلذة قال المعافى بن زكريا لما بويع لابن المعتز دخلت على شيخنا محمد بن جرير الطبري العالم الكبير المفسر فقال ما الخبر فقلت بويع بالخلافة

في مرة عشرين الفا مقاتل ● ورفرف هلوكو فاتهم في الخزينة وأظهر للخليفة انه وفر من هلوكو لعسكر أموالا عظيمة في بيت المال فأعجبه رأيه لعلمه انه كان يحب المال وجمعه فدخل التتار الى بلاد العراق واستأصلوا من بها وتوجهوا الى بغداد فاستيقظ الخليفة من غفلته وجمع من قدر عليه من الجيوش وبرز الى قتالهم فلم يقدر عليهم فسم وغرق من عسكره كثيرا في شهر الرجلة وقتل أكثرهم وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأصروا المستعصم وأولاده فاستبقاه هلاكو الى أن استخلص أمواله وخزائنه وقتله ثم قتل أولاده وأتباعه وأمر أن يوضع الخليفة في شرارة ويرفس بالأرجل الى أن يموت وأوقع بوزيره الذل والهوان وصار معهم

من جملة الغلمان ومات كلهم لهذه الغلمان ولقد استطار شررها وعظم ضررها وهم قوم لا يحصون عددا ولا يحتاجون الى مدد يأتيهم فان معهم الاغنام والبقر والخيل يأكلون لحومها لا غير وأما خيلهم فانها تقشر الارض بحوافرها وتأكل عروق النبات ولا تعرف الشعير ولا أعدائهم فانهم يعبدون الشمس عند طلوعها وما حاصل في بغداد ما حصل انتقل أولاد الخلفاء العباسيين الى مصر في زمن السلطان بيبرس لانها كانت بأيدي اسلافهم ويتبيون فيها وأبوا وجملة قوائهم مسبح وخمسون لم لتعرض لهم خوف الاطاقة المؤدية الى السماء ومن جملة فوائهم أحدين طولون فانه كان نائبا على مصر في زمن خلافة المستعين ستة أربع وخمسين ومائتين ثم

لصد الله بن المعتز قال فمن توسم لو زارته قلت محمد بن داود قال فما في قاضيه قلت أبو المثنى فأطرق قليلا ثم قال هذا أمر لا يتم قلت ولم لا يتم قال كل واحد منهم ذكرت ذو شأن عظيم متقدم في علمه وفضله وان الدنيا مولية وان الزمان مدبر ولا مناسبة بلا حدهن ذكرت برياسة في مثل هذا الزمان ولا أرها الا الى الاضمحلال والاضمحلال فقد رأيتهم خلعوه في ذلك اليوم وتلاشى أمره فان عبد الله بن المعتز انما تقلد الخلافة أرسل الى المقتدر يأمره باخلاء دار الخلافة فلما جاءه الرسول الى المقتدر وبلغه الرسالة قال لبعض من حضره جواب الا السيف ولبس السلاح وركب معه جماعة قليلة من خدمه وهم مستعلمون القتال في غاية الخوف رهبي. مواعلى عبد الله بن المعتز فهاله ذلك وألقى الله في قلبه الرعب فانهزم هو وزيره وقاضيه وقال من في ديوانه وقبض المقتدر على عبد الله بن المعتز وعلى الامير ابو الغنائم وقتل جماعة من أراد وحبس عبد الله بن المعتز الى أن خرج من الحبس ميتا الى رحمة الله تعالى فكانت خلافته ساعة من نهار وحبس الجبر الكلام فلا بأس بايراد شيء من أشعاره المستظرفة فمن هذا هذا الموضع الذي يصلح وشاحا لسكوب الجوزا ما كليلا قمر يسارت به الركبان وتناقلته الرواة بألسنة الزمان وهو هذا

أيها الساقي اليك المشتكى ● قد دهوناك وان لم تسمع

وديم حمت في غرته ● واشرب الراح من راحته ● كما استيقظ من سكرته

حذب الزق اليه واتكى ● وسقاني أربعا في أربع

ما لعيني غشيت بالنظر ● أنكرت بعدك ضوء القمر ● واذا ما شئت فاسمع خبري

غشيت عيناي من كثر البكا ● ويكي بعضي على بعضي

فعصى بان مال من حيث التوى ● مات من بهواه من قرط الجوى

(خفق الاحشاء موهون القوى)

كما فكري اليوم بمكى ● وجسمي يبكي لما لم يقع

ليس في صبر ولا في جلد ● يا قومي علقوا واجتهدوا ● أنكروا شكواي مما أجد

مثل حالي سقما أن تشتكي ● كمد الياس وذل الطمع

كبدي حرا وجسمي بكف ● يذرف الدمع ولا يعترف ● أيها المعرض عما أصف

قد شفاني بقلي وذ كا ● لا تقل لي في الحب الى مدى

(ومن تشبيهاته أيضا)

ومفرط يسعى الى السماء ● بعقيقة في درة بيضاء

والشمس مالت للغروب كأنها ● دينار يلعب في قرار الماء

والبدر في أفق السماء كدرهم ● ملقى على لجيماجة خضراء

ومهفهف عقد الشراب لسانه ● وكلامه بالرمز والايماء

كلمته سحرا وقلت له انتبه ● يا فرحة الجلساء والندماء

فأجابني والخمر يخفض صوته ● بتطلع تتطلع الفأفاء

اني لأفهم ما تقول وانما ● غلبت على سلافة الصهباء

دعني أفيق من الخمور واني غد ● واحكم بما تختار يا مولاني

(وله في المثلث) خليلي طاب الراح من بعد طبخها ● وقد عدت بعد الكر والعود أحمد

فهاتا معا قارا في قعر زجاجة ● حكاقوته في درة تتوقد

يصوغ عليها الماء شبك فضة ● فما حلق بعض تحسل وتعقد

وقفني من نار الجحيم بنفسها ● وذلك من احسانها ليس يجحد

وله في التصانيف كتاب الزهر والرياض وكتاب مفاكهة الاخوان وكتاب الصيد والجوارح وكتاب

أشعار الملوك وكتاب طبقات الشعراء وديوان جميع من الشعر ومن كلامه البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام ومن كلامه العلماء عثر باء لم تكثر الجهال النعم بين الملا تقريع ملامة الكذب جواد الامين واشعاره البليغة وتشبيهاته الغريبة كثير مشهور (ثم عاد المقتدر ثانيا) واستقامله الحال فسار احسن سيرة واستولى على الخلافة الى سنة ثلثي عشرة وثلثمائة تذكر الحافظ السيوطي في تاريخ الخلفاء في خلافة المقتدر سنة ثلثمائة ان بغلة وقعت فلؤا وبعد تمام هذا التاريخ المبارك اليوم اتصل بيوم مؤلفه عفا الله عنه من النقاقات ان جماعة من الفرارجية من أهل منف عندهم بغلة تزقاء ولدت مهرا في أواسط سنة احدى وأربعين وألف سيحان القادر على كل شئ

﴿خلافة أبي المنصور محمد القاهر ابن المعتضد﴾

بايعه يونس والامراء وانفرد بالقاهر وقويت الوزارة الى علي بن مقلة الكاتب فجاء الصكر يطيرون منه امام الجلوس وارتفعت الاصوات فنهمهم الحاجب عن الدخول على الخليفة فقالوا الى دار يونس وأخرجوا المقتدر من الحبس وحملوه على أعناقهم الى الدار الخلافة فجلس على السرير واقبل أخيه محمد القاهر وهو يبكي ويقول الله الله يا أخي فلي ورعي فاستعداه المقتدر وقبله بين عينيه وقال يا أخي لا تذب لك وانت مغلوب على أمرك والله لا يشالك مني ماتكره فطب نفسا وقرعينا ولا تزال روحه آوى اليه أخاه وقال الى أن أدخل تلك البلاد تبشر بما كانوا يعملون وبذل المقتدر الاموال للجند وأرضاهم من عنده (ثم عاد المقتدر ثالثا والثالثة ثامنة) فمن محاسن المقتدر انه ابطل من ديوانه استحقاق أهل النعمة من اليهود والنصارى وأبطل نصرتهم في الاموال وكان يغرق في يوم عرفة كل عام من الابل والبقر أربعين ألف رأس ومن الغنم خمسين ألفا وكان يصرف في كل سنة في طريق مكة والاهل الحرمين الشريفين ثلثمائة ألف دينار وخمسة عشر ألفا وانه تبرخ سنة من أولاده فصرف في ختانهم ستمائة ألف دينار وكان في داره أحد عشر ألف غلام سمعي غير الصقالبة والروم والسود وقدمت عليه رسل الروم بحمل مركبا رهاب العدو وأقام مائتي سنة بين ألف مقاتل بالسلاح وأقام بعدهم الخدم وهم ستمائة ألف خادم ثم الحجاب وهم سبعمائة حاجب وكانت الستور التي نصبت على الخيطان بدار الخلافة ثمانين ألف ستر من الديباج وكانت البسط الفاخرة التي فرشت اثنين وعشرين ألف بساط وكان من جملة ذلك مائة تسبيح في سلاسل الذهب والفضة وهذا كله سوى من الدولة العباسية وضعوها فتكيز بتها في أيام قوتها فيحان من لا يزول ولا يزال ولا يفنى ملكه ولا يعتريه زوال وفي أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة فلم استفحل فاسد يؤدي الى الكفر أول من ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وهي دار الى هجر وأراد قتل الحج اليها عنده الله وأخذ الحجر فكسفته في الحائر وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتد شوكته حينئذ وجاء أبو طاهر القرمطي بعسكر جرار با آلات لسلاح الى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتلوا مايزيد على ثمانين ألف انسان وركض أبو طاهر بسيه مشهور راقي يده رهو سكران راكب فرسه ودخل الى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع الى باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله وبالله أنا ● يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأقام بمكة أحد عشر يوما وقيل ستة أيام وقلع الحجر الاسود وحمله معه بريدان يحول الناس الى مصعد ضرار واستمر الحجر الاسود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة الا أربعة أيام وهذه مصيبة من أعظم مصائب الاسلام وابتلى أبو طاهر النحس بأكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة بعذاب عذبه الله بأنواع البلا ولعذاب الآخرة أشد وأبقى ولولا خوف الاطالة لذكرنا نبذة من أحوال القرامطة المتاحسين فان وقائعهم مشهورة ولاجل ذلك اقتصرنا على ماذكرنا فكانت مدة خلافة المقتدر أولا وثانيا وثالثا خمسا وعشرين سنة وقتل لثمان بقين من شوال سنة عشرين وثلثمائة والله سبحانه وتعالى أعلم

سطا على الخلفاء وادعى الخلافة لنفسه وانفرد بالخراج وحاربه الخليفة أشد المحاربة فلم يقدر عليه فخضع له وتركه وصار سلطانا بمصر وتحول من دار الشيابة بقصر الشمع وبنى بناء بين مصر وجامعه وعمد القطائع وهو أول من تسلطن بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث وصرف على الجامع المعروف به الآن مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار والنفقة يرسم الصدقة كل يوم ألف دينار وورثه ولده بار باب الديوان كل شهر عشرة آلاف دينار وتوفي ليلة الاحد لعشرين خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين (وقول بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشرين خلون من ذي

القعدة سنة سبعين وما ئتين فتعب ما كان بقبضه والده من الصدقات ولما كولات والزراعية والهيبة وزاد على ذلك ثم قتل يدعق على فراشه مذبوحا بجبه بعض جواريه فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وحمل فى صندوق الى مصر فكانت ولايته اثنى عشرة سنة وثمانية اشهر يوما (وقول بعضهم ولده ابو العساكر) فى ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين وأقام ثمانية اشهر واثنى عشر يوما وقتل سنة ثلاث وثمانين ومائتين (وقول بعض اخوه ابو موسى هرون بن خارويه) فاقام ثمانى سنين وثمانية اشهر وقتل سنة اثنتين وتسعين ومائتين (وقول بعضهم ابن احمد بن طولون) فى عاشر صفر سنة اثنتين وتسعين فاقام اثنى عشر يوما فانكر

﴿خلافة القاهر بامر الله محمد بن المعتضد﴾

بويع له يوم قتل أخيه وسنه اثنتان وعشرون سنة فأقام سنة وسنة اشهر ثم خلع وأكحل فى جمادى الاولى سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة وتوفى سنة تسع وثلاثين وثلثمائة

﴿خلافة محمد الراضى بن المقتدر﴾

بويع له يوم خلع عمه محمد القاهر وسنه اثنتان وثلاثون سنة فأقام ست سنين وعشرة أيام وتوفى فى ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة

﴿خلافة المكتفى ابراهيم بن المقتدر﴾

بويع له يوم مات الراضى وسنه ستون سنة فأقام سنتين واحد عشر شهرا وأكحل فى صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة

﴿خلافة المستكفى عبد الله بن المكتفى﴾

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ست وأربعون سنة فأقام سنة واحدة وأربعة أشهر وخلع فى جمادى الآخرة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة وتوفى سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة

﴿خلافة الفضل المطيع لله بن المقتدر﴾

بويع له يوم خلع المكتفى وسنه ثلاث وسبعون سنة وفى أيامه ورد الحجر الاسود من هجر الى مكانه من البيت الشريف فكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وأربعة أشهر وخلع نفسه فى ذى القعدة سنة ثلاث وستين وثلثمائة

﴿خلافة عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله﴾

بويع له يوم خلع أبيه وكان مفلوجا عليه من قبل أمر الله وما كان له الا العظمة قال الشريف الرضى يخاطب الطائع

مهلا أمير المؤمنين فانما * فى دوحة العلياء لا تتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت * أبدا كلانا فى السيادة معرق
الا الخلافة مبزل فاذا حللت منها وأنت مطوق

قيل ان الطائع لما بلغه ذلك قال على رغم أنف الرضى وقبل ان الرضى كان يوم عند الطائع وهو يعبث بلحيته ويرفعها الى أنفه فقال له الطائع أظننت ثمن مهار الحجة الخلافة فقال بل راحة النبوة وكان الطائع كبير الانف فقال الشاعر

خليفة فى وجهه رونق * نرشفه ظل الصكرا
يهدى بعثنى على رجله * وأنفه قد سد هذا المشى

وأقام الطائع سبع عشرة سنة وتسعة أشهر وخلع نفسه سنة احدى وثمانين وثلثمائة

﴿خلافة أبى العباس أحمد القادر بالله بن المقتدر﴾

بويع له بالخلافة فى عاشر رمضان سنة احدى وثمانين وثلثمائة وكان فى غاية العبادة والفضل وصنف كتابا فى الرد على القائلين بخلق القرآن وعده ابن الصلاح من علماء الشافعية وذكر فى طبقاته وطالت مدته حتى بلغ احدى وأربعين سنة وأربعة أشهر وتوفى فى ذى الحجة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة

﴿خلافة القائم بأمر الله عبد الله بن أحمد القادر﴾

بويع له يوم مات أبوه وأقام أربعا وأربعين سنة وثمان شهور وتوفى فى شهر شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة

﴿خلافة المقتدى بامر الله عبد الله بن القائم بامر الله﴾

بويع له يوم مات جده وسنه سبع وستون سنة وكانت البيعة بصفرة الامام الكبير أبى اسحق الشيرازى أحد أركان أئمة الشافعية رضى الله عنه وكان خيرا دينا من نجباء خلفاء بنى العباس ومن

جملة ملاحه ان السلطان ملكشاه قصد ان يتسحكم عليه فارسل اليه يقول له لا بد ان تترك بغداد وتذهب الى اى بلد شئت فارسل الخليفة يتلطف فى ذلك فابى الاشدة وغلظة فقال لرسوله اسئله المهلة فى ولو شهرا فبى وقال ولا سافة فارسل الى وزيره فاستمهله عشرة ايام فصار الخليفة يصوم النهار ويقوم الليل ويتضرع الى الله ويضع خده على التراب ويشاجر ارباب الدولة فى ذلك حتى مضى عشرة ايام ومات هذه الغيلة السموم فى كبد الظلم من المظلوم فهلك ملكشاه قبل مضى عشرة ايام ومات هذه كرامة للخليفة المقتدى ورحم الله من قال

وكم لله من لطف خفى ● يدق خفاه عن فهم الذكى
وكم يسر أتى من بعد عسر ● وفرج كربة القلب الشجى
وكم هم تضاءمه مساء ● وتأنيك المسرة بالعشى
اذا ضاقت بك الاحوال يوما ● فثق بالواحد الاحد العلى
تحمل بالنبى فكل هم ● يزول اذا تحملت بالنبى

وأقام فى الخلافة تسع عشرة سنة وخمسة أشهر وتوفى ثامن محرم سنة تسع وثمانين وأربعمائة

●(خلافة المستظهر بالله هو أبو العباس أحمد)●

بويع له بالخلافة يوم موت أبيه وسنه ست عشرة سنة وأربعة أيام وكان مستهتراً بالصيد واللعب فلما ولى الخلافة تغير وصار يحب العلم والعلماء ويكرمهم ويجالسهم ويناظرهم وكان يحفظ القرآن والحديث ويخرج الى قتال السلطان محمد بن ملكشاه السلجوقى فلم يقاتل معه أحد وقاتل وحده الى أن قتل وكانت خلافته تسع عشرة سنة وقتل فى ذى الحجة سنة تسع وعشرين وخمسمائة

●(خلافة أبى جعفر منصور الراشد بالله)●

بويع له بالخلافة يوم قتل أبيه فأقام سنة واحدة وقبض عليه السلطان مسعود السلجوقى وخلعه من الخلافة يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقين من ذى الحجة سنة ثلاثين وخمسمائة وأقام أحد عشر شهرا

●(خلافة المقتفى لامر الله وهو محمد بن المستظهر)●

بويع له بالخلافة يوم خلع عمه وكان عالما شجاعا قال فى الكفاية قال ابن الجوزى قرأت بخط الشيخ أبى الفرج بن الحسين بن الحداد قال حدثنى من أثق به أن المقتفى رأى فى منامه قبل أن يستخلف بسنة أو أربعة أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سيصل اليك هذا الامر فاكتف فى قلب المقتفى لامر الله فقام خمسا وعشرين سنة وتوفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة

●(خلافة المستضىء بالله بو عبد الله بن المقتفى)●

بويع له يوم مات أبوه وسنه ثمانون سنة (يحكى) انه قبل ان يصير خليفة رأى فى منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب فى كفه ثلاث خاء آخر فلما أصبح سأل المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلى الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكان كذلك فأقام احدى عشرة سنة وتوفى تاسع ربيع الاول سنة ست وستين وخمسمائة ومن شعره فى بخيل

وباخل أشكو الى بثه ● تكرمة لاجلنا شمه
فما جرت من عينها دمعه ● حتى جرى من عينه دمعه

●(خلافة المستضىء بنور الله وهو محمد بن الحسن بن المستضىء بالله)●

بويع له يوم وفاة والده وكان حسن السيرة كريم النفس أسقط المكوس فى مملكته وكثر ثناء الخلق عليه

عليه قواد هرون بن خمارويه وبعثوا الى محمد بن سليمان غلام أحمد بن طولون يخبره الى مصر فى عسكر عظيم وقبض على شيبان وألقى النار فى القطائع ونهب أصحاب الفساطيط واستباح الحريم وافتض الابكار وساق النساء وأخرج بقية أولاد احمد بن طولون وقواده هم الى اهانة وقتلوه ولم يبق منهم أحد وخلت الديار منهم وكانت مدة ولايتهم سبعة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما ثم عادت الدولة العباسية بمصر فى خلافة المكتفى فأرسلوا توابهم الى مصر ومن جملة توابهم محمد بن طغج المكنى بالاخشيد ثم تغلب على مصر وصار يدعى له على المنابر فأقام احدى عشرة سنة وثلاثة أشهر ومات سنة ثربع وثلاثين وثلثمائة (وولى بعده ابنه أبو القاسم)

وكان سنه اثنتين وأربعين سنة وهو الذى خطب له صلاح الدين يوسف بن أيوب بمصر وقام تسع سنين وأشهرا وتوفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة والله تعالى أعلم

(خلافة الناصر أحمد بن المستضئ بنور الله)

بويع له يوم مات أبوه وسنه تسع وستون سنة فأقام سبعا وأربعة سنة وتوفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة ورخطبه حتى بالصين والأندلس

(خلافة محمد الظاهر بن الناصر أحمد)

بويع له يوم مات أبوه بعهد منه فأظهر العدل والاحسان وأبطل المكوس سكى هذا به فرق فى ليلة النحر على الفقهاء مائة ألف دينار فلامه الوزير على ذلك فقال دعنى أفعل الخير فانى لا أدرى كم أعيش فلم يلبث ان وافاه الله بالكبل الاولى فعاش حميدا ومات سعيدا فكانت خلافته تسعة أشهر وتوفى فى سنة ثلاث وعشرين وستمائة رحمه الله تعالى

(خلافة أبى جعفر المستنصر بالله)

بويع له يوم مات والده فنشر العدل وبذل الانصاف وقرب أهل العلم والدين وبنى المساجد والربط وكانت خلافته سبع عشرة سنة وتوفى سنة تسع وثلاثين وستمائة

(خلافة المستعصم بالله بن المستنصر)

بويع له يوم مات أبوه وهو آخر خلفاء بنى العباس وبزواله زالت دولة بنى العباس كما جرت عادة الله بأن قدر اخر الدول بزوال القوة بعد عز وجل وكان سميز والحما استيلاء الاقوام على الحكوم وأمرائهم عليهم وتفويض أمور الجملة اليهم وامتهانهم غاية الامتهان الى ان صاروا اسماء بلا مسميات وصورا هيولا يتصرف فيها بالهوى والاثبات ومن أعظم أسباب زوال الملك ان مؤيد الدين العلقمى كان وزير المستعصم وكان رافضيا مستوليا على المستعصم مدة ولاه على السنة يدا برهم فى الظاهر ومنافقه فى الباطن وكان يريد ازالة الخلافة فمن بنى العباس واعادتها الى العلويين وطمس أهل السنة واطفاء نورهم وتقوية أهل البدع فصار يكاتب هلاكو ويطمعه فى ملك بغداد ويطالعه بأخبارها ويعلمه كيفية أخذها ويضعفه بضعف الخليفة والجدال العسكر عنه وصار الوزير يحسن للمستعصم تفريغ الخزينة وعدم الصرف على العسكر فقطع أرزاقهم ونشأ عن ذلك ان صار يجيء بحيث انه أذن مرة لعشرين ألف مقاتل ان يذهبوا الى أين أرادوا وقرر عليهم فى الخزينة وأظهر للمستعصم أنه رقرر عليهم وما يعلم أنه يجمعه لعدوه

بيت مفرد يجنبر كه انه ناصح وفى نحمه ذئب العقرب

قال صلى الله عليه وسلم ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان (وعا يحكى) ان اعرابيا قال اللهم انى أعوذ بك من لا يلتمس خالص مودتى الا بالتتبع لعواقر معيوبى وقيل لفيلسوف ما الصديق فقال اسم على غير معنى حيوان غير موجود

مفرد لسانك فى حلو وقلبك علقم ونفسك مبسوط وخيرك ملتوى
مفرد اذا أنت فتشت القلوب وجدتها قلوب أعاد فى جسوم أصادق
(وابعضهم) فى صديق لديه ودرنعم غير ان الدفاع منه علمه
فاذا ما سعى ليدفع عنى فى الملمات سارعون الملمه
ليته كف خيره واذاه ورعى فى ذلك حقا وحرمه

وقال الطغرائى رحمه الله من قصيدة

وبنو الزمان وان صفوا لك ظاهرا يوما جروا لك بالمذاهب نوكا

وقال أيضا من قصيدة له ومن بك أصلا ما وطينا بعيد عن جبلته الصفاء

فأقيم كافور الخادم الاسود ثالث أمنه فسكان يدبر المملكة فأقام أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وتوفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة وتولى بعده أبو الحسن على ولد الاخشيد فأقام سنتين والكلام لكافور الاخشيدى ثم استقرت المملكة بأيدى كافور فكان يدعى له على المنابر فى الديار المصرية والشامية والحجازية وكان حسن السيرة فأقام سنتين وأربعة أشهر ومات سنة سبع وخمسين وثلثمائة (وتولى بعده أحمدين على الاخشيد) فأقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وكانت مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشرة أشهر وأربعة عشر يوما

(الباب الثانى فى دولة الفواطم والدولة الايوبية والدولة التركية المعروفين بالمماليك البحرية ودولة الجراكسة)

وقال

وقال الجنيد دخلت على السري فقلت له أوصني قال لا تكن مصاحبا الاشرار ولا تشتغل عن الله بصحبة الاخيار وكان بعض الاعراب يقول في دعائه اللهم اني أعوذ بك من الصاحب الردي

وفي المعنى
قل لذي نست أدري من تلونه ✽ انا صح لم على غش يداجيني
تغتابني عند أقوام وتمدحني ✽ في آخرين وتلقى منك يأتيني

وفي المعنى
واخوان وثقت بهم فأضحى ✽ اذا هم يعتريني كل حين
ولما ان اسأت الظن كفوا ✽ فواعجبا ممن ظن يقيني

مفرد
دعوى الاخا خلي الزمان كثيرة ✽ بل في الشدائد تعرف الاخوان

وقيل في المعنى
وزهدني في الناس معرفتي بهم ✽ وطول اختباري صاحبا بعد صاحب
فلم ترلي الايام خلا تسرني ✽ مبادية الاساءة في العواقب
ولا قلت أرجوه لدفع ملمة ✽ من الدهر الا كان احدى النوائب

وما أحسن قول أبي دلف هل رأينا أو سمعنا من نهى ✽ رجلا من سوء فعل فانتهى
بل اذا ما وقب في سيئة ✽ لم يدعها وتعالى أختها

قال المكندي الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء الذي لا يستغنى عنها أبدا وطبقة كالدواء يحتاج اليها حينا دون حين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقالوا الاصدقاء على ثلاثة مراتب الطيار وهو الصديق المكرم ذو المروة والمرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم ذو التجارب والمرتبة الدنيا وهو الصديق العاجز وهو الذي يقع جميع اشكاله فان خلا الصديق من احدى هذه المراتب كان وجوده وعدمه سواء بل عدمه خير من وجوده قال الشاعر

اذا كنت لا عملك دبلك تفيدنا ✽ ولا أنت ذو دين فترجوك للدين
ولا أنت ذو بر يحق لبكرية ✽ علمنا مثالا مثل مخصل من طين

(وقال الصفدي)
اذا كنت لا عملك دبلك تفيدنا ✽ ولا أنت ذو وجود نرجوك أفترى
ولا أنت من يرتجى لبكرية ✽ علمنا مثالا مثل مخصل من خزا

قال بعض الحكماء يجب على الملك أن لا يحالف من خمس معاقل يحصن بهم أولها وزير صالح يحصن برأيه في الشدة والرخاء وثانيها سيف قاطع يحصن بحده وثالثها ترس سابغ يحصن بظهره ادا لم يكفه الثبات ورابعها قلعة منيعة يحصن بها اذا أحيط به وخامسها امرأة حسناء يحصن بها بصره وكان يقال عدوك ضدك وحكم الضدين التنافر والتدابر والتنافي والتباين قال علي الله عليه وسلم الحرب صلاح البيوت والاماء هلاكها ومن كلام الحكماء كن على حذر من المكر بهم اذا هتكته ومن اثمهم اذا أكرمته ومن العاقل اذا أوجعته ومن الاحمق اذا مازحته ومن الفاجر اذا ائتمنته وكان يقال اذا أردت عبدك من الخدم الامين سماه أدبه فاخدم نفسك ولا تقعده لانه يعمل قليلا من الاذى أضعاف ما يعمل من يدلك بعقدته من العناء وكان يقال غفل من زعم انه يجد راحة اذا شارك في سره غير ضرورة لان مشقة الاستبداد به لا تترك المشاورة فيه أقل من مشقة الحسد في انشائه بسبب المشاركة وضعف مشقة الحذر قال الطغرائي في لامعيته

وباخبير اهل الارض مطلعا ✽ اصحت فني الصحت منحباة من الزلل

قال سيدنا عمر وبن العاص ما استودعت رجلا سرا فحلت اني لست أضيق صدرا منه حتى استودعه اياه

وفي المعنى
اذا ما ضاق صدري من حديثي ✽ فأفشته الرجال في الوم

وقد قيل لبني أمية بعد ذهاب ملكهم ما الذي كان سبب في زوال الملك عنكم فقالوا اقوا الناس اننا اعتمدنا على المال واستعنا بالرجال فأخذ العدو مالنا وتقوى به على ثارنا وأبعدنا الصديق وقربنا العدو ونصار الصديق عدوا بالبعد ثم ان المستعصم ومن معه لم يزل في غفلته لاخفاء ابن العلقمي سائر الاخبار عنه الى أن وصل هلاكو الى بلاد العراق واستأصل من بها وتوجه الى بغداد فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور وندم

أما دولة الفراطم وبقال لهم العبيديون فسبب دخولهم مصر انه لما مات الامير كافور اضطربت أحوال الديار المصرية وطمعت أهل الغرب في الجند فكتب أعيان مصر الى الملك المعز الفاطمي فأرسل اليهم جوهر الصقلي القائد في مائة ألف مقاتل فدخلوا مصر في يوم الثلاثاء سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة فهرب أصحاب كافور وأخذ جوهر مصر بلا ضرب ولا طعن فخطب للمعز يوم الجمعة على منابر الديار المصرية وسائر أعمالها وأمر المؤذنين بجامع مصر وبجوامع بن طولون أن يؤذنوا بحي على خير العمل الى حي على شر العمل الى حي على شر الخوارج فشق ذلك على الناس وما استطاعوا لهم دا وأرسل بشيرا الى المعز بشره بفتح الديار

هى فعلته حيث لا ينفعه الندم وجمع من قدر عليه وبرز الى قتال هلاكو فوقع المصاف بينهم واشتد القتال ووقع الطراد والنزال واستمر من اقبال الغبرا الى ادبار النهار فجزاهن الاصطبار وانكسر وأشد الانكسار وولوا الادبار وما أغنى عنهم الفرار وغرق كثير منهم فى الدجلة وقتل أكثرهم أشر قتلة وسبوا النساء والاطفال ونهبوا الخزائن والاموال وأمر المستعصم هولاكو وأولاده بمجاهدته وأتى بهم الى هلاكو أسرى اذلاء فسبحان المعز المذل واستبقى هلاكو الخليفة الى أن احتوى على أمواله وخزائنه وذخائره وذفائنه ثم رمى بقراب أولاده وذريته وأتباعهم وحشمه وأمر أن يضم الخليفة فى قمراة ويرفس بالارجل الى أن يموت فخصلوا به ذلك وكانت مدة خلافة المستعصم سبع عشرة سنة وستة أشهر وأيام اربع عشر ليلة خلت من سنة ست وخمسين وستمائة وانما أزال الله ملكه وأهله حيث انتظر بطانة سوء ومعلوم ان الله اذا أراد بعبد سوأ قيض له قرناء السوء وقد قالوا

عن المرء لا تسئل وسل عن قرينه ● فكل قرين بالمقارن يقتدى
اذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ● ولا تصحب الأردى فتردى مع الردى

ولم ينل ابن العلقمى ما أراده من نقل الخلافة لمن أراده وذاق من الشر المذل والهوان وكان حسن ظنهم أن يقيموا خليفة علويا فلم يروا الا قتوه وصار معهم فى صورة بعض الغلمان ومات كمدا الا رحمه الله وعملت الشعراء فصائد فى بغداد فقال بعضهم

بادت رجالهما معا فنسوتهم ● بيقاء مولانا الامير خراب

(وقال بعضهم) يا معصية الاسلام فوحى وانفى ● حزنا على ما تم للمستعصم
وست الوزراء كان قبل زمانه ● لابن الفرات فصار لابن العلقم

ثم انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر وصل الى مصر فى سنة خمس وخمسين وستمائة وتم اسم بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى له نفقة ولم يعرله من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده على هذا المنوال يأتون الى السلطان الذى يريد دون توليته وبه يولون ولم يملك السلطنة هكذا كانوا بالقاب الخلفاء واحدا بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويسألونهم أحيانا بطلبون السلطنة بالسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله محمد بن يعقوب واقبه المتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وفتحت مصر وزالت دولة الجراكسة وعادة الدولة الشريفة القسطنطينية العظمى أخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور وحضر كذلك فى السلطان سليم الى روحه الله تعالى حاد الخليفة المذكور الى مصر واستمر بها الى ان قرئى فى ثامن عشر شعبان سنة خمس وتسعمائة زمن المرحوم داود باشا وجوته انقطعت الخلافة العباسية وكان المتوكل هذا فاضلا لا بأس به له شعر جيد منه قوله مضمنا بيتا من

لا مبقى الطغراق ● لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ● ولا كريم اليه منتهى حزنى
والحاسدون قوم غير ذى حسب ● ما كنت أوثر أن يمتد فى زمنى

فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعنا بالظر الى وجهه الكريم فى الآخرة فلقد زالوا ومازالت أخبارهم تروى وأحاديثهم الحسنة على السنة الرواة لا تطوى وفى المعنى

كانوا ملوك الارض فى أيامهم ● صاروا كان لم يكونوا مكان
فتمزقوا وتفرقوا فهناك هم ● تحت الثرى يبلون فى الاكفان
والله وارث كل من بعدهم ● وله البقاء وكل شئ فان

﴿ الباب الرابع فيمن ولى مصر من نواب الخلفاء الراشدين وبنى أمية والدولة العباسية وما داخلها من بنى طولون والاخشيدية ﴾

أول من تقرر فى مصر والبا بعد فتحها عمرو بن العاص رضى الله عنه ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو

ابن

المصرية واقامة الدعوة بها وطلبه اليها ففرح بذلك فرحا شديدا ولما دخل جوهر القائد مصر لم يجبه مدينة الفسطاط فأخذ فى أسباب عمارة القاهرة بنية المفاخرة لبنى العباس ببناتهم ببغداد فاخذ فى أساس المدينة وجمع أرباب الملك فأمرهم أن يختاروا له طالعا سعيدا يضع أساس المدينة فيه فجعل على كل جهة من أساس المدينة قوائم من خشب وبين كل قائمتين حبل فيه أجراس من نحاس ثم وكل الفلكية ينظرون دخول الساعة المجيدة والطالع السعيد ليضعوا فيه الاساس فقدر الله ان طائرا حرك تلك الاجراس فالقوا ما فى أيديهم من الحجارة فى أساس الصور فصاحت عليهم الفلكية القاهر فى الطالع

ابن العاص فتح مصر يوم الجمعة لسنة عشرين من الهجرة فاختط الفسطاط بنيانا وتولى نيابة مصر واقليمها وهي طولا من العريش الى اسوان وعرضا من ايلة الى برقة ثم فتوح مصر ان عمرو بن العاص ارسل الى سيدنا عمر بن الخطاب كتابا يذكر فيه ان الله عز وجل منحه جملة مال خارسل سيدنا عمر بن الخطاب جوابا يعرفه فيه أما بعد فانى أعلمك اجمالا اسرافا كان زمن التحضير وكتبت عليهم معجلات بتقرير فلا تغير ما كتبت عليهم والحذر من ايصال الضرر اليهم فحكم القادرون عليهم فى الدنيا وهم خصمائك فى الآخرة وكل راع مسؤل عن رعيته واعلم ان الظلم باب لعن الله الداخل فيه والعدل شئ تعتمده ونخشيه فاقصد أمرا نالا تخالف حكمنا وأنا مثلك بعيد والله مطلع عليك ورشيد وقد اتصل بنا كتابك وأنت تذكر فيه ان الزراعين بقى عليهم جملة كثيرة من المال فلا تتبع من مواشيهم شيأ فتردهم الى العدم وتحل بهم النقم واجعل على زراعهم كل نقة أمين واذا علمت انهم اتخذوا نقة تضمر ونقة فرامهم يتبع من المؤنة وجوز الايام تهون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون وصرف عمرو بن العاص عن ولاية فى خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه ثم تولى عبد الله بن أبي سرح عن قبل سيدنا عثمان بن عفان ولما بلغه فتحه الاسكندرية بعنوة الفتح الثانى ومكث أميرا على مصر الحروسة ولا يقيد سيدنا عثمان بن عفان وكان محمود الى ولايته فغزا ثلاث غزوات كلها مما شان وغزا افريقية وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساورة حتى بلغ نقلة وغزوة الصوارى ولما جبى خراج مصر بلغ أربعة عشر الف الف دينار فنظر سيدنا عثمان بن عفان الى عمرو بن العاص وقال قد علمت ان الغلة درت بعدك قال نعم ولكن اجاعت أولادها ولذى جباه عبيد الله بن أبي سرح اغماها على الجاسم خارجا عن الخراج وغيره من الاموال الديوانية ومات عبد الله بن أبي سرح سنة ثلاثين فى رجب سنة خمس وثلاثين بعد ان استخلف عقبة بن عامر الجهنى فمكث ولايته احدى عشرة سنة ونصف سنة تقريبا والله أعلم ثم تولى قيس ابن سعد بن عبادة الانصارى من قبل سيدنا على بن أبي طالب رضى الله عنه فاقام بمصر اوما ثم تولى محمد بن أبي بكر الصديق رضى الله عنه من قبل الامام على بن أبي طالب رضى الله عنه فوصل الى مصر فى نصف رمضان سنة تسع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب أموالهم وحبس قرار يهم فبلغ ذلك معاوية فبعث عمرو بن العاص فى جيوش أهل الشام الى مصر فاقتتلوا قتالا شديدا وانهزم أهل مصر فدخل عمرو بن العاص الى مصر ونقب محمد بن أبي بكر فظفره معاوية بن حديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار وأحرق بالنار لأربع خلون من صفر سنة ثمانية وثلاثين فمكثت ولايته خمسة أشهر ثم عاد عمرو بن العاص من قبل معاوية بن أبي سفيان ثانيا وجعل له مصر طعمة ذكر المقريزى فى خططه ان عمرو بن العاص قال لمعاوية مصر من كم كنزا عندك فقدرت عليه لاقتلنه وان قطبيانين أهل الصعيد يقال له بطرس كر لعمر وان عنده كنزا فارسل اليه فسأله عنه فانكر وجحد فيه وصار يسئل هنه هل يدل على أحد فقال له لا ولكن سمعنا يسئل عن راهب فى الطور فارسل عمرو الى بطرس فنزع منه ثم كتب الى ذلك الراهب ان ابعث الى بما عندك وختم الكتاب بختم بطرس فجاء المرسل بالكتاب بغلة شامية مختومة بالرصاص فقتلها عمرو فوجد فيها مكتوبا ما الكتاب الفسقية الكبيرة فارسل عمرو الى دار بطرس وحبس الماء عن الفسقية فوجد فيها اثنين وخمسين أردب ذهب مصرية فضرب عمرو أمر بطرس وأخذ المال جميعا فعند ذلك أخرجت القبط كنوزهم شفقة على أنفسهم وتولى عمرو بن العاص ليلة عيد الفطر سنة ثنتين وأربعين وقسمها عبد الله بن عمرو وأخوجه الى المصلى فلم يبق أحد شهد العيد الا حمل عليه فمكاثت ولايته منذ افتتح مصر الى ان صرف عنها أربع سنين وشهرا ثم تولى عقبة بن أبي سفيان من قبل أخيه معاوية فى ذى القعدة سنة ثلاث وأربعين فأقام ستة أشهر ثم تولى حاجر بن عتبة الجهنى من قبل معاوية وصرف عنها فى شهر ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ثم تولى مسلمة بن مخلد الانصارى من قبل معاوية وتوفى فى ولايته

يعنون المريخ فانه يسمى عندهم القاهر فقالوا اعلموا ان هذه المدينة اكثر من يملكها الاتراك وكان الامر كذلك وبنى الجامع الازهر ثم اسقط خبر المعز مصر لم يجب بما بنا مجوهر القائد وبانيها وقال لاى شئ لم تجعلها على البحر وكان قد سماها المنصورية أولا ثم لما بلغه ما وقع للفاطمية غير الاسم وسماها القاهرة المعزية ولما استقر المعز ملك مصر انفرد بها ولم يدخل تحت طاعة الخلفاء العباسية وقال انا أفضل منهم لانى من ولد فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكثر المؤرخين يكذبونهم فى ذلك ويقولون انهم أولاد الحسين ابن عبيد بن أحمد القداح وكان يحوسيا وقيل يهوديا وأمهم فاطمة بنت عبيد اليهودى وخلاصتهم باطلة لانهم قاموا بالخلافة

ما جمعهم وقتلوه من غير أن يتكلم وكان قتله فى شهر شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة أشهر وكان ظلما غاشما عصمه الله منه اذ اعتدا الظالمين نارا أحاط بهم سرادقها فقال اللهم لا تشتتنا ثم تولى عصمة بن عمر وباستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دجنة جيشا مع أخيه بكار لحارب يوسف بن نصر وهو على جيش دجنة فتحاجزا فوضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين واستمر الى سلخ المحرم سنة ثمان وستين ومائة ثم تولى هلى بن سنان بن على من قبل الهادى سنة تسع وستين ومائة وايامه كلها للهادى واستخلف هرون الرشيد أفرهل بن يوسف المذكور فاظهر الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور والكنائس المحدثة بمصر فبذلت النصارى فى هدم هدمها مايزيد على خمسين ألف دينار فلم يقبل وكان كثير الصدقات فاثنى الناس عليه خيرا بل أشاعوا انه يصلح للخلافة فسخط عليه هرون وعزله فى ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم تولى عيسى بن موسى العباسى من قبل الرشيد فاذن للنصارى فى بناء الكنائس التى هدمها على بن سنان فبنيت بشورة الليث بن سعد وعبد الله بن أبى فديك ثم صرف عن مصر سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وخمسة أشهر ونصفا ثم تولى سلمة بن يحيى الجبلى من خراسان من قبل الرشيد ثم صرف عنها فى شعبان سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته أحد عشر شهرا ثم تولى محمد بن زهير الازدى من قبل الرشيد فى شعبان المذكور فنازله اهل الجند ولم يستقم حاله فصرف عنها فى غايذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فكانت ولايته خمسة أشهر ثم تولى داود بن يزيد بن حاتم المهلبى وقدم هو ابراهيم لاخراج الجند الذين قاموا على محمد الازدى فدخلا مصر فى المحرم سنة أربع وسبعين ومائة فاخرجا العسكر القديم الى الغرب واستقام الحال وسكنت الفتنة ثم صرف داود المذكور عن ولايته فى المحرم سنة خمس وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة ونصفا ثم تولى موسى بن عيسى العباسى من قبل الرشيد فى شهر صفر سنة خمس وسبعين ومائة وصرف فى شهر صفر سنة ست وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة ثم تولى ابراهيم بن صالح ثانيا مصر قبل الرشيد فى شهر ربيع الأول سنة ست وسبعين ومات وتوفى فى ولايته فكان مقامه بمصر شهرين وثمانية عشر يوما وقام بعده بالامر ابنه صالح مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم تولى عبد الله ابن المسيب من قبل الرشيد سنة ست وسبعين فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادات أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فقاتلهم فقتل كثيرا من أصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فجهز جيشا عظيما وبعثه الى الحوف فقاتله وبالطاعة وأذعنوا له وقاموا بالخراج كله ثم صرف عبد الله المذكور فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت ولايته سنتين وسبعة أشهر ثم تولى هرثمة بن أعين من قبل الرشيد فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعين ومائة فأشار عليه الرشيد بالمسير الى افريقية فكان مقامه شهرين ونصفا ثم تولى عبد الله بن صالح العباسى من قبل الرشيد فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب وصرف فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فكانت مدته شهرا واحدا ونصفا ثم تولى عبد الله بن المهدى من قبل أخيه الرشيد فى المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب وصرف فى رمضان فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى عيسى بن موسى ثالث مرة من قبل الرشيد فأرسل ابنه يحيى خليفة عنه فى رمضان سنة تسع وسبعين ومائة وصرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى عبد الله بن المهدى ثانيا من قبل أخيه الرشيد فقدم داود بن حماد خليفة عنه فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة وصرف فى رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فكانت ولايته سنة واحدة وثلاثة أشهر ثم تولى اسمعيل بن صالح العباسى من قبل الرشيد فى سابع رمضان المذكور فاستخلف هرون بن وهب الخزاعى فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فكانت ولايته تسعة أشهر ثم تولى اسمعيل بن عيسى العباسى سنة اثنتين وثمانين ومائة وصرف فى رمضان من السنة المذكورة فكانت مدته ثلاثة

القوم حتى انه تعدى قبحه الى أخته وأراد أن يفعل بها الفاحشة فعملت على قتله فركب ليلة الى الجبل المطلع منه نظر فى النجوم فأتاه عبدان فقتلا موحملاه الى أخته ليلا فدفنته فى دارها وذلك سنة احدى وأربعين فتصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا واحدا وبنى الجامع المعروف به الكحل بالقاهرة فيما بين باب النصر والفتوح ولما بناه قصد قطع الخطبة بالجامع الازهر فقد ذكر الله انما خطب به الا الولاة من بعده (وتولى من بعده ابنه الظاهر لدين الله أبو الحسن على بن الحاكم) وهو الرابع من خلفاء العبيدية الفاطمية وكان عمره ست عشرة سنة فاقام مثلها وسبعة أشهر وفصل أفعاله الاتقرب من أفعال والده ومات يوم الاحد سنة سبع وعشرين

شهور ثم تولى البيعة بن فضل من أهل برقة من قبل الرشيد فى سابع رمضان من السنة المذكورة وقدم مصر فى شوال فجاءه المال والجند يارا لتحف واستخلف أخاه الفضل وتوجه بالمال والجند يالى الرشيد ثم عاد وتوجه ثانيا بالمال واستخلف هاشم بن عبد الله وكان فى أول سنة وخرج من حسابها توجه بالمال الى الرشيد ومعه الحساب ثم صرف عن مصر فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة فمكثت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر ثم تولى أحمد بن اسمعيل العباسى من قبل الرشيد فى جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ومائة ثم صرف فى رمضان سنة تسع وثمانين ومائة فمكثت ولايته سنتين وشهرا ونصفا ثم تولى عبد الله بن محمد بن ابراهيم العباسى من قبل الرشيد فى شوال سنة تسع وصرف فى شعبان سنة تسعين ومائة فمكثت ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسين بن جميل من قبل الرشيد فى رمضان سنة تسعين ومائة وصرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فمكثت مدة ولايته سبعة أشهر ثم تولى دغم الكلبى من قبل الرشيد فى ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة وصرف فى صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فمكثت ولايته عشرة أشهر ثم تولى الحسن الهتاخ من قبل الرشيد فى ربيع الاول سنة ثلاث وتسعين ومائة فمات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند ووقعت فتنة عظيمة فجهز الحسن مال مصر فوثب أهل الرملة لاخذه فبلغ الحسن فسار من طريق الحجاز فقصد طريق الشام وكان سعيد فى ربيع الاول سنة أربع وتسعين ومائة فمكثت مدة ولايته سنة واحدة ثم تولى الهيثم بن حزمن قبل الامين فى ربيع الثانى سنة أربع وتسعين ومائة وصرف فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فمكثت ولايته سنة واحدة وثوخة أشهر ثم تولى حاتم الاشعث الطائى من قبل الامين وكان لينا فما حدثت فتنة الامين والمأمون قام العسرى بن الحكم عصبيا للمأمون ودعا الناس الى خلع الامين فجاءوا وبايعوه للمأمون لثمان بقين من جمادى الاولى سنة ست وتسعين ومائة وأخرجوا حاتما الاشعث فمكثت ولايته سنة واحدة ثم تولى عباد بن محمد بن حسان بن أبى نمر من قبل المأمون فى رجب سنة ست وتسعين ومائة فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس رئيس الخوف بولاية مصر وكتب الى جماعة تعاونه ببيعة الامين وخلع المأمون وما قتل الامين صرف عباد فى شهر صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فمكثت ولايته سنة وسبعة أشهر ثم تولى المطلب بن عبد الله الخزاعى من قبل المأمون فى ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين ومائة ثم صرف فى شوال فمكثت ولايته تسعة أشهر ثم تولى العباس ابن موسى العباسى من قبل المأمون فى القعدة سنة ثمان وتسعين ومائة وعزل سنة تسع وتسعين ومائة ثم تولى المطلب ثانيا من قبل المأمون فى المحرم سنة مائتين وعزل فى شعبان من السنة المذكورة ثم تولى الهرى بن الحكم من أهل بلخ من قبل المأمون فى مستهل رمضان سنة مائتين وتوفى العسرى المذكور سنة أربع ومائتين وهى السنة التى مات بها الشافعى رضى الله عنه ثم تولى محمد بن العسرى المذكور من قبل المأمون وتوفى فى شعبان سنة ست ومائتين فمكثت ولايته أربعة عشر شهرا ثم تولى عبيد الله ابن العسرى باجلاح من الجند وعزله عبيد الله بن طاهر من قبل المأمون فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة ومائتين ثم تولى عيسى بن يزيد الجلودى باستخلاف عبد الله بن طاهر فى سابع عشر القعدة سنة ثلاث عشرة ومائتين ثم تولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد وهو المعتصم فأقر عمرو على الصلاة فقط وجعل صالح بن شيرزاد على الخراج فظلم الناس بخاروه وقتلوا أصحابه فى صفر سنة أربع عشرة ومائتين ثم تولى عمر بن الوليد التميمى باستخلاف أبى اسحق بن هرون الرشيد فخرج لقتال الخوف فى ربيع الآخر سنة أربع عشرة ومائتين فمكثت ولايته شهور ثم تولى عيسى الجلودى ثانيا باستخلاف أبى اسحق ابن هرون الرشيد لمحاربة أهل الخوف بالمطرية ثم انهزم فاقبل أبو اسحق فى أربعة آلاف من أثرا له ففتك أهل الخوف وقتل أكابرهم وخرج الى الشام فى المحرم سنة خمس عشرة ومائتين فى أثرا له وسمه الاسارى ثم تولى عبيد ويه بن جبلة من قبل أبى اسحق فاستمر الى غاية سنة خمس عشرة ومائتين

وأربعمائة (وتولى من بعده أبو أحمد المستنصر بالله معد ابن الظاهر) فاقام سنتين سنة بتقديم السين المهملة على المثناة الفوقية وأربعة أشهر ولم يقم هذه المدة خليفة ولا ملك فى الاسلام قبله وحصل فى مدته غلاء عظيم لم يعهد مثله الا ما كان فى زمن يوسف عليه السلام فمكث سبع سنين حتى أكل الناس بعضهم بعضا وبيع الرغيف الواحد بخمسين دينارا وخرجت امرأة بعد جواهر وطلبت هوسه مدير فلم تجد فالقته وماتت جوعا فلم يوجد من يأخذه وتوفى المستنصر سنة سبع وثمانين وأربعمائة وبعده وقع الخلف والتصرف فى الامور لوزرائهم ولم يبق للخوف الا من الخلافة فسموى الاسم (وتولى من بعده المستعلى بالله) أبو القاسم ولد المستنصر المذكور فاقام

وتوجه الى برقة ثم تولى عيسى بن منصور الرافعى من قبل أبى احمد كور فى أول سنة ست عشرة ومائتين فاختلف عليه معرب مصر وقبطها فى جمادى الأولى من السنة المذكور وتخلعوا الطاعة فقاتلهم وقتل منهم جماعة فكانت حروبا عظيمة الى أن قدم عبد الله المأمون الى مصر سنة سبع عشرة ومائتين فضبط على عيسى وحمل لواءه ونسب هذه الفتنة اليه ثم ان المأمون جهز الجيوش لاهل الفساد وسبى منهم من سبى وقتل منهم من قتل وان المأمون أراد الوقوف على حقيقة الاهرام ففتح ثلمة من الحرم الكبير الى ان انتهى الى عشرين ذراعا فوجد مطمرة فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقيتان وكانت ألف دينار فتعجب المأمون من جودة ذلك الذهب وحسن حبره وقال ارفعوا الى حساب ما أنفقتموه على هذه الثلمة فرفعوه فوجدوه بازاء ذلك المال لا يزيد ولا ينقص فتعجب من ذلك غاية العجب وقال كان هؤلاء القوم بمنزلة لا نذركم لهم ولا أمثالنا ثم رحل المأمون الى مصر سنة تسع عشرة ومائتين فأقام بها سبعة أشهر ومات بها وحمل الى سوريه أحد ملوك مصر قبل الطوفان هو الذى بنى الهرمين الكبيرين على الصفة التى وصف فى أخبار مصر ويحكى انه لما سوريه أحد بنائهما انه قبل الطوفان بثلثمائة عام رأى سور يقال له منامه كان الارض انقلبت بأهلها وكان الناس قدهم بوا على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ويصدم بعضها بعضا بايه وات هائلة فراعه ذلك ولم يذكر لاحد منهم انه سيحدث أمر عظيم ثم رأى بعد ذلك بايام ان الكواكب الثابتة نزلت الى الارض فى صورة طيور بيض وكانها تخطف الناس وتلقيهم بين جبلين عظيمين وكان الكواكب المنيرة صارت مظلمة مكسوفة فانتبه فزعا مرعوبا فاهم عند ذلك بعمل الاهرام وامر شرع فى بنائها أمر بقطع الاسطوانات العظام واستخدام الرصاص من أرض المغرب واحضار الصخور من ناحية اسوان فبنى بها أساس الاهرام الثلاثة الشرقى والغربى والملون وكانوا يدون البلاطة ويثقبونها ويجعلون بوسطها قضيب من حديد قائما ويركبون عليها بلاطة أخرى مثقوبة ويدخلون القضيب فيها ثم يذيب الرصاص ويصب فى القضيب حول البلاطة التى أن كملت وجعل ارتفاع كل واحد من الاهرام مائة ذراع بالذراع الملكى وهو خمسة أقدرع بذراعنا الآن وجعل طول كل واحد من جميع جهاته مائة ذراع بذراع العمل ولما فرغت كما هاديه اجاملونا من أسفلها الى أعلاها وأنشد بعضهم

يعيشك هل أبصرت أعجب منظرا ● على طول ما أبصرت من هرمى مصر
أناقا بنا كاف السماء وأشرفا ● على الجو اشراف السماك على النسر

(وقال آخر) خليلى ما تحت السماء بقية ● تماثل فى اتقانها هرمى مصر
بناء يحاف الدهر منه وكل ما ● على ظاهر الدنيا يحاف من الدهر

وذكر القبط فى كتبهم ان عليها كتابة منقوشة باليونانى تفسيرها بالعربية انا سور يد الملك بنيت هذه الاهرام فى وقت كذا وكذا وأتممت بنائها فى ست سنين فمن أتى بعدى وزعم انه ملك مثلى فليهدمها فى ستمائة سنة وقد يدل ان الهدم أهون من البناء وأنا كسوتها عند فراغها بالديباج فليكسها أيام مصر رجعنا الى ما نحن بصدده ثم ان المأمون ولى مصر بن عبد الله الصغدى الهدو كبد ورمات المأمون سنة ثمان عشرة ومائتين واستخلف المعتصم فاقر كبد المذكور ثم مات كبد المذكور فى ربيع الآخرة سنة ست عشرة ومائتين بعد ان استخلف ابنه المظفر ثم تولى ابن أبى العباس من قبل المعتصم فى مستهل رمضان سنة تسع عشرة ومائتين فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ثم تولى كيدر بن عبد الله الصغدى من قبل المعتصم ولما مات المعتصم وبويع للواثق أقره فى شهر الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين ثم تولى عيسى بن منصور نائبا عن قبل الواثق سنة تسع وعشرين ومائتين ولما بويع للمتوكل صرف عيسى المذكور فى شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين ثم تولى منصور بن المتوكل من قبل أبيه المتوكل ورضم اليه المشرق والمغرب واستمر الى سنة احدى وأربعين ومائتين فكانت مدته سبع سنوات ثم

سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة (وتولى من بعده الامر باحكام الله) ابو على المنصور بن المستعلى تولى وعمره خمس سنين فاقام تسعا وعشرين سنة وسبعة أشهر الى أن قتل فى الروضة سنة أربع وعشرين وخمسمائة وكان رافضيا حسيثا فاسقا ظالما جبارا منظاهرا بالمنكرات فكانت مدة ولايته تسعا وعشرين سنة وشهرين (وتولى من بعده الحافظ لدين الله عبد الحميد) فاقام تسع عشرة سنة وتوفى سنة أربع واربعين وخمسمائة (وتولى من بعده ولده الظافر بأحداء الله اسمعيل) فاقام أربع سنين وسبعة أشهر الى أن قتل بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وهو الذى صرجامع الفكهانيين

تولى يزيد بن عبد الله من قبل المتوكل فدخل مصر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وهو الذي بنى المقياس الموجود الآن وايام المتوكل وبويع لهم المنتصر أخو يزيد المذكور وايام المنتصر وبويع للمعتز أخو يزيد المذكور وصرف هذه السنة اثنتين وخمسين وماتتين فكانت ولايته ستة عشر سنوات ثم تولى احمد ابن مزاحم من قبل المعتز واستمر الى سنة أربع وخمسين ومائتين

﴿الدولة الطولونية﴾

أولهم أحمد بن طولون تولى من قبل المعتز في شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين واستولى مصر كان على خراجها أحمد بن المدبر وهو من دهات الناس وشاطين السكاب أهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار وكان ابن طولون قد رأى عند أحمد بن المدبر مائة غلام قد انتخبهم وصيرهم عدة له وكان لهم حسن خلق وبأس شديد وعليهم أقبية ومناطق كبار عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة منهم نصف فضة وكفوا يقفون بين يديه في حانق جلسه فاداره كبير والى صدور الناس بين يديه تنصيره هيبة عظيمة في قلوب الناس فتنه فطن ابن المدبر لفعله دان ابن طولون وقال من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف نخافه وكره المقام معه بمصر واتفق مع سفيان الخادم صاحب أحمد ابن المدبر على مكاتبة الطائفة بازالة أحمد بن طولون فلم تكن غير أيام حتى بعث أحمد بن طولون الى أحمد ابن المدبر يقول له قد كنت أعزك الله أحمد بن لتأخذ به وقد الاستغناء عنه فرد ذا هاطبلك توقيع واطلب أن تجعل العوض عنها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فانا اليوم أحوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذا آخر أعظم عما تقدم ولم يعده فلما من بعثهم اليه فتحولت هيبة أحمد بن المدبر الى أحمد بن طولون ولقعت هيبة ابن المدبر في عمارة الغلمان فكتب ابن المدبر الى الخليفة يحرضه على قتل ابن طولون فبلغه ذلك فحكم ذلك في نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين وقام المهدي بالله ابن الواثق فأقر أحمد بن طولون وزاده اعمالا على مصر من جملتها الاسكندرية وتوجه ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها ولم يزل يستأصل الامور شيأ فشيأ الى ان قويت شوكته وغلب وسار سلطانا بمصر وتحول من دار النيابة بمصر الشمع وبنى بناء بين مصر والعباسة وسماه القطائع وهو أول من تسلطن بمصر وكان حكمه بمصر والشام والفرات والمغرب وكان يشتغل بالعلم والحديث ويصرف في علي الجامع المعروف به الآن مائة ألف وعشرين ألف دينار والنفقة ورسم الصدقة كل يوم ألف دينار ورتب للعلماء وأرباب البيوت كل شهر عشرة آلاف دينار وهكذا اتفق انه لما تساقطت الكبوس في أيامه رأيته ذلك فاحضر من عنده من المهندسين والعلماء وسألهم فما أجابوا بشيء فدخل الحسل المصري الشاعر وهو في الحديث وأنشد

قالوا تساقطت النجو ● م لحادث فظ مهيب ● فاجبت عند فعالهم

يجواب مختلف خبير ● هذي النجوم الساقط ● توحوم أعداء الامير

فتقدم ابن طولون وأستشعر وأمر له بخلعة سنية وصلة وقال للجماعة أف لكم أما كان فيكم من يحسن أن يقول مثل هذا وتوفي أحمد بن طولون ليلة الاحد لعشر من خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين ودفن خارج باب القرافة وكانت مدة سلطنته عشرين سنة وشهرين وخلف ثلاثة وثلاثين ولدا منهم سبعة ذكور وخلف من الذهب عشرة آلاف ألف دينار ومن المماليك عشرة آلاف ومن الغلمان أربعة وعشرين ألفا ومن الخيل عشرة آلاف ومن البغال والحمير ستة آلاف ومن الجمال عشرة آلاف ومن المراكب الحربية مائة مركب قبل انه رأى في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال انما البلاء على من ظلم من لا ناصر له الا الله وما هلى وزشاء الدنيا شدة من الحجاب لطالب الانصاف وقال بعضهم كنت أرى شيخا بقارعة أهلي قبره ثم تركه فسئل عن ذلك فقال كان له علينا بعض احسان فاحببت أن أصله بالقرآن فاتاني في المنام وقال لا تقرأ على شيأ فانه لا عمر آية الا قيل لي أما سمعت هذه فاقول بلى والله تعالى أعلم (ثم تولى بعده ولده خمارويه) وبايعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين

بالشرقيين (وتولى من بعده الفائز عيسى بن الظاهر) وعمره خمس سنين فاقام ست سنين ونصف وأقامت سنة خمس وخمسين وخمسمائة (وتولى من بعده العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فاقام أحد عشر سنة وستة أشهر وخلع ومات سنة سبع وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين ومدة تصرفهم مائتا سنة وثمان قرنات سنتين وخمسة أشهر وقد طهر الله منهم البلاد وأراح منهم العباد (ثم جاءت الدولة الايوبية والكردية السنية أصحاب الفتوحات الذين جددوا الخطبة للعباسية هم اكراد وكان في خدمة زنكي ثم في خدمة نور الدين الشهيد وهو الذي أرسلهم الى مصر فأرضى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب حضر مصر مع نور

فانفق ما كان يفعله والده من الخيرات والصدقات وامّا كولات والزفاهية والهيبة وزاد على ذلك وأخذ الميدان وجعله كله بستانا وزرع فيه أنواع الرياحين وأصناف الشجر حتى انه تشكا الى طبيبه كثرة السهر فاشار عليه بالتكبيس فانف وقال لا اقصد على وضع يد أحد على فقال له اصطنع لك بركة طولها عشرون ذراعا في عرض عشرين ولا أعلم ان الزئبق فانفق في ذلك أموالا عظيمة وجعل في أركان البركة سكاكين فضة وجعل في السكاكين نافير من حرير بحكمة الصنعة وجعل فراشا من أدم يمشي بالريح حتى ينتهي وينام على الفراش فصار يمرّ به ويتحرك به فكانت هذه البركة من أعظم مآثرهم جهانهم الملوك وكان يرى لحافي الليالي المقمرة منظرا عجيبا اذا تألق القمر ينور الزئبق واقام الناس بعذاب هذه البركة مدة يصفرون لاجل أخذ الزئبق من شقوق البركة ويبيعونه وبنى أيضا في داره دار السباع وجعل في كل بيت سبعا وابوّ عليها تلك البيوت أبواب تفتح من أعلاها وكل بيت مفروش بالرمل وفي جانب كل بيت حوض من رخام يصب فيه الماء وكان من جملة هذه السباع سبع أزرق العينين يقال له زريق وقد أنس بخبار وبه وصار مطلقا بالدار لا يؤذي أحدا فاذا نصب خبار وبه على مائدته أقبل زريق معها ووقف على يديه فيرى البه بحاجة أو مغرم فاذا ذلك على المائدة فما كان يكاد له يوما من الايام فما أنس فكانت في مقصوره تروقها رفق معلوم يحتمع معها فاذا نام خبار وبه قام زريق يحرسه فاذا نام على السرير راهبه زريق مادام نائما وان كان على الارض أقبى قريبا منه وينظر من يدخل أو يقصد خبار وبه ولا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان قد ألف ذلك وكان لي منه زريق طوق من ذهب وكان لا يقدر أحد يقرب من خبار وبه مادام نائما امرأة زريق به وحراسته حتى أراد الله انفاذ قضائه وقدره في خبار وبه لما كان بمنتزه وزريق يحرس قتل اذلا يغني حذر من قدر وهذا أفاده الكمال الدميري في حياة الحيوان ان للسبع أسماء كثيرة وكفى والمتكلمون على طبائع الحيوان يقولون ان الاناث لا تضع الا جرواً واحدا فتضعه لحمة لا حس فيه ولا حركة فتحرسه ثلاثة أيام ثم يأتي أبوه بعد ذلك فينفخ فيه مرتين فيدب ويتحرك ويتنفس ويتشكل ثم تأتي أمه فترضعه ولا يتفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تشكله فاذا مضت عليه ستة أشهر اكتسب التعليم وله سبع على الجوع وقلة المحاجة الى الماء ما ليس لغيره من الحيوان ولا يأكل من فريسة ثغره واذا اشبع من فريسته تركها ولم يعد اليها ولم يشرب من ماء ولغ فيه الكلب ومع افراط شجاعته ينفر من صوت الديك ونفار الطست ومن السنور ويتحير عند رؤيه النار ومتى وضع جلده على شيء من جلود السباع تساقط شعر هاومن ذاق عليه قطعة من جلده بشعرها أمن من الصرع قبل البلوغ فان أصابه الصرع بعده لم ينفعه ومن لطخ بشحمه جميع بدنه هربت منه السباع ولم تنله مكروه واذا أحرق شعره في موضع هربت منه سائر السباع وله نفع الفالج واذا وضعت قطعة من جلده في صندوق مع ثياب لم يبه اسوس ولا أرضة وهذا بما لا مقدم من قرية سراة السبع ان قضاعة مغربا أخوفي شفاها في ستة ثلاثين والف أن قضاعة من قرى جزائر الغرب ذكر انه قضاعة من أقاربه احتاز ببعض الاودية فرأى جروسبع مزرورا والعين قدر اللحظ فالتقطه وجاء به الى منزله وكانت زوجته مرضعة ومعها ولد فألفت الجرو فترضعه واستأنس بها فصار الولد والجرو كالتوأمين ولما كبر الولد وافتش وبقي له حركة في المشي والدخول والخروج فكان الجرو يتبع الولد اينما سار وأينما نام ينام بازائه واذا مرح يغنمه يتبعه ويراعيه ويحرسه اذا نام الى ان سار الولد رجلا والجرو سبعا فقد ارادالله أن الولد عشق بنتا من قرية قريبة لقريته فكان يتوجه لمحبوبته والجرو راكب السبع واذا قرب من القرية التي فيها البنت يقول للسبع احلس ههنا حتى اقضي مرادي واعود اليك فيجلس السبع خارج القرية الى أن يعود اليه الولد فاتفق ان أهل البيت فطنوا بالولد المذكور فقبضوا عليه وقتلوه فاقام السبع ينتظره الى أن طلعت الشمس فلم يحضر فظن السبع ان الولد توجه الى أمه فكر راجعا الى منزل الولد فلم يجده فقال أم الولد للسبع يا مبشوم أين صاحبك فذرفت عيناه

الدين الشهيد لما أرسل له العاضد الفاطمي يستحثه به على الافرنج الذين حضروا الى مصر وأخذوا مدينة بلبيس وقتلوا وأسروا ونهبوا ما راموا أخذه القاهرة فأمر شاور الوزير بحرق مصر والنقلة الى القاهرة فالتهبت النار فيها أربعة وخمسين يوما ثم لما توجه نور الدين الشهيد من الشام هرب الافرنج لما سمعوا بوصوله وقتل الوزير شاور لانه كان الذي أطمع الافرنج في المسلمين وأقام العاضد مقامه وزيرا وصات فأقام مقامه في الوزارة يوسف صلاح الدين ولقبه بالملك الناصر فقام بالسلطنة أتم قيام وأجلى الافرنج عن أرض مصر واستمر وزيرا للعاضد الى أن مات فتولى صلاح الدين السلطنة واستولى على قصر الخلافة بمفاتيحه فوجد فيه

بالعموم وكرر راجعا على أثره للقرية التي كان بها الولد فقتل من أهلها في ساعة واحدة ما يزيد على عشرين نفرا وكما دخل السبع منزل الولد بعد أمه تبكي فيعود الى القرية فيقتل من أهلها من يظفر به الى ان قتل جملة من أهلها ثم ان الذي بقي من القرية تشكوا أمرهم لحاكم الولاية فاستشار الناس في قتله فأشار واهله بأنه لا يمكن قتله الا أن يحضر به أم الولد ويستأنس بها فاذا استأنس بها يضرب برصاصة فيقتل فعمل به ذلك وقتل السبع بهذه الحيلة وعدت به الى دمشق فقتل بها على فراشه مذبوحا بعض جواريه في ذي القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين ووصل الى مصر وكان له يوم عظيم ومن كلام الحكمة ان بطانة الرجل وأهله اذا خانوه فقد هلك فكان ولايته اثنى عشر سنة وثمانية عشر يوما والله سبحانه أعلم

(ثم تولى أبو العساكر بن خاريه) في حاشر القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بعد ثق فسار الى مصر واستعمل على أمورها منكرة وقتل في جمادى الاولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين فكانت ولايته ثمانية أشهر واثنى عشر يوما

(ثم تولى أبو موسى هرون بن خاريه) فأبدت أبشاله الله بالهوان اللذات فاجتمع هما مشيان وعدى ابنا أحمد بن طولون على قتله فدخلا عليه ليلة الاحد حادي عشر صفر سنة احدى وتسعين ومائتين فقتلاه وكان سنه اثنتين وعشرين سنة وولايته ثمان سنين وثمانية أشهر

(ثم تولى أبو المغازي شيبان بن أحمد) بن طولون في حاشر صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين فأنكر عليه قواد هرون بن خاريه وحالفوا شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان كاتب الوثوق لمام أحمد بن طولون جاءا الى مصر في عسكر جرار فخاف شيبان وطلب الامان فامنه محمد بن سليمان وقبض عليه في ثامن ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين فكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان في أوائل ربيع الاول المذكور فالقى النار في القطائع ونهب أصحاب الصطاط وكسر السجن وأخرج من فيه واستباح الحريم والفض الابكار وساق النساء فوقعل كل قبيح وأخرج بقية أولاد أحمد بن طولون وقواده في أهانة فرفعه الله ولم يبق منهم أحد وخلت منهم الديار وآلوا الى البوار فكانت مدة الدولة الطولونية سبعة وثلاثين سنة وسبعة أشهر وعشرين يوما فسبحان المعز المذل ولما خربت القطائع أنشد ابن عثام يقول

يا منزلا لبني طولون قد درسوا ● سقاك ثوب الغوادي القطر والمطرا
بالله هذه لك من أحبتنا ● أم هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

ثم عادت الدولة العباسية بمصر في خلافة المكتفي وفي ذلك يقول أحمد بن محمد

الحمد لله اقرارا بما وهبا ● قد كان بالامس شعب الحي فانشعبا
الله أصدق هذا الفتح لا كذب ● فموه عاجبت حقا لمن حكذبا
فتح به فتح الاتبا محمدها ● وفرج الظلم والاظلام والكربا
لما أطال بنو طولون خطبهم ● بين الخطوب وعاقت منهم الخطبا
هارت جبارون من ذكراك بغتته ● وشتت الشمل شيبان ومارعبا
فاسجدوا لاترى الاسماكهم ● كأنها من زعافي فارزهبا

ثم تولى عيسى النوشري من قبل المكتفي وقدم الى مصر في سابع جمادى الآخرة سنة اثنتين وتسعين ومائتين فتصرف خمس سنين وشهرين ونصفا الى ان توفي بحصر وحمل الى بيت المقدس ودفن به في شعبان سنة سبع وتسعين ومائتين ثم تولى تكين الحرري من قبل المقتدي في حادي عشر شوال سنة سبع وتسعين ومائتين وفي ولايته جاء حمدان بن يوسف من قبل عبيد الله الفاطمي صاحب افريقية واستولى على برقة ثم سار الى الاسكندرية في زيادة على مائة ألف وذلك في المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت العساكر من العراق مددا للتكين وبرزت العساكر فكانت واقعة حباسة مشهورة قتل فيها آلاف من الناس وردت حباسة وأبطأ فرجه راده فكانت مدة تصرف تكين خمس سنين وشهرين وعزل

من الاموال مالا يحصى وشرع في نصر أهل السنة وقوة من أهل البدعة والانتقام من الروافض وكثروا أكثر من في أرض مصر ومنذ وعزل قضاة مصر كلهم منهم لانهم كانوا شيعة وقطع الاذان بحي على خير العمل أول جمعة في المحرم سنة تسعة وستين وخمسمائة ثم تحركت همته لغزو الافرنج فحكمته الله تعالى منهم وبرسم فتح بلاد الشام كلها وفتح بيت المقدس سنة ثلاث وستين وخمسمائة بعد استيلاء الافرنج عليه وعلى الخليل احدى وسبعين سنة وهدم ما أحدثوه من الكنائس وبنى موضع كنيسة منها مدرسة للشافعية وكان بقصدهم لكونه كان شافعيا وأبطل المكوس والمظالم وأخلى مابين الشام ومصر من الافرنج ثم

آخوسنة اثنتين وثلثمائة ثم تولى ابو الحسن زنكى الاعور الرومى من قبل المقتدر فى ثانى عشر صفر سنة ثلاث وثلثمائة ثم ان المهدى صاحب افريقية سير عسكرا صحبة ابى القاسم فدخل الاسكندرية فى ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة ثم فر الناس الى مصر براو بحرا وخرج زنكى الاعور والجند الى الجيزة وحفر واخندقوا على العسكر فرض زنكى ومات فكانت مدة تصرفه أربع سنين وشهرا ودفن فى تاسع وعشرين ربيع الاول سنة سبع وثلثمائة ثم تولى تكين ثانيا فنزل الجسر وحفر خندقا فاتاه اوقبلت مراكب المغرب فظفر بها وقدم مؤنس الخادم من بغداد فى نحو ثلثمائة الف فوقع بينه وبين اصحاب المهدى حروب بالفيوم وسكندرية ورجع ابو القاسم تابع المهدى الى برقة وأقام تكين سنة واحدة وشهرا ثم تولى هلال بن بدر من قبل المقتدى فبعث الجند على هلال وكثر النهب والقتل والفساد بمصر فصرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة ثم تولى أحدبن كيغلغ من قبل المقتدى فى رجب سنة احدى عشرة وثلثمائة وعزل فى القعدة ثم تولى تكين ثالثا من قبل المقتدى فى المحرم سنة اثنى عشرة وثلثمائة فقتل المقتدى فى شوال سنة عشرين وثلثمائة وبويع لابى المنصور القاهر فأقر تكين الى أن توفى سنة احدى وعشرين وثلثمائة وحمل الى بيت المقدس ودفن به فكانت ولايته تسع سنين وشهرا ثم تولى الاخشيد واسمه محمد بن طغج الفرغانى المدعو أبا بكر من قبل القاهر فمكث اثنتين وثلاثين يوما ثم تولى أحدبن كيغلغ ثانيا من قبل القاهر فى شوال سنة احدى وعشرين وثلثمائة فأقام سنة واحدة وبويع للراضى بالله والله تعالى أعلم

﴿ذكر الدولة الاخشيدية﴾

ثم ان الاخشيد تغلب وأخذ هذه البلاد من الراضى فى سنة اربع وعشرين وثلثمائة وقدم أبو الفتح بن جعفر بالجلم للاخشيد ووقع حروب انهزم بها اتباع أبى الفتح الى برقة وسار والى الناشم اسمه محمد بن المهدى بالمغرب وحرضوه على اخذه مصر ثم وردت كتب من بغداد الى الاخشيد بالرياده فى اسمه ودعى له بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وثلثمائة والمبايع للمقتدى اقر الاخشيد ولما خلع المقتدى وبويع للمستكفى ودعى الطائع فاقر الاخشيد وتوفى الاخشيد فى ثالث عشر الحجة سنة أربع وثلاثين وثلثمائة فقام بعده احدى عشرة سنة وثلاثة اشهر والله أعلم (ثم تولى أبو القاسم احمد ولد الاخشيد) من قبل المطيع والكلام لكافور الاخشيدى وفى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة وقع حريق بمصر فى سوق البزازين وقيسارية العسل ودخل الليل والنار على حالها فتغير وبات الناس على خطر عظيم فركب كافور وأمر بالنداء من جانبه بقرية أكوره فله درهم فكان يبلغ ما صرف عشرة آلاف درهم وكان جملة ما احترق غير البضائع والاقمشة الف وسبعمائة دار فأقام أبو القاسم أربع عشرة سنة وعشرة اشهر وتوفى فى ذى القعدة سنة تسع وأربعين وثلثمائة (ثم تولى أبو الحسن على ولد الاخشيد) فأقام خمس سنين وشهرين والكلام لكافور الاخشيدى (ثم تولى كافور المكنى بأبى المسك الاخشيدى) وكان خصيا اسود بيع رقيقا بعشرة دنانير او دونها وقد سبقت له من الله السعادة كما قيل فى المعنى

وإذا السعادة صادفت عبدا الثرى * نفذت على ساداته أحكامه

توفى فى صفر الخير سنة خمس وخمسين وثلثمائة وكان يعطى العطاء الجزيل حتى اتفق أنه وقع فى أيامه زلزلة فدخل محمد بن عاصم الشاعر فأنشد قصيدته التى منها

مازلزلت مصر من سوء يرادبها * لكنها قصدت من عدله فرحا

وأجازه بألف دينار وهذا اتفق أيضا ان رجلا دخل على كافور ودعاله فقال فى دعائه أدام الله أيام مولانا وكسر الميم فى أيام فقصدت جماعة من الحاضرين فى ذلك وعابوه فقام رجل من وسط القوم وأنشد مرتجلا

لاغرو ان ظن الهاهى لسيدنا * أوغص عن دهش بالريق أوبهر

فملكه هيبة جلت جلالتها * بين الاديب وبين العجم بالحضر

وان

افتتح الحجاز واليمن وأسلم دمشق بعد صمود نور الدين وقتح عسكره مراباس الغرب وبرقة وتونس وخطب بها لبنى العباس وسار سلطان مصر والشام والحجاز واليمن والمغرب ولم يبل مصر بعد الصحابة مثله كانت محاله متوفرة من الفقهاء والمحدثين الاكثر محافظا على الصلوات فى الجماعة ورما وجبت عليهم كما كان الجهاد وصدقة التطوع استغرقا أمواله كلها ورحل بولديه العزيز والافضل لسماع الحديث من السلفى بالاسكندرية وهذا مع بعد السلطان من زمن هرون الرشيد فانه رجل بولديه الامين والمأمون لسماع الموطأ من مالك بالمدينة وقى زمنه جاءت الافرنج الى ثغر دمياط بمائتى مركب محملوا بالعساكر فسار اليهم صلاح الدين بعساكر كثيرة

وان يكن خفض الايام من غلط ✽ فى موضع النصب لاهين قلة النظر
فقد نقلت من هذا لسيدنا ✽ والمال قوّته عن سيد البشر
بأن يامسه خفض بلا نصب ✽ وان أوفاه صفو بلا كدر

فأجازه كافور بجائزة عظيمة وهذا الجواب الى حدّ احد بن الحسين المتنبي الى المجمى الى كافور وقد مدحه أبو الطيب فقال

واخلاق كافور اذا شئت مدحه ✽ وان تشأ تملى علىّ فاكتب

ذكر صاحب القاموس ان المتنبي خرج الى بنى كلب وادعى انه محمّد ثم ادعى النبوة فقصده عليه بالشام وحبسه ثم استتابه وأطلقه وكان المتنبي مع كثرة ماله وأخذه الجوائز العظيمة على جانب عظيم من البخل وكان يقف بين يدى كافور بمفرده ومنطقة وبحضر طعامه وبجبى حصته غلام أسود وهو معه قدور خرف يأخذ فيها فضلات الطعام حكى عنه انه طلب ذا فاليعمل له جبابا فأقام عنده سبعة أيام فأعطاه سبعة عشر دينارا ربط من دينار فصعب عليه ذلك فقال له كم تخيط انى أعطيك فقال سبعة عشر دينارا فقال المتنبي فاما لو وضعت رجلا على طور سيناء وتناولت قوس قزح رقاعة العرش ونزفت قطن الغمام على جباه الملائكة ما أعطيتك دينارا فضلا عن ان أعطيك سبعة عشر دينارا وان المتنبي ظلما امتدح كافور بقصائد رنانة فى غرر فصائد

جاء به انسان حين زمانه ✽ وخلت عيون اخلقها وآماقها
قواصد كافور سترك غيره ✽ ومن ورد البحر استقل السواقيا

فاجازه كافور بجائزة عظيمة وعاتبه فى ان المتنبي دخل على كافور فى وقت من الاوقات وطلب منه شيأ وكان الوقت غير لائق لطلب الفضل من كافور فراغ ثم تناقل فخرج من عنده مغضبا وهجاه فقال

من علم الاسود المخصى مكرمة ✽ أباؤه السودام أجداده الصيد
وذاك ان الفحول البيض ماجزة ✽ عن الجميل فكيف الخصية السود
العبد ليس بحر صالح وأخ ✽ لو انه فى ثياب الخز مولود
لا تشتر العبد الا والعصى معه ✽ ان العبيد لانجاس مناكيد

روى عن وحشى منهمه انه قال اذا اهمنى الرجل بعد حلك بالبيس فلك فلا تأمنه أن يذمك بالبيس فيلك
ومن عجيب ما اتفق للمتنبي مع عبد أسود لسعيد بن مهنا وهو ان العبد جاء الى عطار وطلب منه بضائع وكان المتنبي جالسا فجاء وقت العطار المذكور فقال العبد هات بذى البيضة فلقل يذى البيضة حتى فقال له المتنبي عبد من أنت فقال ابنى عبد سعيد وسعيد بن مهنا ثم ان العبد سأل العطار عن المتكلم وقال من هذا فقال له هذا المتنبي الشاعر فتقرب منه وقال

يانسمة الصلصبى ✽ مسى فقالت المتنبى ✽ ويا فقاه قذاى
حتى تصير بقرب ✽ وراحتى اصفعاه ✽ طرطق وطرطق طبى
ان كنت أنت نحى ✽ فالقرد لا شك أبى

فلم يجبه المتنبي وقال للعطار ان هذا العبد مجنون بعد ثلاثة أيام اشتد حمقه فكان الامر كذلك ثم رجعنا الى ما نحن بصدده من أخبار كافور حكى عنه انه كان جالسا فى بعض الايام على قفت ملكه وآراب دولته وخدمه واقفون بين يديه فسمع صياحا بابا لات مطربة وارتفاع منه صفير فرك تنفه على ارتفاع السماع فغطى به أرباب الدولة تغطى من انتشاقهم عليه فتقدّم اعاده الى أن مات ولا تجب فى ذلك فقد قيل لو نزل زنجى من السماء لنزل على الارتفاع وقيل انّ كان السودان لهوم القرد فأوّل رقصهم الرقص والعالب على السودان من رجال ونساء التضلع والتصنع فى حركاتهم وجميعاتهم وعلى الخصوص اجتماعهم فى الافراح والزفاف ورقصهم على طبلهم وطنبورهم وذلك مستمر الى الآن يصمر فى الجامع الصغير قال صلى الله عليه وسلم اشتر والرقيق وشاركوهم فى أرزاقهم وايا كم والزنج فانهم قصيرة اعمارهم قليلة آثارهم

من مصر وقاتلهم فانهزموا ورجعوا الى بلادهم وكانت مدة ولايته اثنتين وعشرين سنة وشهرين وتوفى سنة تسع وثمانية وخمسمائة بحمرومة دمشق وعمره سبع وخمسون سنة وترجمها ظاهر بزار (ثم تولى من بعده ولده عثمان) وأعطيت دمشق لاخيه الملك الافضل على وحلب لاخيه غياث الدين غازى فأقام عثمان خمس سنين وعشرة أشهر وماتت سنة خمس وتسعين وستمائة ودفن بداره فى القاهرة ثم نقل لتربة الامام الشافعى قبل بناء القبة (ثم تولى من بعده الملك المنصور محمد بن عثمان) وهو الثالث من ملوك بنى أيوب فأقام سنة واحدة وشهر بن وعزل لصغره فأنه ولى وعمره تسع سنين ثم وضع فى الصحن بقلعة الجبل حتى مات

قال الشارح الاسود الماهر بلطنه ان جاع سرق وان شبع فسق وقال بلينوس اختصت السود بعشرة خصال تطول الشعر وخفة الصلوع وفتح المنخرين وغلظ الشفتين وحدة الاسنان ونتن الجلد وسواد اللون وتشقق الكعاب وطول الذكر وعدم تصرف كافور ستين وأربعة أشهر وتوفى فى عشرى جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة ودفن بالقرافة قبر مشهور برائة سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى أبو الفوارس احمد بن على الاخشيدى) وعمره اثنتا عشرة سنة فأقام سنة واحدة وزالت دولة الاخشيدية وتوكان مدة تصرفهم أربعا وثلاثين سنة وعشر أشهر وأربعة وعشرين يوما

﴿ الباب الخامس فى دولة الفواطم ومن قال انهم العبيديون ﴾

واختلف المؤرخون فى نسبهم وهم ينتسبون الى فاطمة الزهراء رضى الله عنها وارضعنوا انهم من أولاد الحسين بن محمد بن أحمد الفداح وكان الفداح بحجوسيا وكان ابتداء ظهور هم عبيد الله بن المهدى وثانيهم المنصور وثالثهم المعز بن اسمعيل بن القائم بن المهدى

فى سائر الممالك حتى فى الحرمين الشريفين وكانت أمورهم متضادة لانه كان عنده شجاعة وافدام وجبن واحجام محبة للعلماء وانتقام من العلماء ومميل الى أهل الصلاح ونقلهم وكان عنده العطاء ويبخل بالقليل وقتل من العلماء مالا يحصى وأخرب العصابة ومنع صلاة التراويح سنة ثم أباحها وكان يعمل الحسبة بنفسه فيمر فى الاسواق على حمار فمن وجد منى البياعين وزن بضاعة وشى فى ساعته أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود أن يفعل به الفاحشة العظمى فى وسط السوق وأمر أن يعلق فى أعناق النصارى الصلبان وأن يكون طول الصليب ذراعا وزنته خمسة أرطال وأمر أن يجعل فى أعناق اليهود الاجراس اذا دخلوا الحمام ليعرفوا من المسلمين وأن يلبسوا العمائم السود ومصنف بعض الباطنية كتابا وكتب فيه ان روح آدم انتقلت الى على وان روح على انتقلت الى الحاكم وقرئ هذا الكتاب فى الجامع الازهر بالقاهرة فقتل الناس قتل مؤلفه فسيره الحاكم الى جبال الشام واستمال الناس اليه وأعطاهم المال وأباح لهم الخمور والزنا حتى ان جماعة الى الآن يعتقدون رجوع الحاكم ولا يدأن يعود وبعهد الارض وتلك خيالات كاذبة وتلقن هذه الكتاب بجبال الدروز الى الآن ذكر الامام الحافظ شمس الدين الذهبى فى تاريخه ان الحاكم لما زاد ظلمه عرف ان يدعى الربوبية فادعى علم المغيبات فكان اذا صعد المنبر يقول فلان فعل فى بيته كذا وكذا وأتى كذا وكان ذلك بالفاق اذا تعمد مع البعد ثم ان الوالى يدخل بيوت الامراء وغيرهم فرفعت اليه فى أثناء ذلك رقعة مكتوب فيها

بالجور والظلم قد رضينا ● وليس بالكفر والحماقه

ان كنت أوتيت علم غيب ● بين لنا صاحب السرقه

فلما رآها سكت عن الكلام فى المغيبات وكان هو وأسلافه يصر يدعون الشرف ويريدون بذلك الافتخار على بنى العباس خلفاء بغداد ويقولون أبونا على وأمنا فاطمة بنت النبى صلى الله عليه وسلم وكان الحاكم يقول ذلك على المنبر وكانت الرقاع ترفع اليه وهو على المنبر فرفعت اليه رقعة فيها مكتوب

أتسمعنا نسبا منكرا ● يتلى على الجامع الجامع ان كنت فيما تدّعيه صادقا

فصف لنا فعلك كالطالع ● أو كان حقا كل ما تدعى ● فاهدم لنا بعد الاب السابع

أو فدع الاشياء مستورة ● ولا تدخل بنا فى النسب الواسع

فرماها من يده ولم يتكلم فيما بعد أقول وما عليه بعض الناس الآن وقبل الآن من الدخول فى الانساب الشريفة والانتماء من الانساب الخبيثة لمجد اما لا يحتاج فى دعواه الى بينة وقد شاهدنا كثيرا من الناس من هو ليس بشريف ولا أخذ الشرف لاحد أبيه ولا من جده فقد ادعوا الشرف وعلقوا على رؤسهم العصائب الخضر بل العمائم الخضر فتو بت شوكتهم وازدت ثروتهم وصار كل منهم يقول أنا من أبناء الرسول بقصدون بذلك الرفعة وهم فى الحقيقة موضوعون فانا لله وانا اليه راجعون وفى المعنى

فتى لم ترأى الانسان نظرا ● تناول غير نسبته والديه

ويرضى ان يقال له شريف ● ومن يرضى اذا كذبوا عليه

روى عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر بالله من تبرأ من نسب وان دق وادعى نسبا لا يعرف وراه أحمد والطبرانى فى الصغير وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ادعى الى غير أبيه أو انتمى الى غير مواليه فعليه لعنة الله المتتابعة الى يوم القيامة وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ادعى نسبا لا يعرف كفر بالله ومن تبرأ من نسب وان دق كفر بالله رواه الطبرانى

وقد (العادل أبو بكر وعمره ثمان عشرة سنة فاقام سنة وشهرين وأياما وقيل أكثر ثم خلع وحبس سنة تسع وثلاثين وستمائة وقتل بعد ذلك ودفن عند الامام الشافعى (وقول من بعده أخوه الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل فاقام عشر سنين الا أربعة أشهر ورمى المدارس الاربعة بين القصرين وهدمها بالرصاصة واشترى ألف مملوك وأسكنهم بها وسماهم المماليك البحرية وهم الذين اكثروا شراء الترك وعظمهم وقدمهم على رقاب أيام فى سنة تسع وأربعين وحبست الاقرع على دمياط فهرب من كان فيها وملكوها والملك الصالح مقيم بالمنصورة تفاقمها فادركه أجله وهات فاخفت جاريته شجرة الدر موته وصارت تعمل بعلامته مراسيم من المنصورة الى

في الاوسط ولو لا خوف الاطالة في هذه الحالة لبسطت القول الى الغاية وفيما اوردناه كفاية والله اعلم
وفي سنة ثمان وار بعمائة نظهرت سمكة بدمياط طولها اثنان وستون ذراعا وعرضها ثمانية ذراع وكانت
حيرة الملح تدخل في فمها فتملحها فتفرغ وتخرج ووقت خمسة رجال ومعهم الجمازيف يجيزون المنحم من
جوفها و يناولونه الناس وقام أهل تلك النواحي مدة ما كانوا من لحمها ثم ذلك المقدار يتي في خطه
هذه ثم دمياط أقول اذا ضربت عرض هذه السمكة الى طولها بطريق المساحة فتبلغ مائة وستة
وعشرون ألف ذراع فيكون ذلك ستة أميال ونصفا فان الثلاثة أميال فرسخ فاذا لميل ألف ذراع والبريد
أربعة فراسخ فيكون طولها ثلاثة أرباع بريد فسبحان الخالق المصور لا اله الا هو وحكي انه كان في
زمن الحاكم بمصر رجل يسمى وردان وكان مزارا متعيشا بلحم الضأن وكان كل يوم تأتيه امرأة بدينار
مصري بغاريزلته ودينارين ونصفا وتقول له اعطني خروفا فقد ضر معها حالا بقفص فتأخذه وتروح
الى ثاني يوم تأتي وتأخذ خروفا فكان كل يوم يكتسب منها دينارا فاقامت مدة طويلة على ذلك فسكر وردان
ذات يوم في أمرها وقال هذه امرأة كل يوم تشتري مني بدينار ما خلطت يوما بيوم هذا أمر يجيب
فسأل وردان الحمال في غيبتها المرأة فقال له أنت كل يوم تروح معك هذه المرأة الى أين فقال له أتاني غاية
العجب منها كل يوم تقف لي الخروف من عندك وتشتري الحوائج والفاكهة والشمع بدينار
آخر وتأخذ من قفصي نصف الى مر وقتين تبيعه وتعطيه دينارا وتقعد لي الجميع الى بين الوزير ثم تعصب
عيني بحيث اني لا أنظر موضع قدمي وتأخذ بيدي فما أعرف أين تذهب بي ثم تقول لي حط هنا وعندها
قفص آخر فتعطيني الفارغ وتعود عملك يدي الى الموضع الذي شدت عيني بالعصابة فيه فتحلها وتعطيني
عشرة دراهم فقلت له الله يكون في عونها وقد تزايد عندي المكر وتوالوسواس وبت في قلق عظيم فلما
أصبحت أتنبي على العادة وأعطتني الدينار وأخذت الخروف وحملته للحمال وراحت فاروصيت صبي على
الدكان وتبعتها بحيث لا تراني وأنا أعاينها الى ان خرجت من مصر وأنا أتوارى خلفها الى أن وصلت الى
بساتين الوزير فاختفيت حتى شدت عيني الحمال وتبعتها من مكان الى مكان الى أن وصلت الجبل فوصلت
الى مكان فيه جرار كبير وحطت من الحمال وصرت الى أن عادت بالحمال ورجعت فتزوت جميع ما كان
بالقفص وغابت ساعة فاتيت ذلك الجرار فوجدته مغطاً بالطبق فحاس بقفص مفتوح ورد يحه واخذه فنزلت الى
ذلك الدرج قليلا قليلا فوصلت الى دهليز طويل فاذا بباب مفتوح وسمعت الشور وسمعي رأيت صفة باب قاعة
فارتكنت في زوايا الباب فوجدت صفة بها سلم فارج باب القاعة فتعلقت بها فوجدت صفة صغيرة بها
طاقات تشرف على القاعة فتسلقت على القاعة فوجدت المرأة قد أخذت الخروف وقطعت منه أطايبه
وعملته في قدور وهرت الباقي في دب كبير عظيم الخلقة فأكلت عن آخره وهي تطيح فلما فرغت أكلت
كمايتها وعدت الى الفاكهة وتغدل ووضعت الصينية وصارت تضرب بقدح بلور وتسقي الدب بطاسة من
ذهب حتى التفت فنزلت لباسها وزامت مقام الهيا الدب فوقعها وهي تعاطيه من أحسن ما يكون لبني
آدم من الفخر والشهيق حتى أفرخ وجلس ثم رتب عليها ولم يزل كذلك حتى وقعها عشر مرات ووقع
ووقعت وهما مغشيان عليها لا يتصر كان فقلت هذا وقتي وأيش انتظر فتزلت وهي سكرى تهري العظم
فوجدتها لا يضرب لها عرق لما قد نالها من الشدة فلم أقدر ون ان حملت السكين في نحر الدب وانكببت
عليه فقصلت رأسه عن بدنه فبقي له شخير فقلب المكان فانتبهت المرأة نصر هو بة فرأت الدب مذبوحا وأنا
واقف والسكين بيدي فرمحت فنزلت من درجها وقد خرجت وقالت يا وردان هذا جزاء الاحسان فقلت لها
يا عدوة نفسها هدمت الرجال حتى تفعلي هذا الفعل القبيح فالحرقت في الارض لاتر وحوا باوتاملت الدب
وقد نزعت رأسه فقالت يا وردان أيعاشرك ان تسمع الذي أقول لك و يكون سبب سلامتك وفكاك الى
آخر الدهر أو اهلاكك فقلت قولي فقالت تنبهي كما ذبحت هذا الدب وخذمن هذا الكنز حاجتك وروح
فقلت لها انا خير من هذا الدب فاربي الى الله وتوبي وأنا اتزوج بك ونعيش باقي عمرنا بهذا الكنز فقالت

القاهرة ودفن بقبة بنيت له
بجوار مدرسته وساست
غيبة الدولة الناس احسن
سياسة واعلت أعيان
الامراء أمرا وسلوا الى ابنه
توران شاه واحضروه وكان
بديار بكر فملكوه فركب في
مصاف الملك وقاتل
الافرنج وكسرهم وقتل
منهم ثلاثين الفا واسر
العراسيس ملك الافرنج
وحبس مقيدا وكل بحفظه
طواشي يقال له صبيح وبقي
أسيرا الى ولاية غيبرة
الدولة فاتفقت مع الامراء على
الطلاقه بشرط ان يردوا
دمياط الى المسلمين و يعطوا
غرامة الاف دينار وهو ما
هما تهب من دمياط
و يطلقوا أسرى المسلمين
التي بأيديهم فعملوا واتام
توران شاه في المملكة شهرين
ثم قتل وقوات من بعده غيبرة
الدرام خليل صبية الملك
الصالح نجم الدين سميرتها

باوردان ان هذا بعد ما بقيت أعيش بعده والله لئن لم تذهبي لا تلقين ورحك فلا ترجعي تتلف والسلام فقلت الى صقر وحدثتها بشعرها فظنته بهتان وجدت من الذهب والفصوص والقرنفل والجواهر ما لا يقدر عليه أحد فأخذت قفص الحمال ووضعت فيه من الجواهر واليواقيت واللذهب ما أطيق حمله وسرت انه بقماشي الذي كان على وظلمت ولم ازل سائرا الى باب مصر واذا بعشرة من رسل الحاكم واعوانه معهم فقال يا وردان قلت ليبك فقال قتلت الدب والمرآة فقلت نعم قال سحط عن رأسك ويلب قلبك فقلت هذا لا يناسب ذهك فيه أحد فوضعت القفص بين يديه فكشفه ورآه وقال حدثني حتى كأني حاضر فحدثته بجميع ما جرى وهو يقول صدقت ثم قال يا وردان قم سر الى الكترا فاتيت به اليه فوجدت الطابق مغلقا فقال الحاكم شله يا وردان فقلت واقفلا أطيقه فقال يا وردان هذا الكترا لا يفتح الا بقدر أن يتنحنح أحد فيحرك فهو يا سيدك يفتح قال فتقدمت اليه وسميت الله تعالى ومددت يدي الى الطابق فانشال أخف مما كون فقال الحاكم انزل واطلع ما فيه فانه لا ينزل له الا من هو باسمه وهذا أعلى اسمال من حين وضع وقتل هؤلاء كلهم على يديك وهو مؤرخ عندي وكنت أنتظره حتى وقع قال وردان فقرأت فقلت له جميع ما في الكترود ما بالدواب وحملها وأعطاني قفصي بما فيه وأخذته وعرفته السوق المعروف بسوق وردان وعاش وردان في أرغد عيش وهذا اتفاق عجيب روى عن محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي ان أبا عبيدة وردان مولى عمرو بن العاص كان رومياً يقال انه من سبي أصبهان ويقال انه من روم أرمينية ويقال من روم الشام ويقال من روم ترابلس الغرب حضر فتح مصر واختط دار عمر بن مروان واختط له دار الى الفضا ومر بيجانبها سوقا وعرف به فصار الى سوق يعرف بسوق وردان وهو الذي من الاصحى انه قال كان عمرو بن العاص ذات يوم عند معاوية ومعه وردان مولاه فقال معاوية لعمرو بما بقي من لذتك يا أبا عبد الله قال لحاظ تتاخ صديق وعداوة من على الاصرار ثم أقبل على وردان فقال وأنت يا أبا عثمان ما بقي من لذتك قال الخطر في وجه كريم أصابته نكبة فأصلحت له فيها يد حسنة فقال معاوية أنا أولى منك بذلك وقتل وردان بالبرلس سنة ثلاث وخمسين قتلته الروم في خلافة معاوية بن أبي سفيان وعقبه بمصر ولعمر وردان الجزار صاحب الكترا المتقدم ذكره من عقب وردان مولى عمرو بن العاص والله أعلم ذكر في حياة الحيوان ان الذئب يعب العزلة اذا جاء الشتاء ولا يخرج حتى يطيب الهواء واذا جاع مص يديه ويمر جليه فيتقوى بهما الجوع ويخرج في الربيع أسمن مما كان وفي طبعه فطنة عجيبة لقبول التأديب لكنه لا يطيع معلمه الا بعنف وضرب شديد ومن خواصه انه اذا ألقي نأيه في لبن المرأة المرضع وسق أصبي لبنت أسنانه بسهولة وقشعه بزيل البرص طلاء واذا اكتحل بمرارته مع ماء الزاج يابغ وهو الشمار أذهب ظلمة البصر واذا حشي بشحمه الباسور نفعه قيل كان لبعض السلاطين ابنة أحبت عبداً أسود فاتفق بكارتها وولعت بالنكاح فكانت لا تصبر عنه ساعة واحدة فشكت أمرها لبعض القهرمانات فاخبرته بان لاشيء يشكح أكثر من القرد فتوفى ان جاءت قرد تحت طائفة بقرد كبير فاسفرت عن وجهها ونظرت الى القرد وغمزته بعينها فتطوع وثاقه وطلع فما خدمه في مكان عندها وصار معها ليلا ونهارا على أكل وشرب ونكاح فنطن أبوها بذلك وأراد قتلها فاغتربت بزي الحمالين وركبت فرسا وأخذت لها بغلا وحملته من الذهب والمعادن ما لا يوصف وحملت القرد ومعها الى ان وصلت الى مصر فنزلت في بعض بيوت الحمارين وصارت كل يوم تشتري من شاب جزار الحمالين لا تأتيه الا بعد الظهر وهي مصفرة الوجه فقال الجزار لا بد لهذا الشاب من أمر فتبعه من حيث لا يراه وهو يتوارى من محل الى محل الى أن وصل الى مكانه الذي يا تصرا فسلق وعلى من بعض حوائجه فلما استتر الشاب بمكانه أوقد النار وطبخ اللحم وأكل منه كفايته وقدم الباقي لقرده كان معه فأكل القرد كما بقيه ثم ان الشاب نزع ثيابه ولبس ثيابا أظهر مما يكون من ملابس النساء قال الجزار فعلمت انها أنثى ثم انها أحضرت حمارا وركبت منه ووسقت القرد الى ان انتشأ وبعد ذلك اضطجعت للقرد وتوقعها لمحو عشر مرات حتى غشي عليها ثم ان القرد أسبل عليها ملاءة وحورت وذهب الى محله ثم ان الجزار نزل الى وسط المكان فلما أحس به القرد أراد افتراسه فبادر بسكين

كانت معه فقد كرشده فاتت الصبية فزعة مرعوبة فرأت الفرد على هذه الحالة فصرخت صرخة كادت أن تزهق روحها ثم أغمي عليها فلما حملت على ذلك لكن بالله عليك الا ما اخفيتني به قال الجزار فلازلت الاطفها وأضمن لها ان أقوم بها مقام بعد الفرد من كثرة الشكاح الى أن سكن روعها وتزوجت بها وأقمت معها مدة فما صبرت على ذلك فشكوت أمري لبعض العطارين وذكرت لها ما كان من أمرها فالتزمت لي بتدبير هذا الامر وقالت اذا مضى بقدر واملاها من الخل البكر ورطل من عود القرح فاحضر لها ما طلبته ثم علقت القدر على النار والقت العود القرح على الخل الذي بالقدر وقلت تلك القدر هنيئا لك فقوما ثم أمرتني بتكاح الصبية فتكحتها الى أن مضى عليها الحمة لتها المجوز وهي لا تشعر وجعلت قرحها على قم القدر فصعدت دخانه الى داخل قرحها فنزل من قرحها شيء في القدر مع ما فيها فلما سمع ذلك نزلت شيء آخر من قرحها فاذا هما دودتان احداهما سوداء والاخرى صفراء فقلت المجوز العودة الاولى قرت من المسيد والاخرى من القرد فلما أفاقت من غشوتها مكنت من طلب النكاح فاعلمها بالقضية وصرف الله عنها تلك الحالة وملكت الجزار معها في أرغد عيش وأحسن معيشة وانقلبت الصبية المجوز مقام والدة الجزار كرفي حياة الحيوان ان القرد سيوان ذكى صبيح الوجه ران ملك الثوبة أهدى الى المتوكل قرد اخيل وأرخص فاشتراه احد الحيوانات شبيه بالانسان في غالب الاحوال الا انه فاقه بفصل وبطرب ويتناول الشيء بيده ويقبل التلقين والتعليم ويألف الناس وله شعر طويل الاناث وفي عجائب المخلوقات من تصيح بقرد عشرة أيام أتاه السرور ولا يكاد يحزن واسم رزقه وأجمله الناس حياشبه بذا كر القاضي ناصر الدين البيضاوي في تفسيره في قوله تعالى فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين روى ان الناهين لما أيسوا من انتهاء المعتدين كرهوا مساكنتهم فقسموا القرية بجدار فبابه باب مطروق فاصبحوا يوما ولم يخرج اليهم أحد من المعتدين فقالوا ان لهم لشانا فاقتحموا عليهم فاذا هم قردة فلم يعرفوا أنسابهم لكن القردة عرفتهم فجعلت تأتي الى أقاربهم وتشم ثيابهم وتدور باكية حولهم ثم ماتوا بعد ثلاثة أيام (وحكى) ان بعض الناس دخل على شخص ولي الوزارة فاظهر سرورا مفرطا حتى رقص وصفق بيديه ايهاما للفيلسوفة الفرح عليه فامر ذلك الوزير باخراجه واحاتمه فقال له بعض جلسائه ما حيثيته فقال انما أراد توطئم ودار قص لقدرة دولته ● فقال بعضهم

ودار ما دامت في مكانه ● وارقص لقرد السوء في زمانه

ذكر في كتاب جروج الشيخ الى عبداالله انه كان للعنصري الميزان يوخذ قص كهربا وزنه تسع عشرة شعيرة وينقش عليه صورة فرد جالس على قراءته ما سمك احدا له بيده الشمال وينقش حوله هذه الاحرف الفارية وهي ا ط م ق ش ذ ثم يجعل القص تحت لسانه عند الجماع فانه يرى شيئا في قوة الجماع (وحكى) فيه من بعض الملوك أنه كان عنده ثلثمائة وستون جارية وكان لكل واحدة منهن يوم في السنة قال فحضر ذات يوم بأجمعهن وكان يوم عيد فصف الجميع بين يديه واستدعى بالشراب فشرب وسكر ففني من جواريه من شئ وهن يرقصن من رقص وطلب الجلس فقال الملك لجواريه ويحكن تتمنى على منكن كل واحدة مما فني نفسها لا يلفيها مراد هاالا وقد منت كل واحدة مما فني نفسها ما خلا واحدة منهن قائمة فقالت أيها الملك لا تقدر على ما أتمنى فاغتاظ الملك وقال نحى قالت تمنيت عليك ان أشبع نكاحا فقال فغضب الملك فضيلت شدد ا وأمر كل من في القصر من الخدام والحاشية ان يجامعها وكان هذه من جامعها ألف رجل ولم تشبع فاستدعى بعض الحكماء وقص عليه قصة الجارية فقال أيها الملك اقتل هذه الجارية والا أفسدت أهل بيتك فان هذه قد انعكست أحشاؤها فلو لكمت هذه حياتها ما شبعت ولا رويت أكثر ما يعرض ذلك للحوار الروميات والنساء الاتي أعينهن زرق فانهن يحبون النكاح ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة طه عند قوله تعالى ويحشر المجرمين يومئذ زرقا أعينهن وصفوا بذلك لان الزرقة أسوأ الوان العين وأبغضها الى العرب لان الروم كانوا أعداءهم وهم زرق العيون ولذلك قالوا في العدو أسود الكبد أزرق العين (قيل) لعافاة الاعرابية كم تشتهين فقالت

وتزوج شعيرة الدرقم تزوج بنت صاحب الموصل ففارت شعيرة الدرفقتلته في شهر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وستمائة ثم حدثت أمور أدت الى قتلها فقتلت بأيدي قاتل المعز وهو الذي بنى المدرسة المعزية برحبة الحناء في أيام مقوم بن النائر المدينة المنورة وصارت هكذا وهكذا كانها الجبال واستمرت أكثر من شهر واحترق منها المسجد النبوي وكان صلى الله عليه وسلم أخبر عن ظهورها وانها صفا الوقت لا يبسا وكثرت هما كر فيض على غير بقه في السلطنة ومهدته بالطاعة والانفراد وحده وكانت مدة ملكه سبع سنين ومدة قريبة كسنة وشهر (اعلم أنه قول من بعد موته الملك المنصور نور الدين علي الشافي من مماليك الترك وكان عمره عشرين سنة) فاقام

ثلاثون الفا كل يوم أحيهم ✽ وباقى فؤادى منهم موارحديقى

فيسل ان سقراط خرج يوما فرأى امرأة قد اخرجت معه فقال اما انا فقد عرفت القرن قبل الحداء فالوا زنت وهى محصنة قال الآن قد جزم فى القضية فالوا وكيف ذلك قال ليس العجب للمرأة كيف تزنى وانما العجب ان تعف لانها مخلوقة بطباع الشهوة (قال بعض الحكماء) ان الرجل كالمعن فى السن ضعفت حركته وبطلت شهوته وعز نسكاحه وقال جالينوس المرأة مخلوقة بحالاتى طبع الرجل وقال غيره المرأة قبل ما عنت فى السن تزداد شهوتها وطلبت النكاح فانها رقيل ان جماعة من الصوص دخلوا بيتا متقدمون ان فيه كنزا فلما دخلوا لم يجدوا شيأ سوى شيخ عجوز نساءة مربوطة بالدار فندموا على عبورهم وقعدوا يتشاورون فيما يفعلون وقد ذهب أعلمهم فقال بعضهم لبعض نذهب لغير هذا المكان أم كيف يكون العمل قال بعضهم نذبح هذا الشيخ ونشوى الشاة ونشبع لحمها رنا كله ونقلع هذه العجوز باجمعنا الى وقت العصر هذا والشيخ والعجوز يسمعان كلامهم فقال الشيخ العجوز سمعت ما قالوا قالت نعم قال وكيف يكون العمل قالت تصير يارجل لقضاء الله تعالى قال اما انت فتصيرين لصفصلك وانا والشاة يا عجوز النحس ما نصير قال فتفصلك للصوص وتوجه وا تركوها فى نظير الى هذه العجوز من شدة نتنها وقالوا لم نكترث بذبح زوجها لا اشغلها ذلك من بلوغ وطرها (قيل) تعاونت قبيلتان على القينة حوى الهم من كفى واحمر من فى ابيض ففى شفاف عبر بعض السواعد والا كتاف أعظم اطلس حافى ناعى أصلع اقرع مؤلف من جنسين فردته الواحد فقدر كبتين يحس الابر انهم من لفتة حرير كافورى صرار صيتى دافى عصارا كبرس هما قاضى قد ملأ ما بين الحاذى من عظمه مخ سيقاتى ومن قونه حركى تصلصل تطابق ما تلاقى مقيب حين فليظ الحاجات فدجم صفات السبع كافات بعض همس النكاس احر وأحمى من كانون المراس أوفأمن كساه فى زمن الشتاء فقال الصنيق قد كشفت عن مكنون سرك وأحسنت لكن حبست شيأ وغابت عنك اشياء أما تعلمين ان ابرا ما يسعه حلق الابر أقوى من زنار وأطول من أشبار وأعظم من فيشلة حمار مجدور الرأس يسد الافقاس كأنه مرتاس قوى العروق يسد الخروق كان محراعروق يسع عشرين قوله مبلولة أن قام وسل الى الصحاب ونرق الثياب وسرق من الباب كأنه الاسدمن الوثاب ان حل عقد وان دخل سد يخرج كالعير ولا عند انتزاعه بتكسير شديد الزعزعة يقوم من عجزه أطول من دكشاب بنفض شعره نفض الشاب سالم من جميع العلل والآفات فدجم صفات العشر كلمات كما قال الشاعر

أنا كرباسلمى حين بتنا ✽ وراسك من ذراعى مايزول

وايرى كالعمودله عروق ✽ تعرض فى قفاه وتستطيل

والعشر كافات كف وكوع وكرسوع وكتف وكاهل وكفل وكبد وقلى وكعب وكرة (وفى المعنى مواليا) بش قلت فى كس أنعم من فرا العصور احمر وتر يصاكى الخرمن البلور ضيق وعند حرارته تشبه النفور سالم من الشعر والعور والعور والزبور (الجواب) بش قلت فى رب سميته محمود النور يصلح لقذا لادى أنعم من العصور ان قلت جارف كان جارف له النتور وان كان رصاع يكن رصاع الزبور وهاذا يدل على توشهوة النساء ان الجارية بنت بها ابوها صغيرة وبصوتها كبيرة ولا تراهى هذا الحقوق مع وجود عقلها بل انها تختار من تريد لشهوتها وتصطفيه على أبيها للتها وهى تعلم فرض حقوق الوالدين وكثير ممن تربت فى الذم الجليلة والعطايا الجزيلة تركت ذلك وتبعت الاوطان وسافرت البلدان ونكست العمائم وتجرأت على العظائم والقت نفسها للقتل كل ذلك متابعة لشهوتها وانها تفضل بالحلى والطيب فتضع نفسها للذين الوسخ الذفر القذر فترى نفسها عليه وحدثما شاهدتى فى زماننا هذا فسئل الله العزيز الغفار الحليم الستار ان يسترنا فى ذريتنا انه على ما يشاء قدير ولقد أنصف من قال

احب بنتى بكل جهدى ✽ تكون بنتى فى قعر لحدى

سنتين وثمانية أشهر ثم حبس باسم ظنرا لمعزى لصغره وعدم سلامحيته لقتل التتار وقلة مكانته ولقب بالملك الظفر قطز المعزى فسلم لبلت ان جاء رجل وبيده كتاب فيه من ملك المغول ثم قاآن وفسر بالخانان العظيم هلاكو خان ووصف نفسه بأوصاف عظيمة ورسلة وتشديدة وفيه يا أهل مصر لا تقاتلونى فانه ليس لكم قدرة على ملاقاتى فصوفوا دماءكم ولا تكونوا مثل أهل بغداد وأهل حلب وغيرهم وقد كان قد قتل من تلك البلاد خلائق لا تحصى وقتل الخليفة المستعصم بالله ببغداد كما سمع فلما سمع الملك الظفر قطز هذه الالفاظ صرعه ذلك ثم جاء الخبر بأن التتار قد قتلوا البلاد الشامية وجاء أهلها الى مصر يطلبون النجدة فرأى قطز ان يأخذ

(وقال آخر) أودّ بان يشتى يا صاحبى ● تكون غدا عندى بلحدى
وما هو بنصفه فيها ولكن ● مخافة ان تقاسى الذل بعدى
اذا عاشت وفاز بها الشبم ● فيلعن والدى ويسب جدى
وان يظفر بها رجل غنى ● يرانى عنده فى زى عبدى
وان وافاه فى الآجال قصر ● فيدفنها ويبقى الهم عندى
وان واراه فى الآجال قصر ● تحنى بعد كرمن غير حندى

سألت الله بأخذ هاقريبا ● وان كانت أعز الناس عندى

(هذا ما الى من بعد ذلك) من أمر الحاكم لما أراد الله سبحانه وتعالى هلاك الحاكم كان السبب فى ذلك انه أراد قتل أخته سيدة الملوك وهم ان يرسل لها القوابل فانه بلغه انها كانت بها رمانة وقال لبعض ثقهرمانتها معك انكن تجمعن الجوع ويدخل البكر الرجال ولابد من قتلكن جميعا وكر رهذا القول فعلمت أخته انه يريد لها الاحتيال فاخذت فى تدبير الحيلة والعمل فى قتل أخيها وخرجت ليلا وأتت الى دار الامير يوسف سيف الدولة بن دواس وكان الحاكم كم تهزم على قتله فدخلت عليه خفية واختلت به فعظمها وأكرمها فقالت له أنت تعلم ما جرى من أخى فى سفك الدماء وقتل وجوه الدولة وقد صمم على قتلى وقتلك فقال لها كيف الحيلة فى قتله فقالت الرأى عندى ان تجهزه رجالا يقتلونه عند خروجه الى حلوان فانه يغفر بنفسه وأنت تكون المدبر لدولته وماله فاعجل بذلك ومضت الى قصرها فلما كان صبيحة النهار خرج الحاكم على عادته والفرد بنفسه فى الجبل المقطم وكان سيف الدولة قد أحضر له عشرة عبيد وأعطى كل واحد منهم خمسمائة دينار وعرفهم كيف يقتلونه فسبقوا الى الجبل وكانوا فيه فلما أقبل خرجوا عليه وقتلوه بالقرب من حلوان فخرج الناس على عادتهم يلتمسون رجوعه وعهم وداب الموكب فلم يأت فعلموا ذلك سبعة أيام ثم خرجوا ثامن يوم فى طلبه فبينما هم كذلك اذا بأصبر واحمره الاشهب المعروف بالقمر قد قطعت يداه وعليه سرجه ولجامه فانه وعاد الى ان انتهى الى القصبة التى تُرى فى حلوان فتقل رجل فوجد ثيابه وهى مزروزة وفيها آثار السكاكين وكان ذلك فى سابع شوال سنة احدى عشرة وأربعمائة ونصرف خمسا وعشرين سنة وشهرا وخرج فى مصر الجامع المعروف به الكائن بالقاهرة فبايعه بين بابى النصر والفتوح وهو الموجود الآن وابتدأ قصد قطع الخطبة من الجامع الازهر فقد رالله انه لم يخطب فيه الا ولده وانشد بعض الادباء موالياً فى الجامع المذكور فقال

جامع الحاكم هم قول بلا معنى ● أنا الذى قد ظهر نورى يضىء لامع
لمؤلى الاكرام فى المعد اقامع ● والنصر والفتح حرى بينهم جامع

(ثم تولى الظاهر أبو الحسن على بن الحاكم) فأقام خمس عشرة سنة وثمانية شهور وتوفى بالقنطرة بتكة القس سنة سبع وعشرين وأربعمائة (ثم تولى المستنصر بالله أبو تميم بن الظاهر) فاقام سنة وأربعة أشهر وفى زمنه مسغبة شرقا وغربا سبع سنين وأربعمائة حصل بمصر فلاء شديد وعم مع الغلاء وباء شديد فاقام سبع سنين والنيل يشد ويزيد فلم يوجد من يرتع وانقطعت الطرقات برا وبحرا وآل الامر الى ان بيع الرغيف من الخبز الذى وزنه رطل بارعة عشر درهما وبيع الاردب القمح بمائتى دينار واكلت الناس الكلاب والقطط ثم تزايد الحال الى أن أكلت الناس بعضهم بعضا قد كر ذلك المقريزى فى خططه ثم توفى المستنصر فى شهر ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة وفى أيامه فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة نجى أمير الجيوش بدر الجمالى الارمنى باب زويلة الموجود الآن (ثم تولى المستعلى بالله أبو القاسم أحمد بن المستنصر) وكان الكلام فى مملكته للافضل امير الجيوش ابن البدر الجمالى المذكور وهو الذى جاء الجيوشى بمفتاح المقطم وجامع الجيزة وكان المستعلى سنيا وفى أيامه أخذت الافرنج بيت المقدس فى محرم يوم الجمعة سنة اثنتين وتسعين واربعمائة وكان مدة المستعلى سبع سنين وتوفى سنة خمس وتسعين

من الناس شيأ يستعين به على قتالهم فجمع العلماء وحضر الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال لا يجوز أن يؤخذ من الرعية شئ حتى لا يبقى فى بيت المال شئ وتبيعوا امتعتكم من الموانى والآلات ويقتضر كل منكم على فرسه وسلاحه فاتفق أنه اخذ من كل رأس دينارا وأخذ من الاملاك أجر شهرين ومن الفيطان كذلك فكان جملة ما جمعه ستمائة ألف دينار ثم جمع الامراء والصاكر والعربان وخلقا لا تعد ولا تحصى وصرف عليهم الجوامك وخرج فى آخر شعبان سنة ثمان وخمسين وستمائة وجد فى السير الى أن وصل عين جالوت من أرض كنعان فالتقى مع التتار هناك ووقع بينهم القتال فقتل منهم خلق كثير وانكسر

وأربعمائة (ثم تولى الأمر باحكام الله أبو على المنصور بن المستعلى) وفى أيامه بنى الجامع الاقرفكانت مدته تسعا وعشرين سنة وثمانية أشهر الى أن قتل بالجيزة سنة أربع وعشرين وخمسمائة (ثم تولى الحافظ لدين الله عبد الحميد) فأقام تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وتوفى سنة أربع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الظافر بأحكام الله اسمعيل بن الحافظ) وفى أيامه مجرى الجامع المعروف بالعاكمانى داخل بابزويلة الموجود الآن وهو ما مر مقام الشعائر الاسلامية قبل ان السبب فى عمارته ان محله كان لعجوزة يبيع فيها الاشنام ويوسط الجزيرة مغرز يجتمع فيها ماء من غسالة الابائح وكان لا يمر على أمراء الظافر بيت محاور للعجوزة المذكورة به محمل مشرف على تلك الجزيرة فجاء مزارع فرفع فذبح الاول وشرع يذبح الثانى فخرق طارق باب الجزيرة فوضع الجزار سكينه عند الخروف الذى لم يذبح وتوجه الى الباب ينظر طارقه فأخذ الخروف السكين بفمه والقاها فى بركة الماء فنفق ان الامير رب البيت المذكور كان جالسا بالمكان المشرف على الجزير وهو ينظر أخذ الخروف السكين والقاها فى الماء فلما جاء الجزار لم يجد سكينه فأراد ان يذبح الخروف بسكين كانت معه فقال له الامير أسلخ يدك ولا تذبح الخروف فتوجه الامير الى الظافر وأخبره بذلك فتعجب ثم استأذنه فى عمارة الجزيرة جامعا فاذن له فعمره فكانت مدة تصرف الظافر أربع سنين وسبعة أشهر الى ان قتل بدار الوزارة لمعروفة بالسيوفية الموجودة الآن بباب الزهومة سنة تسع وأربعين وخمسمائة وتولى بعده ولده أبو منصور (ثم تولى الفائز بنصر الله بن الظافر باعداء الله) وهو خمس سنوات وثلثى أيامه قتل الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك الذى بنى الجامع خارج باب زويلة فأقام الفائز ست سنوات ونصفا ومات سابع رجب سنة خمس وخمسين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى العاضد عبد الله بن يوسف الحافظ) فأقام احدى عشرة سنة وستة أشهر وخلع ومات فى حادى عشر المحرم سنة ست وستين وخمسمائة وبموته انقطعت دولة الفاطميين كما انقطعت دولة من قبلهم ومدة تصرفهم مع صغر سنهم ثنتان وتسعون سنة وثمانية أشهر وقد قال القائل

وبادوا جميعا فلا تغترر ● وماتوا جميعا وصح الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن ● فطينا فكفى من مضى معتبر

﴿الباب السادس فى الدولة الايوبية السنية اصحاب المتوحات وهم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب﴾

وكان سلطانها مؤيدا من الله عليه بالفتوحات ومكنه من الكفار الفجار ومن أعظم فتوحاته بيت المقدس ففتحه يوم الجمعة ثالث عشر رجب سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة بعد دان استولت الافرنج عليه احدى وتسعين سنة ومنها فتح الشامى كما استنقذ هذا من أيدى الافرنج ذكر صاحب الانس الجليل فى فضل الخليل ان السلطان صلاح الدين الخ فتح حلب مدة محيى الدين ذكر القاضى دمشق وقصيدة منها

وفتحك حلبا بالسيف فى صفر ● مبشر بفتوح القدس فى رجب

فكان كما قيل وهذا اتفاق عجيب ثم ان السلطان صلاح الدين بنى خانقاه سعيد السعداء وقلعة الجبل وبئر الحلزون وسور باب الوزير المدرسة التى بجوارتربة الامام الشافعى وسور باب البحر وسواق القلعة وله الخيرات الكثيرة الى يومنا هذا وفى أيامه ظهر ابن حاتم اليمن خارجى استولى على بلاد اليمن وكان يدعى مذهب القرامطة ويشتمى الى صاحب مصر الفاطمى ويستتر بالاسلام فقتل خلقا كثيرا وشق بطون الحوامل وذبح الاطفال فى أمهاتهم وقتل ولده بعده فعمل أشد مما فعل أبوه وبنى على قبر أبيه قبة عظيمة صفح حيطانها بالذهب والجوهر وعلق بها قناديل الذهب والستور الحرير التى لم يعمل فى الدنيا مثلها ومنع أهل اليمن من الحج الى الكعبة وأمرهم بالحج الى القبة وكانوا يحملون اليها من الاموال فى كل سنة مالا يحصى ويطوفون بها ومن لم يحمل شيأ قتله وأقام على الذكر والغير وذبح الاطفال وسبى النساء وسفك الدماء فكاتب أهل اليمن السلطان صلاح الدين يوسف فسير اليه أخاه شمس الدولة فتح اليمن وقتل الحمار جزى وكان

هلا كروهن معه من التتار وحرقوا ثم جرحوا واقتتلوا حتى قتل منهم النصف وجرحوا هاربين وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمة وكان يبيرس من أعيان دولة الملك قلاوون وقد ساق وراء التتار الى حلب وظفر بهم من البلاد وعده السلطان بحلب فهرب جميع ذلك فغنائم بيبرس ووقعت الوحشة بينهم فأضمر كل لصاحبه الشر فاتفق بيبرس مع جماعة من الامراء وقتلوا المظفرى الطريق بين الغزالى والصالحية فعظم على الناس قتله لحصول النصرة على يده وذلك سنة ثمان وخمسين وستمائة ثم تولى من بعده الملك الظاهر كن الدنيا والدين بيبرس العلائى البندقدارى الصالحى صاحب الفتوحات وهو الرابع من ملوك الترك

اسمه عبد الله بن الهادى وهدم القبة وأخذ ما فيها من الاموال والجواهر فكان جملة ما أخذ مستعانا على حمل ونهش الفقير وأخرج عظام الخلفاء وجواهرها (حكى) الشيخ عماد الدين فى تاريخه البديع والنهاية ان السلطان صلاح الدين بن أيوب لما استحضر حواصل القصرين بعد وفاة العاضد وانقراض دولة الفواطم وجد فى الحواصل أمتعة وآلات وملابس وثيابا كثيرة وشيأ باهرا وأمرا عظاما من جملة ذلك طبل اذا ضرب عليه صاحب القولنج خرج منه ريح الى أن ينصرف ما يعد من القولنج ويزول عنه فى الحال فاتفق ان بعض الاتراك أخذه فى بلده ولم يدر ما شأنه فلما ضرب عليه ضرطا فالما من بدنه فانكسر وبطل أمره وتوفى السلطان صلاح الدين فى سابع صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة فكانت مدة تصرفه اثنتين وعشرين سنة وشهرين (ثم تولى الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان) فتصرف فى الملك خمس سنين وعشرة أيام وتوفى فى المحرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة ودفن بداره بالقاهرة ثم نقل الى تربة الامام الشافعى قبل بناء القبة (وحاصل حكى) ان الملك العزيز بن كان يميل الى القاضى الفاضل فى حياة أبيه فاتفق ان العزيز عوى فبقى ثعلبة من مصالحه فبلغ ذلك والده فأمر بتركها وصعابه فشق ذلك عليه فلما طال ذلك بينهما أرسلت له مع بعض الخدام قطعة عنبر مبرومة فكسرها أو جد فيها زارا من ذهب فلم يفهم المقصود فأعلم القاضى الفاضل على ذلك فأنشد يقول

أهدت لك العنبر فى جوفه ● زمرد النبر رقيق الكلام
فلازرد العنبر تفسيره ● زرهذا المختفى فى الظلام

وفى زمن العزيز تقدم ابن عنبر الشاعر من عند الملك العزيز بن سيف الدين بن شادى ملك اليمن وقد احتزل صلته عند ما وفد عليه فلما قدم الى مصر عاد قدم من المجرط اليه وبالزكاة فقال

ما قل ما يقتضى بالعزيز لها ● أهلا ولا قل برق يصحبه غدقه
بين العزيز بن فرق فى قماطها ● هذا لك يطلى وهذا يأخذ الصدقه

(ثم تولى الملك الافضل) نور الدين على ابن السلطان صلاح الدين يوسف وكان متأدبا بأحسن الصور نقل ان كاتب على ذنب يكتب الخط الحسن وله المناقب الجميلة وهو أكبر أخوته ما صافاه الدهر ولا هنأه بالملك ثم نصب عليه عهد العادل أبو بكر وأخوه عثمان فاتحر جا من دمشق وفى ذلك كتب الى الناصر ببغداد يقول

مولاى ان أنا بكر وصاحبه ● عثمان قد غصبا بالسيف حق على
وهو الذى كان قد ولاه والده ● عليهما واستقام الامر حين ولى
فظل فاهما وحلا عقد بيعته ● والامر بينهما والنقض شهر على
فانظر الى حظ هذا الاسم كيف لقى ● من الاواخر مالاقا من الاول

فكتب اليه الناصر الجواب يقول فيه

وانى كتابك يا ابن يوسف معلما ● بالصدق وعنوان أصلك ظاهر
فصبوا على حقه اذ لم يكن ● بعد النبى له بيثرب ناصر
فاصبر فان غدا على جزائهم ● وابشر فناصرك الامام الناصر

فلم يمض بل توفى الافضل فى آخر حجه الله تعالى فأقام سنة وشهرين وتوفى حادى عشر شوال سنة ست وتسعين وخمسمائة ومن كلام الملك الافضل على فى المعنى

اما آن للسعد الذى أنا طالب ● لادراكه يوما يرى وهو طالبى
الاهل يرينى الدهر أيدى شيعتى ● فكم يومنا من نواهى القواضب

وفى المعنى أقول لهم وقد توالت صروفه ● أليس هذا بازمان زوال
فقال اصطبروا دولة قد تغيرت ● لكل زمان دولة ورجال

من كلام القاضى الفاضل، تأمل دفع الايام وهى تدافعنى ولسان الليالى وهى تخافنى

اصله ترکی اشتراه الملك الصالح نجم الدين أيوب وأعتقه ولازالت الاقدار تساعده حتى وصل الى موصل وكان ملكها يومئذ بها مقداما يباشر الحروب بنفسه له وقائع الهائلة مع التتار ثم الافرنج وهو الذى بنى المدرسة بالقاهرة بقبلتها البيمارستان عام اثنتين وستين وستمائة والجامع الكبير بالجيزة سنة خمس وستين وستمائة وتوفى سنة سبع وهو الآن أعنى سنة ثلاث عشرة بعد المائتين والالف قلعة الافرنج أخذاره لصلابته واتقان بنائه وقطعوا ما حوله من الاشجار وهدموا البنيان الذى حول الاشجار فلاحول ولاقوة الا بالله وبقى الها فتأمل اى المعنى بالجيوبة وتنظر السياط وبرقى مصر وغير ذلك من لذاع وحسون

مفرد بعده قالوا انزلت فلك الدهر أقسم بي ● لاوجه الرغم في الجرور بالقسم

﴿ثم تولى الملك العادل سيف الدين أبو بكر بن أيوب﴾ ودعي بالملك الكامل في الخطبة ثم في أيامه انتقلت السلطنة من دار الوزارة بالغرب الاصفراني قلعة الجبل في سنة أربع وستمائة وأول من سكنها الكامل ثانيا عن أبيه احدى عشرة سنة ثم توفي العادل في جمادى الآخرة سنة خمس عشر وستمائة فكانت مدة تسع عشرة سنة وأربعين يوما رأته أعلم (ثم تولى الملك الكامل أبو الفتح ناصر الدين محمد) فعمر قبة الشافعي والمدرسة التي بين القصرين المعروفة بالكاملية قال فؤاد الدين بن المشرف ان صاحب حصن حيفا ماء الشتاء يرودونه ويقيم عليه بعضهم وجوده وقوس الشتاء يرشق بسهام القطر من جودها والريح يزمر كلما دقت طبول الرعد من جوها والنيلم تقدمه باشه وجعل الارض فراشه والجليد قد أذاب الاحلام وماذاب وكل مالمات الشمس توارت بالحجاب وبيته فارغ من المشارب والآكل وقال يشكر والده الملك الكامل

أحن الى الاوزالمقلفل بالتبل ● ويشتاق قلبي للبأس بالعسل
وارتاح ان هبت رياح شمالج ● وان حضر اللحم السمين فلا تسل
وان قدموا للحوي خروفا من الشوى ● ترى رفقتي فيه ولا رفعة الجبل
اشم من كف يخضم أصابع ● وابعثه فيسه الى أينما وصل
أميل على الاطراف صيلة هاشم ● وأنزل في الاضلاع مع كل من نزل
وأهل في العشكا اذا زاد ذهنها ● وياقوز من حياهل خيرذا العمل
وأي فتى يشري الدجاج أزوره ● هو المشتري لكن بصارفه زحل
ورقاصة في الحصن تطربني اذا ● تحملت لناس خارق السمن والعسل
ولوز بخ مثل البروق قروصه ● وكم من هلال في المشبك بالعل
وان يخبض الريح جيء تم تبلغوا ● نحيصة سب في هواء فتطل
فلو سليت عقلي مشوشة الشتا ● وأطعام الكشك ما في به قبل
سكنت بظل الكهف والبرد هاطر ● فبالبت شمس الافق عادت الى الحل
وكم نفسرة منها أروم تقولان ● تراقي لهذا الفضل والظرافي الجبل
ومالي سوى ملك يسابق فعله ● مقالي ومامن قال شيأ كمن فعل
فان رمت ماترجو وتبلغ مقصدا ● أتاك الذي ترجوه قصدا قد حصل
وأما ارتداد الشمس لست بموسم ● توالبه الشمس يوما كما عمل

وفي زمنه في شهر شوال سنة أربع وعشرين وستمائة أحضرت من الاسكندرية امرأة خلقت من شعر يدين وفي موضع ثدييها مثل الحلمتين يجري ● بهما بين يدي الوزير ضوان فعرفته انها تعمل برجليها ما تعمله النساء بايديهن من خط ورقم وغير ذلك فأحضر لها دواة فتناولت برجلها اليسرى قلما فأرتهن شيأ من الاقلام المبرية التي أحضروها فأخذت الكبير برت لنفسها قلما وشقته وقطته وأخذت ورقة فاسكتتها برجلها اليسرى وكتبت باليمنى أحسن ما كتبته الكتاب بيمينهم وناولت الرقعة للوزير فأدانيها السؤال بالزيادة في راتبها فزادها وأعادها الى بلدها وقد أخبر في بعض ان أهالي هذه امرأة يوما بالاسكندرية يزارونها موجود الآن بباب رشيد على يمين الداخل ويعرف بمقام بنت خدا وردي وفيها أوقاف وأطيان وتصرف لها من ديوان الاسكندرية في كل سنة ثلاثة آلاف نصف فضة ذكر ان كثيرا وغيره انه كان بطرابلس بنت تسمى فتيسة تزوجت بثلاثة أزواج وهم لا يقدرون على افتضاض بكارتها وظنوا ان بها رتقا فطلقت خمس عشرة سنة فأرتها ثم حمل فخرج من محل الفرج شيء قليلا قليلا الى ان برز مندمد كرقد والاصبع وانفتان وكتب بذلك محضر وقد ذكر الشيخ محمد الدماميني في كتابه حسن الحياة قال كان لشجاره بنت

وقناطر وخانات بالشام وغيرها وأكمل عمارة المسجد النبوي من الحريق وجع سنة تسبع وستين وستمائة فضل الكعبة بيده جاء الورد له فتوحات كثيرة ففتح النوبة ودنقلة ولم تفتح قبله مع كثرة غزو الخلفاء والسلاطين لها وملك الروم وجلس بقيسارية ولبس التاج وضرب باسمه الدراهم والدنانير وجدد عمارة الجامع الازهر بعد ان خرب وانقطعت منه الخطبة مدة طويلة فأعادها كما كانت له صدقات وأوقاف كثيرة ولما خرج الى قتال التتار بالشام استفتى العلماء في أخذ أموال من الرعية فأفتوه الا النووي فانه امتنع وكلمه كلاما شديدا فغضب منه وأمره بالخروج من الشام فخرج الى بلده نوى ثم رسم برجوعه فامتنع

وقال لا أدخلها والظاهر بها الملك الظاهر بعد شهر سنة ست وسبعين وستمائة بدمشق وفى أيامه انتقلت الخلافة الى الديار المصرية فكان أول خليفة بمصر المستنصر ووصل الى مصر فى سنة تسع وخمسين وستمائة فاجتمع بالملك الظاهر بيبرس وأثبت نسبه عند قضاة الشرع وبايعه بالخلافة وأجرى عليه نفقة وليس له من الامر الا اسم الخليفة وأولاده من بعده هلى هذا المنوال وياتون الى السلطان الذى يريد يدون توليته ويقولون وليناك السلطنة هكذا كانوا يلقاب الخلفاء واحد بعد واحد وكانت سلاطين الاقاليم تتبرك بهم ويريدون اليهم أحيانا يطلبون السلطنة باللسان فيكتبون لهم تقليدا وكان آخر الخلفاء بمصر أبو عبد الله

اسمه صافية بلغت من العمر خمس عشرة سنة ثم المع لها ذكر ونبتت لها لحية فكان لها فرج ذكر وفرج امرأة وهذا شاهد لان جنف شمنا يدعى الشيخ عمر المعروف بابى دينا يقرأ القرآن ويحفظه حفظا جيدا ويؤدب الاطفال وله بدان طول كل يد شبر وهو تام ما يلبغ بهما من جسده وجهه وصدره واما استفرغ أوه فما حدى رجليه ورزقه الله ولدين أحدهما يده ممثل يدى أبيه والثانى كالابدى وهم موجودون الى الآن وكل من شاهدهم يحققون عليهم بالصدقات ويتعجب من صنع الله تعالى فاقام الكامل عشرين سنة وثمانية وتوفى فى رجب سنة خمس وثلاثين وستمائة ودفن بمدينة دمشق ﴿ثم تولى الملك العادل أبو بكر بن الكامل﴾ قيل ان عبد الله بن طاهر كان هو وبعض الزهاد يا يوان العادل فقال عبد الله للزاهد كم تبقى هذه الدولة فيقال وتدوم بيننا فقال مادام بساط العدل فى هذا الايوان ثم تلى قوله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ذكر الشيخ أحمد بن عبد السلام المنوفى فى كتابه النصيحة بأيدك الفريحة قال رأيت فى كتاب آداب القضاء لابن أبى الدنيا اتفق ان قاضى القضاة شرف الدين محمد بن عين الدولة ماتولى القضاء مالك بالديار المصرية فيما حكاه السبكى فى طبقاته ان الملك العادل شهد عنده وهو فى دست ملكه فى واقعة ضرار أو القاضى يوسف فى قبولها فتطن العادل لذلك فقال له هل تقبلنى أم لا فقال لا أقبلك وكيف أقبلك ولانك تظلم الرعية بما كل ليلة وتنزل ثانى يوم سكرى على أيدى الجوارى وتنزل فلانة من عندك فجاء المصريون ما زالوا فى تتناوله الملك العادل بكلمة شتم فردها عليه فى وجهه ثم مزقه ونزل الى بيته معزولا فخشى العادل من رد شهادته بسبب فسقه وخشى ان يذكر ذلك عند الملوك ويوجبوا الناس فنزل بنفسه الى منزل القاضى وترضاه وأعاده الى القضاء وذكر أبو شامة فى كتاب النصيحة المذكورة ان عبد الصمد الدمشقى ناب فى القضاء عن ابن عمه بدمشق ثم تولى قضاء دمشق استقلالا وانه تداعى لديه خصمان فجاء أحدهما بكتاب العادل بالوصية عليه فلم يفتحه ووظم الحق لخصم حامل الكتاب فقضى له ثم فتح الكتاب وقرأه ورمى به الى حامله وقال كتاب الله قد حكم على حامل الكتاب فبلغ العادل ذلك فقال صدق كتاب الله أولى من كتابى وذكر القطبى فى اصلاحه ان الامام العالم أباطاهر بالخاء المعجمة والراء وهو من أكبر العلماء أهل الدين والتقوى كان قاضيا فى بعض ورعه فى المدين انه قضى انكسر عليه مال كثير وثبت ذلك عند القاضى المذكور فامر بتوزيع ماله على غرمائه بالمحاسة وكان قد انكسر على المدين مال للخليفة المعتضد فارسل المعتضد الى القاضى المذكور يقول اشركنى مع غرمائه هذا المدين بالمحاسة فان لى أيضا مالا بعينه فاحملنى كاحد غرمائه فقال لهو غارم لا أحكم للمرء بدون بينة عادلة فارسل وكيلا وبينة أرضاها للتركة بأسوء غرماء هذا المدين فاحكم لك بعد سماع الدعوى والبينة عبر وجهها فاقام المعتضد شهوده ليشهدوا عند القاضى وكان من أكبر أعوانه حاضرا أحد منهم فوقاهن ورشوها تم هجانب المعتضد بدانة القاضى المذكور وثبته على الحق وتعصبه على ذلك وقد روى ان قوما قد مروا خصمائهم الى الحاكم فقالوا لنا عليه مال فقال صدقوا أيها القاضى سلموه المهلة الى أن أبيع ما كان لى من عقار ورقيق وابل وشياه فقالوا كذب الله ليس له شئ وانما يدعنا ذلك فقال ايها الحاكم قد شهدوا بالاعسار فخل سبيله أقول وفى زماننا هذا اذا كان بعض عليه دون ثابتة لا ناس وله موجود عليه شئ من امال المرى بقدم المال المرى بالوفاء لا يشترطون قبوته عند قاضى بل يأخذون بقول كتبة الديوان خلافا لمن قلده الاعلى السكبير (حكى) صاحب التكت الطبقة ان العباس بن المعلى الكاتب كتب الى القاضى محمد بن عبد الرحمن البغدادى المعروف بابن قريعة ورقة انه سنتمتع وستدبج وتلطمه ما يقول القاضى فى يهودى زنا بنصرانية فولدت ولدا اجمله للشبه وجهه المغروة فيقبض عليهما هذا يقول القاضى فيهما فدكتب له الجواب هذا من أكبر الشهود على المسلمين اليهود فانهم أشربوا حب العجل فى صدورهم حتى خرج من أبوابهم وأرى ان يناط هذا اليهودى برأس العجل ويصلب على منق النصرانية الباقى مع الرجل ويصيحان على الارض وينادى عليهما الطلمات بعضها فوق بعض قيل ان امرأة شكت زوجها الى القاضى من كثرة النكاح فسأله عن ذلك فقال فكف

شرسه ياوا كف ايرى عن كسها اترانى أهلف ولا أركب وحكى ان جلا شكا امرأته الى القاضى من كثرة شعرها وطول طاقتها فانتقها وكتب اليه تقول

فديتك سهلت السبيل الذى اشتكى ● حوادك قبل الخوض فى خشونته
فان كنت تهوى أن تزور جنابنا ● فلا تبط هنا فالظلال ابن ليلته

وحيث الهر الكلام فى ذكر من ولى القضاء ولم يخش فى الله لومة لائم وبالحق قضا فلا بأس بايراد نبذة مفيدة نقر بها نبتط بها من على هذه الوظيفة لنا ان نسلك أحد المسالك الحر اقبا لعونه تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الظالمون أقول وبالله التوفيق من ولى القضاء ألقى نفسه فى بحر عميق وصار فيه كالغريق وفى المعنى

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ● ان السفينة لا تجرى على اليبس

قال صلى الله عليه وسلم لا تقدست أمة لا يقضى فيها بالحق وقال صلى الله عليه وسلم من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكين قال العلامة ابن الرفعة كناية عن شدة الا لم فان الذبح بالسكين فيه سرعة و بغيرها تعذيب روى الامام الحافظ من حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بالقاضى يوم القيامة فيلقى من الهول قبل الحساب ما ودانه لم يقض بين اثنين فى تمرة قد كر الكيال الهبرى فى سياق الخيرات عنه ذكر البقرة كانت القضاة فى بنى اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولوا هم مكانه فبعث الله ملكا يتبعه فوجد رجلا سرق بقرة على ماء فخلى سبيلها فتخطاها الماء وعبرها ثم رسا فتبعته الجملة فتخاصما فقال بينكما القاضى فتوجها الى القاضى الاول فدفع الملك اليه بقرة كانت معه وقال له احكم بان الجملة لى فقال القاضى كيف أحكم بذلك قال أرسل الفرس والبقرة والجملة فان تبعت الفرس فهى له فتبعتهم الحاكم بها فلم يرض صاحب البقرة فأتيا القاضى الثانى فحكم به بذلك وأخذ البقرة واتيا القاضى الثالث فدفع اليه البقرة وقال احكم بينا فقال الى حائض فقال الملك سبحان الله أبعيش الاكمر فقال القاضى سبحان الله أتله الفرس بقرة وحكم بها لصاحبها وهؤلاء كما قال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم قاضيان فى الجنة وقاض فى الجنة قال الشاعر

قضى بهدم الكنيس قاض ● وقد قضى بالعمارتان
وفى رواة الحديث قالوا ● فى الخشم قاض وقاضيان

(ولبعضهم فى المعنى)

ولما ان ولبت وصرت قاض ● وقاض الظلم من كفيك قيضا
ذبحت بغير سكين وانا ● لنرجو الذبح بالسين أيضا

(ولبعضهم)

قضاة الدهر قد ضلوا ● فقد باعت خسارتهم فباعوا الدين بالدنيا ● فما ربحت تجارتهم
(ولبعضهم) قضاة زمانا نا سارة السوصا ● عموما فى البرية لا خصوصا
يرون الغش أموال البتامى ● كانهم موتاوا فيها نصوصا
فحشى منهم واذ سألونا ● يسلوامن انا منا الغصوصا

(ولبعضهم يهجو قاضيا جاهلا مكثرا)

الا قل لمن قد طبلته رياسة ● وويد وملأ قبل قد غلط الدهر
ركبت بلا أصل ولا طب عنصر ● حكمت بلا عقل فهذا هو الكفر
تأن يراجع دهرنا فيك ماضى ● فما سدت الا والزمان به سكر

كتب بعض الافاضل الى بعض القضاة فدفشت المعاصى ورسل الاذى فلك الى والقاضى وتعاظم الباطل وأسمع وجه الحق باطل وأ كلت الرشوات وحكم بالشهوات وعرى الا كثر من اباس تقواه وباع دينه بدنياه وبعضهم

محمد بن يعقوب ولقب بالمتوكل ولما دخلت الدولة العثمانية وافتتحت مصر اخذ المرحوم السلطان سليم فاتح مصر الخليفة المذكور متبركا به فلما توفى السلطان سليم هذا وفى مصر واستمر بها الى أن توفى بها سنة خمسين وتسعمائة فى زمن المرحوم داود باشا وجوزته انقطعت الخلافة العباسية فرحم الله تلك الارواح الطاهرة ومتعها بالنظر الى وجهه الكريم فى الدار الآخرة وبعد ان توفى السلطان بيبرس المذكور سنة ستة ماثة وستة وسبعين (تولى من بعده ولده محمد بركة خان) وكان سنه ثمان عشر سنة وكان أبوه عند ما له الولاية فى حياته ولقبه بالملك السعيد واستنابه على مصر أيام سفره واستقل بالسلطنة بعد أبيه الى سنة ثمان وسبعين فاختلف

عندى حديث ظريف ● ان به يتغنى فى قاضيين يعزى ● هذا وهذا بهما
وذا يقول ضعينا ● وذا يقول استرحنا وبكذبان جميعا ● ومن يصدق منا
(وليه بطهم فى قاض فى ولايته فعزله)
عزلوه لما خانهم ● فقد اكتسبوا مقتا وبقول لم احزن اذا ● لم اولم اكن متأسفا
قالوا كذبت لقد خدمت وقد حزت معظما

اى خزيت فيما ولى من ابتلى بالقضاء والحكم بين العباد أن يكون قاضيا ضعيفا رضيا يغلب شره على شره فان الحكم يبقى على ميزان الاعتدال فمتى رجح أو مال تلفت به نفس أو مال وان القاضى اذا كان امره نافذا للاحكام الشرعية بين الرهبة تصير احواله مرضية واذا كان امره غير نافذ فى رهبته وهن امره وتلاشى حكمه ومنشأ هذا انطواؤه على الطمع وقد كان السلف الصالح يتنعون من الدخول فى القضاء مع أنهم وورعهم وما قيتهم له خوفا لما عساه أن يحصل من هفوة ونحوها

قضاة زماننا احتجبوا بعلم ● وبالمعروف ذاك اجتماع
وأضحى العلم مفترقا ينادى ● أضاعونى وأى فتى أضاعوا

ومن المصائب العجيبة استنابة الجهلة بالآداب فى القضاء فيفضون بين الناس عالمين غير ملتفتين بعلم ويصيبون هنا وهو هناك العظيم ومن ذلك ما يأخذونه من الرشوة جهارا من غير نكير ولا يكتفون منها بالسير فقد مرمن على ابطال الحقوق البينة ولا يلتفتون الذى معه الحق وان تحمل بقيام البينة واعلم ان اتم ما يفعلونه بكتب فى صحائف من فروض الامر اليهم وان كثيرا من أرباب الدنيا الآن يسعون الناس فى الولايات لأغراض دنيوية يكتب فى صحائفهم كل السيآت التى يفعلها من يسعون له ويترتب عليه الى يوم القيامة وقد كتب الشيخ نور الدين العراقى فى رسبة الى قوله كتبانيها اعلوا مقام الثواب أن من ولى أمر أحد فليتق الله فى السر والنجوى وليبصر كل منكم قرب أجله ووقوفه بين يدى الله عز وجل مسؤلا عن عمله فما اخيبك المتصور لو فجره وياتدا من اذا وجد أهلا له نحصلت محصلة واجتنبوا أخذ المال من غير حله فما ساغ لذا لا انتفاع غضب الله من أجله فقد بلغنا ان الدانق يوم عرسد من الدرهم اذا أخذ من غير وجه فما أخذ فيه يوم القيامة سبعمائة صلاة مقبولة واحذر ظلم اليتيم واسلكوا الطريق المستقيم فقد قضت بما يوجب من النصيحة فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد وقد حصل الا كتفاء بما ذكرناه وفقنا الله لجميع الطاعات ورقانا جميع الآفات بمنه وكرمه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وجعلنا الى ما نحن بصدد من أمر العادل فانه تصرف سنة وثلاثة أشهر وثلم فى العقد ستة تسع وثلاثين وستمائة ثم توفاه الله سبحانه وتعالى لأجله (ثم تولى الملك الصالح نجم الدين أيوب ابن الملك الكامل) ولى ولايته أرسل له براس الذى يقال له زيد فرس كتابا بأخذ كرقيه (أما بعد) فانه لا يخفى عليك ان عندنا خزائن الاندلس وما يحصلون اليناهن الاموال والهدايا ونحن نسوقهم سوق البقر ونقتل منهم الرجال ونزمل النساء ونستأثر بالبنات والصبيان ونقتل منهم الديار وأنا قد أبديت لك الكفاية ولم يذلك النصيحة الى الغاية والنهاية فلو سلفت فى بكل الاحيان ودخلت على القصور والرهبان وحلت الشهم قد امى طاعة للسلطان لكنت واصلا اليك وفاتك فى العز النفاع عليك فلما ان تكون البلاد فى قبضة يدى حملت فى يدى وأما ان تكون البلاد لك والطلبة على وبلك البيّن عتدة فى وقد عرفت قتلك وعرفت مافاتك وحذرتك من هاكر حضرت فى طاعتى تحلا السول والجيل وعددهم كعدد الحصى وهم مرسلون اليك بأسياف القضا فلما قرأ الصالح كتاب افرنس بكى واسترجع وأمر القاضى شهاب الدين محمد بن زهير ان يكتب الجواب فكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلاته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه (أما بعد) فقد ورد كتابك وأنت تهدد فيه بكثرة جيوشك وعدد أبطالك ونحن أرباب السيوف وما قتل منا قرن الا جدناه ولا يطيق علينا باغ

عليه الا مراء وقاتلونه فانهزم لفقد من السلطنة وأشهد بذلك ثم ذهب الى البكرك ومات بها سنة ثمان وسبعين وستمائة فكانت مدة اقامته ستتين وثمانية أشهر (وقول من بعده أخوه بدر الدين الملك العادل سلامش) وكان يسمى ابن البدوية فأقام خمسة أشهر ثم جاءت الدولة للفلاونية الصالحية وهى من الدولة التركية المتقدمة فأولهم (الملك المنصور أبو المعالى قلاون الصالحى النجمى) وقيل له الالفى لأنه اشترى بألف دينار فأقام احد عشرة سنة وعشرة أشهر وقول بالقريبين الطرية سنة تنقص وثمانى وستمائة وهو الذى بنى البيمارستان وجعله مباحا للفقير والامير والمدرسة المنصورية التى دفن بها وله وله الفتوحات بساحل البحر الرومى منها

الادمرناه فلو رأت عينك أيها المعرور حد سيوفنا وعظم حربنا وقتنا منكم الحصون والسواحل وتخربنا منكم الاواخر والاوائل لكان الذي تعض على أنامك بالندم ولا يدان يزل بك القدم من يوم أوله لنا وآخره عليك فهنالك تبين الظالمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون فاذا قرأت كتابي هذا فتكون منه على أول سورة الفتح الى أمر الله فلا تستعجلوه وتكون أيضا على آخر سورة ص ولتعلن نبأه بعد حين وتعود الى قوله تعالى وهو أصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقول الحكماء الباقي له مصرع وبقيك يصرعك والى البلاء يسلمك وكان الامر كذلك فلما وصل الكتاب الى زيدا فرنس بادر فورا الى الحضور الى دمياط بعساكره وضم واخيامه فاستقبلهم المسلمون وقاتلوا معهم فاستشهد يومئذ الامير نجم الدين والامير حسام الدين أزبك فلما مضى الليل وحل الامير فخر الدين بعساكر الاسلام الى جهة طنبغا خان في من كان في دمياط وخرجوا منها على وجوههم وتركوا المدينة خالية من الناس ولحقوا بالعساكر وهم حفاة حيارى عن معهم من النساء والاولاد فشتموا على الامير فخر الدين وعدوا جميع ما نزل بالمسلمين من البلاء بسبب حزيمته فان دمياط كانت منصورة بالمقاتلة والازواد والاسلحة وغيرها ولما أصبح الصباح قصد الافرنج دمياط فاذا أبواب المدينة مفتوحة ولا أحد بها فظنوا ان ذلك مكيدة فلما تحققوا خلوها وان خلوها من غير مانع استولوا على ما بها من الاسلحة والاقوات فانزعجهم الناس في مصر ارتحاجا عظيما وكل ذلك مع شدة مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين وعدم حركته وقد اشتد حنقه على الامير فخر الدين فأمر بشتق من كان في دمياط من الامراء والمقاتلين فشتق منهم في ساعة واحدة نيف على خمسين أميرا بقال ان شتقهم كان بفتوى من العلماء فانتقل الملك الصالح الى المنصورة بعد ان سوّر هاوغرم العسكر في تجديد الابنية هنالك وقدمت المراكب تتباعا المنصورة بقوتها الاسلحة والعدد فلما كانت ليلة الاحد لاربع عشر ليلة مضت من شعبان سنة سبع وأربعين وستمائة مات الملك الصالح بالمنصورة فخم بظهر موته وحمل في تابوت الى القلعة فان شجرة الدر زوجة الملك الصالح لما مات احضرت الامير فخر الدين والطواشي جمال الدين محسن فاعلمهم ما جرته عليهم ذلك خوفا من الافرنج فأرسل الامير فخر الدين الى الملك المعظم توران شاه وهو بحصن كيفا احضاره وكانت العلامات تخرج من الدهاليز السلطانية بالمنصورة الى سائر الممالك الاسلامية المصرية فلما علم الافرنج بموت الملك الصالح خرجوا من دمياط بغير سهم وراحلهم ومراكبهم فسار بهم في البحر حتى نزلوا قبالة سكور فارسل المسلمون كتابا الى القاهرة فقرأ على منبر الجامع الازهر يوم الجمعة الغرة وافتتاحا وتقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون وفيه مواعظ وحث على الجهاد فارتجت مصر والقاهرة وظواهرها بالبكاء والعويل وأيقن الناس باستيلاء الافرنج على البلاد فلما وافق من ذلك يقوم بالامر فخرج الناس من مصر والقاهرة وسائر الاعمال فاجتمع عالم عظيم ونزل الافرنج شارمساح واليرمون ووصلوا تجاه المنصورة ونصبوا المجانيق على المسلمين وصارت مراكبهم تأتيهم بالزاد في البحر والمسلمون القتال وكان في البحر بعض مخائض فعدل من لا دين له الافرنج عليها فركبوا منها فلم يشعر المسلمون الا وقد هجم عليهم الافرنج وكان الامير فخر الدين قد دخل الحمام فأتاه الخبر ان الافرنج قد هجموا على المسلمين فركب دهشا ناولم يأخذ سوى سيفه وخرج الى القتال فاستشهد الامير فخر الدين ووصل زيد افرنس الى باب القصر السلطاني فلم يبق الا أن يملكه فانجد الله تعالى ان طائفة من المماليك البحرية الذين استخدمهم الملك الصالح ومن جملتهم الملك الظاهر بيبرس البندقداري حملوا على الافرنج حملة صدقوا بها القتال حتى أزالوهم عن مواقفهم فانهزموا وبلغت عدة من قتل من الفرنج الخيالة في هذه النوبة ألف وخمسمائة فارس وهذه الواقعة كانت بين الازرقة والدروب ولولا ضيق المجال لما انفلت من الفرنج أحد وفي اثناء هذه المدة حضر السلطان المعظم توران شاه واستقر بقصر المنصورة فحاط بالفرنج وظفر منهم باثنتين وخمسين مركبا وقتل وأسر ألف ورجل وانقطعت

ترابلس وكانت بأيدي الافرنج من سنة ثلاث وخمسمائة وعكا وبيروت وصيدا وغير ذلك وبلغت مماليكه اثني عشر ألفا فرقى أيامه وصل عسكر التتار الى الشام وحصل الرجف والخوف فأنفقاهم بعساكره ورهزهم فهرزهتهم وحصلت مقتلة عظيمة ثم وقع الصلح مع التتار بعد أمور وطوبلة (وقولي من بعده ابنه الاشرف خليل) فأقام ثلاث سنين وشهر بن وثمان سنة ثلاث وتسعين وستمائة الى أن أتاه وقد بن عدوه الذي أنشأها بجبولر مشهد السيدة نفيسة وقد خربها الافرنج سنة أربع عشرة وستمائة بن بعد الالف وفي أيامه توجه الظاهر عكا فرتبها وقلع خراب خواصل الشام وانتخع قلعة الروم بهرزها وهش وفتح حصن سور المعبى الآن بحصن منصور وكان من

الميرة عن الفرنج وقد أحاط المسلمون بالفرنج وقتل وأسر منهم كثيرا الذين نجوا من القتل تركوا خيامهم وأموالهم وقصدوا دمياط هاربين فأزال السيف بعمل في أدبارهم وقتل بهم الخزي والويل حتى قتل منهم ما يتوف على ثلاثين ألفا غير الذي ألقى نفسه في البحر وأما الاسارى فحدث عن البحر ولا حرج ورغب المسلمون من أموالهم وركوبهم وثخانتهم مالا يحصى والتجأ الفرنسيس الى المنية المجاورة لدمياط بمن بقي معه واستطاعوا القتل وسألوا الامان فأمنهم السلطان المعظم ونزلوا مشاة حفاة وسيقوا الى المنصورة وقيد ذو الفرنس واعتقل بالدار التي كان بها القاضي فخر الدين بن لقمان كاتب الانشاء ووكل به الطواشي صبيح واعتقل معه أخوه وحشمه ومن بقي معه من أصحابه ولما انهزم الفرنسيس سقطت قلنسوته عن رؤوسهم بحيث بانت افرنجية وكانت من قطيفة حمراء بفرو سنجاب فاتخذها الامير جمال الدين بن يغمور قلبها فقال الشيخ نجم الدين بن اسرائيل

وشعار به الفرنسيس لما ● قد أتتنا السيد الامراء
كبياض القرطاس لونا ولكن ● صيغتها سيوفنا بالدماء

وتسلم المسلمون دمياط ورفع العلم السلطاني على سورها وأعلن فيها كلمة التوحيد والاسلام وشهادة الحق بعد ما أقامت في يد الفرنج أحد عشر شهرا وسبعة أيام وأفرج عن الفرنسيس وأخيه وزوجته ومن بقي معهم وتوجهوا الى بلادهم وفي ذلك يقول جمال الدين بن مطروح

قل للفرنسيس اذا جئته ● مقال صدق من وزير نصيح
أتيت مصرا تبتغي ملكها ● تحسب ان الرمح والطبل ريح
فملكك الدهر الى أدهم ● ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أوردتهم ● بسوء تدبيرك بطن الضريح
خمسون ألفا لا يرى منهم ● الا قتيل أو أسير أو جريح
وفقك الله لامثالها ● لعل عيسى منكم يستريح
ان كان بابا كم زنار اضيا ● قرب هش فداتي من نصيح
قل لهم ان الهجر والعودة ● لأخذ ثار أو لعقد صحيح
وداران لقمان على عهدها ● والقيد باق والطواشي صبيح

فقد ذكر الله تعالى أن الفرنسيس بعد خلاصه من هذه الواقعة جمع عدة جموع وقصد تونس وأخذ بحاصرها فقتل له شاب من أهل تونس يقال له أحمد بن اسمعيل الربات

يا فرنسيس هذه أخت مصر ● فتأهب لما اليه تصير
ان قتلنا أو ابن لقمان فير ● وطواشيك منكم وزنكير

وكان هذا فالا حسن فهلك الفرنسيس على محاصرة تونس وكفى الله المؤمنين القتال فكانت مدة الصالح بمصر هشر بن سنة وعشرة أشهر وتوفي بالمنصورة وحمل الى القاهرة كما تقدم ودفن بقبة بنيت له بجوار المدرسة التي للملك الصالح والذي بني قلعة الروضة تولى أمرها جماعة وآخرهم المماليك البحرية ومقدمهم الفارس قطاي وبنى قنطرة بالدرب والمدرسة التي بين القصرين التي هي محكمة الآن والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المعظم توران شاه ابن الملك الصالح) ووصل الى المنصورة في سابع عشر ذي القعدة سنة سبع وأربعين وستمائة وقتل بعد شهرين في محرم سنة ثمان وأربعين وستمائة وكان السبب في قتله انه أخذ جد زوجة أبيه شجرة الدر وطالبها بمال أبيه فخافت وكاتبت عمالیك الملك الصالح وأخذت نصرهم عليه وكان الملك المعظم فيه هوج وخفة وميل على العكوف بلاذة فنفرت منه النفوس واخذ في ابعاد عمالیك أبيه وكان اذا سكر أوقد الشموع وضرب رؤسها بالسيف وقال هكذا أفعل بالمماليك البحرية فاتفقوا على قتله فدخلوا عليه وفي ايديهم السيوف مجردة فهرب الى برج خشب كان في خيمته

أحسن الاماكن بحيث عجز عنه السلطان صلاح الدين ومن يومئذ قطع دابر الافرنج من سواحل الشام وصار امرهم في ادبار فالله تعالى يرحمه رحمة واسعة (وولى بعده أخوه الملك القاهر بدر) الذي كان نائبا عنه فأقام يوما واحدا وقتل (وولى بعده أخوه الملك الناصر محمد بن فلاوون) سنه ثلاث وتسعين وستمائة فأقام مستتبا واحدة ثم خلع لشغبه فانه كان ابن تسع سنين (وولى بعده نائبه الموصور حسام الدين لاجين المنصوري) ثم قتل سنة ثمان وتسعين وستمائة فأقام سنتين وبعد السلطان محمد ابن فلاوون الى السلطنة ثانيا سنه سبعمائة فأقام سبع سنين ثم حصل بينه وبين العسكر وحشة فظلم نفسه وذهب الى الكرك وفي عبداً ولايته سنة تسع

التى نصبها على شاطئ بحر النيل فأمر كوه وضربوه بالسيوف فدخل البرج وأغلق بابه فأطلقوا النار فى البرج وهو يقول ما أراد بعدا كيف هو وفى أرحم الى الحصن بأصلين فأبيصه أحد فخرج ومر نفسه فى البحر فأخرجوه مقطوعه بالسيوف فمات قتيلا غريقا بحر بقارة وترك على ساحل البحر ثلاثة أيام ثم دفن بعد ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولت شجرة الدر مصر بقاء الملك الصالح) باتفاق مع الامراء وحلفوا لها واستحلفوا جميع العساكر المصرية والشامية ورتبوا الامير عز الدين أيبك التركمانى على العساكر فاقامت ثلاثة شهور الى ان خلعت فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة وكانت آخر الدولة الايوبية ومدة ولايتهم اثنان وثمانون سنة وأربعة أشهر خارجا عما تقلل فى المدة وهو سنة وثمان شهور وقد قال القائل

كانوا البونا لايرام حماهم ● فى كل مظلمة وكل هياج
فاقفر الى آثارهم تالى لهم ● هابا بكل ثنية وبفاج
فعليهم ماهبت لا أدع البكا ● مع كل ذى نظر وطرف ساج

وما أظرف قول القاضى الفاضل فى ذكر الدولة الايوبية ان الذهاب الايروم تدخل عليه آفة وأنتم يابنى أيوب أيديكم آفة الاموال كان سيوفكم آفة الرجال فلو ملكتم الدهر لاستطير لبابه أدهم وفلدتم أباه صوارم وأفنيتم شموسه وأقماره فى الهبات وتناثر درر اهم فيا بأيكم أعراس وآتم فيا أهلى الاموال مآتم والجود فى أيديكم خوانم ونفس حاتم تحت نفس ذلك الخاتم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين

﴿الباب السابع فى الدولة التركية المعروفين بالملوك البحرية﴾

كان ابتداؤها فى ربيع الاول سنة ثمان وأربعين وستمائة وأولهم الملك المعز أيبك التركمانى الصالحى أقام سنتين وأحد عشر شهرا الى أن قتل فى ربيع الاول سنة خمس وستمائة وكان السبب فى قتله انه لما تزوج بشجرة الدر وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب قد وجها الملك الصالح وخلت نفسها من المملكة وسلمتها اليه فخطب عليها بنت بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل فبلغ شجرة الدر ذلك فاخذها ما أخذ النساء من الغيرة فتغيرت عليه وفترت عليها وتركوها الا انها كانت تحن عليه بانها ملكته مصر وسلت اليه الخزائن والاموال وكانت تتصرف فى مملكته وتأمر وتنهى ومنعته من الاجتماع بزوجته التى هى أم ولده نور الدين حتى أزعجته بطلاقها واما تمكن الضغط منه نزل الى قناطر اللوق وأقام هو الأيام فبعثت اليه من حلف عليه وتلطف به وسكن غيظه فطلع الى القلعة وكانت قد أعدت له من يقتله اذا صعد اليها فلما صعد اليها ودخل الحمام ليلا فخنقت عليه ومعها خمس من الخدم فاخذ بعضهم بالتهيه وبعضهم بخناقه فاستغاث بشجرة الدر فقالت لهم اتركوه فاطلقوه الى القول عليها فقالت اتركوه فقالوا نحن تركنا ما يبقى علينا ولا هليلج ثم قتلوه فترى بعد ورقده نور الدين المنصور فبقى على شجرة الدر وخرج بها الى أمه فقتلته الجوارى بالقباقيب ورمتها فى الخندق وهى عريانة على باب القلعة وبعد أيام دفنت فى التربة التى كانت قد أعدتها لنفسها فلم ترقد جازاها من جنس العمل لانها صنعت فى قتل الملك المظفر قتل غريبا فقتلا قاتلته وتركتا ثلاثة أيام على شاطئ البحر فكذلك قتلت ورميت فى الخندق وهى عريانة قال الله تعالى من يعمل سوأ يجز به وقال الشاعر

من يحفر حفرة يوما يصرعها ● فان حفرت فوسع حين تحتفر

والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز) فاقام سنة واحدة وثمان شهور الى ان أسمك وقتل بعين جالوت فى رابع عشر ذى القعدة سنة خمس وخمسين وستمائة والله أعلم (ثم تولى الملك المظفر قطز المعزى) وفى أيامه قطعت التتار الفرات ووصلوا الى حلب وقتلوا السيف فيها ثم وصلوا الى دمشق قال سبط ابن الجوزى أول ظهور التتار سنة خمس وعشرين وستمائة فاخذوا بغداد وقتلوا أهلها وحاصروا واخوارزم شاه ثم بعد ذلك هبر والنهر فلم يبعد أحد الى وجوههم فابادوا البلاد قتلا وسبيا وساقوا الى ان وصلوا الى همدان وقزوين فى تلك السنة وقد ملكوا أكثر المعمور من الارض وأحسنه وأعزه فى سنة ولم يبق أحد فى البلاد التى لم يطؤها لا رهو خائف يترقب ورحلهم ثم انهم لم

وتسعين وستمائة فقدم خزائن ملك التتار فى مائة ألف الى دمشق فخرج الناصر بعساكر مصر فالتقى التتار وقتل جماعة من الامراء وملك خزائن دمشق ما عدا قلعتها وخطبه بها وحصل لاهلها من التتار المشقة العظيمة ثم أخذ الناصر فى التجهز لقتالهم لان ابن عثمان جاءه على البريد وحثه على ذلك فخرج اليهم وهزمهم ومن يومئذ انكسر رحمهم وصار أمرهم فى ادبار ولما ذهب الى الكرك ولى مكانه السلطان بيبرس الجاشنكير فاقام سنتين ثم عاد السلطان الناصر ﷺ بدمشق فلاوزون ثالثا الى مصر من الكرك وهى التولية الثالثة وكان بيبرس قد هرب الى الصعيد ثم هرب منه الى جهة الشام فأحضره الناصر

يحتاجوا الى مير لانهم معهم الاغنام والبقر والخيل بما كلون لحومهم الاغبرا ما يحملهم فانها تضعف الارض بحوافرها وترتكل النبات ولا تعلف الشعير وأما دوابهم فانهم يعجلون للشمس عند طلوعها ولا يحرمون شيأ وما كلون جميع الدواب وبني آدم ولا يعرفون تكاليل المرأة بأنها بالخمير واحد ولما دخلت سنة ست وخمسين وستمائة وصل التتار الى بغداد فى ماشى الف بقدومهم هلاكو فدخلوا بغداد وقتلوا الخليفة المستعصم كاذ كرنا ذلك سابقا فى محله ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وستمائة والوقت بلا خليفة وقطعوا الفرات ووصلوا الى دمشق كما تقدم أرسل هلاكو كتابا الى الملك المظفر يذكر فيه نحن جنود الله قتلنا من عصى وتجبر وباغى وتكبر وباسرافه ما اشتر وبحن قد أهلكنا لسلاد أذينا العباد وقتلنا النساء والاولاد فيا أيها القوم الذين أنتم من مغبى لا تحقون وما أيها الغافلون أنتم أيهم تسافرون ونحن جيوش الملكة لا جيوش الملكة مقصودنا الانتقام وملبكنا لايرام وتزيدا لا يضام وعدلنا فى ملكنا فاشتهر ومن سيرتنا بالمعدل أنا المعز أبن المعز وأبى المعز وفى المعنى

أين المفر ولا مفر لهارب * ولنا الاسيطان الثرى والماء

ذلت لهيبتنا الاسود وأصبحت * فى قبضتى الامراء والخلفاء

ولما رحل الكتاب الى دمشق أقبل المظفر بالجيوش وشاليشه بيد بيبرس البندقدارى فالتقوا هم والتتار عند عين جالوت ووقع بينهم حرب شديد فهزم التتار شر هزيمة وانتصر المسلمون وقتلوا الحد والمذة وقتل من التتار مقتلة عظيمة ولوا الادبار وتبعهم العسكر يقتلون ويثبورون وطعم الناصر أيوم ينقطفون وساق بيبرس وراء التتار الى بلاد حلب وطردهم من البلاد ثم ان الملك المظفر وعد بيبرس بحلب ثم رجع عن ذلك فأثر بيبرس من ذلك وكان ذلك سببا الوحشة بينه وبين المظفر فاتفق بيبرس وجماعة من الامراء على قتل المظفر ففتكوا فى الطريق فى سادس عشرى ذى القعدة سنة ثمان وخمسين وستمائة ودفن بالقصير بارض الشام فكانت مدته أحد عشر شهرا وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر بيبرس العلائى) البندقدارى الصالحى صاحب الغزوات والهمم العلية والشيم الزكية والاخلاق المرضية ومن آثاره انه أنشأ المدرسة التى بين القصرين تجاه البيمارستان والجامع الذى بالحسينية وقناطر الرى المنحنى بالقرب من قليوب وغير ذلك وعما يحكى عنه انه بلغه ان الشريف محمد بن عجى بن سعيد كبير مكة والمدينة المنور تحصل منه مظلم للتجار والحاج والمجاورين ولوارد ين الى الحرمين الشريفين فتجاوز الامور وخرج عن الحد فكتب اليه أما بعد فان الحسنة فى نفسها حسنة وهى من بيت النبوة أحسن والسيئة فى نفسها سيئة وهى من بيت النبوة أقبح وقد بلغنا عنك أيها السيد انك بدلت حوم الله بعد الامن بالخيفة وفعلت ما يصم الوجه ويسود الصحيفة فكيف تفعلون القبيح وحدك الحسن وتضيع الفرض ومن يبتسم عرفت الفروض والسنن وتقاتل حيث لا تكون فتنة وأنت من أهل الحرم وما كان الحرم فكيف أويت المجرم واسفكت دم المحرم ومن يجن الله فمالله من مكرم فان لم تقف عند حدك الحمد نا فعل سيف جدك والسلام فكتب اليه الجواب أما بعد فان المملوك معترف بذنبه تائب الى ربه فان أخذت فانت الاقوى وان تعف وتصفح أقرب للتقوى حكى ان الملك الظاهر بيبرس لما عرض عليه الامير بدر الدين بيليك الخازندار ليشتريه قال التاجر يا خوند هو كاتب وبقرأ فاحضره وقرأ وقال ما رأيت قط لبيتك بشيأ يراه فكتب

لولا الضرورة ما قمأ فرتسكم أبدا * ولا تنقلت من ناس الى ناس

فاعجبه الاستشهاد بهذا البيت ورغب فى شرائه وحكى ان انسانا رفع قصة الى الصاحب كمال الدين ابن العديم فاعجبه خطها فأمسكها وقال لرافعها هذا خطك قال لا ولكن حضرت الى باب مولانا فوجدت بعض عماليكه فكتبها الى فقال على يده فلما حضر وجدوا عليه الذى كان يعمل نعله وكان عنده فى حالة غير مرضية فقال له هذا خطك قال نعم قال هذه طريقتى فى ذا الذى أوقفك عليه قال يا مولاى كنت

اذا وقعت لاحد على قصة احتاجها منه وسألته المهلة على حتى أكتب على طرتها سطرين أو ثلاثة فامره ان يكتب بين يديه ابراء فكتب يقول

وما تنفع الآداب والعلم والحجا ● وصاحبها هذه المكائل يموت

فكان اعجاب الصاحب بالاستشهاد أكثر من الخط فرفع منزلته (تنبيه) لا يخفى ما فى هذا البيت الذى تحتل به الملوك من التورية التى من أنواع البديع والتمثيل أيضا لما سلفه من المعنى ومطابقة اللفظ كله يقول ان الانسان هلى يحسن الخط بان شاهدت سيدى فى كتابته الى سار بها فى سائر زمانه وأنا هذه غير محفوظ كاف ميت عند المكائل ويقال الناس فى ذلك على ثلاثة أقسام قسم أعلى حظا الاخط وقسم أعلى خطا الاحظ وقسم أعلى خطا وحظا

لاتحسبن بيان الخط يسعدنى ● ولا فصاحة شعرى تنقل الحجرا

بل انما أنا محتاج لواحدة ● لتنقل نقطة صوف انخاء الطاء

(فى نمذة) قال الفخر الرازى حد البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كان ما يقول فى قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل وقيل البليغ من يحول الكلام على حسب المعانى ويحفظ الالفاظ على تردد المعانى ويقال الكاتب منصف شريفة تجلس الحقير مجالس الملوك وهى آلة فانوسية تحملها آلة جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالادمان قال على كرم الله وجهه علمكم بحسن الخط فانه من مفاتيح الرزق وقيل ما حسن خط انسان الا رطب الرياسة وما حسن صوت انسان الا رطب النهاءة (فائدة) لا بأس بذكرها عند الاحتياج اليها وهى قال النصورى فى اعتبار علامات المماليك والجوار عند المشترى تدل على استقامة ظاهرها وباطنة وعلى أحوال فى الجملة من النماء وهو فرع تام من أنواع الفراسة تحتاج اليه عند احمرار اللون الاصفر فانه يدل على علة فى الكبد والطحال أو المعدة أو يكون فى بواسير تنزف الدم احمرار الكمز الرقيق البياض أو الرقيق السواد والمخالف لون البدن كله فانه تدل على بقاء أثر برص لم يتحكم احمرار الخشونة الخفيفة الذى تراها فى موضع من البدن فانه ربما كان مبادى بهق أو برص لم يتحكم احمرار أيضا لشامة شبيهها أو مراتها فى البدن كالمكى أو الوسم فانه ربما كان مبادى برص علامة مرض واذا أشكل عليك شئ منه فاخذ على الملوك الحمام وادلك ذلك الوسم أو الشامة بالاشنان والنورة والحلتيت فانه يزيل أثره احمرار كدر بياض العين وظلمتها فانها بالدهان بالجذام احمرار الصفرة فى العين فانها علامة على رداءة الكبد وان كان فى العين عروق ظاهرة دلت على السل احمرار غلظ الاجفان وبطء حركتها فانه ربما كان مبادى جرب فيها احمرار عظم الانف أو حواجبه فانه يدل على نواسير فى داخله فانظر فيها فى الشمس وربما سال منها رطوبة عند الغمز فانه تدل على نواسير احمرار قلة اشفار العيون وقلة شعر الحاجبين فانه دال على الجذام واعتبر حال الانفاس والنكهة من الفم والانف فانه ربما دل على البخر واعتبر حال الاسنان فان القوى منها طويل البقاء دال على العمر وعلى صحة البدن وقوة الهاضم والعكس واعتبر وضعها فى معارسها فان كانت تدمى أو فيها خلل فى اصطفافها أو كدائر لثة فاحمرار واحمرار مايركب بعضها من القلع كالون الاخضر والاصفر والاسود وشبهه الحرق بالنار فانه يدل على فساد المعدة والنكهة احمرار أصاص قلة صبغ الشفتين أو بياض لون اللسان وغلظه أو تغيرلون عقبه أو خضرة أو سواد يسير فانه منذر بعرض قريب أو بان الكبد ضعيف والطحال معتل احمرار النتوء فى البطن والمكان الموجع منه والورم عند العزلة فانه يدل على مرض فى المعدة أو فيها احمرار النتوء فى العنق وان كان صغيرا أو ترجرجه فانه يدل على أن يكون هناك خنازير وغدد أو نتوء يتولد منه بسرعة ولا بأس ان تأمر المملوك أن يجرى شوطا ثم تتفقد المشى منه هل فيه عرج أو سعال ثم تتفقد حال مفاصله فى سلامة المفرز كات وتتفقد الساق منه هل فيه عرق ضخان كبار واسعة فانه ربما دل ذلك على داء فليل أو عرق النداء اعتبر ضعف العصب وقلة الجلد

السلطان كمل وجرد ست سنين فاقام بغاية أشهر والاصرف دولته الى قورصون وشبلى فظهرا وتوفى بقوص بعد أربع سنين (وولى بعده أخوه أحمد) فاقام أربعين يوما ثم خلع وقتل سنة ثمن وأربعين وسبعمائة (وولى الملك الصالح عماد الدين اسمعيل أخوه) فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما وتوفى سنة ست وأربعين وسبعمائة وعمره نحو العشرين سنة ونحو الاربع أوقاف قرية بنى لكسوة الكعبة بيسوس وسندرس (وولى بعده أخوه الاشرف شعبان) فاقام سنة وشهرا وسبعة عشر يوما وقتل (وولى بعده السلطان حاجى أخوه فاقام ست سنين وثلاثة أشهر وعشرة أيام ثم خلع وقتل وكان سيئ السيرة (وولى بعد أخوه السلطان حسن

والرشة عند الاعمال القوية والضعف عند الجماع والاستمناء بعد شرب الماء البارد واعتبر لطافة المفاصل ورقة الاوتار ورخوة الجلد والبشرة فانك تتتبع هذه العلامات فى اقتناء المماليك نفعا جيدا (القول فى اعتبار احوال الجوار) بعلامات تدل على احوال مستورة (منها) اذا كان فم المرأة واسعا كان فرجها واسعا واذا كان ضيقا كان مثله واذا كان مدورا كان كذلك واذا كانت كبيرة الانف كبيرة الانثيين كانت طويلة الشفرتين كانت طويلة الفرج وان كان لسانها شديد الحمرة الرطوبة وان كانت حمراء الانف فهى قليلة الرغبة فى النكاح وان كانت طويلة العنق فهى رابية الفرج قليلة الشعر وان كانت كبيرة الوجه طويلة العنق دل ذلك على صغر الفرج وضيقه وان كانت صغيرة الخلق كانت طويلة الفرج وان كان لحم ظاهر قدميها صلبا كانت طويلة الفرج وان كانت قبيلة مكتنزة اللحم ليست بناتئة العقبين كثيرة الشعر فى الساقين والقدمين فتكون كثيرة الشبق لا تصبر فى الجماع وان كانت حارة المجلس فى كل وقت حمراء الشفتين والشفرتين الصلبتين الجسم فتكون شديدة الطلب للنكاح وان كانت حمراء اللون زرقاء العينين فتكون شديدة الشهوة وان كانت كثيرة الفضل خفيفة الروح سريعة الحركة فتكون قوية الشهوة للنكاح وان كانت كحلاء العينين مع كبرهما فتكون شديدة الغلمة ضيقة الفرج وان كانت كبيرة الاذنين صغيرة الجبر فتكون ظنينة الفرج وان كانت ناتئة العقبين فى ناحية الظهر دل على سعة الفرج وان كان لحم المرأة بلا متر هلا رقيقا أبيض بصفرة يسيرة والعين منها كالجاحظ دليس عليها سر وظاهرها دل على رطوبة الفرج وبرودته واعلم ان النساء على ضروب وترتيبهن على ضروب وترتيبهن متفاوتة فى الشهوة لا يحصل لها كمال اللذة الا بها ولا تنفذ الرجل بالطاعة والمحبة وحفظه فى الغيبة الا بها وهى قحماء رزلخة موصوفة بالقبح والبخاء وهم اموسكفاه فاما القحماء فالعجلة الفرج مع صلابته وامتلائه قحماء وهذا لا يكمل لها كمال اللذة الجماع الا بالذكر الطويل الذى يصل الى باب الرحم وكل الولد لاهل الفرج (سئل) عمر بن عثمان الفاضى عن جارية اشتراها فقيل له كيف وجدتها فقال فيها خصلتان من الجنة البرد والسعة وذكر المشدى ان مقدار الذكر الطويل اثنا عشر اصبعا فاوفقها والوسط تسع اصابع فما فوقها والصغيرة ستة اصابع فما فوقها واما الزلقة فهى مضمومة الفرج الى ما حوك حوالبه وعزل بعد عنه ولا يحصل لها كمال اللذة الا بالذكر القصير الغليظ حدا واما الجوفاء فهى منضمة أول عنق الفرج وبحوفة الداخل منه وهذه لا يكون لها لذة الجماع الا بالذكر الوسط الرأس بجوانب الفرج واما القعراء فهى طويلة عنق الفرج بعيدة باب الرحم وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل المفرد دون غيره واما البظراء فهى التى قرحها معتدل يوافقها كل ما ذكرنا واما الفوواء فهى واسعة الفرج يوافقها الذكر الطويل الغليظ والوسط كذلك واما السكفاء فهى التى فى فرجها عظمان كالدان يلتقيان فى عنقه ويمتنعان من الايلاج وهذه لا يوافقها الا الذكر الطويل الرقيق وقل ان تحمل الا وتموت عند الولادة قبل خروج الولد لضيق الفرج ومن أراد الاستذادة بالجماع فعليه بالقصيرة من النساء وحدثنا الدامغانى بسنده من أمر السلطان بيبرس فانه أقام فى السلطنة سبع عشرة سنة وشهرين وتصانيف بالقصر دمشق ودفن فى سابع عشرى محرم الحرام سنة ست وسبعين وستمائة ﴿ ثم تولى الملك السعيد بركة ناصر الدين محمد ابن الملك الظاهر بيبرس ﴾ فقصر فى ستين وثلاثة شهور وكان الاقرم نائبه فى الامور ثم خلع وتوجه الى الكرك فى سابع عشر ربيع الآخر سنة ثمان وستين وستمائة ﴿ ثم تولى أخوه الملك العادل بدر الدين سلامش ﴾ وهو سبع سنين وكان يدعى له وتقلا رون وصربت السكة باسمهما فاقام مائة يوم وعزل فى رجب سنة ثمان وسبعين وستمائة ﴿ ثم تولى الملك المنصور أبو المعالى قلاورون الصالحى الالفى ﴾ وهو الذى بنى البيمارستان بين القصرين بمصر والقبة التى دفن بها والقنوطات بساحل البصر الرومى منها طرابلس وبيروت وصيدا وغير ذلك وهذا تفق انه بعث سيف الدين عبد الله وكان من خيار جنده ومعتقلهم وأفاضلهم

ابن محمد بن قلاورون) وهو يومئذ احدى عشرة سنة فاقام ثلاث سنين وتسعة وخمسين يوما ثم خلع وحبس بالقلعة (وولى فى محله أخوه صالح) وهو الثامن من سلطان من أولاد الملك الناصر محمد قلاورون وأقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر ثم عاد السلطان حسن سنة خمس وخمسين وسبعمائة فاقام ست سنين وسبعة أشهر وأياما ورحل لعدة عشر سنين وأربعة أشهر وأيام وفى أيامه بنى جامع الامير شيخون وخانقاه الامير شيخون ومدرسة السلطان حسن بالرميلة وبناها فى ثلاث سنين وأرصد لمصروفها كل يوم نحو ألف مثقال ذهبا (ثم تولى من بعده ابن أخيه الملك المنصور محمد (حاجى) فاقام سنتين وثلاثة أشهر وخلع سنة أربع وستين وحبس

بهدية الى ملك الغرب فلما رجع من عنده ملك الغرب أخبره الملك المنصور قلاوون أنه لما كان مقيما عند سلطان الغرب جاءه رسالة من بعض ملوك الافرنج الكبار المعادين للمسلمين أن يشفع له فى تزويج بنت بعض ملوك الفرنج لولده وكان والد هذا مهادنا لملك الغرب وعد بما حصبه وكان الملك المستشفع قبل ذلك معاديا للمسلمين ومؤذيا لهم ولكن حمل هوى ابنه على أن يبعث الى ملك الغرب فى ذلك فاحتاج الى ارسال رسول الى ملك الافرنج لسبب ذلك فقال لى تذهب فى هذه السفارة فقلت فقال فى هذه مصلحة فيها للمسلمين راحة وأرى أنك تذهب فيها فلم يزل بى حتى ذهبت فأديت الرسالة الى ملك الفرنج وقضيت أربه وأتممت عنده ملك الفرنج مدة فأنجحه حالى وأحسن حياشيد به وعرض على المقام عنده فبقى على دينى دين الاسلام فقلت لاسبيل الى ذلك أما جازنى وأكرمنى فلما أردت الانصراف من عنده قال أريد أن أتحمل بأمر عظيم لم يحصل لاحد من المسلمين مثله فتعجبت من ذلك وقلت من أين ذلك فأخرج لى صندوقا به فيه بالذهب ففتحه وأخرج منه مقلمة من ذهب ففتحها فاخرج منها كتابا قد زال اكثر حروفه وقد أتلفه الرطوبة والبرى وقال انظرى ماهذا فاذا فيه كتاب نبيكم الى جدى قيصر وما زال متوارثا عند ملوكهم الى وقتنا هذا وكان عندهم محفوظا وقد أوصانا أحدهم أنه مادام هذا الكتاب عندنا لا يزال الملك فينا وهذه الوصية متصلة فاذا مات جدنا قيصر فحص لحفظ هذا الكتاب غاية الحفظ ونحن نحفظه غاية التعظيم ونتبرك به ولا نعرف ذلك أحد من النصارى الا نحن ولولا عزتك وكرامتك وثقتى بعقلك ما أطلعتك عليه قال فأخذته وعظمته وتبركت به ولم يدع لى قراءة أحد لتقطع أجزاء حروفه من طول الزمان وبسبب هذه الرسالة كف الله شر هذا الملك المعادى للمسلمين فكانت مدة ولاية الملك المنصور قلاوون احدى عشرة سنة وشهر بن ونصفا وقول جمهور المسلمين بالغرب ان المنصور قلاوون حرمه فى نية الجهاد فى سادس شهر ذى القعدة الحرام سنة سبع وثمانين وستمائة (ثم توفى الملك الاشرف صلاح الدين خليل ابن الملك المنصور قلاوون) قال محمد بن خاتم فى الملك الاشرف خليل وفى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب

ملكان قد لقبا بالصلاح ● فهذا خليل وذا يوسف
فيوسف لاشك فى فضله ● ولكن خليل هو الاشرف

ومما يحكى عن الملك الاشرف خليل انه كان جالسا فى بعض الايام والقراء يقرؤن القرآن وكان والده المنصور قلاوون محاصر الطرابلس فقال نصره الله فى هذه الساعة أخذت طرابلس فشاع هذا الخبر وذاع وملأ الافواه والاسماع فلم يمض الا مسافة الطريق حتى وردت الاخبار بفتح طرابلس فى الساعة المذكورة وذلك الامر قد كشفه الله عن ذهنه وحكى القاضى محب الدين بن عبد الظاهر ان الشيخ شرف الدين البوصيرى رأى فى منامه قبل مسير الاشرف خليل الى حصار عكا كأنه قال يقول

فدا خذا المسلمون عكا ● وأشعروا الكافرين صكا ● وساق سلطاننا عليهم
خيلا تدك الجبال دكا ● وأقسم الترك منذ سارت ● لابد تركوا الفرنج ملكا

فاخبر ذلك جماعة شهدوا بصحة ذلك فسار الاشرف فى أثناء ذلك تصاوفيه يقول القاضى محب الدين المذكور

يابنى الاصفر قد حل بكم ● نقمة الله التى لا تنفصل
نزل الاشرف فى ساحتكم ● فابشروا منه بصفع متصل

فاقام الاشرف خليل ثلاث سنين وشهرين وقتله هو كله الامير سيف الدين بشد ارا لعمرية فى ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وستمائة ونقل الى تربته التى أنشأها بجوار مشهد السيدة نفيسة (ثم توفى الملك الناصر محمد بن قلاوون) وعمره تسع سنين وخلع فى المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة (ثم توفى الملك العادل كتبغا المنصورى) وهو استقر لاجين نائبا فاقام سنتين وهرب الى الشام فى المحرم سنة ست وتسعين وستمائة والله تعالى أعلم (ثم توفى الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى) الذى كان نائبا بالقلعة الى أن مات فى سنة أحدى وثمانمائة (وولى بعده الاشرف شعبان ابن السلطان حسين) فاقام أربع عشرة سنة ثم قتل وهو الذى أحدث العمامة الخشراء الاشرفية ومات فى سنة خمس وسبعين وسبعمائة وكان احداث العمامة الخضراء سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفى ذلك السنة كان ابتداء خروج الطاعنة تيمور لنك الذى خوب البلاد وأباد العباد (ثم توفى من بعده ولده على) فاقام أربع سنين وشهورا وكان مجبو با بالصفر منه والكلام لم يفرق بموته الا سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة (وولى بعده أخوه الملك الصالح سفر خان حسين ابن السلطان حسن) فاقام سنة وستة أشهر وكان عمره ست سنين وكان امره لبرقوق كاخيه ثم خلع سنة

فاقام سنتين وسبعة وأربعين يوما وقتل فى القلعة حادى عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وستمائة ودفن بالرقاقة ثم جاء الملك الناصر محمد بن قلاوون ثانيا بعد ان تعلمت السلطنة احدى وأربعين يوما الى ان حمراى القلعة فى سادس جمادى الاولى سنة ثمانى وتسعين وستمائة فاقام عشرين سنة ثم عزم على الحج فى شهر رمضان سنة ثمان وسبعمائة ورحج على الكرك وأرسل يخبر الامراء انه أقام بها ورجع عن السلطنة فاقتصرت يده فى مملكته بوحود سلار وبيبرس وكان ذلك تدبيرا منه وذلك فى شوال سنة ثمان وسبعمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى المظفر بيبرس جاشنكير المنصورى) استدار الناصر محمد بن قلاوون ويعرف بالعشائى فاقام احد عشر شهرا وخلع نفسه وهرب الى الصعيد وهو الذى بنى البيبرسية بالدرب الاصفر ودفن بها وجدد جامع الحاكم بعد الزلزلة ومات فى سادس رمضان سنة ست عشرة وسبعمائة ووجد بعد موته ختمة شريفة مكتوبة بالذهب فى سبعة اجزاء فى قطع البغدادى كتبها له شرف الدين بن الوحيد بقلم الشعر وأخذها اليمنة ذهب بالف وسبعمائة دينار وأنفق عليها جملة أموال والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب ثم عاد الملك الناصر محمد بن قلاوون ثالثا وجاء من الكرك قال الشاعر

الملك الناصر قد عاد ثانيا ● دولته تشرق كالشمس
عادالى كرسيه مثل ما ● عاد سليمان الى الكرسى

وان الملك الناصر عرق فى زمنه الجامع المعروف بالجديد بمصر القديمة بجوار الجبل وعمر جامعا بالقلعة وعمر المدرسة التى بين القصرين وسافر بالحج سنة أربع عشر وسبعمائة وسافر أيضا بالحج سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة وسفر الخليج الناصرى المتصل الى عمر باقوس وعمر هليه القناطر وعمر ناطر الجيزة وله عمارات كثيرة من ميادين وقصور وغير ذلك (قيل) انه رأى فى منامه النبى صلى الله عليه وسلم فأمره ببناء خانقاه بتجاه مصر باقوس وقال له هناك علامة بازل من تهدى بهم افيدوا فوراذا الحمل المذكور فوجد العلامة فبنى هناك خانقاه وجعل لها خلاف الف وخمسين وخلوات للاغراب وحمامين وبينها بيمارستان ومدرسة مطبخية وفرض لها أربع عشر فرية ومن جملتها بعد مكتوبة بالذهب الموه كتابة بالقلم الخفى بالتصرير والاتقان وكل حرف منقر بالسواد الرقيق الذى لا تقطع ولا وصل وقد كتبه كل سورة من لدنه تجد دولته بالذهب وبآخر كل جزء كتبه وحدد ولله وجده محمد بن محمد المذكور وهى من مفردات الدهر اجزاؤها ثلاثون جزأ قد كان مصرف كل جزء منها دينار والناس يأتون من الاقطار ويقرجون عليها وقد شاهدها جماعة من اهل الديار وان الناس عمروا بجوار الخانقاه المذكور جوامع ومساجد وسواقا عامرة بيوتا وغير ذلك حتى صارت مدينة من مدائن مصر المشهورة وهى عامرة فى الآن وهذا اتفق فى أيام الملك الناصر المشار اليه ان مغربيا كان حالسا بباب القلعة عند سلار فحضر بعض كتاب النصارى بمعامة بيضاء فقابله المغربى وتوهم انه مسلم ثم ظهر انه نصرانى فقال فى الملك الناصر وفرضه فى تغيير زى أهل الذمة ليمتاز المسلمون منهم فحرر ان تلبس النصارى الازرق واليهود الاصفر والسامرة الاحمر ليقل اذاهم ويعرف المجرون بسببهم ومات الملك الناصر يوم الاربعاء سابع عشرى الحجة سنة احدى وأربعين وسبعمائة ودفن مع والده بالقبة المنصورية فكانت مدة ولايته فى الثلاث مرات أربعا وأربعين سنة وخمسة عشر يوما خارجا بين ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو بكر) وهو أول أولاد الناصر محمد بن قلاوون فاقام شهرين وأياما وخلع سنة اثنتين وأربعين وستمائة وقتل به وص والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الاشراف على كجك بن الناصر محمد) وهو ست سنوات وقام ثلاث شهور والامر فى دولته وولاة اخيه لقوصون ويبلك والله أعلم وقتل بقوص (ثم تولى الملك الناصر أحمد بن الناصر محمد) وكان مقيما بالكرك فخرج الى مصر فى عاشر شوال سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة فاقام ثلاثة شهور وخلع نفسه فى تاسع عشر المحرم سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة والله أعلم (ثم تولى الملك الصالح اسمعيل بن الناصر محمد) فاقام ثلاث سنين وشهرين وخمسة عشر يوما الى

اربع وثمانين وسبعمائة وانقرضت بموته دولة الاتراك ومن الغرائب انه قد ولى من ذرية الملك الناصر اثنا عشر سلطانا ولم تبلغ مدتهم مدة الناصر فانه أقام أربعا وأربعين سنة ونصف شهر تقريبا ومدة هؤلاء ثلاثة وأربعون سنة ومدة ولاية الاتراك مائة سنة وثلاثون سنة وسبعة اشهر ثم جاءت دولة الجراكسة قال بعضهم وفيهم صاحبة وحاسة وصدقات وكانت أرزاق مصر بايديهم وكانت أهل مصر تتلاعب فيها بايديهم من الارزاق وخبزهم تبيع ما يتحصل من طحانهم للناس من لحم ونقائص وغير ذلك وكان فيهم سوق تبيع فيه خبزهم ما يفضل من أطعمتهم التى يأخذونها من اصطبلاتهم وكانوا يتفاخرون بنهاء البيوت

ان توفى فى رابع ربيع الآخر سنة ست وأربعين وسبعمائة رحمه الله أعلم ● (ثم تولى الملك الناصر شعبان ابن الناصر محمد) فى رابع الآخرة سنة ست وأربعين وسبعمائة وفيه يقول جمال ابن نباتة

ملا سلطانا تبدت ● بطالع السعد فى طلوع
فأعجب لما كيف أبت ● هلال شعبان فى ربيع

فأنفق انه كان للسلطان شعبان أخ يدعى أمير حاج وكان محبوسا فعمل لاخيه طعاما كله فى الحلبص وعمل للسلطان طعاما كله على تخت الملك فقدر الله سبحانه وتعالى أن خلع السلطان شعبان وحبس مكان أخيه أمير حاج وجلس أمير حاج على تخت الملك فالتزلى اكل طعام المعزول والمعزول أكل طعام المتولى فحدث تصرف السلطان شعبان سنة وسبعة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان أمير حاج) وراتب بالمظفر فاقام سنة واحدة وثلاثة اشهر وعشرة أيام وأصله وما ت فى ثانى عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الناصر آخوا أمير حاج) فأقام ثلاث سنين وتسعة عشر شهرا وعشرة أيام وخلع فى ثالث عشرى جمادى الاولى سنة اثنتين وخمسين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الصالح صلاح الدين) أخو الناصر حسن فاقام ثلاث سنين وثلاثة أشهر وأصله فى شهر شوال سنة خمس وخمسين وسبعمائة والله أعلم ثم عاد السلطان حسن ثانيا وجلس على تخت السلطنة الشريفة وتحكم وتصرف وبنى مدرسته التى بالرميلة بمصر وهى من أحسن المدارس محكمة البناء ايس لها نظير وقد سمعت من بعض الافاضل ان السلطان حسنا لما تم بناء مدرسته المذكورة رتب لها وظائف لاقامة الشعائر الاسلامية ووقع الاتفاق ان السلطان حسنا يجلس بالمدرسة يفرق وظائفها المستحقة بها ضحوة وحصل التنبيه على يوم معلوم لمجاء السلطان حسن صبيحة اليوم المذكور بعد ان فرشت المدرسة بالعرش الفاخرة وجلس السلطان بالمدرسة وجلس من له عادة بالجلوس وكان بازاء السلطان حسن فرجة ويجوار هما وساد متمكن عليها السلطان حسن فانتدب ان الشيخ الامام العلامة الهمام قوام الدين الاتقانى الجهنى صاحب الاتقان فى فقه الحنفية والنهاية شرح الهداية وغير ذلك من التصانيف وكان فى زمانه أوحد الدهر بالاتقان فى فقه الحنفية على العموم والاطلاق وكان حالة قدومه الى مصر صعر وتقزدل وعلى رأسه مطرطور قبلقه هذه الجبعية فعاد والى المدرسة ودخلها فرأى السلطان فى هذا المحفل العظيم فمازال يتخطى الرقاب الى أن جلس فى تلك الفرجة فنظر اليه السلطان حسن شزرا وقال له ما الفرق بينك وبين الحمار قال هذه الوسادة فهابه السلطان وأمر من حضر من العلماء والافاضل أن يحضوا معه فى علوم شتى فما جاد وأفاد واخرست الالسن وقفت الاذكان لما أبداه من العلوم فأعجب به السلطان ● ورأتهم عليه بالمشيخة بمدرسته وقوجه السلطان حسن الى تخت ملكه وأمر أن يركبوا الشيخ قوام الدين المذكور ● فى موكب السلطان حسن بسرجه وعدته فركب ومشى امامه أكابر الدولة من جملتهم الامير صرغتمش الى أن طلع الايوان فنصب بعض من حضر من ذلك الموكب فقال الشيخ قوام الدين لا تعجبوا فى ذلك فقد مشى قمص ركابى صبيح سلطانين من سلاطين الجهم فسبحان المنعم على عبيده وانه أحسن من قال فى المعنى

العز يرفع بيتا لا عماد له ● والجهل يخفض بيت العز والكرم

وفى أيام السلطان حسن بنى شيخون جامعه وخانقاه وبنى صرغتمش مدرسته وقرر الشيخ قوام الدين فى تدريسها وكان مدة تصرف السلطان حسن فى الولايتين عشر سنين واربعة أشهر ثم أصلك وقتل هذه لوكه بلغنا فى شهر جمادى الاولى سنة اثنتين وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك المنصور بن حاجى بن الناصر محمد بن قلاوون) فاقام سنتين وخمسة أشهر وخلع واقام بالقلعة الى ان مات فى خامس شهر شعبان سنة أربع وستين وسبعمائة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف شعبان ابن الملك حسن) وهو الذى بنى الاشرفية برأس الصوة تجاه القلعة وهدم قالها

الفاخرة والمدارس والجوامع والتربة وكان لهم خيرات وميرات ولهم بشاشة ولطف وصناعة الى أن فشا فيهم الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وغلبت سياستهم على حسناتهم ومالوا الى الدنيا فنسيت المفسدين واخلدوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومن فيهم كل عزيز ولم نزل ذلك فى عالبهم الى الآن وأول من السلطان برقوق وكان اصله من قبيل الطنبغا فصعد أستاذه بلغبا السكبير برقوق وكان أبوه ملكا ولقب بالظاهر باشارة السراج البلقينى فولى سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وثمانية أشهر وستة وعشرين يوما واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك

بعده فاقام اربع عشر سنة وشهرين ونصفا ثم خلع وقتل فى خامس ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة كان ابتداء خروج تمرلنك وكان أصله من ابناء الفلاحين ونشأ بسمرقند وتقطع الطريق الى ان انضم الى خدمة غيبل السلطان وما زال يترقى الى ان وصل ما وصل (ثم تولى الملك المنصور على ابن الملك الاشرف) فاقام خمس سنين وأربعة أشهر وكان محجوبا لصغر سنه والكلام لبرقوق وتوفى الملك المنصور يوم الاحد ثالث عشرى صفر سنة ثلاث وثمانين وسبعمائة وفى زمنه فى سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ورد كتاب من حلب يتضمن ان اماما قام يصلى فحبث به فبعض فى صلاته فلم يقطع الامام الصلاة حتى فرغ فلما سلم انقلب وجه الماموم خنزير وهرب الى الغابة فتعجب الناس من ذلك وكتب بذلك محضر بواقعة الحال والله تعالى أعلم بالصواب (ثم تولى الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فاقام سنة وستة أشهر وكان هو وه ست سنين والامر فى ذلك لبرقوق ثم خلع فى ثانى عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة توقد انقضت دولة الاتراك كما انقضت دولة من قبلهم ودولة البقاء فكان مدة ملكهم مائة وثلاث سنة وسبعة شهور وقد قال القائل

وصار واأحاديث المان بعدهم ● وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

﴿الباب الثامن فى دولة الجراكسة﴾

وهم طوائف سوداج وهم ساحة وسحاسودقات وكانت أرزاق مصر بايديهم فكانت أهل مصر تتلاعب بهم فيما بيدهم من الارزاق وكانت خدامهم تبيع ما يفصل من طعامهم للناس من لحم ودجاج ونقاش وغير ذلك وكان لهم سوق يباع فيه أفضل من أطعمتهم التى أخذتها خدامهم من اسمطتهم وكانوا ينفقون من بيناء البيوت الفاخرة والمدارس والجوامع والتربة وكان لهم خيرات وقد نظم بعضهم فيهم فقال

قوم اذا أقبلوا كانوا املائكة ● لطفا وان قوتلوا كانوا اعفاريتا

الى ان فشى الظلم والعدوان وكثرت فيهم المصادرات وظلمت سياستهم على حسناتهم ومالوا الى العوائد والمفسدين واخلوا بشعائر الدين فاستجاب الله فيهم دعاء المظلومين ومزقهم كل ممزق ودار الظالمين خراب وأو بعد حين وان الملك الله يؤتيه من يشاء والعاقبة للمتقين (أولهم السلطان الظاهر برقوق) وكان اصله من قبيل الطنبغا فصاه أستاذه بلبغا الكبير برقوق فسلطن يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وسبعمائة فاقام ست سنين وعشرة أيام واختفى فى جمادى الآخرة سنة احدى وتسعين وسبعمائة ثم ظهر بالكرك وكان قد بنى بها عمارة مدرسة التى بين القصرين والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم عاد الملك المنصور حاجى بن الاشرف) فاقام سبعة شهور الى أن خلع نفسه من السلطنة عند مجىء برقوق من الكرك فدخل مصر والملك المنصور هو بين يديه والخليفة عن يساره والله سبحانه وتعالى أعلم ثم جلس برقوق على تخت السلطنة الشريفة فاتم بناء مدرسته وهى من محاسن مدارس مصر قال الشاعر

قد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة ● فاقت على ارم مع سرعة العمل

يكفى الخليل بان جاءت نظمته ● صم الجبال بها تمشى على مهل

وبنى أيضا تربة بالصحراء وهى مسكونة معمورة الى الآن وكانت مدة تصرفه ست عشرة سنة وأربعة أشهر وتوفى فى شوال سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة وضبط ما خلفه برقوق فكان من الذهب ألفى ألف دينار وأربعمائة ألف دينار ومن القماش والخز والاثاث قيمته ألف ألف دينار ومن الخيول المسومة والبغال ستة آلاف ومن الجمال اثنتى خمسة آلاف وكان عليق دوابه فى كل شهر عشرة آلاف أردب والله أعلم (ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات) فرج بن برقوق فاقام ست سنين وخمسة أشهر وعشرة أيام ثم اختفى بعد ذلك والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور عبد العزيز بن برقوق) فاقام سبعة وأربعين يوما وظهر الملك أبو السعادات وأسلمه أخاه وحبس بالاسكندرية وقتل

وكان قد بدأ فى عمارة مدرسته التى بين القصرين ثم هادمى المكرك وأتم بناءها وهى من أحسن مدارس مصر وجن أيضا تربته بالصحراء وهى مسكونة مشهورة الى الآن فكانت مدة تصرفه فى المرة الثانية ست سنين وثمانية أشهر وتوفى سنة احدى وثمانمائة ودفن بتربته المذكورة (وولى من بعده ولده الملك الناصر فرج بن برقوق) فاقام ست سنوات واختفى (وولى بعده أخوه عبد العزيز) سنة ثمان وثمانمائة وأقام عاما واحدا ثم عاد الناصر فرج ثانيا وأقام الى أن قتل وامتحن فى قتله سنة خمس عشر وثمانمائة وكان أفرس مماليك الترك بعد الاشرف خليل تجهز بسبع مرات للخروج الى الشام وتهيأ بها وقهر منافسيها كالمؤيد شيخ وغيره وفى

ثالث عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة وهو سبحانه وتعالى اعلم (ثم عاد الملك الناصر ابو السعادات فرج) الى السلطنة فاقام سبعة سنين وستة اشهر وعشرة ايام وكان ما كان بينه وبين جنده فقتلوه شر قتلة بدمشق وألقى على مزبلة وهو بريان من الماء يحرقه الناس وينظرون الى جسده وذلك من اعظم العبر واكبر المحن الى ان حثا الله عليه بعض الناس بعد عدة ايام فغسله وغسله وأدرجه في كفن وواراه في التراب والرجاء من الكريم الوهاب أن يكون قد غفر له انه على كل شئ قدير (ثم تولى الملك العادل أبو الفضل العباسي بن المتوكل) فاقام سنة شهور وأياما ثم خلع في مستهل شعبان وكان استتاب المؤيد وشاركه في الخطبة والامر للمؤيد والله اعلم (ثم تولى الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي) وحبس الخليفة بالقلعة الى ان أرسله الى الاسكندرية في المحرم سنة تسع عشرة وثمانمائة وهو اول الثامن فرج وهم محمد وفرج وخليل وكان المؤيد شيخ من مدرسته الموجودة الآن بيد الى عمارتهم استة تسع عشرة وكملت في سنة عشرين وليس بمصر من مدارس السلاطين احسن منها ولا اكاد ولا أجبى منظرا قبل ان حالة بنائها الامراء المهتمين ان يعملوا بها مثل باب مدرسة السلطان حسن فبنى كما امروا ثم بناؤها اشار واعليه فعملا بباب مدرسته الا الباب المركب على مدرسة السلطان حسن فعلقه وركبه على بابها وجعل فوق السلطان حسن في ظهر الباب قرية بالقلوبية تسمى قها فكان ذلك سببا لنموه فتح السلطان حسن وادر ربعا واجزل منفعة وهي مستمرة الى الآن ذكر المقريزي في أعماله انه في سنة ثمان عشرة وثمانمائة تزعم السلطان المؤيد ان عضو عاصية المشرقة يدعى القار ولي كان وأعجل حمله فوق الطاقة فهرب الجمل من صاحبه ودخل البيت ولم يزل يطوف بالبيت والناس حوله يريدون امساكه فبعضهم لم تقدر أحداً ان يمسكه الى ان أتم ثلاثة أسابيع تمهلا الى الحجر الاسود فقبله ثم توجه الى مقام الحنفية ورقف هناك تعاطاه المهراب الشريف فبرك عند وبكى والقى نفسه على الارض ومات فحمله الناس الى مابين الصفا والمروة ودفنوه هناك وهذا يحكى ان السلطان سليما قاتح مصر لما كان بمصر دخل مدرسة السلطان حسن فقال هذا احصار عظيم ودخل مدرسة المؤيد فقال هذه عمارة الملوك ودخل مدرسة الغوري فقال هذه عمارة تاجر وكان مدة السلطان المؤيد ثمان سنين وستة شهور ونوفى يوم الثلاثاء ثامن محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك المظفر أبو السعادات بن المؤيد) وعمره ست سنين وتسلطن يوم الخميس تاسع محرم سنة أربع وعشرين وثمانمائة فخلعت عدته سبعة أشهر وعشرين يوما والامر للترقاماي سبعة شهور وأياما قلائل ثم خلع بعد ذلك والله تعالى اعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو الفتح تتر) في تاسع عشري شعبان سنة أربع وعشرين وثمانمائة فاقام ثلاثة وتسعين يوما وتوفي في خامس عشر ذي الحجة سنة تاسع وعشرين والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر محمد بن الظاهر تتر) فاقام أربعة عشر شهور وبومين وخلع تاسع وبيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وأقام بقلعة مصر مكرما في أحسن عيش الى أن مات بالطاعون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة في درية الاشرف برسباي (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر برسباي) التركماني يوم الاربعاء ثامن ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وثمانمائة وكان سلطانا مهابا ناظما عاقلا مدبرا وفتح قبرص سنة تسع وعشرين وثمانمائة وأحضر ملكها أسيرا فليلا احتقارا حتى وقف بين يديه يخضوع وانكسار فمن عليه وأعاده الى مملكته عن اختيار من أبنائه وحمل عليه خزينة فى ستة مراسلها حكى عنه انه لما سافر صفرته المشهورة الى آمد سنة اثنتين وثلاثين وثمانمائة تنزل بالخافقاه التى بالقرافة يمكان خال من البناء فتذوقته تعالى قدر تبره وقربى ان أحياه الله تعالى وظفره بعدو رجع سالما بالعسكر فى هذا المكان سيملا ومدرسة فلما توجه الى آمد ظفره الله بعدوه فقتل ملكهما واستأصل أموالهم وأحضر خوندته وحملها بسلسلة فى دهليز مدرسته التى أنشأها بمصر برأس الوراقين والخوندة باقية مرئية الى الآن مشاهدة وان الاشرف

أيامه وصل تيمور لنك البلاد الشامية فملك دمشق وحلب وسبى قواريهم وأسر أمير الشام وقتله فخرج الناصر لقتاله فوجد قد ترك البلاد وتوجه الى الروم فرجع الناصر الى مصر وكسرت الفرنج (وولى بعده السلطان الملك المؤيد) أبو النصر شيخ المحمودى مملوك الظاهر برقوق فاقام ثمان سنين وستة أشهر وتوفى سنة أربع وعشرين وثمانمائة (وولى بعده ولده

أوفى نذره وعبر بخانقاه سرياقوس يا قوس بالموضع الذى كان نزل به عند ذهابه الى آمد بما معه عظيما مفرشة أرضه بالرخام الملون وجوار سبيل وقيل ان بجوار الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبى صلى الله عليه وسلم وفى معنى ذلك قال الشاعر

الاشرف السلطان هر يما معا ● يا لحاه الله ليرحم بشوابه

واتى بآثار النبى محمد ● شعرات قد قبل فى محرابه

وامامه بين الهبة محسن ● وكذا القضاء مع الشهود ببابه

وان الاشرف هر يا عارية خارج باب النصر بجوار تربة الظاهر برقوق (وهايعكى) عنه أن شخصا مؤذنا كان فاطنا بمدرسته التى برأس الوازعين وكان مولعا بشرب الخمر وؤذن وسبح وهو سكران فبينما هو ذات ليلة بيل الفجر وهو ناعس غفر اذ رأى رجلا جليل المقدار ذا هيبة ووقار وخلفه ثلاثة أنفار غلاظ شداد ومع أحدهم فلكة وكرابيج فقال للمؤذن ما السبب الذى حملك على شرب الخمر فى هذه المدرسة فقال له المؤذن ما تكون أنت فقال أنا السلطان برسباى منشى هذه المدرسة ثم قال لاتباعه اطرحوه فطرحوه ووضعوا الفلكة فى رجليه وأمر به فضرب ضربا شديدا الى أن غاب عن وجود فلما أفاق لم ير أحدا ووجد ألم الضرب برجليه وأراد الانتصاب فوجد نفسه مقعدا ثم تاب الى الله تعالى عن شرب الخمر واستمر وهو مقعد الى أن مات وتوفى السلطان برسباى فى يوم السبت ثالث عشر الحجة سنة احدى وأربعين وثمانمائة فمكانت مدة تصدره ست عشرة سنة وثمانية شهور وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى الملك العزيز يوسف بن برسباى) فأقام ثلاثة شهور وستة أيام وخلع فى سادس عشر بيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام يختدم والله تعالى أعلم (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى اينال) وهو فى أيامه عمارات كثيرة من مساجد وجوامع وقناطر وجسور وغير ذلك وكان مغرما بحب الايتام والاحسان اليهم والفير هم (وهايعكى) عنه أنه كان مقيدا بخدمة العارف بالله تعالى الشيخ شمس الدين محمد الحنفى ت بركاته وكانت خدمته عنده على معاملة تزايد الشيخ نظر يح الشيخ من خلوته ذات يوم فوجد جقمق بلا عمامة على رأسه وكان الشيخ فى ساعة جمال فقال له ابن عمامتك يا جقمق قال سقطت فى البئر يا سيدى فتبسم الشيخ محمد الحنفى وقال له أما يكفيك يا جقمق فى عمامتك سلطنة مصر فقبل اقدام الشيخ على هذه البشارة وأبرز جقمق بنى فى المناصب الى أن ولى سلطنة مصر فأقام فى السلطنة أربع عشر سنة وعشرة أشهر وتوفى ليلة الثلاثاء ثالث صفر الخير سنة سبع وخمسين وثمانمائة بعد أن فوض أمر السلطنة لولده فى ابتداء توعكه ودفن بتربته الامير قايتباى أمير خور والله أعلم (ثم تولى الملك المنصور أبو السعادات عثمان بن جقمق) فأقام أربعين يوما وخلع يوم الاثنين منتصل ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وجهز الى الاسكندر يتوقاته تعالى أعلم (ثم تولى الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائى الناصرى) فى يوم الاثنين تاسع ربيع الاول سنة سبع وخمسين وثمانمائة وكان قليل الصلاح فى الناس فأقام ثمان سنين وشهرين وستة أيام وتوفى يوم الجمعة خامس عشر جمادى الاولى سنة خمس وستين وثمانمائة بعد أن فوض الامر لولده يوم ودفن بتربته التى أنشأها بالصحراء (ثم تولى أبو الفتح أحمد ابن المؤيد) فأقام أربعة أشهر وأربعة أيام الى أن خلع يوم الاحد تاسع عشر رمضان سنة خمس وستين وثمانمائة (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد خشقدم الناصرى) ثم المؤيدى وهو السلطان الاول من الاتراك بمصر ان لم يكن المعز ايبك التركمانى ولاحين من الاولى فأقام ستة سنين وخمسة شهور واثنين وعشرين يوما وتوفى يوم السبت عاشر جمادى الاولى سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ودفن بالتربة التى انشأها بالصحراء (ثم تولى الملك الظاهر أبو سعيد بلباى العلائى) ثم المؤيدى وفاة السلطان خشقدم فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع يوم السبت عاشر جمادى الاولى وجهز الى

أبو السعادات أحمد) وعمره دون سنتين وكان أمره مفوضا الى الحظ ثم خلعه الحظ واستقل بالامر تلك السنة وأقام ثلاثة أشهر وتوفى ودفن بجوار الليث ابن سعد فى الترافة (وولى بعده ولده محمد) وعمره نحو عشر سنين فأقام نحو أربعة أشهر وخلع سنة خمس وعشرين وثمانمائة (وولى بعده الملك الاشرف) أبو النصر برسباى الدقاقى وهو ثامن ملوك الجراكسة فأقام ست عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام وتوفى سنة احدى وأربعين وثمانمائة وفى أيامه بنى المدرسة الاشرفية التى بالصليبة التى بالقاهرة والشرقسية خارج باب النصر والمدرسة بالحنفاء السريا قوسية قرأ رسل الى قبرص وقتلها واحضر ملكها أسيرا ومن عليه

الاسكندرية فاقام بها الى أن مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الظاهر تجريغا الظاهري) يوم خلع بلباى فاقام ثمانية وخمسين يوما وخلع يوم الاثنين سادس وعشرين سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة وجهز الى دمشق وخرج لامر لم يبلغه فاعيد الى الاسكندرية ليسكن بها فى أى مكان شاء فسكن بها الى أن مات رحمه الله تعالى (ثم تولى الملك الاشرف قايتباى المحمودى) فى سادس وعشرين سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة قيل انه حصلت له البشارة بالسلطنة من عدة من أولياء الله الصالحين قبل ان يليها وكان يحب الخير ويعتقد الصالحين (حكى) عنه أنه لما حلسه الخواجا محمد والى مصر وكان معه رقيقه أحمد المماليك الذى حلب معه فقد تأخر الجمال الذى هو قائد الجمل الذى هو حاملهما فى ليلة مقمرة من شهر رمضان فقال له الدال هذه الليلة النيرة ليلة القدر ولعل الدماء فيها مستجاب فليدع كل منا بما يهمه فأما قايتباى فقال انا أطلب سلطنة مصر من الله تعالى وقال الثانى وأنا أطلب أن أكون أميرا كبيرا والتفت الى الجمال وقال له أى شىء تطلب أنت فقال أطلب من الله حسن الخاتمة فصار قايتباى سلطانا وصار صاحبه أميرا كبيرا فكانا اذا اجتمعا يقولان فازا لجمال من بيننا والسلطان قايتباى كان لا تخمى من خيرات وعمارات ومساجد ورباطات ومدارس وأسبلة وغير ذلك منها انه أمر ببناء مسجد الخيف فبنى بناء محكما بوسط مقبة عظيمة وبالمسجد خوخة صغيرة يتوصل منها الى الجبل الذى فى صنع غار المرسلات وهو الموضع الذى نزل فيه سورة المرسلات على النبى صلى الله عليه وسلم وفى سنة اثنتين وعشرين وألف حج مؤلف هذا الكتاب ودخل الغار المذكور وشاهد به تجويفا بأعلى رأس الجالس فيه ذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم لما دخل الغار وجلس فيه وكان الجالس لا يستطيع أن يرفع رأسه فلما رفع النبى صلى الله عليه وسلم رأسه الشريف لان الحجر الذى فوق رأسه انفلق نصفين وغار فى تلك التجويفة تبركا وشاهدها مؤلف الرقوم فى الحجة المذكورة من الامر المهول أن الامير قاسم أمير الحاج الشريف دخل بالحجاج المدينة المنورة على سيدها أفضل الصلاة والسلام يوم الاثنين والغالب ان الحجاج يصلون الجمعة خلفه النبى صلى الله عليه وسلم والعادة أنهم لا يزيدون فى المقام بالمدينة زيادة تعين ثلاثة أيام فاراد أمير الحاج الرحيل بالحجاج يوم الخميس فأبرم عليه جماعة من أكابر الدولة بصلاة الجمعة فى الحرم النبوى فوافق على ذلك وكان حصل من هرب العترة عند قدوم الحاج بجبيل فرح مفاسد وضرر للحجاج لخلاف أمير الحاج على الحجاج فى التقدم قبله من هو حرض بقدومهم من العسكر المنصور فنادى ان لا أحد من الحاج يتقدم بالمدينة قبل صلاة الجمعة ولا يتأخر بعدها فلما قضيت الصلاة وأراد الانصراف من صلى الجمعة بالحرم الشريف من الحجاج لاجل التأخر لما يحصل ازدحام فى باب السلام والرحمة فقتل فى تلك الساعة بالباب بين خلق كثير والذى ضبطه شهود المحفل من القتلى ما يزيد على سبعين نفرا خارجا عن المكسورين ومن هو الى الموت أقرب وتركوا يحملهم الى أن ماتوا عليهم من بوار بهم التراب وحدثت مصيبة عظيمة ومن آثار عمارة السلطان قايتباى مسجد غرة الذى بجبيل عرفات ومن آثاره أيضا أنه أمر بتوجه الخواجا شمس الدين بن الزمن أن يبنى مدرسة ملاصقة للحرم المكى فبنى له مدرسة واسعة بناؤها بالرخام الملون والسقف المذهب وبها بابيل معلقة على الحرم الشريف وهى على يسار الداخل من باب السلام وقرر بها خدمة وطلبة لعلم المذاهب الاربعة وهى بالقبة عامرة لم يحصل بها خلل فى أرضاعها ولا بنائها ويترتل بها أمير الحاج المصرى وعما وقع فى زمن السلطان قايتباى من الامر المهول والحادث العظيم حريق المسجد الشريف النبوى على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وذلك فى ثالث عشر رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة فأرسل أمير المدينة قاصدا الى مصر لاجل عرض ذلك السلطان قايتباى فتهول لتلك الحادثة العظيمة وتوجه الى عمارة المسجد الشريف وعرف نعمة الله تعالى عليه بتأهيل هذا الشرف العظيم فأرسل لهم ان ثلثمائة من أرباب الصنائع وكثيرا من البغال والحمير وصار توجههم ومبلغا لهم ستمائة ألف دينار أو أكثر وأعاده الى بلده عين شاه من جراحته وصار يرسل الجزية فى كل سنة (ثم تولى من بعده ولده عبد العزيز أبو المحاسن يوسف) فاقام ثلاثة أشهر وستة أيام وخلع سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وأقام أياما وجهز الى الاسكندرية ومات فى أيام مخشتمر ثم تولى بعده الملك الظاهر أبو سعيد جقمق العلائى) فاقام أربع عشرة سنة ونوفى سنة سبع وخمسين وثمانمائة وعمر فى أيامه عمارات كثيرة من مساجد ومدارس وجسور وغير ذلك وكان مولعا بحب الفقراء والانعام والاحسان اليهم (ثم تولى بعده ولده عثمان) فاقام أربعين يوما وخلع وجهز الى الاسكندرية (وولى بعده الملك الاشرف أبو النصر اينال العلائى) فاقام ثمان سنين وشهرين وستة

وجهز المؤن الكثيرة فحق امتلأت البنادر من الخيرات وأمر بعمارة المسجد الحرام وان تبنى له مدرسة ملاصقة للحرم الشريف وبالغت العمارة أرسل الى المدينة المنورة خزانة كتب وجعل مقرها بالمدرسة وأرسل عدة مصاحف ووقف عدة قرى بحصر تحمل هلالها الى جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم والمدرسة باقية الى الآن في غاية الانتظام وهي على يسار الداخل الى الحرم الشريف النبوي وينزل بها أمير الحاج الشريف المصري قال بعض الشعراء

لبعسترق روم التي زينية ● تخشى عليه ولا هنالك عار
لكنما أيدي الزوافر لامست ● ذاك الفريع فطهرته النار

وجهز السلطان قايتباى حفتظيمة ● ومن الماوك فلا تسل ● وكان واسطة عقد مماليك الجراكسة وافرهم ميلا الى قلوب الرعية وأكلهم عقلا وعاشت الرعية في أيامه عيشا رغيدا الى ان عدد به الزمن الجائر واستبقظت عيون الليالي الغوابر فغدم على ما فقد من عمله وترك ما بحصن منتاع الدنيا وراءه ظهريا وأدبر حتى لا أكفان عليه بعد ما فصل بدموع فقره وانزل من معبر يره الى قبره وكان انتقاله الى رحمة الله تعالى في آخر يوم الاحد ثالث بتين من شهر ذي القعدة سنة احدى وتسعمائة وصلى عليه يوم الاثنين ودفن بتربته التي أنشاها بالصحراء في حال حياته وهي في غاية الحسن وبها ساكن للفقراء وأرباب الوظائف ولما توفاه الله جاء بريدة وهي مسكونة معمورة الى الآن ليس بالصحراء أعمر منها ● وكانت مدة سلطنته تسعة وعشرين سنة وأربعة أشهر وقيل أحد من الجراكسة قدر مدته ● وقيل انه تغلب قبل موته والله أعلم ﴿ ثم تولى الملك الناصر أبو السعادات ابن السلطان قايتباى ﴾ وكان شابا يغلب عليه السفه والجنون وما كان له التفات الى الملك ولا الى سلطنة بل كان يغلب عليه اللهو وكان والده في حال حياته يريد أن لا يتولى السلطنة ● وبأبي الله الا ما أراد ● حكى عنه أمور قبيحة قبل ان والده كان من أهل الشام وأجلبهن فهيأ له جارية يتزوجها به في بيت خال حزين أعده لذلك فدخل بها قبل الباب على نفسه وعليها وبطهما من رجليها وبدبها وصار يطلع جلدها كالجلابين وهي حية فلما سمعوا صراخها أرادوا الهجوم عليه فلم يمكنهم لانه قفل الباب واحكم قفله من داخل واستمر كذلك الى أن طلعها وحشى جلدها بالتبلب وخرج بظاهر استاذ بته في السطح وان الجلادين يجرزون عن صنعته واستمر في أفعاله الشنيعة الى أن قتل في برالجيزة وجاؤا به مقتولا الى القاهرة ودفنوه في تربة أبيه في سنة أربع وتسعمائة فكانت مدة سلطنته ثلاث سنوات والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ثم تولى الظاهر أبو النصر قانصوه ومرخال الناصر بن قايتباى ﴾ وكان ساذجا أميالا يعرف الا بلسان الجركس قريب العهد ببلده لان السلطان قايتباى جلبه من بلاده وهو كبير وصار يرقيه بواسطة زوجته منشوه ثم الناصر لانه أخوها وهي التي أقامته مقام ولدها وبذلك له الاموال وأرادت أن تقويه ● وهيل يصطاد الطير ما أفسده الدهر ● فظهر بعد ان سلمهم سنة وسبعة أشهر وآخر حوصن الملك في أوائل سنة ثمان وتسعمائة والله تعالى أعلم ﴿ ثم تولى جانبلاط أمير كبير ولقبوه بالملك الاشرف جانبلاط ﴾ في أوائل سنة ست وتسعمائة ولم يتهنأ بالملك وما افقه عليه أحد وخلع نفسه بعد سنة أشهر والله تعالى أعلم ﴿ ثم تولى الملك العادل طومان باى ﴾ فلم يستكمل يوما واحدا بل هجم عليه العسكر وقتلوه ظلما لم يقدر أحد على السلطنة واتفقوا على أن يولوا قانصوه الغوري لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة أي وقت أرادوا عزله لانه كان أقلهم مالا وأضعفهم حالا وأوهنهم قوة فقال لا أقبل الابشرط أن لا تقتلوني كما أردتم خلعي من السلطنة وخيروني وانا أوافقكم وانزل لكم عن الملك فعاهدوه على ذلك فقبل منهم والله سبحانه وتعالى أعلم ﴿ ثم تولى قانصوه الغوري ولقبوه بالملك الاشرف ﴾ وذلك في سنة تسع وتسعمائة وفرح العسكر بولايته وكان قانصوه كثير الدهاء فطنة وراى الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم يحب العمارة ولما سكنت الفتنة بهذا التدبير الذي ذكرناه قبل ولايته فاشتغل واتمها

أيام وتوفي سنة خمس وستين وتسعمائة ودفن بتربته التي أنشاها في الصحراء (وولي بعده ولده أبو الفتح أحمد) فأقام خمسة أشهر وأربعة أيام وخلع ظلما مع كثرة مكاسته (وولي بعده الملك الظاهر خشقدم الناصري) فأقام ست سنين وخمسة أشهر واثنين وعشرين يوما وتوفي سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة ودفن بتربته التي أنشاها بالصحراء (وولي بعده الملك الظاهر أبو سعيد يلباى العلائي) فأقام سبعة وخمسين يوما وخلع وجهز الاسكندرية فأقام بها الى أن مات (وولي بعده الملك الظاهر تمربغا الظاهري) فأقام ثمانية وخمسين يوما وخلع وذهب الى مماليك ثم أعيد الى الاسكندرية ومات بها (وولي بعده الملك الاشرف

واهملوا امره فصار يلقى الفتنة بينهم ويأخذ هذا جهذا ويدس لهم السم فى الطعام ونحوه حتى افنى كبراءهم وروساءهم الاقليل منهم ثم انفرد فى الميل لنفسه مجاريا لاهل هذه الجنسية فصار يظلم الناس ويأخذ اموالهم بالقهر والتهم والفساد واهلكوا العباد وهو يتغافل عنهم ويصادر الناس ويأخذ اموالهم واهلهم بالقهر والتهم وكثرت العوانية فى زمنه لكثرة ما يصفى اليهم ويصادرهم ب

فلمكم أوجب هذا • انه فعل ذميم • قد علمتم فقهرتم • فلهذا لم تفيدوا
ولهذا قد نهيتم • ما لكم خل حميم • قد حمى الله حمانا • انه البر الرحيم
يا جليلا فاق كسرى • اذ له الملك العظيم • اسمع الى الآخر يتلى • فافهمنه يا حكيم

والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب

وفى بعض النسخ متأخرى

﴿الباب التاسع فى ظهور ملوك آل عثمان خلد الله ملكهم الى آخر الزمان﴾

اول جلوس السلطان عثمان الغازى على تخت السلطنة الشريفة فى سنة تسع وتسعين وستمائة فبدأ بالجهاد وافتتاح البلاد وقتل الكفار أهل الفساد وكان للسيف والضيف كثير الاطعام فاتل الحسام شجاعا مقدام فعاش حميدا ومات شهيدا فكانت مدة سلطنته ستا وعشرين سنة وتوفى سنة خمس وعشرين وسبعمائة (ثم توفى السلطان أورخان الغازى ابن السلطان عثمان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى سنة ست وعشرين وسبعمائة وسنة خمس وثلاثون سنة وهو الذى افتتح بر وسيار وجعلها مقر سلطنته وكان فاتق والده فى الجهاد وفتح عدة حصون واتسعت مملكته ونفذت كلمته وله سر وب مشهور مع النصارى فكانت مدة سلطنته خمسا وثلاثين سنة والله أعلم (ثم توفى السلطان مراد الغازى ابن السلطان أورخان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى بر وسياسة احدى وستين وسبعمائة وهو ابن أربع وثلاثون سنة وافتتح عدة قلاع وحصون من جملتها أدرنه وهو الذى اتخذ الجمالية رهاطم ٤ يكبرى يعنى العسكر الجديد أيام بهم البركه وكانت له صولة عظيمة على الكفار وأظهر أحمد ملوك النصارى الطاعة وكان احمد بلواش وتقدم ليقبل يد السلطان فلما قرب منه أخرج خنجرا كان أعده فى كمه فضرب السلطان مراد فاستشهد الى رحمة الله تعالى فصار القانون الغالى من يومئذ أن لا يدخل على السلطان أحد بسلاح وان يفتش وان يدخل بين يديه جلبان يتأنفانه فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله أعلم (ثم توفى السلطان بلدرم بايزيد بن السلطان مراد) وهو اثنتان وأربعون سنة وجلس على تخت السلطنة العثمية فى سنة احدى وتسعين وسبعمائة وقد استولى على كثير من بلاد النصارى وقلاعهم وأراضيهم وصارت النصارى تنتمى الى بعض ملوك الطوائف فى بلاد الروم فبغض على جماعة منهم ابن قرمان فاخذه وحبسه فهرب من الحبس ومضى الى تيمور لنك وحسن له الوصول الى بلاد الروم وشكاه من السلطان بايزيد فى سفر تيمور لنك بنفسه فى الأرض الى ان وصل الى اذرنه بجيحان خرج السلطان بايزيد الى لقائه ولما التقى الفريقان هرب من عسكره طائفة التتار وعسكر منتشار وعسكر كرمان وتركوا السلطان بايزيد وهربوا الى تيمور لنك ووقع الحرب فشرع عسكر بايزيد فى الانهزام وثبت هو وقليل معه واستمر السلطان بايزيد يقاتل الى أن وصل الى تيمور لنك بسيفه وهو مشهور وقد عجز واعنه فرموا عليه بساطا وأسكوه وحبسوه فلما فقته الحمية القضيبة فتوفى الى رحمة الله تعالى فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة (ثم تخلف من بعده أولاده) وهم عيسى ومحمد وموسى وسليمان وقاسم وصار بينهم النزاع والقتال الى عشر سنة وقتل بينهم خلق كثير الى أن استقر بيد السلطنة السلطان محمد ابن السلطان بلدرم بايزيد فى سنة ست عشرة وثمانمائة وعمره نيف وثلاثون سنة وكان شجاعا مقداما جاهد فى سبيل الله ففتح عدة بلاد وبذل نفسه فى الغزو والجهاد ومهد البلاد أعظم مهاد وفتح قلعة اماسيه وقلعة أسكب وقلعة أشهر وغيرها وهو أول من عمل الصرة لاهل الحرمين الشريفين من آل عثمان وفى أيامه ظهر بدر الدين ابن قاضى عسكر وادعى السلطنة وجمع جماعة من مريديه وأرسل له السلطان محمد العسكر فقتل من مريديه نحو ثلاثة آلاف نفر وأسر بدر الدين وقتل وفى أيامه أيضا خرج محمد بن قرمان وولده مصطفى عن الطاعة واحرقا وسيلة أخاه السلطان محمد من بلاد قونيه ووصل الى قونيه ووقع بينه وبين محمد بن قرمان حروب عظيمة مشهورة وأسر محمد ابن قرمان وولده مصطفى وأتى بهما أسيرين الى السلطان محمد فعاتبهما وأنعم عليهما بجملة من ما فكانت

محمد أبو المعالى) وهو فى سن البلوغ سنة احدى وتسعمائة فأقام ستة أشهر ويومين ثم خلع فى ثامن عشرى جمادى الاولى بعد ثبوت عجزه عن السلطنة بصفرة القفاء والخليفة المتوكل على الله وأولاده الملك الاشرف فقتلوه غيلة والده فانتدى فأقام أحد عشر يوما ثم وقعت فتنة وهرب لم يعلم حاله فأعيد السلطان محمد بن قايتباى ثانيا للسلطنة بعد ثبوت رشده فأقام بها ستة وستة أشهر ونصف شهر ثم شرع فى اللهو واللعب ومخالطة الاراذل وارتكاب الفواحش وارتكاب أمور لا تليق منها أن والدته جهزت له جارية وأحبتها عليه فتقلد الباب وربطها من يديها ورجليها وصار يسلخ جلدها كما يجلادون وهى حية فلما سمعوا

مدة سلطنته تسع سنين وتوفى بمرض الاسهال فكانت له مرتبة الشهادة وذلك فى سنة خمس وعشرين وثمانمائة (ثم تولى السلطان مراد الثانى ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة سنة خمس وعشرين وثمانمائة وهو ثمان عشر سنة وكان ملكا عظيما مقداما فاتحا فتح الفتوحات ومهد الممالك وأمن المسالك وأذل الكفار والملحدين وأعز الاسلام والمسلمين الى ان انتشأ ولده محمد فرأى نجابته وعرف اقباله وشهامته فاجلسه على سرير السلطنة واختار لنفسه التقاعد والفراغ بمحمية رصاء فكانت مدة سلطنته احدى وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان محمد خان ابن السلطان مراد) فى سنة ست وخمسين وثمانمائة وسنه عشرون سنة وكان من أعظم سلاطين آل عثمان وأقواهم اقداما واجتهادا وأكثرهم توكلا على الله واعتمادا له غزوات كثيرة من أعظمها فتح القسطنطينية الكبرى وساق اليها السفن برا فتحيرى براو بحرا وحاصرها خمسين يوما وفتحها فى اليوم الحادى والخمسين وهو الرابع والعشرون من جمادى الآخرة سنة سبع وخمسين وثمانمائة وصلى فى أكبر كنائسها صلاة الجمعة وهى أياصوفية وقد عمل بعض الفضلاء لفتح القسطنطينية تاريخا وهو (بلدة طيبة) سنة ٨٥٧ ذكر علماء التاريخ ان مدينة القسطنطينية كل بناؤها فى أربع سنة وكان اسمها قبل ذلك ٣ الرومية ومات بانيها قسطنطين فى منتصف سنة ست وعشرين وستمائة من تاريخ الاسكندر وهى مدينة مثلثة الشكل جانبان فى البر وجانب فى البحر وقد سور سورها حد وعشرون ذراعا والآن صارت القسطنطينية معدن الفخار والعلماء ومقر السلطنة الشريفة العثمانية يجتمع فيها أهل الكمالات من كل فن نعلمهم الآن أعظم علماء الاسلام وأهل حرفها أدق الفطناء فى الانام وقد ضبطت أماكنها زمن المرحوم زكريا أفندى شيخ الاسلام سنة ٩٩٤ فوجد بها من محلات المسلمين ثلاث آلاف وتسعمائة وثمانون محلا ومن الجوامع أربعمائة وثمانية وثمانون جامعا ومن المساجد أربعة آلاف وخمسمائة وسبعون مسجدا ومن مكاتب الاطفال ألف وستمائة وأربعة وخمسون مكتبا ومن المدارس خمسمائة وخمسة وثمانون مدرسة ومن التكايا مائة تكية ومن الخانات ستمائة وخمسة وخمسون خانا ومن الربا بالخمائة وستة وثمانون زاوية ومن الحمامات تسعمائة وخمسة وسبعون حمامة وهى الصهاريج للشرب بلغة الترك ومن الخفيات أربعة آلاف وأربعمائة وثمانون حنفية ومن الافران ألفان ومائتان وخمسة وثمانون فرنا ومن أسواق الاسباب تسعمائة وخمسة وثمانون سوقا ومن القيانية ثمانمائة وثمانية عشر ألف قبالى ومن الحمامات ألف حمام ومن البوظات ثمانمائة وخمسة وثمانون بوظة ومن القهاوى ألفان وثلثمائة واثنان وخمسون قهوة ومن محلات النصارى أربعة آلاف وتسعمائة ومن محلات اليهود أربعة آلاف وتسعمائة وخمسة وثمانون محلا ومن الكنائس مائة وخمسة وأربعون كنيسة ومن المخانات أربعة آلاف وخمسمائة وخمسون مخانة وذلك خارج عما تعهد وعد ذلك من المحلات والجوامع وحمامات اليهود وغير ذلك ● وقد ضبط فى مملكة آل عثمان من قضات القضايا ما جلهم خمسة آلاف وتسعمائة وستون قاضيا ما هو بقضاة أنا ضولى خمسة آلاف وستمائة وما هو بقضاة الروملى ثلثمائة وستون قاضيا وذلك خارج عن الموالى والمدنسة والملازمين وقد جمعت من خواص من العسكر المنصور أن عدد العسكر المنصور وما هو من البشرية أربعون ألفا ومن الاسباهية ستون ألفا ومن عجم أوغلان أربعة وعشرون ألفا ومن السراجين ثلاثة عشر ألفا ومن الجبجية ثلاثة عشر ألفا ومن العربان اثنا عشر ألفا ومن الطوبجية تسعة آلاف وذلك خارج عن الموالى وزراع الجفارية والمقتبين والمتفرقة والرعاة والمتقاعدين والصناجق والقابوجية والاهوات والطباخين والبازدجان والخوانين والنساء والمساحين وأرباب الآلات وما هؤلاء من الاتباع والخدم وما لكل علمكة من عمالك آل عثمان مثل مصر والشام واليمن والجزائر الغرب والبنادر والحصارات والشرق والغرب من العساكر والاجناد مما يعجز عنه الوصف

٣ فى بعض النسخ البريلة

صرخها أرادوا الهجوم عليه فما أمكنهم لانه قفل الباب وأحكمه فظفرهم داخل واستمر كذلك الى ان سلخها وحشا جلدها بالتبان ثم خرج يفتخر بحسن صنعته ومعرفته بالسلخ واستمر فى حركاته الشنعة الى ان قتل فى بعض الجزيرة وجازاه بما هو مقتول الى القاهرة ودفن فى تربة أبيه فى سنة أربع وتسعمائة (وولى بعده الملك الظاهر فأمنوه الاشرفى قانصوه الغورى وزوجه خال محمد بن قانصوه) بقلته أخته مالا كثيرا وولاه وهو يسمى بالسلطنة بمصر الخليفة والقضاة سابع عشر ربيع الاول سنة أربع وتسعمائة وكانت سيرته حميدة ورتب لاهل الازهر فى أيام رمضان الخبز والحرمزة وضاعفها الغورى وزادها فأقام فى

وأخبرت ايضا أنه فى يوم جلوس المرحوم السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد صرف الترك لعسكر المنصور فبلغ قدر خزينة مصر سبع مرات فسبحان مالك الملك جل جلاله وقد أطلعنا على بعض تواريخ الدول السابقة والملوك السالفة فيما عهدناه فما رأينا مثل دولة بنى عثمان ولا أحسن نظاما منها ولا أحفظ قانونا منها لاسيما احاطتها بالشرع الشريف وتوقيرها أهل العلم وحلقة القرآن واسداء الخيرات للفقراء والمساكين بدمشق الحرمين الشريفين ومجاورتهما على ماسيأتى بيانه فيه قريبا فنسأل الله الحسنى المنان أن يديم دولة بنى عثمان الى آخر الزمان فكانت مدة مولانا السلطان محمد احدى وثلاثين سنة وثوفى سنة ست وثمانين وثمانمائة والله أعلم (ثم تولى السلطان بايزيد خان وابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى تاسع عشر ربيع الاول سنة ست وثمانين وثمانمائة وهو عمره اذذاك ثلاثون سنة وهو من اعيان سلاطين آل عثمان تفرع من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء وورث سرير السلطنة كابرا عن كابر وترتبت باسمه مساند والمنابر وانفتح الفتوحات وغزا فى سبيل الله أعظم الغزوات وظهرت أيامه من بلاد العجم اعميل ابن الشيخ حيدر الصفوى فى سنة تسعمائة تخمسة وكان له طور عجيب واستيلاء على ملوك العجم بعد من الاعاجيب فقتل فى البلاد وسفك دماء العباد وأظهر مذهب أهل الرفض والالحاد وغير اعتقاد أهل العجم الى الفساد وأخرب عالك العجم وازال من أهلها حسن الاعتقاد والله يفعل ما أراد وصارت فتنته فى غالب البلاد (حكاية عجيبة) وهى ان السلطان بايزيد حظره منجم ما ذق من أهل مصر ان هلاكه يكون على يد ولد يولد له بعد ما ولد له عدة أولاد فكان المحذر قبل أن يولد له السلطان سليم فطلب السلطان بايزيد غايلة كان بعقد صفقها وكانت من الصالحات الخيرات وقال لها اذا وضعت جارية من الجواري ذكرا فاقتليه ولا تعصيه مهما وان بلت أنثى فاتركيها واكد عليها فى ذلك غاية التاكيد واستمرت على ذلك الى أن ولد السلطان سليم فتناولته القابلة لتقتله فرأت صورته جميلة فرقى قلبها وقالت فى نفسها باى وجه ألقى الله تعالى فى قتل هذا الطفل المعصوم والله لا أقدم على قتله وقالت لابى بايزيد جاءك ولد جميلة حسنة الصورة فلما أخبرت ذلك صاحبها علمية واستصر الحال مكتوما لا يعلمه غير القابلة وأمعاقه تعالى وكان كلما كبر ونشئ ظهرت عليه حدة الفطنة والفهم فاذا اجتمعت أخواته البنات وجلس بينهن لطعم من بجانبه وضرب بعضهن بايديهن من الآكل وغيرها وكانوا يحذرون منه فدخل السلطان بايزيد الى الصراية فى يوم عيد وأمر بالمكان ان يطيب بزبن واستدعى ببنانه واجلسهن بين يديه وأمر ان يوضع بين يدى كل واحد ثمن من أنواع الحلوى والفواكه وبينهن السلطان سليم فشرع السلطان سليم فى سطوته وعادته وخطف ما بايديهن من الحلوى والفواكه ووضع الكل بين يديه فصار الكل خائفات منه فتعجب السلطان بايزيد وصار يتأمل فى ذلك وصار السلطان سليم يضرب البنات ويؤذيهم فقال السلطان بايزيد ما لهذا الولد قالت جدته لا يكون أخوانه كلهم يتقوى منه فبادرت القابلة وقالت ثم هود كر وليس باثنى فقال لها وكيف خالفت أمرى وما قتلتيه فقالت خفت الله وخلصت ذمتك من قتل هذا الولد المعصوم ولا ذنب له فتفكر طويلا ثم قال ما قدره الله فهو كائن لا مفر منه وأمر بالكف عنه وتربيته الى ان كان من أمر الله ما كان ولما استولى على بايزيد مرض ضعف عن النفوذ من الحركة وترك السفر سنين فحضر العسكر لكثرة راحتهم وطلبوا السلطان فاقوى الحركة كثير الاسفار لجهاد فى سبيل الله ورأوا السلطان سليم فاغرة رشه هامة أجلد من سائر اخوته وعاين السلطان بايزيد من أركان الدولة والعسكر ميلهم الى السلطان سليم فاشار عليه وزراؤه ان يفرغ من السلطنة بقلب سليم لسليم ويختار المقام فى ادرنه فى عز وتعظيم فامر وا عليه فى ذلك فاجابهم الى سؤالهم وفرغ له من السلطنة وتوجه الى ادرنه فلما وصل اليها انتقل بالوفاة الى رحمة الله تعالى فى سنة ثمان عشر وتسعمائة فكانت مدة سلطنته اثنتين وثلاثين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى السلطان سليم خان ابن السلطان بايزيد)

السلطنة سنة وثمانية أشهر
ثم خلع (وولى بعده الملك الاشرف جانبلاط) فاقام نصف سنة ثم خلع سنة ثمان وتسعمائة وبنى المدرسة الجنبلاطية خارج باب النصر وحدوها الفرنسيس فى سنة أربع عشرة ومائتين بعد الالف وكان فيها فتيان ليس لهما نظير فى مصر (وولى بعده الملك العادل طومان باى) وكان من أعيان المماليك فانتباى وكان بالشام فبويع له هناك نهارا الى مصر وبويع له أيضا بقلعة الجبل وكانت مدته أربعة أشهر ونصفا ثم مدرسته العادلية خارج باب النصر ثم هجم عليه العسكر وقتلوه ودفن بعد دسته وفتحوها الفرنسيس أيضا (وولى بعده الملك الاشرف قانصوه الغورى) يوم الاثنين يوم عيد الفطر سنة ست وتسعمائة بعد اختلاف

كلهم العجم وقاتلهم البك العرب وذلك فى سنة ثمان عشر وتوسعة فتوكان سلطانا مها قهلوا كثير السفك للدماء قوى البطش والتجسس من أخبار الناس عظيم الكشف عن أخبار الحالك والمماليك وكان يغير زيه ولباسه فى الليل والنهار ويتجسس ويطلع على الاخبار وكان له عدة مصاحب تحت القلعة وفى الاسواق والجامات والمحافل ومهما سمعوه يذكرونه فى محل المصاحبة ولما استقر السلطان سليم على سرير الملك بدأ بقتال العجم وتوجه بعضله ورجله وعساكره المشهورة الى أن وصل تبريز وتصادمت العساكر مع عسكر قزل باش وزال النصر من عند الله والفتح القريب وانهزمت عساكر اسمعيل شاه وساقت العساكر المنصورة خلفه فلقتها عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيلها أرض تبريز ونهبى وأسر من نجيه وأتاك نجدة لاتقهر عساكر السلطان سليم ووطئت حوافر خيلها أرض تبريز ونهبى وأسر وأسلب أهلى الهيبة عام الامان وأراد المتمكن من بلاد العجم فما أمكنه ذلك لكثرة القحط والغلاء بحيث يبعت العليقة بمائة درهم وبيع الرغيف بمائة درهم وسبب ذلك انقطاع القوافل التى كان أحدها السلطان سليم لتتبعه بالمؤن والعليق فتخلفت عنه فى محل الاحتياج اليها وما وجدنى تبريز شيأ من المأكولات والحبوب لان شاه اسمعيل أمر باحراق اجران الحبوب من شعير وغيره ذلك فاضطرب السلطان سليم لذلك فتخمص من انقطاع القوافل فاخبر ان سبب ذلك سلطان مصر فانصرفوا القهرى فانه كان بينه وبين اسمعيل شاه محبة ومودة ومراسلات وغير ذلك فلما استقر ركاب السلطنة الشريفة فى تخت ملكه الشريف ناهب لاخذ مصر وقد امر الجاويشية بعسكره الجرار الى حلب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فلما بلغ السلطان القهرى قدوم السلطان سليم جمع عساكر من الجراكسة وغيرهم وبرز الى قتال السلطان سليم فتلاقى العسكران قرب حلب هرج دابق وكان القهرى يتوهم ويضاف على نفسه من خير بك والغزالى وكانا يكرهانه فى الباطن ويكرهما كذلك فاسر هما ان يتقدما لقتال السلطان سليم ويعلمها وعسكرهما أمامه ووقف القهرى بخواص عسكره الذين يعتمد عليهم من الجلبان وقصد بذلك قتل خير بك والغزالى وعسكرهما بالبنادق فى أول مرة ويسلم هو ومن معه فطاب ظنه وورد الله مكره عليه قال الله تعالى ولا يحيق المكر السيئ الا باهله وقيل فى المعنى الامام على كرم الله وجهه

الحمد لله لم يفتح الا بقدرته ● فان أتى قدر لم ينفع الحذر
من عفر حفرة يوما يصير لها ● فان سقرت فوسع حين تحتفر
ان الشباب هم والرأى اجمعوا ● وليس يقبل من ذى شيبة عذر

فتخطى خير بك والغزالى ذلك وتارا رسلا السلطان سليم وطلبا منه الامان وتقاضاه ان لا يقتلهما بل بكر مهما وينعم عليهم ما فارسل السلطان سليم لهما الامان وعهد لهما بأن يطيب خاطرهما وان يعطى خير بك مصر والغزالى الشام فقبلا منه ذلك ووافقاه على ذلك فلما تراءى الجمعان واضطربت ميمنة المدافع والبنادق فى مرج دابق فرخير بك بمن معه من الميمنة وقر الغزالى بمن معه من الميسرة ويبقى السلطان القهرى بمن معه من خواص اتباعه فى القلب وأطلقت البنادق والزربطانات فهلك من هلك وهرب من هرب وانقلب النهار ليلا بالدخان وامتلا وجه الارض بشاهل الخطط والنيران بخار القهرى فحت سنابك الخيل وعمى فى الغبار وعظم الحرب كما يعلمه النهار الليل وانقلبت رايات السلطان سليم على قلعة حلب الشهباء فطلب أهلها الامان فاجابهم بالقبول لطفا وكرما وحقن دماءهم وخلب الخطيب باسمه الشريف ودعائه ولا سلاطين بالغرفى المدح والتعريف وعند ما سمع السلطان سليم الخطيب يقول فى تعريفه خادم الحرمين الشريفين بعجبته شكرا وقال الحمد لله الذى يسرنى ان صرت خادم الحرمين الشريفين وأظهر الفرح والسرور وتلقبه بخادم الحرمين الشريفين وخلع على الخطيب خلعا متعددة وهو على المنبر واحسن اليه احسانا كثيرا وأقام يصلب أياما وهو وجميع الممالك وسيرى أحكام العدالة والسياسة والاحسان الى الرعايا ثم ارتحل بالجيوش المنصورة الى الشام فخرج أهل الشام الى لقائه

بين العسكر ثم انقطعوا هل تولية لانهم رأوه لين العريكة سهل الازالة متى أراده وازالته فما لانه كان أظلم مالا وأنصفهم فلا فقال أقبل التولية بشرط أن لا تقتلونى فان أردتم خلعى من السلطنة فاخبرونى وأنا أنزل لكم عنها فعاهدوه على ذلك ثم بعثه بقلعة الجبل بحضرة الخليفة المستنصر بالله وصحبه أصحاب الجمل والعقد فأقام سلطانا خمس عشرة سنة وتسعة أشهر وخمسة وعشرين يوما وكان ذا رأى وفطنة كثير الدهاء والدهى قم الامراء آذى المعاندين حتى استتب ملكه وهيبته فهابته ملوك الروم والشرق والافرنج وقال الامرى منهم وكانه المواكب الهائلة ومهد طريق الحج بحيث كان يسافر اليه من مصر النفر القليل وكان فيه خصال

وطلبوه منه الامان والامن فاجابهم الى ما سألوه وبسط لهم ما طلبوه واعطوه وخلع على من يستحق خلع الزعماء الاكرام وخلع السلطان الشام بموكب عظيم واقام لتمهيد امور المملكة برأيه الشريف وخطب له الخطباء بجميع بلاده واكرمهم وأمر بعمارة مقام الاسكندر الاعظم مولانا الشيخ محيي الدين بن العربي ورتب له اوقافا كثيرة وهو باق الى الآن واستمر السلطان سليم بارض الشام حتى مهد امورها وضبط حصونها ثم توجه الى مصر فوصل الى هزتم هل جفرده الى زيارة القدس والخليل فى تغيير بعضد الزيارة فاحسن الى أهل القدس والخليل وعاد الى عسكره مقصدا كل واحد بلدة أو وصية أو قرية فى طريقه أحسن الى أهلها وفر بقية الجراكسة الى مصر وجعلوا الدوادار طومان باى سلطانا وتقبوه بالاشرف واجتمعوا عليه والقوا مقاليد سلطنتهم اليه وسار واهو كبهم بين يديه وجند الجنود وعقد الالوية والبنود ورزوا الى اليد انية خارج باب النصر ونصبوا الدافع الكبار والاحجار وهيؤها للطلقوها اذا اقبلت العساكر العثمانية فلما اخبرهم الجواسيس السلطان سليم بذلك عدل هو وعسكره وجاز الامن خلف الجبل المقطم من وراء عسكر الجراكسة واستمرت عدة افع الجراكسة مرتبة لمن يأتى من امام الزيدانية وقاتل السلطان طومان باى ومن ثبت معه من الجراكسة قتالا شديدا واظهر طومان باى شجاعة قوية يتعرف بها وشهد له المصاف وهو بنفوس فى العسكر وبكر وبغير وقتل من وزراء السلطان سليم سنان باشا فأسف عليه وقال أى فائدة فى مصر بلا يوسف ووجه النكتة ان يوسف بلقب بسنان فى عرفهم وبعد ساعة الكسر الجراكسة وانهزم مراد هو بك طومان باى واسعد بك وصاب فى باب زويلة كما قد ذكرنا ذلك سابقا واستمر السلطان سليم يدبر أمور مصر ويضبط خراجها وتصاعلاتها الى ثالث عشرى رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة توكان مقام السلطان سليم بالرضة وبنى له كشكا فوق قاعا المقياس وهو مشرف على بحر النيل والرضة والمقياس وبلد خل السلطان سليم منه قبل ومنع من يجلس فيه حومة مولانا السلطان سليم (ذكر) القطبى فى اعلامه قال رأيت جماعة من صاحبى السلطان سليم وسمعت منهم حسن سيرته ولطف معاشرته وشدة تيقظه وقوة فهمه مع كثرة مطالعته للتواريخ وتفرسه فى اللغة العارسية والرومية بحيث انه فاق الطائفتين ورأيت بخطه الشريف بينتين كتبهما باعلى المقياس فى الكشك الذى أمر ببنائه لما افتتح مصر وكان الروضة وكان الكشك هذا اختبر امقفلا لا يصل اليه أحد لعظم بانيه فدخلت مصر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة وكان يوم كسر النيل السعيد ففتحوا هذا الكشك الماشية مصر خسرو باشا وكنت مصاحبا لهم عبد الكريم الحبى فطلع وأطلعنى صحبته فرأيت مكتوبا على الرخام الابيض كتابة خفيفة لا تكاد تظهر الا بالتأمل هذين البيتين وهما

الملك لله من ظفر بنيل منى ● يرد فقرا ويرتزل بعده الدكا

لو كان لى أو لغيرى قدر أخلة ● فوق التراب لصار الامر مشتركا

ومرقومهما كتبه الفقير سليم ولعمرى ان هذان البيتان من نظم المرحوم فهما فى غاية البيان والبراعة وترتيبا فى الشعر العربى الصحيح المنعجم وان كان قد دخل بعضهما ايضا ضرب علية فى حسن التمثيل ولطف الاستحضار رحمه الله تعالى وكان أشيع بمصر فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ألف ان السلطان عثمان ابن المرحوم السلطان أحمد يصل بركابه السعيد الى مصر المحروسة بقصد الحج أو غير ذلك على ما قيل فجدد ما انهدم من الكشك المذكور وزخرف وزين بناء على ان السلطان عثمان اذا قدم الى مصر يقيم بالكشك المذكور ولله الامر أراد (وعما) أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ محمد حجازى الواعظ الشهير وى خادم المدينة النبوية بالديار المصرية فى فتوى أفتى بها أهل سؤال رفع اليه فى سنة احدى وثلاثين وألف فيمن يتعرض للرزق ووقوف المسلمين فمن جملة جوابه انه قال سمعت من أستاذنا المؤرخ من أهل الى الصاحر بالا كابر شهاب الدين أحمد الحركى يخاطبنى وكثيرا من مشايخى مشافهة ان مولانا السلطان سليم لما أخذ مصر من الجراكسة ورضع رحله فى الركاب ليتوجه الى الروم

حيث قويمل الى الخليز وكان يصرف فى شهر رمضان الى مطبخ الجامع الازهر كل سنة سبعمائة وسبعين دينارا وماية قنطار من العسل وخمسمائة اردب قمح وبقى معاشر الفقير كثيرة الا انه كان شديد الطمع كثير الظلم والعسف يصادر الناس فى أموالهم واذا مات أحد أخذ جميع ماله واقتدى به الملك فصار وا يقلدون الناس ظلما كثيرا فتوجه الناس فيهم وفى سيدهم الى الله تعالى فأزال الله ملكه بسبب فتنة بينه وبين السلطان سليم خان ملك القسطنطينية فقصد كل منهما الآخر واجتمعا بعسكرين عظيمين فى موضع يقال له مرج دابق شمالى حلب بمرحلة فى شهر رجب سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة فانهزم عسكر الغورى ولم يعلم حال الغورى فأقام السلطان سليم بالشام

فتقدم اليه بخير بل بفاتيح البلاد فرد هاعليه وولاه عليها الى أن يعود جهانشاه ورد على ان ابتناء الجراكسة يريدون الدخول فى جملة الاحناد فاجابه الى ذلك وشاور معه على ابقاء أوقاف الجراكسة وهى نحو عشرة قرار بط من أراضى مصر فاجازه بابقائها على ما كانت عليه فتشوش وزيره وقال فى مالنا وصا كرنا وسلمه بلادهم وتدخلهم فى صا كرنا وتبقى لهم أوقاف يستعينون علينا بذلك فقال السلطان سليم أن الجلاد ضرب عنق الوزير المذكور وهو الوزير الثانية فى الروم ورجله الثانية فى الروم وأوقال الخاقان امير ياقوبه فقال ماهذا ناهم على انهم ان مكنونا من بلادهم أبقينا هم عليها وجعلناهم أمراءها فهل يجوز لنا أن نخون العهد ونغدر وإذا اد خلنا أبناءهم فى جندنا فهم صلدون أولاد مسلمين ويغارون على ديارهم وأما أراضيهم فأصلها لملاك الغائبين ومنهم من وقف ومنهم من قامت فريته من بعده فهل يجوز أن ننازع الملاك فى املا كهاوانما أزلت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادى بتكرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهكذا شأن الملوك ولما رحل السلطان سليم بعساكر المنصور ونظهرت فى ظهره جراحة منعته الراحة وعجزت عن ملاحقة الاطباء وتعيرت فى داته عقول الاطباء وكانت توضع الدجاجة على جرحه فتذوب وشوهدت معالجتى أكاده من خلف ظهره وأنشبت المنية أظفارها فما نفعته التمائم والرقى وفدى بالاموال فما قبل الفداء كما قيل فى المعنى

ولو قبل الفداء لكان يفدى ● وان حل المصاب عن التفادى
ولكن المنون لها عيون ● تكد لحاظها فى الانتقاد
فقل للدهر أنت أصبت فالبس ● بزهم بنيك أثواب الحداد

وكان السلطان سليم قصده العود ثانيا الى الديم فاساعده القدرة الربانية وما وصل الى قبض ملكه الشريف وهو وملك استعمر الى ان الحق به فى كائنة وفاته سنة ست وعشرين وتط

وكان السلطان سليمان يحب الخيرات واجراء الصدقات ومن جملة آثاره الحميدة المعمارة الكبرى بطريق الحاج الخير وقف وقفا اوقافى بكثرة يشترى من ريع أوقافها فى كل سنة جمال لحمل الفقراء والمنقطعين والعواجز من الماء والزاد وغير ذلك ومقر ريعها من المغاربة أربعون نفرا ومن المطاوعة أربعون نفرا ذهابا وايابا وذلك مستمر الى الآن وانضم الى أوقاف الدشيشة الكبرى اوقاف أخر فصارت الآن خمسة أوقاف ووقف السلطان فاتيشاى ووقف السلطان جقمق ووقف السلطان ثم ووقف السلطان سليمان ووقف خوند القرى الموقوفة عليها وهى بالقليوبية ناحية عصر ياقوس وطحانوب وناحية سندو وناحية قوى والفشيش وناحية اصباى وبالبحيرة ناحية البيصر وناحية المقاطع وناحية اسدود وناحية الصفراء وناحية معدون وبالغربية ناحية شبراسبون وناحية القضابة وناحية كفرشبراسبون وناحية تملة المرحوم وكفرها وناحية منية الليث هشام وناحية بقلولة وناحية قويسنه وناحية ومعتوراه بالقهلية ناحية بديويه وناحية قيسيه وناحية منية شرف وناحية منية الفرشى وناحية أبو داود العزب وناحية طوابس وناحية منشاة صقر وناحية منية العزمساهد وناحية الجديدة ناحية شبرا هنت وناحية بسنبوط وبالصعيد ناحية مطوبس الرمان وناحية منية المرشد وناحية شمشيرة وناحية عزبة هرو وناحية القنى وبالجيزة ناحية صقيل وناحية منية قادوس وناحية سيدو وناحية الكنيسة وناحية وسيم وبالايم ناحية منية بن خصيب والاسيوطية والوجه القبلى وناحية القيوم وناحية زاوية عباس وناحية طرشوب وناحية حلف وناحية شمطا وناحية براوه وناحية سنجرج وناحية ابو الهدر وناحية طحادات الاهدة وناحية طوخ بهراهيم وناحية منشاة التركانى وناحية أبو الهر وناحية شبرا وكفورها وسواج وكفورها وناحية طمية والاهرون وان المتحصل من النواحى فى كل سنة ماهون المال سبعون كيسا ماهون الغلال ثلاثة وثلاثون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا وذلك خارج عن إلزام الاسكالة يصرف بعضها وهو فى كل شهر هلالى أو بعضها أربعون كيسا فقد كانت عدة تصرف السلطان سليمان فى السلطنة ثمانيا وأربعين سنة وافته أجله

(ثم تولى السلطان سليم الثانى ابن السلطان سليمان خان) وجلس على تخت السلطنة الشريفة ناصر ربيع الآخر سنة أربع وسبعين وتسعمائة وستة وأربعون سنة وعمل بعض الفضلاء تاريخا لتولية فقال (سليم تولى الملك بعد سليمان) سنة ٩٧٤ وبعد ثلاثة أيام من جلوسه توجه الى سكندرية لحفظ هاكر الاسلام المجاهدين فى سبيل الله فسار سريعا حتى انه لما وصل كتابه السعيد الى مرسم قتلغاه الوزير محمد باشا المتقدم ذكره وأهل جميع الشتاء وتيسر قلعة سكندرية والتمس الاذن الشريف بعود العسكر المنصور الى الاوطان واستمرار الركاب بذلك المكان الى أن يصل هو وبقية الوزراء وجوه الدولة الى ثغر الركاب الشريف وبعد ذلك يعودون فى خدمته الى مقر التخت الشريف بالقسطنطينية الكبرى فأجيب حضرة الوزير الاعظم الى ما أشار واستمر ركاب السلطنة الشريفة بذلك المكان الى أن ورد عليه الوزير الاعظم وباقى الوزراء وقبلوا الركاب وهنوه بالملك وعادوا فى خدمته الى القسطنطينية الكبرى بغاية البشر والبمن والقبول وجوزت البشائر الى الممالك الشريفة وأتت اليه الهدايا والتحف من الملوك والاشراف فعم بحسن نظره الشريف البلاد والعباد وسر أهل الكفر والالحاد وله غزوات مشهورة وفتوحات مذكورة جهاد بالكافرين وقطع دابر الظالمين وهو جالس بمكانه الشريف منها فتح قبرص ومنها فتح تونس وحلق الوادى ومنها فتح عدالك اليمن واستر جاعها من العصاة

(وهذا بعض ما عنه) انه كان والد المرحوم السلطان سليمان مصاحب يسمى شمعى باشا اليهودى ولا يخفى ما بين آل عثمان واليهود من العداوة المحكمة الاساس الراسخة الاوتاد فأول السلطان سليم شمعى باشا مصاحبا على ما كان عليه زمن والده وكان شمعى باشا هذا داخل يهودية وأمور وظهر بية يلقيها فى قالب مرغوب يسحر بها ذوى العقول فقصد أن يدخل شيأ منكرا فى سلطنة بنى آل عثمان يكون

الى هى شهر رجماد الايام آلهما الله تعالى حلة الدوام فأوصف فى ولاية مصر (السلطان سليم خانم فاتح مصر) وقد علمنا مما سبق سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة وتوفى سنة ست وعشرين وتسعمائة وكان سلطانا هابا قهارا كثير السفك للدماء قوى البطش والقصر عن أخبار الناس عظيم الكشف عن أحوال المملوك وكان يغير به وليلا وسهرا يتجسس بالليل والنهار ويظلم على الاخبار وتوجه لقتال العجم ونصره الله عليهم لكنه لم يتمكن من بلادهم شدة التمكن لما وقع هناك بسبب انقطاع القوافل التى كان أحدها لتتبعه بالذون فتخلص من انقطاع ذلك فاخبر ان سبب سلطان مصر قانصوه الغورى لانه كان بينه وبين

سبيا لخلعها وهو قبول الرشا من أرباب الولايات والعمال فما تمكن من مصاحبة السلطان سليم فنقال له على سبيل العرض عبد كم فلان المعزول من منصب كذا وليس بيده منصب الآن وقصده من فيض فضلكم أنعامكم عليه بالمنصب الفلاني ويعطى كذا وكذا فلما سمع السلطان سليم ما أبداه شمسي باشا وعرف انه يعلم نفسه في ادخال السوء بيت آل عثمان تغير من اجراءه الشريف وقال له بارداشي تريد ان تدخل الرشوة بيت السلطنة حتى يكون ذلك سببا لازالتها وامر بقتله فتلطف به وقال له لا تقبل أيها الملك هذه وصية والدك فانه قال لي السلطان سليم صغير السن وربما يكون عنده ميل للدنيا فاعرض عليه هذا الامر فان جنح اليه فاعلمه بلطف وان امتنع فقل له هذه وصية والدك فقدم له ياوداعه بالثبات في قوله الرشوة التي هي من الامور المستحيلات فخلص من القتل بهذه الحيلة وكانت مدة سلطنة السلطان سليم تسع سنين وكانت وفاته في سابع رمضان سنة ثمنين وثمانين وتسعمائة والله أعلم ﴿ثم تولى السلطان مراد ابن السلطان سليم﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة في عاشر شهر رمضان سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وسنه ثلاثون سنة وكان يحب الخيرات ووجوه المبرات فمن جملة خيراته أنه أنشأ تكية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وراطا بقباب ظاهر المدينة المنورة وقرر فيها أرباب وظائف ومجاورين ورتب لها التكية قطعا ما يطبخ صباحا وصاء ورتب حبالا هل الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي بأقليم البحيرة ناحية نكلا وناحية الضاهرية وبالمنوفية ناحية سبك الاحدر ناحية شبراخيت وبالغربية ناحية قطنان وناحية كفر زريق وناحية طوخ الملق وناحية سطنهار وناحية سنهار وبالدقهلية ناحية سنديوب وناحية منية محمود وناحية أبو الحسن وبالجيزة ناحية كوم مرا وناحية نهيا والبهنساوية وبالوجه القبلي ناحية بلفيا وناحية دهيل وناحية العامتة وناحية بشتاو ناحية الضوابط وناحية اهناس الخضراوي في كل سنة يحمل الى بندر السويس من محصول النواحي المذكورة في كل عام من الحب قدر الفي اردب وهذا الى أردب تحمل في مراكب في وقت الدشاشي المعادية الى البنيع برسم التكية المذكورة بمجاوري الحرمين الشريفين وأما يحمل من النقد من محصول النواحي المذكورة في كل عام عصبة أمير الحاج الشريف المصري فقدره سبعة عشر كيسا تؤزع على أربابها من مجاوري الحرمين الشريفين ووقف السلطان مراد في سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف جملة تصرفه في السلطنة عشر سنين وتسعة أشهر وستة أيام والله أعلم ﴿ثم تولى السلطان محمد ابن السلطان مراد﴾ وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وألف وقد نظم بعضهم تاريخا لجلوسه فقال

مراد لي الفردوس والملك زانه ● محمد الآلي بخير معاد
بأثر أبيه قد تولى فأرخوا ● محمد تولى عين ملك مراد

وقد نظم أيضا بعضهم تاريخا لجلوس السلطان محمد المومى اليه فقال

ولا يقاسى الليل محمد ● هم الفخار الكون بالبشر اشرح
وحاز الشقاشم الوجود فأرخوا ● محمد قد شرف الملك وصح

ونظم بعضهم أيضا تاريخا لجلوسه فقال

محمد خان سلطان على ● أدام بأرب دولته وابق
أيا أهل الممالك أرخوه ● محمد خان سلطان يبقى

وتوجه بذاته الشريفة وعسكره المنصورة الى غزاة المجر وحصل هناك قتال ونزال يطول شرحه ألف المؤرخون فذهب الغزوة توارخ بالتركي والعربي وحصلت النصرة ولما حضرة السلطان محمد وعاد سالما مأجورا يدخر ورأى من آثر خيراته أنه رتب حبوبا بالنقد في مراكب من بندر السويس الى البنيع لفقراء الحرمين الشريفين ووقف على ذلك قرى من قرى مصر المحروسة وهي باقليم المنوفية ناحية

اسمعيل شاه كبير العجم مودة ومراسلات فلما استقر في تخت السلطنة استعد لاخذ ثمر فكان متمما كان وكان مستقره في مدة اقامته بمصر الروضة وبقي له كمثل عشر قلاع المقياس وهو مشرف على بحر النيل والروضة لما أراد التوجه الى الروم تقدم اليه شير بك بفتائح البلد فرد ما عليه وولاه على الى أن يموت فشاوره على ان ابناء الجراكسة يريدون الدخول في جملة الاجناد فأجازه ذلك وشاوره على ابقاء أو فاق الجراكسة وهي قصبة عشرة فسار بط من أرض مصر فأجاز بابقائها على ما كانت عليه فنقوش وزيره وقال فيّ ما لنا وهما كرنا ربقي لهم أو قوفهم يستعينون علينا بها فقال السلطان سليم ابن الجلاد وكانت احدى رجليه في

البتون وناحية طليح وناحية شنوان وبالغربية ناحية الخياتم وناحية منية عجيل وناحيه بهوت وبالقليوبية ناحية صنافير وناحية مجدول البيضة وبالشرقية ناحية شلشمون وبالدقهلية ناحية نقيطا وناحية صهرجت المزن وبالقيوم ناحية نقليفة وناحية بقتمين وبالبهنسا والوجه القبلى ناحية قويرة وناحية سلاوة وناحية بها وناحية قاى وناحية الزينة وناحية هم دادو وناحية قلوصنه وناحية صفت الحمارة وناحية اخناص المدينة وناحية كفرحيده وناحية القيس وناحية السوخ وناحية ريدة والذى يجهز من محصولات القرى المذكورة الى المدينة المذكورة وفقراء الحرمين الشريفين ومجاورين بها ماقدره من الحب اثنا عشر الف اردب ومن المال النقد ما جلته اثنا عشر كيسا فمكثت مدة تصرف السلطان محمد فى السلطنة تسع سنين وخمسة عشر يوما وتوفى فى وجب سنة اثنتى عشر وألف ﴿ثم تولى السلطان أحمد بن السلطان محمد﴾ ورسمه ثمان عشرة سنة وجلس على تخت السلطنة الشريفة فى ثالث رجب سنة اثنتى عشرة وألف وكان ملكا مهابا رقة التفات الى السلطنة الشريفة وقتل جماعة من وزرائه من جلتهم نصوح باشا توله لما آلت اليه الوزارة العظمى وتصرف فيها مع نفوذ الكلمة كثرت اتباعه وعمالكه حتى خرج عن طوره ورفع فى ألسنة العامة والخاصة وأشيع عنه مايوجب التيقظ لأموره فاقبل ● وعند صفو المبانى بعدت الكدر ● فقتل وقد عز رجل البقاء من جلة تحكم ابن السلطان احمد انه عمر جامعا بالقسطنطينية لم يعمل مثله فى اتساعه واحكام بنائه ودقة صناعته وغير ذلك مما يعجز عنه الوصف ومنها انه ارسل حجرا من الماس قيمته اثنا عشر الف دينار أو اكثر الى المدينة المنورة وأمر أن يوضع بالحجرة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهو موجود الى الآن ومنها انه حصل فى بناء الكعبة الشريفة ميلان فى بعض أحجارها فأرسل عدة امين قولا لذ سطلية عمرة بالذهب فطوقت بها الكعبة الشريفة من جوانبها الاربع وسخفلت الاحجار من السقوط ● ومن آثاره خيراته أيضا انه أرسل ميزابا من فضة مموها بالذهب ووضع موضع الميزاب العتيق وتسلم أمير الحاج الشامى الميزاب العتيق ووضعه فى قنطرة وأحسن عليه كسوة الحمل الشريف الشامى وخرج أمير الحاج الشامى أمامه وخلق كثير من العسكر المنصور وكباتاوه شاة بالطبل الزكى وكان يوم خروجه من مكة يوما مشهودا وذلك فى سنة اثنتين وعشر ين وألف وكان مؤلف هذا الكتاب حاجا فى السنة المذكورة وشاهد خروج الميزاب المذكور وأرسل الميزاب العتيق الى القسطنطينية ووضع بالخزانة العامرة تبركا ومن خيراته أيضا انه عمل حصانة يركب الحاج الشريف المصرى يحمل بها الماء للفقراء والماكين ووقف عليها أوقافا وهى مستمرة الى الآن وبها النفع العام ومن آثاره أيضا انه رتب من ريع أوقافه أيضا لفقراء الحرمين الشريفين وأرباب وظائفهم مازاد فى معلومهم فى كل سنة ما قدره اثنا عشر كيسا يحمل اليهم صحبة أمير الحاج المصرى ولا يخفى على أولى البصائر وذوى العقل الباهر ما لآل عثمان من الخيرات الطول الكامل فى اسداء المبرات وكثرة احسانهم وتواتر انعامهم واسعافهم وا كرامهم لاهل الحرمين الشريفين جبران الله وجبر ان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى هذين البلدين العظيمين المنيفين والتصدق عليهم والرأفة اليهم بكثرة الانعام فى كل عام فلاغرو أن نطقت بمدحهم أفواه الدفاتر وخطبت بذكرهم الاقلام على انهما خطباء والانامل فى اثنائها مناثر وشدت بذكرهم الاطيار فى أوكارها وأجابهم صاحى الصوادح طائعا أو كارها فلازالت الوية نصرهم منشورة الذوائب مشرقة كالشمس فى المشارق والمغارب ظاهرة السفور كعلبة حاطل طروس السطور والذى خطبه جامع هذه الاوراق المرتجى عفوربه الخلاق فقير حقير محمد بن امين بن وقد بطريق القريب فى هذا الكتاب ورسمه حسبما رسل اليه عمله من أفواه المباشرين والكتاب ان الذى يجهز الى فقراء الحرمين الشريفين ويجاور بهما فى كل عام من صدقة آل عثمان وخدمتهم ومن يأتى ذكره على من الديار المصرية حماها الله تعالى من كل ضر وبلية ماهو من المال النقد المعبى بالمصرة مائة كيس واربعة وستون كيسا بيان ذلك

الزكاب فضرب عنق الوزير وضرب به الثانية فى الزكاب والمتزل الخافقاء لاطفوه فقال ماهذا فهم على انهم ان مكنوه من بلادهم ابقيناهم عليها وجعلناهم أمراءها فقبل وجوز لنا ان نخون العهد ونغدر واذا أدخلنا أيناءهم فى جندنا فهم أولا دمسلمون ويغارون على دارهم وأما أولادنيهم فاصلهم ملك الفاغين ومنهم من وقف ومنهم من قامت ذريته من بعده فهل يجوز ان تنازع الملك فى املاكهم وأنا ازلت الوزير كراهة أن يغير على اعتقادى بشرار كلامه فرحم الله هذا الملك العظيم وهذا شأن الملوك وكانت مدة ملكه تسع سنين وثمانية أشهر وتوفى (وولى بعده ولده السلطان سليمان خان) بن السلطان سليم خان سنة ست وعشرين وتسعمائة فأقام تسعا

ماهومن اوقاف الدشيشة الكبرى أربعة وستون كيسا وماهومن أوقاف السلطان مراد سبعة عشر كيسا وماهومن وقف السلطان محمد اثنا عشر كيسا وماهومن وقف السلطان أحمد اثنا عشر كيسا وماهو من وقف الخاصكية عشرة أكياس وماهومن وقف الحرمين عشرة أكياس وماهومن وقف الاشرف خمسة عشر ألف نصف فضة وماهومن وقف الحلهم ثمانون الف نصف فضة وماهومن وقف رستم باشا اثنا عشر ألف نصف فضة وماهومن وقف اسكندر باشا عشرة آلاف نصف فضة وماهومن وقف سنان باشا عشرون ألف نصف فضة وماهومن وقف على باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهومن وقف على باشا اثنان وثلاثون ألف نصف فضة وماهومن الجب في كل عام ثمانية وأربعون ألف أردب وثمانمائة وثمانون أردبا كما هو مذكور في محله في هذا الكتاب وذلك خارج من صدقات البلاد الرومية والحلبية والشامية وغالب البلاد الاسلامية وذلك بمركة دعوة سيدنا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام حيث دعا لمن أسكنت من ذرية ولده اغرذي ذرع عند بيتك المحرم بناليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون فاجاب الله تعالى دعاءه وجعله حرما آمنا يجبى اليه ثمرات كل شئ فان أوديته مكة حجر يقلا تنبت جاء قال البيضاوى في تفسيره عند قوله تعالى فاجعل أفئدة من الناس ومن للتبعيض ولو قال لوقال أفئدة الناس لازدحمت عليهم فارس والروم ولحجت اليهود والنصارى وتوفى السلطان أحمد في عاشر شهر القعدة سنة تسع وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه أربع عشرة سنة وأربعة شهور وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان مصطفى ابن السلطان محمد) وهو آخر السلطان أحمد وجلس على تخت السلطنة الشريفة في ثالث عشر ذى القعدة سنة تسع وعشرين وألف وسكان في مدة ولاية أخيه السلطان أحمد في محل داخل السراية وهو نوع التصرف واذ اجتمع بالناس لايمكن من الخروج من السراية وعنده بعض أطفال يخدمونه وهو موصوف بالصلاح لا التفات له الى سلطنة ولا الى تصرف في أمر من الامور وكان كلما اجتمع بأخيه السلطان أحمد يقول له لاحاجة لى بسلطنة مطلقا وكان يشاور أن السلطان أحمد كلما خطر بفكره شئ من قبل أخيه السلطان مصطفى يقول له ارجع عما قصده فكان ذلك سببا للكف عنه ثم خلع مولانا السلطان مصطفى ليلة الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وأودع في جب داخل السراية وهذا نوع تصرف ما عدا روزنة لطيفة ينزل منها طعامه وشرابه وكانت مدة ولايته ثلاثة أشهر وعشرة أيام والله أعلم (ثم تولى السلطان المظلوم الشهيد عثمان ابن السلطان محمد) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الاربعاء ثالث ربيع الاول سنة ثمان وعشرين وألف وسنه احدى عشرة سنة وهو مع صغر سنه كان عالما وأسد ضرغام وماكان يتصرف واستقام له الحال توجه بذاته الشريفة وصاكره المنيفة الى غزوة طائفة من النصارى المعروفة بالقبنجين جنس الروس خانه بلغه منهم أمور قبيحة وخروج من الطاعة وايذاء للمسلمين فوطئ بلادهم بخيله ورجله وقتل منهم من قتل وأسر من أسر فأذعنوا له وافتقروا الى ان يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون وعاد الى تخت ملكه مؤيدا منصورا وأقبلت عليه البشائر بعد ذلك بشائع الخير من الداخل ان السلطان عثمان قصد الحج الى بيت الله الحرام والفوز بزيارة قبر خير الانام عليه أفضل الصلاة والسلام وبعد تمام الحج يحمل ركابه السعيد بصر المحروسة لاجل احتياطه بامورها فبلغ ذلك الخبر مولانا محمود افندى الوفى المارف ببعض الوزراء وأكابر الدولة فأشاروا على مولانا السلطان عثمان بترك هذا الوارد وبانه ما تقدم لاحد من آل عثمان من مثل هذه الحركة وان فيها ضررا ظاهرا والرعايا والعساكر المنصورة فلم يقبل لاحد منهم اشارة ولم يلتفت لما قالوه وصمم على هذا الامر أشد تصميم لامر أراده العزيز العليم ثم في يوم الاربعاء سابع رجب سنة احدى وثلاثين والف أثرت فتنة باسطنبول بسبب هذه الحركة المتقدم ذكرها فقتل بها خلق كثير من الاكابر والاماثل وغيرهم من جملتهم سليمان أغا وردا أغا الوزير الاعظم واختفى السلطان عثمان وتؤل من السراية الى أسطودار

وآر بعين سنة وتوفى ستة خمس وسبعين وتسعمائة وكان سلطانا سعيد المربل مصر من بنى عثمان مثله وصلت سراياه الى أقصى المشرق والمغرب وفسزا بنفسه ثلاث مشرة غزوة وبنى مدرسة عظيمة مشهورة بالسليمانية وله بيمارستان للمرضى وبازالى مشهور قائما بنصر الدين وتاييد الشريعة الى أن توفاه الله تعالى فى الآن أيامه من فرط الزمان وجملة وزرائه بمصر خمسة عشر وزيرا (وفى بعده ولاه السلطان سليمخان الثانى) فأقام فى السلطنة ثمان سنين وشهرا واحدا وأربعة عشر يوما وساعات فى شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة وكان حليما عظيما وسلطانا حكيما شهما مطاعا أحيا سبيل الجهاد وجدد فتح البلاد

لاجل الاجتماع بمحمود أفندى المشار اليه فطرق عليه الباب فلم يمكنه من الاجتماع به بسبب عدم قبول فهمه بهيئة أول مرة فكان ذلك قبيل الغروب ثم عاد الى السراية الكبرى فوجد جماعة وقوفا فلم تفتح له فرجع على أثره الى قزل حسين باشا وأنابه ثم توجه ببكرة النهار وحسين باشا الى منزل أغات البشرية وابرام السلطان عثمان على حسين باشا وأغات البشرية بالتوجه الى العسكر المنصور وأخذ خواطرهم وان يعطيهم مايريدون ويدفع مايتعذرون منه ويكرهونه فقالا لايتيسر ذلك الآن بمقتضى أنهم أخرجوا السلطان مصطفى من الجب وأجلسوه على تخت السلطنة الشريفة فأيهم السلطان عثمان على أغات البشرية فى ايصال هذا الكلام الى العسكر المنصور فاوسعه مخالفته وسلم الامر الى الله تعالى لانفاذ القدر المقدور فلما وصل اليهم وقرأ كراهم ماذكره السلطان عثمان لهما كان جوابهم الآن قطعوه بالسيوف أو بالرقوه وفورا الى بيت أغات البشرية وأخرجوا السلطان عثمان وجاؤا به للسلطان مصطفى فلما قابلا قابلتا كاره عاصلا لان أخذوا السلطان عثمان ونزلوا به فى خانق وتوجهوا به الى المكان المعروف بيدى فلقبات به فلما أصبح الصباح ماديه داود باشا بالخانق وهو ميت لاروح به ولا حركة فأدخل الى السراية الكبرى وأذن للناس اذنا ماأتى الصلاة عليه ثم دفن بتربة والده المرحوم السلطان أحمد التى أنشاها عند جامعه وكان له مشهد مشهور تباكت عليه الزمايا والعساكر المنصور ثم بعضهم على بعض الذى كان سبب ذلك ونشأ بعد ذلك فتن كقطع الليل المظلم من قال وقيل وشد مرذلك عما يطيب كتبه ولا يستطاب اذاعته وبعد ذلك قتل داود باشا أشر قتلة وقتل معه جماعة من الاكابر ولا يعلم ماحدث بعد ذلك الا الله تعالى وكانت وفاة السلطان عثمان يوم الخميس تاسع رجب سنة احدى وثلاثين وألف ومدة تصرفه أربع سنوات وأربعة أشهر وأربعة أيام وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال

قتلتموه ظلما لكم ✽ وخنتموا ماعكم أما تخافون فتنة ✽ تاريخها ظلما لكم

وقد نظم بعضهم أيضا تاريخا فقال

مات سلطان البرايا ✽ وهوى الاخرى سعيد ✽ قال فى الحانب ارخ ✽ ان عثمانا شهيد

١٠٣١

(ثم أعيد مرة ثانية السلطان مصطفى الى الملك ثانى مرة) وجلس على تخت السلطنة الشريفة يوم الخميس ثامن رجب سنة احدى وثلاثين وألف خلد الله تعالى ملكه على الاسلام والمسلمين وجعل ظل سلطانه فى يوم يمتن وانام الانام فى ظل أمانه ومعدله المكين لازالت ان شاء الله تعالى دولته ماشية وآية ملكه تتلو هل أتاك حديث الغاشية وأبقاه على سرير السلطنة الباهرة دهر الداهر ولا برئ له على منهج الكتاب والسنة ولى تجد لسنة الله تحويلا ولا وجعل السلطنة باقية فى عقبه الى يوم التناد وأنار برهانه على ظلم الظلم والفساد بجاه سيد ولد آدم أفضل العباد الله كريم جواد لطيف بالعباد

﴿ لباب العاشر فيمن تصرف فى مصر من جانب آل عثمان المعظم من الوزراء والبشوات المختص بايراد أخبارهم ومدة اقامتهم بالديار المصرية وبعض أحكامهم بها ﴾

(أول من تقرر باشا بمصر خير بك أمير الامراء) جوهد سابق له فى ذلك من المرحوم السلطان سليم وذلك فى أوائل رجب سنة أربع وعشرين وتسعمائة ورجعا ماطمعت منه الى أن عوجت فتوفى فى عاشر شهر صفر سنة ست وعشرين وتسعمائة فخدمته تصرفه سنتان وتسعة أشهر وثلاثة أيام (ثم تولى مصطفى باشا) وكان دخوله فى أوائل شهر رجب سنة سبع وعشرين وتسعمائة وعزل فى سادس عشر شهر الحجة سنة ثمان وعشرين وتسعمائة فخدمته تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر وعشرة أيام وكان الله تعالى أعلم (ثم تولى قاسم جزل باشا) فكان دخوله سنة تسع وعشرين وتسعمائة وخروجه من مصر فى أوائل سنة ثلاثين وتسعمائة وكانت مدة ولايته سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى أحمد باشا الخائن) فى شهر صفر سنة ثلاثين وتسعمائة والسبب فى قوله ان المرحوم السلطان سليمان لما حلس على تخت الملك صادف زير والده

منها جزيرة قبرص وكان أول من افتتحها أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى ايام الملك الاشرف برسباى ثم صاروا يغيرون ويقطعون الطريق فى البحر على المسلمين فاستفتى السلطان سليم فيهم المفتى أبا السعود فافتاه بانهم ناقضون للعهد فجهز اليهم وظفره الله بهم وحمله مؤزرا الى مصر أربعة منهم سنان باشا صاحب الخيرات والعمارات (ثم قولى بعده ولده السلطان مراد خان الاول) ابن السلطان سليم الثانى سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة فأقام فى السلطنة اثنتين وعشرين سنة وتوفى سنة ثلاث وألف وكان ملكا مقدما وسلطانا ناضرا ظاهر مآثره مدرسة بخطبة باسلامبول وفى أيامه تحركت عساكر البحر فأرسل خاير بك وشا كثيرة وافتتح منها المدن

المرحوم السلطان سليم وهو محمد باشا الصدر يق فأبقاه على الوزارة العظمى وكان محمد باشا كبير السن بطيء الحركة فى قيامه وقعوده وتصرفه والملوك لا يليق بمقدمتها الامر يكون له حركة ومبادرة للامور فاستعفى من الوزارة ورفى مكانه أود ابا شا وكان أقدم منه فى الخدمة المذكورة محمد باشا وكان مؤملا ان الوزارة العظمى لا تتعداه فجزاه اخراهيم باشا وجلس بقونقريه من السلطان قشكاه ابراهيم باشا السلطان قدير فى ازالته واعطاء باشوية مصر بسبب ذلك خاطره وصار ابراهيم باشا يتعقبه للعداوة السابقة ويرصد به عباو جب قتله فبرز الامر لجماعة الامراء المحافظين بمصر أن يجتمعوا عنده ويقتلوه فى محل بالامر الشريف وبولوا احدهم مكانه الى أن يرد الامر الشريف بإقامة باشا وأرسلت الاحكام الى الامراء بمصر فوقع الامر فى يد أحد باشا قبل ان وصل الى الامراء فصولت له نفسه العصيان وانه يقاتل يعيش يلفقه من مصر فأبدى الطغيان وادعى السلطنة وضرب السكة باسمه على الدنانير والدراهم وسمى بقلعة الجبل وكان قد حبس عنده بالقلعة أمير بن كبير بن وهب جانم الحمزاوى ومحمود بن أراد قتلهما وقد اتحوا الله تعالى أجلهما معه الله ودخل الحمام فكسر الحديد وخرجا ونصبا سجفا عند السلطان نيابة عن أطلع الله ورسوله والسلطان نايف تحت الصحيق فوقف تحت الصحيق السلطانى خلق كثير وجم غفير وسار صر دراهم جانم الخمزاوى وهو رد بل ووجهها إلى العسكر الى الحمام فكبسا الحمام على أحمد باشا وكان قد حلق نصف رأسه وأنجمله من حلق النصف الثانى هجموا العسكر فهرب الى سطوح الحمام وتسلق من مكان الى مكان الى أن وصل الى البرقية فهجموا جميع ما عنده من السلاح وغيره ثم انهم اقتفوا أثره وأدركوه بمقبة جناح بالغربية فقتلوه فى أواخر سنة ثلاث وتسعمائة وحزوا رأسه وجى بها الى مصر وعلقت فى بابزويلة ثم جهزت الى الاعتاب الشريفة فكانت مدة تصرفه بمصر سنة واحدة والله تعالى أعلم (ثم تولى ابراهيم باشا) الذى صار وزير الأعظم وكان دخوله فى أوائل سنة احدى وثلاث وتسعمائة وخرج وجه من مصر فى شهر شعبان من السنة المذكور ومقدة تصرفه سبعة أشهر (ثم تولى سليمان باشا الخادم) فى تاسع شعبان سنة احدى وثلاث وتسعمائة وفى زمنه حوقت الدفاتر الموضوعة بديوان مصر الهرر سنة وفى سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة عين الامير كيوان مباشرة قرى مصر وضبط أراضيها كل أقليم على حدته من الاطيان السلطانية والرزق والاوقاف والاقطاعات وغير ذلك وكتب بذلك دفاتر محررة ووضعت بديوان مصر المحروسة وهى معمول بها الآن ومشار اليها وتعمى دفاتر تاريخ سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة وعمر أيضا جامع بقلعة الجبل وعمر سليمان باشا جامعا بولاق القاهرة ويجواره وكمل رأسوان وبوسم وغير ذلك مما تولى المرحوم الامير محمد بك أمير الوا بالديار المصرية نظر اعلى أوقاف سليمان باشا زاد فى الجامع المذكور زيادة حسنة ورفع سقفه فصار الآن فى غاية الحسن والكمال مقام الشعائر الاسلامية وعمر أيضا جامع سارية بقلعة الجبل وعمر أيضا كمل رشيد وغير ذلك ثم رد وعليه أمر شريف بالتوجه الى اليمن فكانت مدة تصرفه بمصر تسع سنين واحد عشر شهرا وستة أيام (ثم تولى خسرو باشا) فى عشرى شهر رمضان سنة احدى وأربعين وتسعمائة وعمر فى ولايته صهريجا بباب النصر من بمصر وبه النفع لشاردين والواردين فتصرف الى سادس جمادى الآخرة سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه ستة وثمانية شهور وستة أيام والله أعلم (ثم عهاد سليمان باشا الخادم الى باشوية مصر) فعاد وده من اليمن فى حادى عشر شهر رجب سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة فتصرف الى الحادى عشرى محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحدة وخمسة أشهر واحد وعشرين يوما (ثم تولى داود باشا) فى سابع محرم سنة خمس وأربعين وتسعمائة وجى فى ولايته مدرسة عظيمة محكمة البناء بسوق قصبة الولاة بمصر المحروسة ووقف لها أوقافا وهى باقية الى الآن مقام الشعائر الاسلامية فتصرف الى ثالث عشر ربيع الاول سنة خمس وخمسين وتسعمائة فكانت مدته احدى عشر سنة وشهرا واحدا وعشرين يوما وتولى بمصر المحروسة ودفن بالقرافة (ثم تولى مصطفى باشا صفصاف) فى خامس ربيع الاول سنة ست

وجملة وزرائه بمصر ستة اولهم مسيح باشا صاحب المدرسة المسيحية بباب القرافة (ثم تولى بعده ولده السلطان محمد خان الاول) ابن السلطان مراد خان الاول سنة ثلاث بعد الالف فاقام فى السلطنة تسع سنين الاشهرا وتوفى فى سادس رجب عام اثنى عشر وألف وجملة وزرائه بمصر أربعة منهم السيد محمد باشا الذى جدد عمارة الجامع الازهر ورتب له العدس يطبخ كل يوم وهو المشهد الحسينى (ثم تولى بعده ولده السلطان أحمد خان) ابن السلطان محمد خان فى رجب سنة موت والده فاقام فى السلطنة أربع عشرة سنة وأربعة أشهر ومات سنة ست وعشرين وألف وبلغ من العمر ثمانيا وعشرين سنة وخلف أربعة عشر كور

وخمسين وتسعمائة ومكث الى رجب من السنة المذكورة فكانت ولايته أربعة شهور ونصف شهر والله أعلم (ثم تولى على باشا) فى خامس شعبان سنة ستة وخمسين وتسعمائة وتصرف الى غاية محرم سنة احدى وستين وتسعمائة فكانت مدته أربعة سنوات وخمسة وعشرين يوما ولما انصرف من باشورية مصر توجه الى الاعتاب الشريفة فانتقلت به الاحوال الى ان ولى الوزارة العظمى فاحسن فيها السلوك وساوى بين الغنى والصعلوك وصار محمودا فى جميع تصرفاته مع الثناء عليه (ثم تولى محمد باشا الشهير بدوغرلكين زاده) فى أول صفر سنة احدى وستين وتسعمائة وتصرف الى عشرى شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وستين وتسعمائة فكانت مدته سنة واحد وشهرين وتسعة عشر يوما (ثم تولى اسكندر باشا) فى جمادى الاولى سنة ثلاث وستين وتسعمائة وتصرف الى غاية رجب سنة ست وستين وتسعمائة فكانت مدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر وثمانية أيام وفى ولايته عمر المدرسة التى بباب الخرق المطلة على الخليج وهى منيفة محكمة البناء وعمر تكية لجعاجها وسبيلا بجوارها، رسمة وقد عمل له بعض الفضلاء تاريخا وهو رسم اقمه من دنانير ٩٦٦ ووقف على ذلك أوقافا عرفهم فى غاية الخمس والانتظام لله الحمد والمنة (ثم تولى على باشا الخادم) فى سابع عشر شعبان سنة ست وستين وتسعمائة فتصرف الى سادس صفر سنة ثمان وستين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وستة أشهر (ثم تولى شاهين باشا) فى ثانى ربيع الاول سنة ثمان وستين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين وتسعمائة فكانت مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا الصوفى) فى أول رجب سنة احدى وسبعين وتسعمائة ونصرف الى غاية رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فكانت مدته سنتين وثلاثة أشهر (ثم تولى محمد باشا المقتول) وكان دخوله يوم الاربعاء تاسع عشر رمضان سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة فتصرف الى ان قتل يوم الاحد تاسع عشرى شهر جمادى الآخرة سنة خمس وثمانين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنة واحدة وتسعة أشهر وعشرين يوما وقد نظم بعض الفضلاء تاريخا لقتله فقال

موت محمود حياة ● فيه للعالم رحمه قتله بالنار فور ● وهو فى التاريخ يظهر

(وقال بعضهم)

١٧٠

أتى محمود باشا يوم قتلى ● فسألته منيته فصيبه ● فباشا العاصر ثم شاف حيط
بقيط جاءه منه مصيبه ● وبندقه رماه كه رام ● فصر رها جاءته مصيبه

(ثم تولى سنان باشا) فى ثالث عشرى شهر رمضان سنة خمس وسبعين وتسعمائة وتصرف الى ثالث عشر جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه ستة أشهر وأربعة عشر يوما ثم ورد عليه أمر شريف من الملك بان يتوجه الى فتح بلاد اليمن واسترجاع عامر بن داود من العصاة فتوجه اوعمه جماعة من أكابر سنجاقى مصر وكان رمضان ان استصحبه للصناجق لامر بنه بوالده وقتيل محمود باشا ولم يرجع من الصناجق أحد وقد البقاء لله سنان باشا اليمر واستقامت له امور اليمن أيدى الله عساكره ونشرت علمه ورقطع دابرهم وقد ألف القطبى تاريخا لهذا الفتح وسماه البرق اليمانى فى الفتح العثمانى فليراجع من شاء ذلك فى حسن انسجامه وفكاهته فمن أراد ان يقرط طرفه ويطلع على ما أودعه فيه من الدرر المكنوب فليطالعه وبه قصيدة لا بأس بايراد أبيات منها أولها

لك الحمد يا مولاى فى السر والجهر ● على عزة الاسلام والفتح والنصر
كذا فليكن فتح البلاد اذا سعت ● لها الهمم العليا الى أشرف الذكر
جنود زهت من كوكبان نيامها ● وآخرها بالنيل قد شاء المصر
(ومنها) سنان هزير القدر يوسف صبره ● ألم تره فى مصر أسكاه قبرى
تدلى الى أقصى البلاد بجيشه ● وبدد ملكا دعفرين باشر

عثمان ومحمد ومراد وأبا يزيد وله خيرات وعمارات بالحرمين وغيرهما وله جامع عظيم بالقسطنطينية أنفق عليه مالا كثيرا ورحلة وزر الله بعصرته (وتولى بعده أخوه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان سنة سبع وعشرين وألف وخلع سنة ثمان وعشرين وألف ولم يسلم قبله أحد من سلاطين آل عثمان (وتولى يوم خلعه ابن أخيه السلطان عثمان خان) ابن أحمد خان وهو مراهق فأمر باكرام عمه السلطان مصطفى المخلوع وخرج السلطان عثمان المذكور الى جهاد الكفار بنفسه وغاب فحوسبعة أشهر ثم عاد منصورا مؤيدا ثم عزم على الحج وأفضى الحال الى مثل فتنة سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت

وشتت شمل المحدثين وردهم ● مثال قرود فى الجبال من الذعر
وقطع دابرهم من كبار وصغرهم ● له بالحن السرحان والطير كالنمر
وكان عصى موسى تلقف كلما ● يلاعن صنيع الملحدين من السحر
(ومنها) وما يحسن الا عمائك تبع ● ونا جهلة من ملك قديم ومن حمر
وقد ملكتها آل عثمان اذ مضت ● بنو طاهر أهل الشآمة والذكر
فهل يطمع الزيدى فى ملك تبع ● ويأخذ هل من آل عثمان بالمكر
ابى الله والاسلام والسيف والتقا ● وعمر امام المسلمين ابى بكر

(ثم قولى اسكندر باشا الفقيه) الجركسى فى رابع جمادى الآخرة سنة ست وسبعين وتسعمائة تصرف الى غاية المحرم سنة تسع وسبعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وسبعة شهر وخمسة عشر يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم حاجه سنان باشا من اليمن) وتصرف فى باشوية مصر من أول شهر صفر سنة تسع وسبعين وتسعمائة وقرره ماكر جملة وآثار حميدة وخيرات - سيما لا تنتظم على توالى الايام بعد مساجد وربط وتكايا وحوامع بالديار المصرية والشامية والرومية والفيوم والبنادر ولم يكن أحد من خدمة آل عثمان أنشأ خيرات مثله ثم توجه بذاته الى زيارة القطب العلوى سيدى أحمد البدوى فى تاسع شهر ذى القعدة سنة تسع وسبعين وتسعمائة فبلغه ان الامير منصور بن بعد أمير ولاية المنوفية صغير السن متلاعب لا يلتفت الى التصرف فى ولايته وهو مشغول على القفات واتباع الشهوات واستولى على عقله جماعة من السفهاء من المنسوبين اليه وهم متصرفون فى ولايته كيف شاؤا وعند قرروا فى نفسه وهو متمسك بحبل ظهر الوزير الاعظم سياوش باشا ذاته مكث عنده بالقسطنطينية مدة وكان عهده أن لا تقرر لاحد على مزله لحشى سنان باشا من خيرات الاموال الديوانية وخلل يحصل بايالم المنوفية فقبض على الامير منصور وعزله فى رابع عشرى شهر القعدة المذكور وولى مكانه الامير مملاى من بغداد واستمر الامير منصور مسجونا فى البرج بقلعة الجبل بمصر الى سنة تسع وسبعين وتسعمائة الى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة الى أن قدم حسن باشا الخادم وأطلقه وولاه المنوفية على عادته فكانت مدة حبسه لهو عشر سنوات ومدة تصرفه بالمنوفية الى أن عزله أويس باشا عشر سنوات سنتان قبل حبسه وثمان سنوات بعد اطلاقه من الحبس فولايته - معادة الحبس - وهذا اتفاق عجيب فكانت مدة تصرف سنان باشا فى الولاية الثانية سنتين وتوجه الى الاعتاب العالية فولى الوزارة العظمى وفرحت الناس بولايته والله أعلم (ثم قولى حسين باشا) فى سادس عشر محرم سنة احدى وثمانين وتسعمائة فتصرف الى غاية جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة مدة تصرفه سنة واحدة وعشرة أشهر ونصف وفى زمنه حصل غلاء عظيم وقحط حتى أكلت الناس بزر الكتان وأعقب ذلك موت جماعة الى أن الرحل والمراكب الخادم اذ توجه من عزله لاجل قضاء مصلحة تركه المنية فيموت من غير ضعف ولا ألم واستمر ذلك مدة والله سبحانه أعلم (ثم قولى مصبح باشا الخادم) فى أوائل سنة اثنتين وثمانين وتسعمائة وكان ذا مهابة متصفا بالعدل والعفة يكره أهل الفساد واللصوص ويقطع الطريق ويتجسس عن أخبارهم ومواطنهم ويرسل لمسكام الاقاليم فى احضارهم ويقتل منهم من يظفر به ويشنع فى قتله وبسبب ذلك رجع أهل الفساد عن فسادهم واختفى أرباب الفهم وانتظم الحال فى زمانه وامنت الرعايا على أنفسها وأموالها وألقى الله الرعب فى قلوب الحكام والكشاف والولاة حتى انه كفت أيديهم عن التصرف فى الامور والخارجة عن الشرع والقانون وعمل شنكلا من حديد لقتل المفسدين بالرملة ويولاق وبالشون بمصر العتيقة وظفره الله بالمفسدين ووقعت ناذرة غريبة لا بأس بايرادها وهو ان بعض من الوطاة أخبر فى شفاهانه كان يوما بعند القاضى محب الدين الظاهرى كاتم أسرار السلطنة الشريفة العثمانية بالديار المصرية ثم ان القاضى محب الدين المشار اليه لما شرع فى بناء قاعة مجاورة لبيته بالكائن بمصر المحروسة بباب سر

سنة أربع ضنوات وأربعة أشهر وعشرة أيام وجملة وزراء السنة (ثم تولى بعده سنان باشا المطرطاى) الذى كان مخلوعا فأقام فى السلطنة سنة ثم خلع ومات بعد خلعه بأيام وتولى بعده ابن أخيه السلطان مراد خان ابن السلطان أحمد خان سنة اثنتين وثلاثين وألف فأقام فى السلطنة ست عشرة سنة واحد عشر شهرا وخمسة أيام تهمات تاسع شوال سنة تسع وأربعين وألف وجملة وزرائه بمصر سنة أيضا (ثم تولى بعده أخوه السلطان ابراهيم خان) ابن السلطان أحمد خان ووافق تاريخ توليته (استعنت بالله) فأقام فى السلطنة ثمان سنين وتسعة أشهر ثم خلع وفى اليوم الثالث قتل (وفى ذلك اليوم تولى ابنه السلطان

الصالحية وابتدأ في حفر أساسها فوجد تحت الارض قاعة وبوسطها قبة لطيفة معقودة بالجبس والمؤن المحكمة فهدمها فوجد هم اصندوقا لطيفا فيه زجاجة تقارب ان تكون ظرفا لرطلين فيها زئبق ثلاثة أرطال فقتحها فوجد بها شيأ يشبه الدهن ولم يعلم ما جنسه فاطلع عليه بعض جلسائه فلم يعرف أحد ما هو فأشار واعليه أن يطلع عليها المرحوم الشيخ مصرى الدين الصائغ الحكيم رئيس الحكماء بمصر فأحضره واطلع عليها فعرف ما بها لكن لم يخبر وقال دعني أراجع كتب الحكماء وتركه وطلع من فوره الى مسيح باشا وأخبره انه وجد كنزا عظيما ولا بأ خذ جائزة الا كثر واذا عدها نيابة في الجوالي فأجابه لذلك فقال ان القاضي محب الدين الظاهري وجد عندي ما هو خوبة قنينة دهن اكسير اذا رضع منه درهم على قنطار من القزدير أو الرصاص صار ذهبا خالصا فاحضر القاضي محب الدين وأمره باحضارها فاحضرها فورا واختبرها فيما فوجد كما قيل ثم ان مسيح باشا جمع كثيرا من الموالي وأكابر الدولة والصناجق وأطلعهم على ذلك ثم أرسل القنينة بعد الختم عليها الى خزانة المرحوم السلطان مراد والقاضي محب الدين لم يتأسف على ذلك ولم يعاتب الشيخ مصرى الدين بكلمة واحدة وبنى مسيح باشا مدرسة ومدفنا له بالقرافة ووقف على ذلك أوقافا وكان يؤمل ان يدفن بالمدفن المذكور وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت فتصرف الى ثانى عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانمائة وكان تصرفه خمس سنوات وستة أشهر وخمسة عشر يوما (ثم تولى حسن باشا الناظم) في سادس عشر جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وتسعمائة وقد نظم بعض الفضلاء عزل مسيح باشا تاريخا فقال

والله ترجو ان تراه كما هيه ● وبه ترى الكرب بات عنك تنجلى

ولطالب التاريخ زين القول خذ ● أرخ مسيح اثر حسين ولى

وفي زمنه بنت اليهود الطراطير الحرر والنصارى البرانيط السود وكان قبل ذلك ليس اليهود العمائم أصفر والنصارى العمائم الزرق وكان حسن باشا يحب المال من محله ومن غير محله وحملت منه مصادرات لبعض أكابر مصر من أولاد العرب وغيرهم وكالة بولاق القاهرة بتجاه التاجمعة وصيرها مقابلها بها علوه مكتب أيتام وكان قصده ازالة التاجمعة وبنى مكانها جامعا فما تمكن من ذلك فتصرف الى ثالث عشرى شهرى بيمع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا وثمانية عشر يوما وانتوجه الى الاعتاب الشريفة حصل له مشاق وأهوال وبعد ذلك تغلبت به الاحوال وولى الوزارة العظمى ثم عزل وقتل وهو غير محمود والله تعالى أعلم (ثم تولى الوزير ابراهيم باشا) في رابع عشرى بيمع الآخر سنة احدى وتسعين وتسعمائة ودخل مصر في موكب عظيم لم يعهد لاحد مثله وفرحت الناس بقدومه واستبشروا بالخير وكان يسوده أمر غريب بالتفتيش على حسن باشا المذكور وكان مؤملا ان يظفر به ويقبض عليه فسبقه بالتوجه عنه وكيلا في الاعتاب وأثبت عليه غالب ما أخذه ثم ان ابراهيم باشا توجه بنفسه الى بئر الرمز فدافعا بها عن ظنه منها بالرمز الى النفيس وتوجه الى الاهرام بعد ذلك وأراد الوقوف على ما بها وأمر أن تزل جماعة الى الهرم الكبير بشموع مطيبة ليضيء وبها يعاينوه فلم يظهر لذلك نتيجة ثم توجه الى دمياط ثم الى المحلة الكبرى وهدم كنيسة كانت بها وعمر ها مدرسة وسماها الوزير به ثم عهد بعد ذلك الى زيارة القطب الربانى والولى الصمداني سيدى أحمد البدوى عمر به كانه فزاره واحسن الى مجاوريه ثم توجه الى المحلة المرحوم ثم رجع الى مصر فكانت ولايته سنة واحدة وتسعة عشر يوما وتوجه الى الاعتاب الشريفة في شهر شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة (ثم تولى سنان باشا الدفتدار) باعانة ابراهيم باشا الوزير في ثالث عشرى شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة فتصرف الى ثالث عشرى شهر ربيع الآخر سنة خمس وتسعين وتسعمائة فكانت مدة تصرفه سنتين وستة أشهر وعشرة أيام واستعمر فيها مصر المحروسة الى ان قدم أويس باشا وتزل بناحية شبرا قريبا من بولاق فارسل هدية الى أويس باشا من جملتها حصان اشهب وهو مسرج مسمر مسج وعدة

محمد خان) وكان عمره تسع سنين فأقام في السلطنة احدى وأربعين سنة ثم خلع سنة تسع وتسعين وألف (وتولى ذلك اليوم السلطان سليمان خان) ان السلطان ابراهيم خان فأقام ثلاث سنوات وشهر اوماتت سنة اثنتين ومائة وألف (وتولى بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان) فأقام في السلطنة ثلاث سنين وتسعة أشهر وماتت سنة ست ومائة وألف (وفي هذه السنة) لم يطلع النيل بمصر ولم يحصل كما ذكره فارتفعت الاسعار واشتد الكرب على الناس من الغلاء وخصوصا الفقراء حتى أكلوا الميتة ثم كثر الموت من الطاعون حتى صار الناس المشيعون للجنائز يسقط منهم الكثير فيموتون وهم سائرون فكانت لا تطلع طريق من

تليق بالمرسل اليه وكان يؤمل ان أويس باشا احال ملوكه من المركب الى أوطاقه المنصوبه له ثم ركب الحصان المذكور فعدل عنه وركب اكديشا أشهب كان أحضره معه من الديار الرومية ثم ان سنان باشا قدم الى ناحية شيرا وقابل أويس باشا عند مغرب الشمس فشاهد الهيئة الحاصلة في وجه أويس باشا فعلم ذلك وداخله أمور تخوف منها فارتحل من عنده الى مصر اخفى وتأخر بعده ذلك الا بالديار الرومية (ثم توفي اويس باشا المشار اليه) في ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وتسعمائة وفي زمنه حصلت الفتن بمصر المحروسة وتحركت العساكر وقتل من قتل وهرب من هرب ومنعت أولاد العرب من الدخول في العسكر المنصور ومن التشبه بلباسهم وحدثت المطالب وحصلت المناهب من وجوه شتى وقيل ان هذه الحركة كانت باشارة أويس باشا فسبحان عالم الغيب وفي يوم الاحد المبارك رابع شهر صفر سنة تسع وتسعين وتسعمائة حصلت زلزلة بمصر بعد ظهر اليوم المذكور فحكمت درجة وسدسا وسقطت منها منارات وبيوت وربوع وفاض الماء من حيطان الحمامات ومطاهر الجوامع وحدثت عقبة أبلاق بمصر جميع ما كان فيها من ذخيرة الحجاج والحاجاج وسقطت حفرات من الجبال بطرق بقي منكوبا وقوع الزلزلة المذكورة كان مؤلف هذا التاريخ اذ ذاك يبيت بقلعة الجبل بمصر فشاهد جهات حوش البيت المذكور وهي تتمايل والحائط القبلي سقط منها بعض أحجار وكان بالحوش المذكور بدرة كبير فصارت تتمايل عن اماكنها الى ان سكنت فلما وقع ما وقع من هذه الزلزلة وقد نظم بعض الفضلاء تاريخها فقال

اقترب الامر فاعتب ● عثلا للموعظه ● زلزلة قد أرعبت ● تاريخها وهي عظه

٩٩٦

وفي يوم الاربعاء عاشر جمادى الاولى من السنة المذكورة حصلت زلزلة عند طلوع الشمس مكثت مدة يسيرة وقد ذكر جماعة أن جانبا من الجبل المقطم بالقرب من البنتون بشرق الطبقة الفرق ثلاث فرق ونزح من كل فرق عين ماء أبيض من اللبن وأحلى من العسل وأشد ما يكون في الجريان ذكر ذلك جلال السيوطي في كتابه المسمى بكشف الصلصلة في وصف الزلزلة فقال أخرج أبو الشيخ ابن حيان في كتاب العظمة وابن أبي الدنيا من ابن عباس قال خلق الله جبلا يقال له قاف محيط بالعالم وهو رقه الى الصخرة التي عليها الارض فاذا أراد الله أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل أن يحرك العرق الذي بتلك القرية فيزلزلها وعرقا وهو ثم تحرك تلك القرية دون غيرها وان أول زلزلة وقعت في الدنيا حكى المفسرون ان قابيل لما قتل هابيل رجفت الارض سبعة ايام وأخرج الحاكم في صحيحه عن أبي برزة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل الله عذاب أمتي في الدنيا القتل والزلازل والفتن وفي خلافة المأمون وقعت زلزلة عظيمة بخراسان دامت سبعين يوما وفي سنة خمس وأربعين ومائتين في خلافة المتوكل زلزلت الارض شرقا وغربا وسقطت الحصون والاسوار وخربت المنازل بالغرب وبمصر والشام وانطاكية والمدائن حتى خرج أهلها الى الصحارى وانقطع الجبل الاقرع بانطاكية وسقطت منه قطعة عظيمة وقعت في البحر وارتفع منها دخان أسود ومتن وفي سنة ثمانين في خلافة المعتضد ورد الى مصر شخص من أهل قرية اردبيل اخبر ان في شهر شوال في السنة المذكورة كسف القمر وأصبحت الدنيا مظلمة الى العصر فهبت ريح سوداء فدامت الى ثلث الليل وأعقبها زلزلة عظيمة أذهبت ثلث بنيان المدينة وكان عدة من أخرج من تحت الردم مائة وخمسين ألفا وفي خلافة المطيع سنة سبعين ومائتين وقعت زلزلت مصر زلزلة عظيمة أذهبت ثلث عامر المدينة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفي سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة كانت الزلزلة العظيمة المعروفة بزلزلة حماه هدمت ثلاث عشرة مدينة وهي حلب حماه المعرة شيزار كفطاب أقاميه حمص حمص الا كراد هدمة الا القليل قيطربلس انطاكية بل جوبر بسبب هذه الزلزلة العنق والدعاء والتضرع والتكبير والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها فدفع كل بلية

طرق مصر من أموات مطروحين فيها لا يعرفهم أهل ولا مسكن ووفى الله تعالى بعض الامنية بحمل الاموات الذين في الطرقات والحارات ورسولهما مع خدمهم الى المغسل السلطاني فيغسلونهم حتى يصيروا ماثلين في آخر النهار فيغسلونهم ويكفنونهم ويضعون كل ثلاثة أو أربعة في نعش واحد ويرسولهم الى المقبرة ثم وفق الله تعالى وزير مصر اسمعيل باشا فكمل الوفا من الاموات (ورد بعد موت السلطان أحمد خان ابن السلطان ابراهيم خان سنة ست المذكورة (توفي ابن أخيه السلطان مصطفى خان) ابن السلطان محمد خان فاقام في السلطنة ثمان سنين وشهرا وخلع سنة خمس عشرة ومائة وألف (وتوفي بعده أخوه السلطان أحمد خان ابن السلطان

وتزيل قل كريص كرب الدنيا والآخرة (ذكر السكاكل الدميرى فى حياة الحيوان) قال وهب بن منبه كانت الارض كالسفينة تذهب وتجيء فخلق الله صخرة بكماق نهاية العظم والقوة وامره أن يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فدخل تحتها وأخرج يديه من المشرق ويديه من المغرب وقبض على أطراف الارض وأمسكها ثم لم يكن لقدميه قرار فخلق الله صخرة من ياقوتة حمراء فى وسطها سبعة آلاف شعب يخرج من كل شعب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم أمر الصخرة فاستقرت تحت قدمى الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله ثورا عظيما له أربعة آلاف عين ومثلها آذان ومثلها أنوف وأفواه والسعة قوائمه بابن كل اثنين منها مسيرة خمسمائة عام وأمر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة فحملها على ظهره وقرن قوائمه هذا الثور كيوناثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا عظيما لا يقدر أحد ان ينظر اليه لعظمه وبريق عينيه وكره حتى قيل لو وضعت البحار كلها فى احدى منخرى هذا الحوت لكانت كقدر دلة فى فلاة فأمر الله ذلك الحوت أن يكون قواما للقوائم الثور وأمر هذا الحوت بهموم ثم حمل قراره الماء وتحت الماء ظلمة لم تنقطع علم الخلائق عما تحت الظلمة هكذا نقله القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى كتاب مسالك الابصار وما اتفق فى زمن أويس باشا ان الامير حسن البرموكى اتكه عليه الى السلطنة الشريفة قدره ثلاثون ألف دينار فطلب منه ذلك فتعلل وذكر ان عنده عصب اسكر باقى بالقدر المذكور فاستمهله دة ذلك اويس باشا فحبسه فشفع فيه بعض أرباب الدولة وطلبوا المهلة ثلاثين رمضان فقال اويس باشا كيف يمكن ذلك وهل يتصور أن يجمع من بيع العصب فى كل يوم الف دينار فقال له يرين ذلك ان شاء الله تعالى فأطلقه من الحبس وسلمه للحوالة ثم انه أحضر القصب الى ساحل بولاق وأطلق المبيع فيه فما مضى الشهر حتى أوفى الثلاثين ألف دينار وطلع جملة اويس باشا فتعجب من ذلك وقال مصر يباع فيها قصب جرمه المصاص فى كل يوم بألف دينار وهذا من موجود شخص واحد وهناك ما يباع راويصر ان القصب ما يوفى من ذلك فانظر يا أخى الى خيرات مصر وما أودعه الله فيها من الارزاق والبركات وسماحة أهلها بالصرف والنفقات وهذا القصب من أعظم نعم الله على أهل مصر لما فيه من الحلاوة السائغة فسبحان ذى المنة العظيمى والحكمة البالغة قال الامام الشافعى رحمه الله لو لا قصب السكر ما أقت ببلدكم يعنى مصر والقصب حار رطب وقيل معتدل وأجوده الحلو الكثير الماء ويوجد فيه شئ من الصمغ اذا اكتمل يعصر بعصارة الصفير والسمال ويولد ماء متعقدا وغيرها البول وامكه يولد أرياحا ينبغى أن يفصل عما حار به تشيره لبزر الرشاد وقد شاهدت فى سنة ست وتسعين وتسعمائة انجبوبة بأس بذكرها وان كانت خارجة عن المقصود وهو انه شاهدنى الامير سليمان بن أحمد بن أردمر المشهور بالاخرس الحركسى الاصل وهو من أعيان عسكر مصر حضر لى محكمة مغنى وأبرز من يده حبة أبر تمكتوب عليه ما قرأته وهو بسم الله الرحمن الرحيم والعصران لانسان فى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر بسم الله الرحمن الرحيم ان أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد كتبه محمد سنة ٩٩٤ وشاهد ذلك قضاة محكمة المذكورة وشهودها وما من شخص منهم الا وقرأ ذلك مرارا وأمرتين وأما مؤلف هذا التاريخ فانه قرأ ما على الارزة أكثر من ثلاث مرات وتأمل حروفها تأملا شافيا وشاهد حيرة كل بعقله والكاتب المبسوطة واسم الكاتب والتاريخ المكتوب بالاحمر وكتب فى خصوص ذلك محضر ورقم هو شهادة من شاهد ذلك وأراه فرحمه الله كاتبها وعفا عنه وكرمه فانظر يا أخى كيف يلم التراب مثل هذه الانامل فان من سمع ولم يشاهد فربما دخله الشك ويجول فكره ويقول كيف يتصور ذلك فسبحان المتعم المتفضل على عبيده ومن على من يشاء بجودة الخط الذى هو من أعظم موجبات الخط وأنعم بهذه الصناعة تعلى أهل البراعة واليراعة وأجرى ذكرهم بالخيرات الى قيام الساعة قال الله تعالى فى كتابه العزيز الذى علم بالقلم علم

سنة خان سابع عشر ربيع الاول من السنة المذكورة ولد سعد عظيم باسلامبول بفعل فيه مولد النبى صلى الله عليه وسلم وأول وزراته الوزير محمد باشا راعى قرنيش الكاتب حضر الى مصر أول سنة سبعة وماته وألف ثم عزل وحضر بعده لوزارة مصر ثم لوزير حسن باشا السلحدار سنة تسع عشرة وماته وألف ثم عزل سنة احدى وعشرين وماته وألف وحضر بعده لوزارة مصر ابراهيم باشا القودان ثم عزل سنة اثنتين وعشرين وماته وألف وحضر بعده لوزارة مصر الوزير خليل باشا ووقع فى زمنه فتنة عظيمة سنة ثلاث وعشرين وماته وألف بين العسكر وقتلت حارات مصر أسوأ قاتلين وسبعين يوما والمدافع تضرب ليلا ونهارا وتعطلت سائر الاسباب وآل الامر الى قتل

الانسان مالم يعلم ثم كرر الحاذر فى تفسير سورة اقرأ فقال تنبيه على فضل الكتابة لما فيها من المنافع العظيمة لان بها انضبطت العلوم ودونت الحكم ويعرف احوال الماضين واخبارهم ومقالاتهم ولولا الكتابة بقاعدة تهم امر الدين والدنيا قال قتادة القلم نعمة من الله عظيمة فلولا ما يقيد دين ولم يصلح عيش ولا شئ يضبط من الكلام فقال ابو رجاء لا بقى قال قاتله الكتابة لان القلم يذوب عن اللسان ولا يذوب اللسان عنه انتهى كلام ابن الحاذر (قلت) فى معنى حروف المعجم اذا نطق بها من غير تركيب أ الفرد الذى لا مثل له ب الكثير الجماع ت التراب الذى يتمرغ عليه الحمار ث ابن الحليب ج الجمل المتعلم ح الدليل الفرس خ عرف الديك د الرجل الاكول ذ القرد الصغير ر الشيخ الجليل ز التفاح الاحمر س الديك المصرخ ش عنفقاره فى التراب ص رجل لا يشبع من الجماع ض الهدهد ط المرأة الكبيرة لشديد ظ سنام البعير الطويل المظفور ع ريد المناخ المقدم على اقرانه فى المتوسط فى الصلح ق الكبيرة المخضرة ك الفحل من الرجال ومن الدواب والسيف ل الطعام على وجه الصغير وشراك النعل ى الاين الباقى فى الضرع وقد اختلف فى لفظ اللسان وخط البنان فقال بعضهم لفظ اللسان لا يجارى الذال ولا يذ كر فى كل مكان ولا يترجم بكل لسان وأما خط البنان فيوجد فى كل مكان ويترجم بكل لسان وكذا قوله صلى الله عليه وسلم ينطق به الخط ولا يكتب فسمى النبى الامى صلى الله عليه وسلم الكتابة ونفى الخط معجزة فى حقه صلى الله عليه وسلم وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كتب الى الحجاشى وأتى بأسلم يكتب الى كسرى ولم يتوب كتابه فلم يسلم فاذا كتب أحدكم كتابا فليتربه فان التراب مبارك وهو الجيع للعابة ورسمت وانا بمكة المشرفة سنة ثمان عشرة وألف ان كاتب الارز ز المتقدم ذكره توجه الى بلاد الهند واجتمع على سلطانها وكتب له القوم مالك الملك الى آخر الآية فى فرخ ورق هندى بعلم الثلث الواضح كتابة تصرير على الاوضاع المرضية والطريقة اليافوتية ثم كتب الآية الشريفة وهو الموجه على حية أرزا وسلم ذلك الى السلطان المذكور فأجله وانعم عليه بنعمة وافرة من أقمشة وغيرها فاشترى طاهر مصف الطريق ستة وثلاثين دينارا زنة كل دينار عشرة مثاقيل ثم عاد الى مكة المشرفة وقد نظم المرحوم الشيخ العارضى فى وصف آلات الهواء قصيدة تلا يأس بايرادها فى هذا المحل وهى هذه

حمدا لمولى انزل الكتابا ● وشرف القرآن والكتابا ● ثم صلاة الله تهدى باقلم
من مدحه فى آى فرد والقلم ● والآل والصحب ذرى النجابه ● والحافظين العلم بالكتابه
فى حديث قيد والعلم مر ● استناده صحح جاءها ● واختلفوا هل خط أشراف البشر
أصح قول لا واعما مر ● قصه ورد النص بذا وبسطه ● فى قول ذى العرش ولا تقطه
حكمة بيانها ما فابا ● يتسل علينا فى اذا لارتابا ● وكان من كتابه معاويه
ومن علت محبة ياسار يه ● والدواة أربعون مبما ● أثبتها اصطلاحهم قديما
وقد حوت سر دواة باهره ● فمن فيها كجوهر زاهره ● يحظيها يراع كل ناقش
وما سواها ملحق بالحامش ● شاقة فحبتها وكافيه ● ما حكيت وهمنا ما فيه
نظمتها لمشكل فحررته ● وواضح على التراقى صفته ● أما الذى لا يحتفى فلم أحبره
مركبة ومنقدة وسطره ● ومبرد ومفرز ومكشط ● ثم مقص جمع وخيط
وبجرد ومحفر ومحكه ● مقلمة وجوه ومقطره ● مطوية وحدية ومرمله
مسحة ثم محمل مصقله ● ثم مزم ومسن ومقط ● والحفف مفرشة بما قد انغبط
ثم ملف ثم محبر والة ● بأمر يلقاط وما المشكلا ● فالمبر الخيط خذ فى العرف
لقلم وافرقا الوصف ● ومكبس المصبط والمجلف ● ومله مزوردة تتعطف
ومركز الاقلام هيئ كذا ● للحرمصه ما هو فى الاذى ● ومقمص وهو دكاروصاق

أمراء لا يعصون منهم أحد
باش أورطه باش مستحفظان
الشهير بافرنج به اشتهرت
تلك الوقعة وهرب من مصر
أمراء لا يعصون منهم رئيس
القوم أيوب بك أمير الحاج
الشريف وتم بهت أموال كثيرة
وسبيت ذوارى كثيرة
وهزل خليل باشا صاحب
القلعة وحضر بعد لوزارة
مصر الوزير على باشا
الشريف فمكث فى السدة
سبع وعشرين يوما وألف
ثم عزل وحضر بعده لوزارة
مصر الوزير محمد باشا
وهو الذى قتل أمراء الواه
بخيط من بلاغ يوم الاربعاء
ثامن شهر رجب الاصب من
السنة المذكورة وضعفت
بقتله شوكة الفقارية بأرض
مصر وقويت شوكة
القاعمية ثم عزل بأيدين باشا
(وتولى بعده وزارة مصر
على باشا الازميرلى) وملكه
واليا بصر فى السنة ثلاث

والموالمزينة خوف الورق ● فهم ملاق حقة مشاق ● وفي حديث لفظه مساق
وألف بالتذييل ما فقدما ● وختمه مسلك ما قد علما

وجعل الى ما تحت يده من ذكر أويس باشا فانه تصرف في باشاوية مصر الى سادس شهر رجب سنة تسع وستين وسبعمائة ومات بمعرض السكتة فجأة ودفن بالقرافة فكانت مدة تصرفه أربع سنوات وشهرا واحدا وثمانية أيام وقد نظم بعضهم تاريخ وفاته فقال

أهلك الله أويسا انه ● جارفي الحكم لم يخش الوعيد
مذ أتى مصر تجبر واعتدى ● وبه السلم تبدى في مزيد
هلك الحرث ولم من فتنة ● أمها بالجهل فيما لا يفيد
مذ دهاه الموت ما أفلته ● لا ولا كان له منه محيد
غاب سبعين بوزغة أرخوا ● هما وغاب كل جبار عنيد

وقلاون ومائة وألف ثم عزل وجاء بعده لوزارة مصر في السنة المذكور ترجب باشا فسجن على باشا المعزول ثم خنقه في قصر يوسف وأظهر محمد بك جركس الذي كان مختفيا ثلاث سنين وبطش بأعدائه فقتل اسمعيل كنخدا جاويشان وقتل اسمعيل بك وانفرد حالا وأرسل تجريدة الى أمير الحاج اسمعيل بك بن أيواز بك فسر بمن بشدر بجرود ودخل مصر مختفيا ثم أعمل الحيلة فاستطلع أمير الحاج اسمعيل بك بن أيواز مع عدوه محمد بك جركس ورفع الاتفاق على عزل رجب باشا فانزل من القلعة مختفرا وكانت مدته بمصر مائة يوم وحضر بعده لوزارة مصر محمد باشا الشعبي فمكث الى سنة احدى وأربعين ومائة وألف

٩٩٩

ثم تولى أحمد باشا حافظ الخادم في سابع عشر رمضان سنة تسع وتسعين وسبعمائة وكان محببا لأهالها والفقراء اذا رأى وتدبر في تصرفه ومعركاته كبيرو وكالة صغرى وسوقا وفوقه وبيوتا وربوعا ببولاق القاهرة يجورشون الحطب وعمل مصلى بالوكالة الكبرى مطلة على بحر النيل وقرر جها أرباب وظائف وهي مقامة الشعائر الاسلامية وعمر أيضا بر سبد وكالة وفوقه بيوتا وعمل صهريجا بطريق الحاج الشريف وبها النفع للحجاج لما صرف من باشاوية مصر وتوجه الى الاعتاب الخاقانية فساعده العناية الربانية فتولى الوزارة العظمى وشكره الناس وحمدوفي ولايته ثم انه استعفى عن الوزارة واستأذن في الحج فأذن له وجاء الى مصر بحرا وتلقته الاكابر باحسن ملقى واهدوا اليه الهدايا ورجع وتوجه الى القدس وخليل الرحمن فزار ورجع الى الديار الرومية وتوفي بها الى رحمة الله تعالى فكانت مدة تصرفه في باشاوية مصر الى عزل في تاسع شعبان سنة ثلاث وألف ثلاث سنوات وعشرة شهور واثنان وعشرون يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى قودر باشا) في ثالث عشري رمضان سنة ثلاث وألف وكان أمياسا ذا محاسب الهوى الفات لا حيلة له في جمع المال ولا في تحريره (وحكي) عنه انه كان جالسا في محل عال مشرف على حارة عرب اليسار فرأى شخصا يمكن يتسلم حمارة فشعلت حتى استقل على قفاه ثم اطلع نفرين كانا عنده من خدمته على ذلك الرجل وأمرهما باحضاره وأوصاهما ان لا يشوشا عليه وجرا قفاه بقوة الى عنده واحتمه بالرجل وقال له نحن ضالون عن باب القلعة وقد عمله نصف دينار فدلنا على الطريق فأتى بهما الى باب القلعة فقال له لا يدمن اكرامك فاخذ خلاه الى أن أوقفه بين يدي قودر باشا فقال له من أي القبائل أنت قال انا من عرب اليسار ثم قال له أنت عارب أم متزوج فقال عازب فقال لا اي شيء لم تتزوج فقال له من الفقر فقال له لا على شيء تتسكع الحير تحليل الرجل وتمكس بر أسه الى الارض حياء ثم ان قودر باشا أحضره جارية بيضاء من حواريه وقال له قد أوهبتك هذه بشرط التوبة عن تسكاح الحمر فقال تبت الى الله ثم بعد ذلك أمر ان يعطى له ألف نصف وقال له هذه الدراهم تنفقها القيام الاود أنت وعيالك فخذ الجارية والدراهم ونزل بهما وهو مسرور محظوظ فانظر الى مكارم أخلاق هذا الرجل وقل من يفعل مثل ذلك في هذا الزمن وأن قودر باشا تصرف في باشاوية مصر الى سابع عشر رجب سنة أربع وألف فكانت مدة تصرفه عشرة أشهر وعشرة أيام وفي سنة أربع وألف توفي مولانا شيخ الاسلام محمد الرملي الشافعي ومولانا شيخ الاسلام الشيخ علي المقدسي الحنفي فنظم بعض الفضلاء تاريخ وفاتهما

مقال
لما قضى الرملي شيخ الورى ● من كان يملي مذهب الشافعي
تم تسلاه المقدسي الذي ● حاز علوم الحنب والتابعي
فقلت في موتهما أرخا ● مات أبو يوسف والرافعي

١٠٠٤

(وما يحكى) عن أبي يوسف رحمه الله تعالى ان هرون الرشيد أوى ذات يوم الى فراشه وقت الظهر فطار قا صر برجوحه منها طير يا فراشه فهاله ذلك والعرق تزاحيه اضرارا شديدا فجزع جزعا شديدا فلما حضرت بين يديه قال لها ما حملك على هذا الفراش فنظرت اليه ثم قالت له هذا معنى ما أمير المؤمنين فقال لها اصدقيني عن سبب ذلك ولا بطشت بك في هذا الوقت فقالت له يا أمير المؤمنين والله لا أعلم لذلك سببا والى برئة مما نتوهمه ثم انها طلب أبا يوسف ونصب له كرسيا وضرب لابنه ستارة خلف السرير فلما حضر أبو يوسف ذكرت القضية فنظر أبو يوسف الى المني ثم رفع رأسه الى السقف فرأى فرجة بالسقف ثم قال يا أمير المؤمنين ان للفتاش مني كبير الرجال وهذا معي خفاش وطلب ركابا فاحضر فأخذ بيده وصعد به الفرجة التي بالسقف فطار منها خفاش والمني ينظر منه فوق الفراش فاندفع الوهم عن هرون الرشيد وظهرت براءة جاريته فرفرقت فرحا لبراءتها وأمرت لابي يوسف بصرة وافرة وقالت له يا امام أيما أحب اليك حلاوة الغير وزج أم حلاوة الفيلوذج فقال لها مذهبا الاسم على غائب فاحضرله الحلوذان فاكل من هذه ومن هذه ولم يفرق بينهما فقالت له لما الفرق بينهما فقال لها لا أردت ان أميل على أحدهما أقام الآخر الى جنبه فضحك هرون الرشيد وأمر له بصلة وافرة فاخذ الصلة من عنده فرحا مسرورا وانصرف من عنده فرحا مهما باذا بصرة مربوطة وهي مذقورة مكاثرت الشكارى في كومي حسن الشاطرة وأحد المسالخ بسبب خيانة حصلت في الاموال الديوانية والشون السلطانى وثبت ذلك عليها فأمر بشنقهما فاشتغلوا بنظم الامير باكير الناظر بشأن شنقهما فقال

يا هذا رب الخلق أجرى حكمه ● في خائنين خالفا أهل التقى
وان ترد في الحال تأثير عاجل ● كومي حسن والمسالخ شنقا

١٠٠٤

وكان نقيب الشريف محمد باشا لا يرتاح بأمر ولما أشيع عنه ذلك حصل التيقظ لخاطره الغرور وقد خاب ظنه كما قال الطغرائي والدهر يعكس آمالي ويقتنص ● من الفنية بعد الكد بالفقل
(وقال أبو اسحق المعرى) مصاحبة المني خطر وجول ● وكم شرق قوله من زلال
قد يدرك المتأني بعض حاجته ● وقد يكون مع المستعجل الزلل
(وقال غيره)
تجري الامور على حكم القضاء وفي ● على الحوادث محبوب ومكروه
فربما صرعت ما بت أحذره ● وربما نلت ما بت أرجوه

ثم ان الشريف محمد باشا عزم على التوجه الى الربيع فاشار عليه جماعة من ذوى الآراء بترك التوجه للربيع فنبذ كلامهم للامر المقدور وعزم على التوجه للربيع فتصرك عليه جماعة من العسكر المنصور وتعرضوا له عند انصرافه من الربيع وهو بباب الوزير جوجه الخاص وعسكره وطائفة من السلحدارية وهم معدودون بالبلد ناهيك الجزائرية فلما عاين من معه كثرة العسكر المنصور وتقرقوا الى الازقة وتركوا محمد باشا في نفر قليل من أتباعه فرماه العسكر الى المحاكمة على يد الشرع الشريف بمدرسة السلطان حسن فارجعهم الانقياد لما دعوه اليه فتوجه معهم الى أن وصل الى الرميلة فرأى كمين حصلة نحو باب السلسلة ودخل القلعة وأغلق الباب بينه وبين العسكر المنصور وانفتحت تلك الشارة وقتل بعض من كان بكثر الفرد وعلى محمد باشا واستمر بالقلعة وهو مكفوف التصرف قاصر الكلمة الى أن صرف في ثامن عشر الحجة سنة ست بعد الالف فكانت مدة تصرفه سنتين شهر بن وثلاثة عشر يوما وفي ولايته شهر أسستار الاروقة بالجامع الازهر التي كانت من حصر قديمة وجعلها من خشب مدهون بالدهان الاخضر ورمم أيضا سقف الجامع الازهر ودهن بالدهان الاخضر ورتب مدرسا يجلس بالجامع الازهر للفقراء والمجاورين وهو

وحضر بعده لوزارة مصر الوزير بكر باشا فمكث شهرا وعزله العسكر وحضر بعد ولوزارة مصر عبد الله باشا التنكفوري سنة ثلاث وأربعين وماية وألف ومدحه شعراء مصر لفضله وميله الى الادب ورتب له شعر جيد على حروف المعجم وقال بعض شعراء مصر في بعض قصائده

وما جاء مصر أرخوه لقد سعدت بعبد الله مصر وفي مدته جاء الخير كالمطر
فكانت مدة سلطنته ثمانية وعشرين سنة ومكث مدة مخلوعا وهات (يقول بعده ابن أخيه السلطان محمود خان ابن السلطان مصطفى خان) سنة ثلاث وأربعين وماية وألف وله مع محمد شاه وزير بالهودية ثم عزل عبد الله باشا من وزارة مصر (يقول بعده محمد باشا السلدار) على وزارة مصر قدم من البصرة واقام والى بها الى سنة ست وأربعين وماية وألف

مستمرا الى الآن وكان له احسان الى الفقراء والمساكين وخرج من مصر فى موكب عظيم وطلع رأسه عمامة خضراء وركب معه خاصة العسكر وعامته وكان يوم خروجه مشهودا وانما توجه الى الاعتاب الشريفة فمكث مدة يسيرة ومرض مرض الموت فاشتد واستعر وهو محصور عنده الى أن مات ببلادنا الجبرتية رحمة الله تعالى عليه (ثم تولى خضر باشا) فى عشر ذى الحجة سنة ست وعشرة الف فتصرف فى الخامس عشر شهر محرم الحرام سنة عشرة وألف فكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وخمسة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى على باشا) فى تاسع صفر الخير سنة عشرة وألف وعهد قد وصل الى الاسكندرية فكاتبت عليه التركاوى فى الكشاف وأكثر ذلك من بروز كاشف المنوفية فقتله حافة مقابلته وبقال ان شيخى أفندى لما انصرف عن ولاية قضاء المنوفية اجتمع بعلى باشا على رؤوس ضأله عن الاحوال فقال له بروز كاشف المنوفية مسكين القتل وعدده جوائم يقتضى بعده وصول على باشا الى كفر الخضر احصلت شكاوى فى محمد بن نجم احاكم الحرارية فقتله بكفر الخضر اقواه به الحكام والكشاف ودخل مصر فى هيبة وجلالة ولقبوه بالشمر ولما استقر بالقلعة أرسل قوسا وأحزان يعلق على باب زويلة بالمرماه ولصق به تذكرة ذكر انه مكتوب فيها ان كل من أوفى هذا القوس يعطى ما هو مقيد بالتذكرة فلم يصبر أحد أن يمسك القوس تأدبا واستمر هو معلق ثم رفع وكان قصده على باشا بذلك اظهار نتاج واستقامة بعض أمور قد ما عدمته الفقرا على ذلك ما كان يفعله فى المرة بحركة ● تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن

وما أحسن قول بن أسيد المغاربى شق المؤمل يوم الرحلة النظر ● ليت المؤمل لم يصلق له نظر

ثم ان على باشا قصد زيارة الشريف العلوى سيدى أحمد البدوى بحر بسيط الاخوة ثانى عشر وألف فى المراكب الى طندتا وزار سيدى أحمد البدوى وأحسن لفقراء المقام الاحمدى وقصد العود فتعرض له طائفة من العسكر المنصور مشاة وركبانا وهم معدون بآلات السلاح وطلبوا منه أشياء كان توقف معهم فى اعطائها فلما جاءهم الى ما طلبوه وأعطاهم ما سألوه ودخل مصر وهم مضمومو مقهورو خاطره ذلك مرضا شديدا فأرسل الى الاعتاب الخاقانية يستعفى فأذن له فى سادس ربيع الاخر سنة اثنتى عشر وألف وفى زمنه ظهر الدخان المضر بالابدان البابس الطباع الذى لا شئ فيه من الانتفاع المبطل لحركة الجماع المسود للاسنان المهرب ملائكة الرحمن بل ذكر أكثر من أنه من طائفة وشيخة ومداومة شربه ذميمة يورث الزنى فى الفم والمعدة ويظلم البصر ويطلع بخاره على الافئدة ومن زعم ان شربه محرق للبلغم فقد أخطأ فيما زعم بل هو فى ذلك غير صحيح وانما هو من تحسين القبيح والملامة لمن فى ذمه وجهه وألف فيه بذه ● توجب على من أقبل عليه نبذه ولو لم يكن من مرونة نافعه الا ولع السودان به والاحلاف لكان ذلك كافيا بكف عنه الاشراف فكيف بأصل لا نفع فيه بل لا أثر بل شوهد منه القبح والضرر ذكر القاضى ناصر الدين البيضاوى فى تفسيره فى سورة الانعام عند قوله تعالى أو يأتى بعض آيات ربك يعنى أشراط الساعة عن حذيفة بن أسيد والبوهان عازب رضى الله عنهما قالا أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمشرق وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ومأجوج ونزول عيسى ابن مريم ونارا تخرج من قعر عدن وذكر الكواشى فى تفسيره عند قوله تعالى واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الارض تكلمهم ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون أى رقم القول على الكفار وقيل على جميع الناس والمراد بالقول العذاب قال وبروى ان الدابة فارس ثور وعين شقزر وأذن فيل ولون غزر وصدر أسد وخاصرة هر وقرن أيل وذنب كبش وقوائم بعير بين كل مفصل اثنا عشر ذراعا وقيل ان طولها كوجه الانسان وسائر جسدها كالطير وقيل فلها زغب وريش وجناحان رأسها يمس السحاب ورجلاها فى الارض ومن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال بينما عيسى عليه الصلاة والسلام يطوف بالبيت

(وتولى بعده وزارة مصر الوزير عثمان باشا الطبلى) قدم من طرابلس وأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وأربعين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر الوزير بكر باشا) وهى توليته الثانية فتقدم من جدة الى السويس فى البحر لانه كان واليا بجدة وأقام بمصر واليا الى سنة تسع وأربعين ومائة وألف ثم وقعت فتنة بمصر وقتل فيها محمد بك قبطان وعلى بك صالح بك وعثمان كتخدا سنة فقام بوسف كتخدا هوزبان وامراء كثيرون وقامت الجند على بكر باشا فعزله وحضر الامير مصطفى أغا أمير اخور كبير بخط شريف من الدولة العلية بضبط تركات المقتولين فمكث بمصر شهر خط شريف بتولية مصطفى أغا وان يكون وزيرا بمصر فأقام بالابغير الى سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف

فتضطرب به الارض وتشق الصفا عابلى المروى فتخرج الدابة ملمعة اول ما يخرج رأسها دات وبر وريش لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب معها عصى موسى وخاتم سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام ومن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال لو شاء أن أضع قدمى عاتكة اليوم لفعلت رجاء انها تخرج انف الكافر بالخاتم وتجلو وجه المؤمن بالعصا حتى ان أهل البيت ليجتمعون فيقولون هذا مؤمن وهذا كافر وعنه صلى الله عليه وسلم انه تسم الكافر بين عينيه كافرا والمؤمن بين عينيه مؤمنا وذكر الكرماني أيضا فى تفسيره عند قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض أنهم ثلاثة أصناف صنف كامثال الارزة وهو كبير بالشام طوله مائة وعشرون ذراعا وصنف طوله وعرضه سواء مائة عشرون ذراعا وهذا الصنف لا تقيله الجبال ولا الحديد ومنهم يفترش احدى أذنيه ويلتحف بالاخرى لا يمرون بفيل ولا وحش الا أكلوه ومات منهم أكثر من مات فقد منهم بالنسام وساقتهم بعض سائرين الى نهر الشرق وبحيرة طبرية ومن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال يأجوج ومأجوج عشرة أجزاء بنو آدم كلهم جزء واحد ومن حذيفة بن اليمان مرفوعا ان يأجوج ومأجوج أمتان وكل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر من صلبه قد حملوا السلاح وهم من ولد يافث بن نوح يشربون الخمر ومن ورائهم يأجوج ومأجوج بعد عيسى عليه الصلاة والسلام وقتله الدجال وجاء ان الترك سرية منهم خرجت لفساد فساد وذو القرنين وراءهم فجمع الترك منهم وقال قتلتم منهم اثنان وعشرون قبيلة سد ذو القرنين على احدى وعشرين قبيلة وترك واحدة فلذلك سموا ترك لما رأوا سدهم فى الارض انهم يفعلون فعل قوم لوط وعابثو بما دون ذلك من أمر الدخان قال يابنوس لاصحابه احتبسوا ثلاثا وعليكم بأربع ما جاءكم الى طيب احتبسوا العبار والدخان والتن وعليكم بالدم والطيب والحلوى والحمام ولا تأكلوا فوق شبعكم وقال الحكيم الرئيس موسى بن عبد الله الاصبغ ليل القرطبى لو درى الانسان نفسه كما يدبر جسمه التى يركبها لكان يسلم من أمراض كثيرة وذلك انه لا يلقى الطعن ليهضمه جزافا من غير قدر معلوم بل يتفقد حاله الكلى لا تتعب والجنب كل الجنب ان الانسان لا يفعل ذلك لنفسه ولا يتفكر فى رياضة الجسم التى هى الركن الاكبر ودوام الصحة ودفع أكثر المفاسد والامراض ولا يدام من يمزج كثيفا على قادورا قرا الفرار الرازى فى كتابه مرعاة صاحب أصحب العلل الزكام قال الحكيم أكثر الزكام هو سيلان الرطوبة من باطن مقدم الدماغ الى المنخرين فان كان معه صداع والتهاب فى الرأس وحمرة الوجنة لاجعه الصفدى القيفال ويسقى شراب البنفسج بدهن اللوز وان لم يكن معه صداع ولا ثقل كالخمار ولم يتمدد معه ألم غليظ فان تمدد معه بلغم أصفر أو أبيض فينبغى أن ينقطع من ذاته وان كان أبيض رقيقا فيكفيه ذر الرأس بالبابونج المنخل وبالبنفسج بالزيت الحار وذكر بعض الحكماء انه ثم البعرة والتبخر بها ينفع من الزكام والقرقرة وهم الاذنين ينفع من الزكام وكذلك شم التفاح وأكل ثمر بنفسج الصداع وبنوم ولا يأكل من به فم حوضة واعلم ان آفة القلب الهم والغم وهو ظهور الحرارة الغريزية فى ظاهر البدن عند الاهتمام بالامور قال الامام على كرم الله وجهه أقوى خلق رى ابن آدم وأقوى منه الكرا الذى يزيل العقل وأقوى من السكر النوم وأقوى من النوم الهم والغم ذكر العارف بالله تعالى فى كتابه المعنى بالانسان الكامل فقال اعلم انه يكون وجه القلب دائما الى ورقى المؤاد يعنى الهم هو محل نظر القلب ووجهه لو وجهه اليه فاذا حدث ما اهم أو الصفة من جهة الهم نظره القلب فاظلم بحكمة تحويل فيعتبه اسم آخر اما من جنسه أو من جنس غيره فيجرى معه مجرى له مع الاول وهكذا مع الدوام وأما ما كان من قفا القلب فلا يتطبع ثم اعلم ان القلب ليس له نفاذ ليس عليه بل كل وجه لكن موضع الهم منه يعنى وجهاو موضع الفرح منه يعنى قفا وهذه المعانى فيها كيفية تماد كر وقال بعض الحكماء ان استعمال اللاذ ورد يهدى دم القلب وينفع من الوحشة والغم والهم والامراض السوداوية ومن خاصية لسان الثور تفريح القلب وازالة الهم والغم روى ان عائشة

(وتولى بعده وزارة مصر سليمان باشا الشامى الشهير بابن المعلم) فأقام واليا على مصر الى شهر جمادى الاولى سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده وزارة مصر على باشا حكيم أوغلى وهى توليته الاولى بمصر فدخل فى جمادى سنة أربع وخمسين ومائة وألف وتولى بعده محمد باشا البيد كشى فأقام واليا بمصر الى سنة ثمان وخمسين ومائة وألف (وتولى بعده الوزير محمد باشا الشهير بدبس الكتاب) فأقام واليا بمصر الى سنة احدى وستين ومائة وألف وهزله العسكر فلنتنه وقعت قتل فيها خليل بك أمير الحاج وعلى بك الدمياطى وحرب فيها ابراهيم بك قبط باس الى أرض الصعيد مرطائفة من صناجق مصر وهرب أيضا حسين بك ابن على بك مع طائفة من الصناجق الى أرض الحجاز (وتولى بعده) والى بمصر

رضى الله عنها لما حصل لها من الالفة أصابها هم ولم يوصف فكانت تدعو وتقول فى دعائها يا سابغ النعم يا دافع النقم يا فارج الهم ويا كاشف الغم وأهدل من حكم وحسب من ظلم ولى من ظلم يا أول بلا بداية وآخر بلا نهاية يا من له اسم بلا كناية اجعل لى من أمرى هذا فرجا ومخرجا فأنزل الله تعالى براءتها وفرج عنها وهذا ذكر البوقى فى الجملة النورانية وأما اسمه الفعال فهو اسم المفعول من باب فعل وأما الوسواس والاهتمام القلب فى ذكره وأكثر من ذكره ذهب ذلك عنه وهو من الامور البديعة فان من داوم على ذكر مفرج الله هان عليه ما نزل به وفرج به عنه ومر بعد نسكه وقد حصل فى همه وغمه ووسواس وتردد ذلك على أى كفت ان انتقل من حالة الى حالة فرقل فوجى فاستعملت له أدوية كثيرة وأوراد شتى فلم يذهب عنى وكنا تقادم تجدده ولازمنى هذا الحال فوصفنا فلما استعملت هذا الاسم الشريف وهو فعال خف عنى هذا الوارد ببركة هذا الاسم الشريف قال الحكيم ولا تسرع واذا قصدتم فانه شاطر الموت ولا بتقايا من تؤله هيناء ولا تأكل فى الصيف لحما كبيرا لان الهضم فى الصيف ضعيف فعلى الحمار الفرنى وعلى البارد الهواء واذا فى المقدار فان الهضم فى الشتاء كثير وفى الفرنى فى الاحوال لاستداد المسام وأفضل المأكول لحول الضان الحرى الحمس وأفضل لحمه مقدمه وما كان لاصقا بالعظم وكل ما فى البطن ردىء والشحوم كلها رديئة تنشيء وتغم وتسقط شهوة الطعام وتولد اخلاطا بلغمية وكذلك رأس كل حيوان والحرفان الرقيقة كثيرة الفضلات لاخير فيها وأما الصناق الرقيق فجيد الغذاء سريع الانهضام ومن حكمة لقمان ان سيده أعطاه شاة وأمره أن يذبحها ويأتيه بأطيب ما فيها فذبحها وأتاه بقلبها ولسانها ثم أعطاه فى يوم شاة أخرى وأمره بذبحها وان يأتيه بأخبث ما فيها فأتاه بقلبها ولسانها فسأله عن ذلك فقال لها أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها ان خبثا وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب وذكر الدماميني فى مبين الحياة انه يجلب من الحذوف من الضان فى صدره ألية وعلى كتفه اللسان وعلى ذنبه اليتور بمالك كبر أليته حتى تخمص المتن ● وفى الامثال كل شاة برجلها معلقة وأول من قال هذا المثل وكيع بن سلمة بن زهير بن اياد وكان ولى البيت بعد جرهم فبنى صرحا بأسفل مكة وجعل فيه سلما وكان يقاد وبزعم انه يناجيه به تعالى وكان يفعل الخير وكان علماء العرب يقولون انه من الصديقين فلما حضرته الوفاة جمع اياده فقال لهم اصعدوا درجتى من رشد فانه بعده ومن هوى فارفضوه كل شاة برجلها معلقة فأرسل مثلا أى كل أحد يجزى بعمله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولحوم الطير على العموم أخف من لحوم الوحوش وأصرح انهضاما ﴿فائدة﴾ لحم الدجاج معتدل يربى فى الصحاح ويزيد فى المنى ولحم الديك حار يابس يضر بالمعدة ضرقه ويشفع الفراريج ومن أسمائه الصارخ ذكره البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى من حديث زيد بن خالد قال سألت عائشة عن أهل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت كان يحب الدائم من العمل قال قلت أى حين كان يصلى قالت كان اذا سمع الصارخ قام يصلى قال النووى الصارخ هنا الديك بالنفاق العلماء وسمى بذلك لتكرر صياحه فى الليل قال فى الاحياء وهذا الوقت يكون سدس الليل فما دونه وقد ألف العلامة الجلال السيوطى رحمه الله تعالى كتابا وسماه انور بك فى فضائل الديك ﴿لحم الحمام﴾ حار رطب يضر بالاعراض الحارة ولحم العصفور حار يابس يقوى الظهر ويزيد المنى ولحم الكركى بارد يابس يطفى ● الهضم ولحم الماعز بارد يابس سريع الهضم ولحم البقر يابس وقيل بارد يصلح للمدة القوية ولبن الجواميس ولحم الغزال حار يابس ينفع من القولنج والفالج والقوة والامراض الباردة ﴿فائدة﴾ لسان الغزال اذا اجتفف فى الظل وأطعم لمرأة السلاطة تنزل سلاطتها واذا حرق بعد الغزال وجلده ورمحه وجعل فى طعام صبى أشذ كيسا جدا فلذا يقال لفلان لحم ابن عرس ينفع من الصرع لحم الجمل حار يابس يولد القولنج والمالنخوليا لحم الفرس حار يابس كثير الرياح كما قاله البوا سير ولا يناسب صاحب الحمى الباردة فى الشمس ﴿فائدة﴾ قال بعض الحكماء النوم فى أربع حالات الحالة الاولى النوم على

الوزير أحمد باشا قد دخل مصر أول يوم من شهر محرم افتتاح سنة اثنتين وستين ومائة وألف وأقام واليها الى آخر شوال سنة ثلاث وستين ومائة وألف (وقول بعده وزارة مصر الوزير شريف عبد الله باشا) فدخل مصر فى شهر رمضان سنة أربع وستين ومائة وألف ومكث الى سنة ست وستين ومائة وألف ثم عزل (وقول بعده وزارة مصر محمد باشا أمين) فصار مستر صر اعلى ولاية مصر من خامس شهر شعبان المكرم سنة ست وستين ومائة وألف حتى توفى خامس شهر شوال من السنة المذكورة فكانت مدة توليته شهرين مريضا ودفن بجانب قبة الامام الشافعى رضى الله عنه (وقول بعده الوزير مصطفى باشا) فطلع القلعة ثالث شهر ربيع أول سنة سبع وستين ومائة وألف وفى مدته توفى السلطان محمود خان بن السلطان مصطفى خان ثامن

الشق الايمن الحالة الثانية النوم على الشق الايسر الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فالحالة الاولى وهى الاضطجاع على الشق الايمن فهى السنة ولم تكن غير معهودة بها وهو ان القلبة يميل بالجانب الايسر فاذا نام على الجانب الايسر ثقل نومه لانه يكون فى قعر استراحة واذا نام على الشق الايمن تعلق القلب وخفق نومه وطاب مستقر نومه على اليه • الحالة الثانية والنوم على الجانب الايسر فانه استقر القلب بسبب ميل الاعضاء فتصيب المرادمن الراحة من هضم الطعام وخلافه • الحالة الثالثة الاضطجاع على الظهر فانه مكروهة اذا كان من غير نوم لان البدن يستريح بذلك ويحصل للظهر راحة بسبب ذلك • الحالة الرابعة الاضطجاع على الوجه فانه مذموم لانه نوم أهل جهنم ومن نام على وجهه تمكن الشيطان وقد ورد فى سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم مر على رجل فى المسجد مضطجع على وجهه فضربه برجله وقال له قم اقعدا فانها نومة جهنمية والى هذا المعنى أشار سيدى على وفا رضى الله عنه وقد سئل عن نومه فقال نومة عبيى تمام ولكن قلبى والله لا ينام وكيف ينام عاشق نظر الى وجه الحبيب صبى فى الحب مستهام شاخص على الدوام ومن شرب كل يوم فى الشتاء قدحا من ماء حار أمن من الاعتلال ومن دلك جسمه فى الحمام بقشر الرمان أمن من الجرب والحكة بأنواعها رواه عن امامنا الشافعى رضى الله تعالى عنه انه قال أربعة تقوى البدن أكل اللحم وشم الطيب وكثرة الجماع وكثرة الغسل من غير جماع وليس السكتان وار بعة توهن البدن كثرة شرب الماء على الريق وكثرة الجماع وكثرة الحمام وكثرة أكل الحموضة وأربعة تقوى البصر الجلوس مستقبل القبلة والكحل عند النوم والنظر الى الخضرة وتغليف الحمام وأر بعة توهن البصر النظر الى المقتول والنظر الى المصلوب والنظر الى فرج امرأة والكتابة بالليل والقعود مستدبر القبلة وأربعة تزيد فى الجماع أكل العصافير وأكل الاطريفل وأكل الفستق وأكل الخربز وأربعة تزيد فى العقل ترك الفضول من الكلام والمزاح ومجالسة العلماء ومجالسة الصالحين (ومن) عبد الله بن المبارك رضى الله عنه قال مررت فى سياحتى بالشام بطبيب يوصف لكل من سأله عن مرضه فقلت له يا طبيب أصف لك دواء لمذنوب قال نعم فلما تفرق الناس قال لى يا هذا اعلم انك يورق الفقر ويورق الصبر وهو قليل الصفا وبليلج الرضا فوافر بقوت الكتمان وستعر ليا الاحزان وخرب بها الابدان وبعد فى طاحون الغلق وقد تحصنت بأدراع الحذق وصفه بمخض الارق واشربه على الحرق فانه شفاؤك وأشد يقول فى وقت الاسحار

يا طبيبا يداوى كل من به • وصفوف بكل داء تعرب
ليس شئ عليك شيأ مخيبا • انما الصبر عند كل شئ عجيب

(رجعنا الى المقصود بعدده وفى زمن على باشا المذكور حصل فناء بالطعن والطاعون عم الامصار والقرى ومكث مدة مرفوعا الله وكانت مدة تصرف على باشا بمصر المحروسة سنتين وستة أشهر وعشرين يوما ولما وصل على باشا الى الاعتاب الخاقانية قلد الوزارة العظمى وفرح الناس بولايته فوجه لسفر الحجر فتفقض عليه المرض السابق فمات ولعله بلغ مرتبة المجاهدين فى سبيل الله تعالى (ثم تولى بعرى بك أمير الحاج الشريف) بإقامة على باشا فانه أحضره اجازتين الاعتاب الشريفة بالتصرف فى باشوية مصر فتصرف من عشرين ربيع الاول سنة اثنى عشرة وألف وتوفى يوم الثلاثاء سادس عشر شعبان فكانت مدته أربعة شهور ورد فى بقرافة وحده الله عليه (ثم أقيم بعده عثمان بك أمير اللواء) بمصر المحروسة فى سابع عشر شعبان المذكور بالاتفاق من الامراء واكابر الدولة الى أن ورد من الاعتاب الشريفة من يتصرف وكان الامير عثمان مشهور ابالعفة والاستقامة وقوة بصلاة وجيهة لا يخفى فى آلة لومة لائم وله خطوط فائق به العرب والعجم وحاز فضيلة السيف والقلم فتصرف ثلاثة شهور وثلاثة وعشرين يوما وكانت مدته سنة واحدة سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى) ابراهيم باشا المقتول فى يوم السبت ثانى عشر ذى الحجة سنة اثنى عشرة ألف وكان مستقلا برأيه لا ينقاد الى نصح ولا يهتدى لقول مشير سواء كان بالكفاية أو

عشر صفر الخير سنة ثمان وستين وماية وألف (وتولى السلطنة بعدموته يومين أخوه السلطان عثمان خان) ابن السلطان مصطفى خان بن به عمارة عظيمة قريبة من آياصوفيه واستمر الوزير مصطفى باشا والياعصر حتى ورد الخبر فى أول شهر ربيع سنة تسع وستين وماية وألف بعزله وتولية على باشا حكيم أوغلى وهى التولية الثانية لحضر وطلع قلعة الجبل يوم الاثنين غرة جمادى الاولى من السنة المذكورة ونشر لواء الاحسان وعم فضله كل انسان وسافر مصر بسيرته المعهودة وسلك طريقته المشكورة المحمودة (ثم تولى السلطان مصطفى خان ابن السلطان أحمد خان) سنة ألف وماتة واحدى وسبعين ولم تكمل عظيم فى اسلامبول وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير محمد باشا سعيد وقام سنة ثم خبر بعده الوزير مصطفى

بالتصريح وكان يريد اظهار شيء يستحسنه وهو في نفس الامر قبيح كما قيل

كان لا يدري مدارا الورى ● ومدارا الورى أمرهم

ومن كلام الحكماء من علامات العاقل بره باخوانه وحسنه لاوطانه ومداراته لاهل زمانه قال أبو قتادة البصري

اذا المرء لم يعرض ما أمكنه ● ولم يأت من أمره أزينه

وأعجب بالعجب فأنتاده ● وتابه التيه فاستحسنه

فقد عاد فقد ساء تدبيره ● سيضحك منه وما يبكي سنه

ومن كلام الحكمة فلم يغن ذلك التدبير عبارة فلم التقدير في لوح المقادير والله على كل شيء قدير فأخذ يتتبع عثرات العسكر المنصور ويتجسس عن أخبارهم ومن اجتمعهم بالاماكن خصوصا مجالس الانس فأشار عليه أهل العقول بترك هذا الوارد وقالوا له هذا مشرع لا يعقبه الا التعب ورب عما تولد من ذلك مفاسد ومضرات فلم يلتفت الى قولهم وركب فرس الغرور لانفاذ أمر الله المقدور والمثل المشهور من أحسن السياسة دامت له الرياسة واستقر على ما هو عليه حتى بلغه ان جماعة من العسكر المنصور تأبط الشق بقاطر السباع فبادر فورا بنفسه وغير لباسه ومعه ثلثمائة أنفار وهم عليهم وهم بالقبط المذكور فلما قفوه فروا هاربين ولم يعلم انه كان في قدرتهم البطش به ويمر معه مخصوصا من دب الشراب في رأسه ولحقته حمية الجاهلية ولولا لطف الله لهلك هو ومن معه في تلك الساعة ومن كلام الحكمة من قاتل بغير عمد وخاصم بغير حجة وصارع بغير قوة فقد أعظم الخطر وأكثر الضرر ومن كلام الحكمة أيضا من الحقيقة تكون الشجرة العظيمة ومن الجمرة تكون النار العميمة ● نعم ان ابراهيم باشا بعد ذلك عزم على التوجه لقطع جسر أبي المنجا والقدر يقول له لست اليوم المنجا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره ومن كلام القاضي الفاضل رحمه الله المقدور كائن والهم فضل والجاهل من سخط على الاقدار ويقلب الليل والنهار اذا أراد الملك فعليك أرفق لا تحذر من قدر ولا تلام على الايام (مفرد)

اذا عقد القضاء عليك أمرا ● فليس يحله الا القضاء

ذكر العارف بالله تعالى سيدي عبد البكري رحمه الله في كتابه المعنى بالانسان الكامل ان القضاء المحكم هو الذي لا تغيير فيه ولا تبديل ولا قضاء المبرم هو الذي يمكن فيه التغيير وهذا استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم من القضاء المبرم لانه يمكن أنه يحصل فيه التغيير والتبديل قال الله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب بخلاف القضاء المحكم فانه اشار اليه بقوله وكان أمر الله قدرا مقدورا ● ثم ان بعض أكابر القرافة عرف ابراهيم باشا انه ما سبق لاحد من الباشات التوجه لقطع الجسر المذكور وانما المعتاد ان زعيم مصر يباشر ذلك وأما كان مشغولا برسل أحدا من أتباعه لقطعه فلم يلتفت الى ذلك الكلام ثم طلع له بعض المخبرين يوم الجمعة قبل صلاة الجمعة بكرة انه في اليوم الذي يلي يوم الجمعة المذكور قران الكبش ولا يدفعه من احراق دم والحركة فيه مذمومة محسوسة فلم يكترث بكلامه وكان من جوابه ما قدره الله سيكون كما قيل

خلني لا تستعجلا وانظر الهدا ● على أن يكون الملك في الامر أرشدا

وما أحسن قول أحمد الخفاجي

وكم طالبا أمرا وفيه حمامه ● وساعة تنجي لو تأنى لما يضرا

(وقال آخر)

اذا ما حمام المرء كان ببلدة ● دعته اليها حاجة فيطير

سئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الضفدع كيف يصير الماء من نقت الارض ولا يرى الغيم اذا نطق عليه بقدر أسبوع من تراب فقال اذا نزل القضاء عمي البصر وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال قال

باشا الصدر فأقام سنتين ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا كامل سنة أربع وسبعين ومائة وألف ثم عاد الوزير مصطفى باشا سنة ست وسبعين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير حزه باشا سنة تسع وسبعين ومائة وألف وعزل ثالث شوال سنة ثمانين وحبس بالكوة في قصر يوسف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا راقم سنة احدى وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير محمد باشا الارنؤدي من البرمسنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ثم حضر بعده الوزير أحمد باشا أتى من الجاز وسكن بدرب الجرومات ولم يطلع القلعة سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف (ثم تولى السلطنة السلطان عبد الحميد خان) ابن السلطان أحمد خان سنة سبع وثمانين ومائة وألف وهو مدرسة باسلامبول تسمى المدرسة الجديدة

رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا وقد ذر عليه من تراب حفرته وربما روى عن ابن مسعود ان الملك الموكل بالرحم يأخذ النطفة من الرحم وبضعها فى كفه ثم يقول يارب مخلقة أم غير مخلقة فان قال له مخلقة قال يارب ما الرزق ما الاجل ما الاثر فيقول الله لاطرفى أم الكتاب فينظر فى اللوح المحفوظ فيصيب رزقه وأجله وأثره وعمله ثم يأخذ التراب الذى ذفن فى بقعته ويجن به نطفته وفى رواية يقال للنطفة من ربك فتقول الله ثم يقال له من رازقك فتقول الله فتخلق فتعيش فى أجلها وترزق أكل رزقها وتطأ آثارها فاذا جاء أجلها ماتت فدفنت فى المكان الذى أخذ منه التراب ويخبر بما هو صائر اليه فلذلك قوله تعالى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى وروى عن ابى هريرة انه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ليلة فى بعض نواحى المدينة واذا بقبر يحفر فاقبل حتى وقف عليه فقال ان هذا قبل رجل من الحبشة فقال لا اله الا الله صبرى من أرضه وسمائى سخى دفن فى الارض التى خلق منها وفى المثل أشئوها الابن عمران الزاهد رحمه الله عليه فى هذا المعنى فاجابهم عن ذلك بقوله

اذا أراد الله أمرا بامرئ ● وكان ذا عقل ورأى وبصر
وحيلة يفعلها فى دفع ما ● يأتى به مكتوم أسباب القدر
فطى عليه عقله وحسه ● وسله من ذهنه حتى الشعر
حتى اذا أنفذ فيه حكمه ● رد عليه عقله ليعتبر
فلا تقل ما جرى كيف جرى ● فكل شئ بقضاء وقدر

ثم ان ابراهيم باشا ركب من وقته فورا وأسرع والمنية تسوقه حتى أدرك صلاة الجمعة بيولاق ولما قضيت الصلاة هيئت له سفينة عظيمة وركب فيها بالسناجر البيارق والفرش وغير ذلك مما يليق لمثله ونزل وهو محفوظ وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت وتوجه وصحبته الامير محمد بن خسرو أمير الواء بحر الخرسة بمركب عظيمة وبعض من أكابر خدمة الديوان وسارت المركب أحسن سير الى أن وصلت الى محل القطع وقطع الجسر المذكور فى يوم السبت مستهل جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف وكان ابراهيم باشا قد هيأ طعاما بالخيط الذى أنشأه محمود باشا فجاء فتاطر أبى المنجا فدخل الغيط ومن معه وصحبته الامير محمد بن خسرو المرقوم وصطفى أفندى عزيزه قاضى مصر المحرومة اذ ذاك وحصل لهم الصفا والمباسطة قبل الطعام

● وهذه وقا المبانى يحدث الكدر ● الى ان قدر الله ما قدره فى الازل ودنا منه وقت حلول الاجل وبكل شئ حد محدود وأمر من المقدور بد ولما قدم الطعام رشرعوا فى الاكل جيء عليهم طائفة من العسكر المنصور وهم معدودون بآلات السلاح وأحاطوا بالغيط احاطة الخاتم بالاصبع وطلبوا من ابراهيم باشا فى تلك الساعة شيأ كان يمكن الاجابة به لتخميد هذه الفتنة فامتنع وأغلظ عليهم فلاطفهم الامير محمد بن خسرو اراد فهمهم بلطف فلم يهتد واوقدوا واقدوا نارا فتكوا أولا بالامير محمد بن خسرو ثم من بعده بابراهيم باشا وقطعوا رؤسهما وامتلأت جفان الطعام دما وانقلب النهار ليلا وغوارير دمهما على جريدة من الغيط الى بابزيلى وكان يوما عجبا قتلت فيه مصر الحرسة وقد نظم بعضهم تاريخا لقتله فقال ان ابراهيم باشا ● قد سعى فى الخير سعيا ● قتله قد أخوه ● وأرى التاريخ بغيا

١٠١٣

وكانت مدة تصرفه أربعة أشهر وثمانية أيام والله تعالى أعلم (وفى) سنة ثلاث عشرة وألف كانت وفاة مولانا شيخ الاسلام النبيه صالح البلقينى الشافعى وقد نظم بعضهم تاريخا فى وفاته فقال

شيخنا صالح أذيق المنايا ● ومن الهم والغموم استراحا
قلت مع فايه المصائب أرخ ● صالح المؤمنين مات وراحا

١٠١٣

ومصيد فى براسكودار وحضر لوزارة مصر فى تلك السنة الوزير قراخليل باشا خامس (عشر ربيع الاول من تلك السنة وعزل فى محرم سنة ثمان وثمانين ومائة وألف وتوجه لجدة ومات بها (ثم تولى الوزير مصطفى باشا) النابلسى من بركة الفيل يوم الاثنين فى آخر جمادى الثانية من تلك السنة وعزل فى آخر جمادى الثانية سنة تسع وثمانين وتوجه الى جدة ومات بالمدينة المنورة (ثم تولى الوزير ابراهيم هرب كيرلى) رابع شعبان سنة تسع وثمانين ومائة وألف ومات قبل طلوع القلعة بانيابة ودفن عند الامام الشافعى رضى الله عنه (ثم تولى الوزير محمد باشا العزتلى الكبير) يوم الخميس سابع عشر ربيع الاول سنة تسعين ومائة وألف وعزل خامس عشر جمادى الثانية ومات رابع ذى القعدة سنة

﴿ ثم أتبع بعد مصطفى أفندى مزمزادة ﴾ فى ثالث جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وألف فتصرف الى سادس رجب فكانت مدة تصرفه بمصر شهرين وثلاثة عشر يوما وانه أصلم ﴿ ثم تولى جرجى محمد باشا الخادم ﴾ فى سابع رجب المذكور سنة ثلاث عشرة وألف ورمته الاجل صدقه وما انه الى دمياط ولم يتقدم لأحد من الباشوات أنه قدم من دمياط ولما استقر بمصر أخذ فى طلب من كان سببا لثارة فتنة ابراهيم باشا فانه اخبر بما تقدم مفصلا ولما تصفقوا الطلب تشتتوا فى البلاد بلغ فى طلبهم من الاكتاف والاطراف فمنهم من جئ به حيا فقتل ومنهم من تلتقه العربان فقتل أشر قتلة ولم تطل مدة محمد باشا بل عزل يوم الاحد ثانى عشر شهر ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف فكانت مدة تصرفه سبعة أشهر وسبعة عشر يوما وتنقلت به الاحوال الى أن ولى الوزارة العظمى فى مدة السلطان مصطفى فتصرف مدة يسيرة بمصر ثم صرف عنها ومنع من الاقامة بالقسطنطينية ثم جمع الى مصر وأقام بها وهو متوقف البصر ﴿ ثم تولى حسن باشا الفقار ار ﴾ بعد صرفه من ألبى فانه لما قدم من ألبى صحبة الحاج الشريف الى مصر المحروسة نزل ببيت المرحوم داود أغا الكائن بجمام قوصون فرفده الناس من جليل وحقير وأمير وفقير وهم يشاهدون منه الملاطفة والمصاحبة الحسنة والسلون والاخلاق المرضية فاتفق الاجماع على محبته وحسن أخلاقه وهم يطلبون من الله أن يلى باشوية مصر وأن يصلح الله الاحوال على يديه فوافق الفعال المأمول يد ومة اقامة حسن باشا وهو يتجسس عن أخبار مصر من كليات وجزئيات وذكر لبعض المترددين عليه أنه اذا تولى مصر يرجو من الله أن يكون الصلاح على يديه فورد ت الاخبار الخاقانية الى مصر يوم الاثنين المبارك ثالث ربيع الاول سنة أربع عشرة وألف ولاية حسن باشا باشوية مصر وقد نظم الشيخ حسن الشامى تاريخا فقال

قد جاء وزير العدل لنا ● من ساد بحكمه بعدين
ولسان الحال يؤرخه ● كملت مصر بجمال حسين

١٠١٤

فمن حسن باشا الى أسد اليه الامر وتصرف فى مصر لم يعمل منه نفع العباد ولا دفع ضر عن البلاد ولم يمنع ولم يدفع وثلاثت أحواله وضربت فلوس رديئة وانتقل بأب الشكاوى والامر بوعظ ثم صرف حسن باشا عن باشوية مصر فى يوم الاربعاء رابع صفر سنة ست عشرة وألف فكانت مدته سنة واحد وتسعة وعشرين يوما ولما توجه الى الاعتاب الشريفة جاء محمد من ولاية ألبى من نصف أعمارها وأموالها وأثاثها وغير ذلك فانه تصرف فى ولاية ألبى نحو خمس وعشرين سنة ثم مكث بالقسطنطينية مدة يسيرة وبات هو وولده وعياله ولم يعقب وارثا سوى بيت المال وترك ما خوله خلف ظهره وقدم على ربه رحيم كريم غفور حليم يستر الذنب العظيم ﴿ ثم تولى محمد باشا ﴾ فى يوم الخميس خامس شهر صفر الخير سنة ست عشر وألف وفيها توفى مولانا شيخ الاسلام الشيخ سالم البهنوى المحدث فنظم بعضهم تاريخا لوفاته فقال

مات شيخ الحديث بل كل علم ● سالم ذو الكمال أفضل عصر
قلت من غير غاية ليس هذا ● أرخوه قد مات عالم مصر ١٠١٦

وعند قدومه ترا كمت عليه القصص والذكارى باسكندرية ورشيد وفى طرفانه الى أن وصل الى مصر المحروسة وحوصاكن الجنان ثابت الاركان لا يرد جوابا لاحد واشتد الحال على الرعايا من كثرة الطلب ووقعت الناس فى المهالك والعطب فى غاية جمادى الاولى من السنة المذكورة فقضى ذلك طلب محمد باشا سليمان بن درهم كاشف المنوفية وبرز بحر كاشف الغربية وكوهى على كاشف البحيرة وأمرهم قاهم وأراح الله منهم البلاد والعباد ولى مكانهم كشا فاوأخذ عليهم العهود أن لا يتعدوا الحدود فى جملة الكشاف الحلوجى عين لكشف الغربية فتوجه لبرلاق لقضاء مصالحه فأتاه طائفة

اثنين وتسعين وماية وألف (ثم تولى الوزير اسمعيل باشا) يوم الاثنين سادس ذى القعدة وعزل ثانى يوم الخميس رابع رجب سنة أربع وتسعين وماية وألف (ثم تولى الوزير الصدر مملك محمد باشا) يوم الاثنين ثالث رجب سنة خمس وتسعين وماية وألف وعزل عاشر شعبان سنة ست وتسعين وماية وألف (ثم تولى الوزير الشريف على باشا المنصاب) يوم الخميس حادى عشر شوال من تلك السنة وعزل يوم الخميس رابع عشرى شعبان سنة سبع وتسعين وماية وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا) الصقلى يوم الاربعاء خامس عشر المحرم سنة ثمان وتسعين وماية وألف وعزل يوم السبت خامس عشر ذى الحجة ختام السنة المذكورة (ثم تولى الوزير الشريف محمد باشا بكير) يوم الاثنين رابع المحرم سنة مائتين وألف وعزل يوم

من العسكر المنصور وتكلموا معه فى أمر من الامور فلم يوافقهم وأغلظ عليهم فدب فى رؤس بعضهم حمية الجاهلية ففزعوا عليه بالسلاح فقتل المركب فى البصرة فأتى الخبر الى قلبه فرمى بنفسه فى البحر فأتلفته أمواجه فغرق ومات شهيدا ان شاء الله تعالى وكان ذلك سببا لازالة الطلب فبلغ الخبر محمد باشا فجمع الامراء وكبار العسكر المنصور بالميدان ونصبوا البيارق السلطانية ونادى منادى كان مطيعا لله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأولى الامر فليدخل تحت لواء السلطنة الشريفة العثمانية فاجتمع عالم كثير من الامراء وأكابر العسكر المنصور وهم طائفون محتشون داخلون فى طاعة السلطنة العثمانية ومجتمعون بالميدان ثلاثة أيام وبعد ذلك حصل الاتفاق بالخروج الى مأثر تلك الفتنة فخرجوا وقبضوا عليهم وقتلوا أفضل منهم طائفة جهارا وخفية وقد نظم بعض الفضلاء هذه الواقعة تاريخا فقال

ان البغاة المارقين قدرى ● رب العباد كيدهم فى نحرهم
برأس ابراهيم باشا سابقا ● طافوا جهارا مع مزيد مكرهم
والحسو جن جوهر كلهم ● والمحرقوه فى بحار شرهم
على الفساد قد بنوا أمورهم ● فقولوا تاريخهم بظلمهم

١٠١٧

ثم خمدت تلك الثائرة باذن الله تعالى ثم ان جماعة من الانكشارية أطفأوا الفتنة وآثارها فى أوائل القعدة سنة تسع عشر وألف واجتمعوا على الاقالم وصار واحزبا واحدا ونصبوا خيامهم بالمرج والزيات وتصافوا وأظهروا المحاربة والجدال فبلغت هذه الحركة محمد باشا فأرسل لهم جماعة من الاختيارية المتصفين بالعقل والتدبير ووعظوهم وعرفوهم عواقب الامور وقولوا لهم ان الذى يخالف ولى نعمته لا يفلح أبدا فلم يرتدعوا ولم ينتظروا الامر أراده الله تعالى ثم ان محمد باشا أرسل الى الاجناد ومشايخ العربان من الاقاليم وصاروا حزبا واحدا وحشا عظيما وبلاح وثار ومدافع كثار ومعهم الامير مصطفى بك سردار العسكر المنصور وبرز والمحاربة الخوارج وسار وا يبغون الله والنصر أمامهم الى أن وصلوا بركة الحاج فلما تراءى الجمعان فما حدث الخوارج الحرب هانفة رضاقت عليهم الارض بما رحبت فطلبوا الامان واختلط الجيشان فقصفوا على أشرارهم وقتلوهم وضرع الحديد فى أعناقهم والذى هرب منهم تلقته العربان وقتل أشر قتلة وحزقهم الله كل حزق وما بقى منهم الا القليل ودخل مصطفى بك العسكر وارا الى مصر المحروسة ومعه من معه من الخوارج المغبوض عليهم وهم مشاة حفاة منكسة رؤسهم موضوعون فى الحديد ورؤس القتلى منهم حالة الاختلاط مرفوعة على رماح ودخلوا جميعا من باب النصر والناس ينظرون اليهم ومرروا بالقصبة الى أن وصلوا الى الغلمة وكان يوما مشهودا ومحفلا معهودا وقد نظم بعض الفضلاء هذه الواقعات أبياتا فقال

يوم نصر الوزير قد كان عيدا ● عيد فطر لفطر قلب الحسود
واذا قلت عيد أضحى فصدق ● فضحايا صارت لآل الاسود
أحمد والى الانام نهيا وفعلا ● فاز بلوا واسكتوا فى اللهود

ثم ان محمد باشا قتل منهم جماعة ظلوهم جهارا وقتل منهم جماعة ليلا والقوا فى البحر ومن بقى منهم فى الى اليمن وقد نظم بعضهم تاريخا لهذه الواقعة فقال

انظروا النظر الى البغاة ومن هم ● لو يرا الملا لما رأوا نعمالا
وتعدوا طورا وجاؤا بافك ● طلبوا الغدر حين راموا جدالا
وأتوا بالجيوش من كل فج ● واستعدوا القبود والاغلالا
وأتوا مصر صاغرين لقتل ● لم يروا منه للفرار مجالا
وصلاهم ذل فارخت زالوا ● وكفى الله المؤمنين القتالا

١٠١٧

الاربعاء سادس عشر المحرم سنة احدى وماتين وألف (ثم تولى الوزير الشريف عبدى باشا) ثانى عشر رجب تلك السنة عزل ثالث رجب سنة ثلاث وماتين وألف وفى تلك السنة (تولى السلطنة السلطان سليم الثالث) ابن السلطان مصطفى (وتولى وزارة مصر الوزير اسمعيل باشا) التونسى يوم السبت خامس عشر رجب وعزل يوم الاثنين عشرى شعبان سنة خمس وماتين وألف (ثم تولى الوزير محمد باشا حزب) فى شوال تلك السنة وعزل فى غرة ذى القعدة سنة ثمان وماتين وألف (ثم تولى الوزير صالح باشا) القبصرلى فى عشرى ربيع الاول سنة تسع وماتين وألف وعزل فى ذى الحجة سنة عشر وماتين وألف (ثم تولى السيد أبو بكر باشا) الطرابلسى يوم الخميس الخامس والعشرين من ربيع الاول سنة احدى

وقد نظم العلامة الشيخ عبد الله الدوشرى تاريخا فقال

بشرى لمولانا الوزير محمد ● فهو الذى يقرى المعاند يفتك

وعلى البغاة انتصاره دائم ● تاريخه جمع الخوارج اهلكوا ١٠١٧

واستمر محمد باشا يحفظ ظاهر ظاهر ملتمسا فاتخاذ الكلمة لايرد له امرا ولا يعارض فى قضية الى ان اختار التوجه الى الاعتاب الشريفة فخرج من مصر يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة سنة عشرين والف فى جلالة وموكب عظيم ملتحف عنه احد من العسكر المنصور فكانت مدة تصرفه اربع سنوات واربعة اشهر واثنى عشر يوما وعزل زمنه وكالة رشيد وبيجوارها جلة حوانيت وقهوة وترسانة صاغة وغير ذلك واخذ قالب الجزر القابلة لرشيد وأما بابا التوفية والجيزة وهى معاملة بطريق الحاج الشريف وتوجه الى الاعتاب الشريفة فقوبل بزيد الاجلال والاكرام وولى الوزارة العظمى وفسح التاصر بذلك وكان مؤملا ان يفعل افعالا تزيد على ما فعل بمصر فوجه اصغر الهم فما ساعدته الارادة الازلية على ذلك ولا على نتائج فعل يكون فيها صلاح وسداد لمفاسد براسم التعكن الى الفساد فرجع من مسافة غير محدودة وما زال الدهر يقرعه قرعا الى ان أعطوه باشوية حلب فتوجه اليها وهو مغموم مقهور وبعد ذلك حلت اوقاته مربدت وتصرف فيها الغير وهكذا حال الدنيا والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى حاجى باشا) بامر أصغره محمد باشا قبل سفره وأعطاه ايالة مدينة بلبيس فى يوم السبت ثالث رجب سنة عشرين والف فتصرف فى اليوم الخميس عشر بن من شعبان من السنة المذكورة فكانت مدة تصرفه شهرا واحدا وسبعة عشر يوما وما توجه الى الاعتاب الخاقانية مكث مدة يسيرة وتوجه الى باشوية اليمن ولما تمكن منها استحكر الثهار والابن والبضائع وكان التجار لا يأخذون الا ما حصل منه وحصل من هذا القبيل ومن غيره أموالا لا تحصى فسير اطمعه فيه من تفاليس الاحجار والقصب والافخة وما صرف من ولاية اليمن قدم مكة المشرفة بجميع ما معه وماخوذ فورد عليه امر خفاتى باصلاح العين التى بمكة فادركه الاجل المحتوم فمات بها وكان يؤمل اذا توجه الى الاعتاب أرا بما يصل الى مصر نائبه باشوية مصر ● وبأبى الله الا مارادا ● فكانت وفاته بمكة المشرفة سنة احدى والاثنين والف وذهب خالب ماله ولم يظفر فيه الا بمثاقيل وقعت فتنة بين الاشراف حكام مكة بسبب متروكات حاجى باشا وهى باقية الى الآن وتسأل الله حسن الخاتمة (ثم تولى محمد باشا) ثانى عشرى شعبان سنة عشرين والف وفى شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين والف ورد على محمد باشا عسكر من البلاد الرومية لخور أربعة آلاف نفر خارج عن اتباع بقصد الاقامة بمصر فلما وصلوا الى مصر واستقر بها ورد حكم خفاتى من الملتبان محمد باشا بتهجير العسكر الذى ورد عليه الى اليمن فشق عليهم ذلك وعلموا انها حيلة عليهم وكان سبب خروجهم من البلاد الرومية انهم كانوا أحدثوا فتنة بالقسطنطينية ولولا لطف الله لحصل ما حصل فدبر لهم محمد باشا الوزير هذا التدبير واطمعهم بالاقامة فى مصر والحاصر أعقبهم الامر بالسفر الى اليمن فلما تحققوا انها مكيدة أظهروا التمرد والعناد وعدم الانقياد فعلم محمد باشا بالخروج بعد ان صرف لهم ما يعمل السفر وقدره أحد وثلاثون كيسا وعين لهم مرادا ورد لهم الى السويس وهو فندق بك فجهز وطاقه يوم الاحد ثالث عشرى ربيع الآخر من السنة المذكورة فلما هم الوطاق بباب زويلة ثم الى باب النصر على طائفة العسكر المذكور بن ارموا النخم من فوق ظهور الجمال ومنعوهم من الخروج فوصل الخبر الى محمد باشا فجمع من وجد بمصر اذ ذاك من العسكر المنصور وامر فندقى بك بالخروج الى الريدانية بالعسكر المنصورة واجهار النداء ان جميع العسكر الذى ورد من الروم يطلع صحبة السردار ومن خالف وتأخر قبض عليه وجازاه فلم ينتبه واجيبوا فقلوا بل النصر والفتوح ورموا خلف البابين الاحجار وقطعوا من كل جانب ومنعوا كل من هم وأرادهم الخروج الى الريدانية والطلوع الى الديوان وحصلوا حاجز بالخوارج الموصلة اليهم نحو قامة ونصف حتى صار لكل حاجز ما تعالوصل

عشرة ومائتين وألف وتوجه الى غزة يوم السبت سابع سفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف وذلك بسبب قدوم طائفة الفرنسيس الى مصر فى ذلك الشهر فانهم قدموا الى الاسكندرية فى شهر المحرم من تلك السنة ثم سافروا منها الى مصر فى شهر صفر فاستقبلهم عسكر مصر هناك بالحراقية وهزموا الى الجيزة فالتقوا بهم عند بشتيل نهر بما بين وسيم وحصلت مقتلة عظيمة وقد رأيت ان المسلمين هزموا فقهرص اديك ومن معه من العسكر الذين بقا تلوا فى البر الغربى فى جهة الصعيد وقرا براهيم بك ومن كان معه فى البر الشرقى الى الشام وحقيقة قتال الفرنساوية الذين حضروا الى مصر انهم فرقة من الاسافة اجانبية ما ائفية يقال لهم نصارى فانوليقية يتبعون عيسى عليه السلام ظاهرا ويشكرون البعث والدار الآخرة ربعة الانبياء

الخيول والجمال احداسلة للدافع وقد صنوا بتمارس ولبسوا الزرد وأوقدوا البنادق وأشهروا السلاح وصعدوا بأيهم على أعالى الطباقات والربوع والبيوت والجوامع والمنارات وهم ينتظرون من يقدم عليهم فما بلغ محمد باشا هذا التحصن العظيم والتمتع للاقدام على الموت وان فتدق بلدّ ومن هو معه لا طاقة لهم بمحاربتهم بجميع الصناجق والكشاف واس الخبير والقلاوز يقودهم الخفرا وكانت هذه الجمعية بالمسيلة ثم سار والى الخوارج فلما بلغوا ذلك أذعنوا للطاعة وأجاروا وفعوا الحواجز والمتارس والاحجار الموضوعة خلف الابواب وفتحوا الابواب وطلبوا الامان والجمال فاء ضرهم مايزيد على ثمانية جمالا فلما وصلت اليهم الجمال ضربوها بسيوفهم فنفرت وتشتت وقفلوا الابواب وقد صنوا أقوى من المرة الاولى وعادوا كل شئ الى محله وأشيع الخبر بأنهم قتلوا أغاراتهم فأمر محمد باشا السردار بالخروج فخرج معه جميع كبير هم الامراء وهم الامير قاسم والامير يوسف القطار والامير ماماى والامير محمدى كاشف والامير يحيى والامير مصطفى والامير أحمد والامير مراد والامير صالح والامير يوسف زعيم مصر سابقا والامير محمدى كاشف القلوبية والامير على زعيم صرحا لاوطة ثقة اليمانية وطائفة من القلاوزية وطائفة من حارة الرملة وهم معدون بالسلاح والبيوض والدرق والعصد الحديد والقسى وتقدم للامير يوسف القطاس وامامه مستعدة مدافع كثيرة وقاوموا جدده وهامر بوقودى للرعايا الملاصقين لاماكنهم وبيوتهم بنقل حوائجهم وبيوتهم فلم يوافوا اليهم وجدوهم متيقظين مستعدين هولوا الاسطحة والموادن فلما تراءى الجمعان التحم القتال فكان كما القى العسكر من الرصاص والنشاب والاحجار لا يصل الى الخوارج لعلوهم على العسكر وكلما ألقاه الخوارج على العسكر نال منهم فقتل من العسكر جملة أنفار وقرس ثمان الامير على زعيم مصر توصل الى الخوارج من وكالة البلخ والامير قاسم والامير محمدى من خلف أماكنهم والامير يوسف القطار مع الحواجز والمتارس وبقية العسكر تقبوا عليهم أماكنهم ودخلوا عليهم من محلات متعددة فلما اشتد الحال على الخوارج ولم يجدوا لهم قوة على القتال طلبوا الامان وأجابوا بالامتثال في التوجه الى أى محل يريده محمد باشا وتوجوا جميعا لم يتخلف منهم أحد وتوجهوا الى السويس ورفعت تلك الفتنة ولله الحمد المؤمنين شرهم فما تفق انه عند خروجهم حصلت زلزلة فنظم بعض الفضلا في ذلك فقال

خرج الخوارج للسويس وهيجوا ● من أرض مصر لكثرة الافساد
رقصت لهم طربا فقالت زلزلت ● زالوا فزلت جملة الانكاد
حفروا لمولانا الوزير محمد ● بئرا فيها أوقعوا لفساد
والله ساعدهم على اذهابهم ● وأمده بنهاية الامداد

وفي زمن محمد باشا حصل رخاء عظيم حتى بيع القمح كل أردب بخمسة وعشرين نصفا فلوسا والعدس والفول كل أردب بخمسة عشر نصفا والعدس والبصلة كل أردب بثمانية عشر نصفا والارز بستة وتسعين نصفا والجاموس الطرى كل قنطار بثلاثين نصفا والسكر كل قنطار بالوزن الاقوى بحسبة وستين نصفا وأما الغنم والاسماك فلا تعتمر بها بيعت بأرخص الاثمان فبيعان المتفضل على عبيده وقدر القنطار القوى بالوزن المصرى مائة رطل وثمانون وخمسون رطلا تصير كل خمسة وعشرين رطلا بالوزن المصرى ستة عشر نصفا فلوسا فالرطل وكل رطل ونصف رطل ونصف ثمن رطل بنصف فلوسا حدد ثم في يوم الاربعاء عاشر بيع الاول سنة سبع وعشرين وألف وردت أحكام سلطانية بصرف محمد باشا عن ولايته فمكانت مدة تصرفه ثلاث سنوات وستة أشهر وثمانية وعشرين يوما والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى أحمد باشا الدفتدار) في يوم الخميس حادى عشر بيع الاول سنة أربع وعشرين وألف وكان حاكما سياسا صاحب تدبير مهل في أموره قريب من الناس ليس عنده تجبر ولا غلظة وعما انفق عند قدومه لما استقبله العسكر المنصور على العادة فدخل مصر يوم الاثنين سادس ربيع الآخر من السنة

والمرسلين ويقولون ان الله واحد لكن بطريق التعليل ويعلمون العقل ويعبدون عنهم مدبرين يدبرون الاحكام بفنونها بعقولهم ويعدونها شرائع ويزعمون أن الرسل محمدا وعيسى وموسى كانوا جماعة عقلاء وان الشرائع المنسوبة اليهم كناية عن قوانين وضعوها بعقولهم تناسب أهل زمانهم ولما جعلوا في مصر رقراها التجار ودواوين يديرون ما يناسب أهل البلاد بحسب عقولهم وكان في ذلك راحة باهل مصر فانهم جعلوا من جملة دينهم انهاجماعة من المشايخ وسار وا يرجعونهم في بعض أشيياء لا تليق بالشرع والسبب الذى أوجب لاهل مصر وقراها بعض الانقياد اليهم تجزهم عن مقاومتهم بسبب هروب المماليك الذين معهم آلات القتال وانهم عند قدومهم كتبوا كتابا وقرقوها في البلاد ودكروا فيها انهم ليسوا نصارى لانهم يقولون

المذكور فى موكب عظيم يجلالته وكان بعمامة مرصعة بالجواهر النفيسة وكلتان بالمعادن قيل ان قيمة كل ريشة ألف دينار فلما وصل الى الجوخيين وهو يوكب سقط على عمامته جوهر من طاقة ريش بالربع الذى يعلو به والبت الجوخيين فالقى احدى الريشتين على الارض وسرق جانبا من الناس ونسبه بعض الجوخيين من اقارب ابراهيم المنصورى الخياط فقبض على راعى الحجر بعد ذهاب الحجر بالوزن فوجدوه خمسة ارطال فخطيا حمد باشا من ذلك وأمر بشنق الراعى وكان يوصف بقتال العسكر وان أحد باشام ينله من ذلك شىء وباستمرار نفاذ التصرف الى أن صرف عن ولايته يوم الخميس ثالث شهر صفر سنة سبع وعشرين وألف وكانت مدة تصرفه سنتين واحد عشر شهرا واثلاثة أيام والله سبحانه وتعالى أعلم (ثم تولى مصطفى باشا الملقدار) فى ثالث عشر صفر سنة تسع وعشرين وألف فتصرف نصف شهر صفر سنة ثمان وعشرين وألف فكانت مدة تصرفه سنة وشهرا واثلاثة أيام (ثم تولى جعفر باشا) وكان لما قدم من اليمن مكث بصره مدة والناس يتردد ون عليه وكان ذا همم وفضل وله فتوق فى طرح المسائل العلمية مشاركا فى غالب العلوم وأبحاث جيدة وفكر وقاد ويحب أهل العلم والصالحين ويركن اليهم ويحب الفقراء المساكين قليل الطمع لا ينظر الى ما فى أيدى الناس مستغنيا بما الى يده من الدنيا وكان أرسل عرضا للابواب الشريفة فى خصوص باشوية مصر وهو منتظر ورود الاخبار وقد كثر لغط الناس من قال وقيل فى جعفر باشا وكانت اقامته بمصر فى زمن أحمد باشا الدفتردار المتقدم ذكره وكان أحمد باشام اقام مدة وشغى الفتنة فأرسل اليه من أكابر الدولة من يعنه على الرحيل من مصر فتوجه واولما وصل الى السلطان أنعم عليه بولاية مصر فقدم براكا توجه خرج لاستقباله الامراء والعلماء وأكابر العسكر المتوجهون لمصر وخرج موكب عظيم لم يعهد مثله وفرح العامة والخاصة بقدومه فاستبشروا باظهر وكان قدومه الى مصر فى أواسط سنة تسع وثمانين وعشرين وألف ولما استقر بمصر المحروسة حصل الطعن والطاعون بمصر المحروسة وقراها ومكث نحو شهرين فاشتغل الناس بموتاهم وقتل خلق كثير أسواق مصر وحوانيتها ما عدا أسواق الاكفان فانها امتوفرة لبيعها وغرائها وهدم جعفر باشا ما حل الاموات من التعرض لها وفى نصار الناس يدفنون موتاهم بغير اذن وحصل بذلك رحمة الله على الناس فبسبب الله يموت اليهودى وهو صاحب مائة ألف قرش فلم يتعرض له أحد من الظلمة ولا يسئل عما خلف واذا مات مسلم لم يدفن حتى يشاور عليه وتأتى الظلمة فتغرب عنه من يريد ويعتمدوا عليه مع ان له أولادا واخوة وزوجة فالله يحكم بينه الحى الكبير الذى لا يموت وهذا قول العزوز الجبران الذين يأكلون أموال البتامى ظلما غالبا كلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا وهذا حكاية لطيفة لا بأس بايرادها وهى انى لما حججت فى سنة ثمان وعشرين وألف كان ركب من التكرور وحاج أفغند المعتبر صحبة رفقة بغالة امام الركب المصرى فلما دركت جلاص التكرور وقر بما من بندر المويلح ركب اهل تلك الرفقة وحولوا عمامة انفار وهم مشاة فسألت رجلا منهم عن الرجل الراكب على الناقة فاخبرنى انه شيخ الركب وقد وسع الله عليه دنياه وانه على الكتاب والسنة وله أربع زوجات ومايز يد على ستين جارية ظهن وطوأنه فرزقه الله من زوجاته وجواريه مائة وعشرين ولدا ثمانين من ذكور وأربعين انانا وتنا كحوا وتناسلوا فصار لا يعلم عدة أولاده وأولاد أولاده وان بلادهم مجاورة لبلاد النصارى وفى كل أوان يذهب هو وأولاده وهم معدون بالسلاح ويكاتبونه ويقاتلون النصارى ويقتلون ويأسرون ويأسرون ولما وصل الركب التكرورى الذى هو نازل بقريبة من قرى الجيزة تسمى منشية البكارى قادما لشيخ الركب المذكور والاحمال المحتوم قيمات فاشيع عنه انه ترك مالا كثيرا وتيها فارسل وكيل بيت المال من ضبط ماله فمنعوا أولاده وكيل بيت المال وقالوا الله تقتل دون مالنا فبلغ ذلك جعفر باشا فمنع بيت المال من التعرض لهم وساعد أولاد الى لادهم وتركوا لأبيهم بقصد رحمة الله تعالى ولما رتقيم الوباء واطمأنت العباد أراد جعفر باشا أن يظهر بمصر الآثار الجميلة ويمشى الخيرات الجزيلة وينشر العدل بالديار المصرية ويكف عن الرعايا كل ضروبلية

ان الله واحد والنصارى تقول بالتثليث وانهم يعظمون عيسا ويعترفون القرآن وانهم يحبون العثمانلى ولم يأتوا الا لطرد المماليك الظلمة لانهم نهبوا أموالهم وأموال تجارهم ولا يتعرضون لرعايا فى شىء لكن لما دخلوا لم يقدر على نهب أموال المماليك بل نهبوا الرعايا وقتلوا جملة من الناس لما قامت عليهم أهل مصر بسبب ظلمهم تقريبا فراعسة على البيوت وقتل منهم ما يقرب من الالف وحتكوا بعض الاعراض فى مصر وقراها فان كل قرية حار بتهم نهبوا أموالها وقتلوا رجالها وأخذوا نساءها وقتلوا من علماء مصر نحو ثلاثة عشر عالما ودخلوا بعض بيوتهم الجامع الازهر ومكثوا فيه يوما وبعض الليلة الثانية وقتلوا فيه بعض علماء وتهبوا منه أموالا كثيرة وسبب وجود هاهنا ان أهل البلد ظنوا ان العسكر لا يدخله

فسبحانه القدرة الازلية كما قال الطغرائي في لاميته

والدهر يعكس آمالي ويقنعني ✽ من الغنيمة بعد الكد بالغفل

وفي الواقع ونفس الامر الزمان مدبر ما شرع فيه احد يشيع بكون سلامًا الا انعكس الى الفساد وقد في هذا مراد ما تم ان جعفر باشا في اوائل رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاث صرف عن باشوية مصر وتوجه الى الديار الرومية في البصر لعدم تأهبه لالات السفر واذن هزه جاء بغتة على حين غفلة وما أمكنه الاستعداد لغير البراز الله يفعل ما يشاء فمكانت مدة تصرفه بمصر ستة اشهر وايامًا ولما وصل الى الديار الرومية مكث مدة بسيرة ومات وذهب ماله ونواله وهكذا حال الدنيا وفي ذلك عبرة لمن اعتبر وحاد وله الى مصر واقام بها فيرا لله اعلم (ثم تولى مصطفى باشا) في عاشر رمضان سنة ثمان وعشرين وثلاث وفي ولايته حصل متاعب لارباب الاموال وكثرت العوانية والوشاة بيابه وصار واياه يقولون اليه اخبار الناس ويزخرفون له أقاويل كاذبة وأمورًا باطلة يتوصلون بها الى اغراضهم الفاسدة فتحيت ارباب الاموال واختلت الاحوال في زمنه لان رشى به اليه وبطل ما طلبه منه ومن لم يقاسمه ولم يبذل سقر واخذ منه اكثر مما طلب منه وكان مصطفى باشا ذا شجاعة واقدام فقتل مصطفى بتجلي بيده وظن الناس ان تقام بسببه فتنة فظهر ذلك اثر وامازاد طمعه فتوصلت الرعية بالنبي صلى الله عليه وسلم الى خالق البرية بكف هذه البلية فاستجاب الله دعاهم وورود الخير بعزله في ثامن شهر رمضان سنة تسع وعشرين وألف فمكانت مدته سنة الا ثلاثة ايام والله اعلم (ثم تولى حسين باشا) في ثالث عشري رمضان سنة تسع وعشرين ألف وقدم مصر في اقرب وقت وأدرك مصطفى باشا قبل سفره فقتله من الصغر وأزاله من الطلعة التي بيت مراد باشا الذي بالسبع فاعان بمصر بوصل على الباب حراسًا فتقدم بعده مدة فلم يعده وكان قد تخلص من ذلك بتدبيره بمصر أكثر مدة الدولة وتوجه مصطفى باشا الى الديار الرومية وتوجه جماعة من صادريم واخذ أموالهم فاقدم هو اعلم ومن قواعر ضه واخذ امنه جميع ما اغتصبه منهم وفي زمن حسين باشا في سنة ثلاثين وألف حصل غلاء عام حتى بيع القمح كل أردب بالكيل المصري بعائتي نصف فضة والشعير بعائة وعشرين نصفا فاوقبل بعائة وستين نصفا وذلك البستة والعدس وأما الارز فبيع بعائتين وأربعين نصفا وارتفعت الاسعار وفق ذلك وأما النيل فلك فرق الارض الى غاية هائلة والقبطي حتى كادت الناس تيأس من الزرع والذي زرع شدو ياهاف ولم يحصل منه الا ماقل لكونه زرع بعد الاوان وقدم الله على عباده بنعمه زرع الذرة فانه اخصب وفيها وحصل به النفع للانام بمصر وقراها وغيره من الاقاليم وفي زمنه حصلت بلية عمت وطمت على الرعية وهي رمية النطر ون على المدن والثغور ونالت الرعية بسبب ذلك وارحا حسين باشا في رفعها ثم رفعها ثم رفعت بعده بمزيد باذن الله تعالى وقد حصل في زمنه فساد عظيم وفي عشري ربيع الآخر سنة احدى وثلاثين وألف عزل حسين باشا فكانت مدة تصرفه سنة واحد وسبعة أشهر وعشرة أيام ثم توجه الى الديار الرومية فحصلت الفتنة الكبرى بالقسطنطينية وقتل من قتل وأهبد مولانا السلطان مصطفى وجلس على التخت الشريف وتحرك بعد ذلك فتن أخر وقتل فيها جماعة من الاكابر وآل الامر الى ان ولى حسين باشا الوزارة العظمى في أحد الجمادين سنة اثنتين وثلاثين وألف وما تمكن من الوزارة لتمكن ان الدهر تصفاله من الغم والنحوس فاستقر برأيه المنكوس فتصرف بالجهل والجنون ولم يراع الشرع والقانون ووقر في قلبه وسوسة الشيطان الخناس وهي بالجور والشدة والباس وركزت بعضته في قلوب الناس في جملة مخاطراته انه بلغه ان جماعة من العلماء والموالي يجتمعون بجامع السلطان محمد وهم يدعون عليه ويطلبون من الله ازالته عن المسلمين فارسل لهم جماعة من أتباعه وأعوانه فقتلوا منهم جماعة ونفى جماعة من العلماء وشاع ذلك وذاع في سائر الامصار والاقطار ومن جملة مخاطراته أيضا انه عرض يده على جملة مال الخزائن العثمانية وصار كلما أخذ مبلغا يرسله خفية الى بعض اكابر الدولة ويأخذ منه مذكرة بوصول المبلغ

خوفا لو فيه أمتعة يريد وتهم فنهبوها ونهبوا أكثر البيوت التي حول الجامع ونثروا الكتب التي في الخزائن يعتقدون ان بها أموالا وأخذ من كان معهم من اليهود الذين يتجرون لهم كتبا ومصاحف نفيسة ومكث يونا بارنه أمير الجيوش الفرنساوية في مصر سبعة أشهر ثم في غرة رمضان من تلك السنة توجه الى الشام لقتال الوزير المعظم أحمد باشا الجزار لحاصره حصارا شديدا في عكة فلم يقدر الله تلفه به وقتل معظم عسكره ورجع الى مصر وترك جانبا من عسكره في العريش وكان قد حصن القاهرة بناء القلاع حولها ثم جاء عسكر من جهة الروم الى ناحية أبي قير معهم مصطفى باشا فتوجه اليهم يونا بارنه مع عساكره وقدرهم وقتل منهم جملة وأسر مصطفى باشا المذكور مع بعض العساكر الاسلامبين ورجع الى

المذكور وكيتمر يوضع التذكرة عنده فقدر اقامان السلطان مصطفى خلع نفسه من الملك وفرخ هشة
لولد اخيه السلطان مراد جعل الله جلوسه مبارکا على البلاد والعباد انه على ما يشاء قدير (فمكان
جلوس مولانا السلطان مراد) حفظه الله وانصره بيهما محمود آله على تخت السلطنة الشريفة العثمانية فى
يوم الاحد المبارك را بع عشرى القعدة سنة اثنتين وثلاثين والف اختمت بالخير فامر السلطان
مراد بعود من توفى من العلماء وطلب العسكر المنصور حسين باشا فلما احس بالطلب وتحقق انه انما
طلب الهلاك والعطب اختفى وتخرقت أنباعه وتشتتوا وذهبت دولته كأن لم تكن وثم حيث لا ينفعه
الندم وصارفى الوجود عدم ثم ان مولانا السلطان مراد أعاد مصطفى لمزل أتاه الى مرتبته فاخذ مصطفى
أغا يدبر فى تحصيل حسين باشا فبلغه انه بمكان فأرسل اليه الامان من مولانا السلطان فحضر وقبل أقدام
السلطان مراد فأنعم له البشر وأعاده الى الوزارة العظمى وخلع عليه مخلع الرضى فلما تصرف وزال
روعه ممكث مدة يسيرة ثم طلب يده فوضع يده عليه من مال الخزائن العامرة فاعترف بالاخذ واحضر
التذا كرالتى أخذها عن وصل اليه فى من المال فقتله السلطان مراد فقتله واخذ جميع ما كان بمنزله
عما اخفاه وأظهره وأمر أن باقى حسين باشا على باب منزله والناس يمرون عليه وأمر أن لا يدفن الا بعد
ثلاثة أيام فرطبه فحضر من كان ظلمه وآذاه فرفسه بجزمة كانت برجله فدخلت فى جوفه وصار باقى فى
جوفه ولا يدفن بعد مضى ثلاثة أيام ولم يترحم عليه أحد وهكذا حال الظلمة المغرورين ثم ان مصطفى أغا
أرسل الى أرباب التذا كروا حضرهم واحد بعد واحد واستخلص منهم المال جميعه وكل من أخذ منه
ما كان عنده بعاتبه على قدره من حسين باشا المال ويقول له أما علمت أنه من مال الخزينة وينسب اليه
الخيانة بسكوته وعدم اعلامه ثم تقلد وزيرا بقى فى البحر ولم يبق منهم أحد وبقاء الله (ثم تولى محمد باشا
البستنجى) فى حادى عشرى بيع الآخرة سنة احدى وثلاثين والف فقام عشه حسن أفندى الدفتدار ولم
يتمهله تولية مصر وصرف عنها فكانت مدة تصرفه حسين أفندى أو بعة عشر ويسعة أيام والله أعلم
(ثم تولى ابراهيم باشا الصدار) ودخل الى رشيد يوم الجمعة ثانى عشر شعبان سنة احدى وثلاثين والف
ووصل الى مصر فى أوائل رمضان وحصل فى زمنه غلاء بزيد على ما تقدم وقيدجات الناس من الاقطار
الشاسعة اطمار يقوتون وغيرها الى مصر واقليمها بقصد الميرة فمن كان ذا مال اقام امتاره يحتاج اليه ورجع
الى أهله ولا مال معه وله قدر على الكسب أو الخدمة بقفات من كسبه أو من خدمته ومن لا مال معه
ولا قدرته على الكسب أو الخدمة يستعطى حتى امتلأت مصر وقراها منهم والذى سقط ببعض المرة فى
غير مياط فى مدة ثلاثة أشهر يزيد على ستين ألف أردب وتجدد بعد ذلك ما يقارب هذا أو أزيد وذلك خارج
عما يبيع من الخطة والشعير والفول وبقية الحبوب وأما ما يبيع برشيد فضعف ما يبيع بمياط فان
رشيدا تجرد امن دمياط وأما ما يبيع ببولاق والمدائن والغرى فلا حصر له وكل ذلك بعد كفاية أهل
مصر وقراها وما أدخروه وسبحان المنعم المتفضل على عبيده فنسأل الله أن يعمر مصر وقراها بكثر
زرعها وخيرها ويمكن من أرادها ولا هلها وانها على ما يشاء قدير وفى زمن ابراهيم باشا حصل من
أهوائه وأتباعه إجحاف وطمع وخروج عن الحد فى الخدم التى يتوجهون اليها وتعدت الرعايا بسبب ذلك
وان ابراهيم باشا رى بضاعة على التجار ومشايخ الاسواق فحصل لهم خسارة فاحشة فشكوا أمرهم اليه
فلم يلتفت لشكواهم فتحرك عليه طائفة من أكابر الدولة ومنعوه من ذلك فتلاشى أمره وتصرف فانه
واستمر الى أن صرف فى يوم الاربعا سابع رمضان سنة اثنتين وثلاثين والف وكانت مدة تصرفه سنة
واحدة وتسعة عشر يوما وبه انتهى ذكر من وردمن أرباب الحنكة رى الى الديار المصرية ووقف عنده
القلم طالبا لكمال هذه الخدمة التارخية بقولى شعر

فما فاق الورى مثلا بنظرها ● وكم فاتار بين الناس من مثل
يرتاح سامعها حتى يهزبها ● من التعجب عطف الشارب الثمل

فلا

ممر ومكث مدة قليلة ثم
أخذ أمواله التى جمعها من
مصر وتوجه الى ناحية أبى
قير وأخذ بعض عسكره
وتوّل فى البحر وذهب الى
بلاده مع شدة محافظة
مراكب الانجليز على
الاسكندرية ومنعهم كل
من يسافر من جهتها حتى
قيل انه أرشاهم بدراهم
ليخلوا له الطريق (وولى
بلده جمهور الفرسان
كابير سارى عسكر عليهم
ثم ان جهة مولانا المعظم
والخاقان المفخم السلطان
سليم توجهت الى مصر
فأرسل مولانا الوزير المعظم
والصدر المفخم يوسف باشا
المعدن المفازى سارى
عسكر على جيوش
المسلمين فتوجه من
اسلامبول بالاوردى
الهمايون وما زال يسير
وجميع العساكر من
البلدان الى أن وصل الى
غزة حاكم فى شهر رجب
من شهور سنة ثمان بعد عشر
ومائتين وألف ثم وجه

فلا تعرفه غيرها معها ولا تظرا ● في طاعة البدر ما يفتيك من رجل

وترجوهن الله تعالى بقاء الدولة العثمانية ودوام عزتها المتسدة بالعناية الربانية وانتظام أقطار الارض في سلكها داخلة تحت سلطنتها وملكها وتفت مصر عندهم بالالتفات مخصوفا وكما قدم تقدم واقتضت الحكمة تولية أمرها محفوظ بالسعد متوقعا مجاراة سيدنا محمد أفضل العباد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاما الى يوم المعاد آمين

●(خاتمة)●

روى الامام أحمد بن حنبل في مسنده والترمذي في سننه عن عمرو بن مرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من امام أو والي يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة الا أغلق الله أبواب السماء دون حاجته وخلته وسكنته ولهذا كان بعض الحكام لا يغيب عن بيته ولا يمكن الا في دهليزه وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيها الناس من ولي منكم عملا طلب به عن ذوي حاجتهن المسلمين حجبه الله يوم القيامة ان يلج الجنة فليس شيء أحب الى الله عز وجل من قضاء حوائج المسلمين ومن كانت همته الدنيا جعله الله عز وجل عن حوارى فاني بعثت بخراب الدنيا لم أبعث بعمارتها وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يدل الناس من امارة برة أو فاجرة فاما البرة فيعدل في القسم ويقسم فيكم بالسوية وأما الفاجرة فيتبل فيها المؤمن والامارة الفاجر تخير من الهرج قيل يا رسول الله وما الهرج قال القتل والكذب (فائدة) الهرج باسكان الراء الفتنة وكثرة القتل وعدم تبصر البصير روى انه صلى الله عليه وسلم قال ليس من نفس بارة ولا فاجرة الا وتلوم نفسها يوم القيامة ان لم تحمل خيرا قالت كيف لم أزدد وان حملت شرا قالت ما لبثتي قصرت وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيلي أمورا كم من بعدي رجال يطعمون السنة ويعملون بالبدعة ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها (فائدة) تعريف البدعة من ابتدع الشيء أي اخترعه وأحدثه ثم غلب على ما خالف قواعد الشرع وروى الحاكم وصحح اسناده من رفع من أمر رأى شيأ فاحب بهم احتجبت عنه يوم القيامة وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل أقواما يعصمهم النعم لمنافع العباد ويقرها فيهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم وحولها الى غيرهم أخرجه الطبراني في الكبير وأبو نعيم في الحلية وغيرهم وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعان ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها اصلاح أمره كله وثلثتان وسبعون درجات يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبغى حاجة من لم يستطع ابلاغها حبث الله قدميه على الصراط وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لاخيه المؤمن في حاجة قضيت أولم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم يحاسبه يسره بذلك يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن ومن رسالة للجاحظ عما أتى فيها بالحكمة قوله كان شفيعه الى الذل حتى تسهل مهار شفيع اذ ذاك الى قلبك حتى تفهمها رشفيع قلبك الى نفسك حتى تعمل بها وقال ابن زيدون في رسالته المعروف بغرة النعمة والشفاعة زكاة المروءة ومن كلام الحكمة يقل الجاه أحد المالين وشفاعة اللسان أفضل زكاة الانسان ويذل الجاه فرد المستهين والشفيع مفتاح الطالب والشفاعة أمر مندوب اليه منطوق به القرآن وحثت عليه السنة قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وقال جابر بن عبد الله من كثرت نعمة الله عليه كثرت حوائج الناس اليه فاذا قام بما يجب فيه فهي معرضة للدوام والبقاء وان لم يقم فيها عرض نعمته للزوال نعوذ بالله من ذلك ونسأله التوفيق والعصمة ومن أبي موسى الاشعري

عسكرا أمامه الى العريش وتوجه بعدهم بنفسه اليها ففتحها الله عليه في مدة يسيرة فحوصحفة ياهم ان يوبايا رتها لمذاهب الى الشام حاصرها أربعة عشر يوما فلم يقدر على أخذها مع كون من فيها شرذمة قليلة من عسكر مصر فلما فنيت ذخيرتهم طلبوا الامان وتوجوا هاربا ما الفرنساوية الذين كانوا فيها فاندهم ذخيرة كثيرة وجبخانة عظيمة لكن معونة الله ساعدت الوزير المذكور على أخذها ثم لما استقر وكابه هناك ذهب اليه جماعة من الفرنساوية ورسطوا بينهم وبينه جماعة من الانجليز في اجراء الصلح بينهم فصالحوه على انه يترك لهم ما قبضوه من الاموال وأن يدفع لهم جانبا يستعينون به على السفر وشرطوا شروطا كثيرة منها انهم يمكثون في مصر والبر الشرقي مدة أربعين أو

رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتاه طالب حاجة أقبل على جلسائه وقال استعينوا على قضاء حوائجكم بالبكور فانى رأيت الله على لسان نبيه ما أحب متفق عليه وفى مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى بيتى هذا عن ربى من أمر أمتى شيأ فأشق عليهم فاشقق عليهم ومن ولى من أمر أمتى شيأ فرفق بهم فارفق بهم به (فائدة) الرفق هو التوسط والملاطفة فى الامر مع الناس ضد العنف والخرق وقد تقدم الكلام على الفرج وقال عبيد الله بن طاهر لا ينبغى لمظلمة أن تظل ربه يدعو الظلم ولا ينزل ومنه يتوقع الجود من الفردوس من نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على أمتى زمان يكون السلطان كالسبع ومن قبله كالكلب ومن قبله كالثعلب ويكون المعلم كالشاة فكنى تسلم الشاة بين سبع وذئب وثعلب فولوا فى ذلك الزمان بالسلام سلم بالسلام سلم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الراحمون يرحمهم الرحمن قال الشارح ناظما

ان كنت لا ترحم المسكين ان ظلما ● ولا الفقير اذا يشكوك العدما
فكيف ترجو من الرحمن مرحمة ● وانما يرحم الرحمن من رحما

ذكر الجلال السيوطى فى الاحاديث العشارية الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء وقال ناظما

ارحم الى فى الارض يرحمك ● من فى السماء فما عدمنك رسولها
وقل أعوذ بربّ الناس منك اذا ● لا يرحم الله من لا يرحم الناسا

ومن كلام الحكمة يستدل على ادبار الملك بخمسة أمور الاول الا كتفاء بغير أهل الديانة الثانى أن يقصد مودة أبيه وأسلافه بالاذى الثالث أن ينقص خراجهم عن قدره مؤثرا تملكه الرابع أن يكون تقريبه وابعاده للغرض نفسه معرضا عن مراتب الناس الخامس استهانته بنصائح الفضلاء وآرائهم ذوى التجارب ويقال من عمى نصيحا فقد استفاد عدوا وقال بعض أهل الحكمة الملك بالملك والملك بالجند والجند بالمال والمال بعمارة البلاد وعمارة البلد بان بالعدل فى الرعية وقيل فى المعنى

عليك بالعدل ان أولیت مملكة ● واحذر من الظلم فيها غاية الحذر
فالملك يبقى مع عدل الكفير ولا ● يبقى مع الجور فى بدو ولا حضر

وقال الشاعر ايضا خف الله واحذر من عواقبه ● مسرتها تفنى ويبقى لك الوزر
ولا تحقرن ذنبا صغيرا تضيفه ● الى غيره فالخيط أوله قطر

واعلم انه لا ذنب أعظم من ظلم الناس وأخذ أموالهم بغير حق لا سيما من كان ضعيفا ومسكينا أو لا عقل له أو كان لا أثر فت نفسه على الهلاك وقال الامام على كرم الله وجهه ملك بالعدل كثير بلا ماء وعالم بلا عمل كثير بلا مطر وغنى بلا جود كأجير بلا أجر وشاب بلا توبة كقنديل بلا زيت وفقير بلا سير كبيت بلا سقف وامرأة بلا احياء كطعام بلا ملح وقال طلحة الطلحات لا سدين عبد الله وهو والى خراسان ان كنت تعطى من ترحم فارحم من تظلم ان السموات لتفرج لدعوة المظلوم فاحذر من ليس له ناصر الا الله ولا حجاب له الا الشقة به ولا سلاح له الا الابتهال اليه فان البغى يصرع أهله والدين مصرعه وخيم فلا تقعن بأبناء الغيابات من تأصر منى شاء ان يغبث أغاث ورد أمل لقوم لكى يزدادوا انعما وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل انه اشتد غضبى على من ظلم من لم يجد ناصرا غيرى نقل العزفى فى كتابه حدث شاهين ابن عباس رضى الله عنهما قيل يا رسول الله أتهلك القرية وفيها الصالحون قال نعم قيل بم يا رسول الله قال بتهاونهم وسكوتهم عن معاصى الله ومن الجامع الصغير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من

خمسة وأربعين يوما يقضون فيها أشغالهم وبعد ذلك يذهبون الى الجزيرة يتردون ما بين الصعيد والاسكندرية لتظهر تلك المدة حتى يجمعوا عساكرهم من البلاد فاما بهم الوزير لذلك لملامة صدره فلما حضر بعكره ونزل ما بين الخانقاه الصريا قوسية والمطرية تعللوا عليه بأن الانجليز لم تمكنهم من السلوك فى البحر ومكنوا مدة يتعاهدونه حتى جمعوا عساكرهم وغدروا الوزير المذكور وهجموا عليه بغتة فانكسر رأى أمامهم وسببه انه اعتمد على الاصطلح المذكور لسلامة صدره ولم ينظر ببساطة أنهم يغدرون فارجع بعض العساكر والجبخانة فوافق المدافع العظيمة ولم يقدم الا عدد مع صغيرة لا تقاوم مدافعهم ثم رجع من العسكر الذين كانوا بالمطرية جملة صحبة كنغدا الدولة عثمان كتخدا منهم نصوح باشا والى مصر حالا

مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الاسلام ومن الجامع الصغير أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أفرع أخاه فقد أمان على هدم الاسلام وذكر شيخ الاسلام ابن حجر العسقلانى فى الاربعين حديثا التى جمعها ﴿الحديث التاسع﴾ عن ابن هبر رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاصم فى باطل وهو يعلم لم يزل فى سخط الله حتى ينزع رواه أبو داود وصححه الحاكم وفى لفظ آخر من أعان على خصومة بظلم فقد باء بغضب من الله تعالى ﴿الحديث الحادى عشر﴾ من الاربعين حديثا المتقدم ذكرها من حديث ابن عباس رضى الله تعالى عنهما سمعا لفظه من أعان ظالما ببباطله ليدحض به حقا فقد برئ من الله ورسوله وقد أجمع المسلمون على تحريم الظلم قليله وكثيره ومن استحله فهو كافر والظلمة من المكاسين وغيرهم خالدون من هذا كله ومن قوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة صاحب مكس حديث حسن رواه الامام أحمد فى مسنده وهذا الحديث مع قوله صلى الله عليه وسلم فى قصة الغامدية فوالذى نفسى بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له من املاء الشيخ جلال الدين السيوطى على الدرة الفاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا القيتم ظالما فاقتلوه أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن عبد الملك بن سلمة عن أبى فيمة الى الامام أحمد عن الطبرى وعن منصور بن مجاهد فى قوله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون خال نزلت فى المكاسين وأنشد

أقتل أولى المكس لا تمكثوا ... ان حرموا ذاك أو حللوه
فان خير الخلق أوصى به ... اذ القيتم ظالما فاقتلوه

﴿وقال بعضهم﴾

مصر العبيد اصبحت ... دار لطيب بها النفوس
فالظلم فيها قد نشا ... وأصله قبض المكوس

وذكر بعض الافاضل أن الشيخ عبد الحميد بن الشاه المتقدم ذكرى كتابه البركة فى فضل السعى والحركة قال صلى الله عليه وسلم خلق الله ولد الزنا أخفاه بن خلقه فاذا أراد أن يظهر جعله مكاسا أو عرائيا وقد أحدث الظلمة أشياء تقشعر من سماعها الجلود فضلا عن مشاهدتها كالاشهار هذه الخاص والعام لما أركزه الله فى قلوبهم من حب الدنيا الدنيئة والغفلة عن الآخرة وقد ورد ان الظلمة قالوا سنوا للظلما حدودا فلهم نعمة وأنتم الاستغفار والرجوع اليه قال الله تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار وقال تعالى وقد خاب من حمل ظلما وقال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال صلى الله عليه وسلم اذا رأيتم الرجل يعطيه الله ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلموا انه استدراج ثم قرأ فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شئ حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (ثم ذكر) تعريف الظلم هو مجاوزة الحد والتعدى على خلق الله وقال الراغب هو لغة وضع الشئ بغير موضعه بنقص أو زيادة أو عدول عن وقته أو مكانه قال صلى الله عليه وسلم اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة قال الشارح الظلم على أصحابه فى الدنيا بمعنى انه يورث ظلمة القلب فاذا أظلم القلب تلمو تصير فلا تجد الهداية والبصيرة فصار صاحبه فى ظلمة ذكر البيضاوى فى تفسيره وروى انه فى سورة النبا عند قوله تعالى يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا أى جماعات من القبور الى المحشر روى انه عليه أفضل الصلاة والسلام سئل عنهم فقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون يمشون على وجوههم وبعضهم عمى وبعضهم صم وبعضهم البكم مدلا تعقل صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم يلبسون ثيابا من قطران لازقة تجلو وهم ثم قرهم على القتاد وأكلهم الصبر وآكل الربا والخائنين فى الحكم والمجبرين باحكامهم والعلماء الذين خالف قولهم عملهم والمؤذنين جيرانهم

وابراهيم بك شيخ البلد حالا وبعض صناجق وقدم له ضامن جهة الصعيد بعض عساكر جعبة حسن بك الجداوى ومن جهة دمياط بعض أرنؤط وقد بلغ الالفى وهو اليال والمماليك الجميع فى مصر وبرها لهم بعض الجفالة والمدافع جهة نحو اربعة السيد أحمد المحروقى لطف الله به ومنعوا الفرنسيس من دخول البلاد وأحاطوا بجميع جوانبها ومنعوا من يدخل اليها ومن يخرج منها وحصل للفقراء ضنك بسبب قلة القمح لكن حصل لطف بسبب كثرة الارز والعدس والفول وكان ثمن ربع الارز ثمانية وأربعين نصفا الفضة والعدس اثنين وعشرين نصفا فضة والفول قريبا من ذلك وصار الفرنسيس يشترون البلد بالمدافع والقناجر حتى أتلفوا منها بعض أماكن وليت من ذلك الا القليل من الناس وذلك بفضل الله تعالى

والساعين بالناس الى السلطان والتابعين للشهوات والمانعين حق الله تعالى والمتكبرين وأهل الضلالة
وقال بعضهم قال ابن عباس رضي الله عنهما ما تكلم بعض الملوك بكلمة بقي وهو جالس على سريره فمحضه الله
فليرى أثره في المعنى أيها المستطيل بالبقي قصر • ظلما ظالما بالزمان وبؤسا
وتذكر قول الاله تعالى ان قارون كان من قوم موسى

(وقال الامام الشافعي رضي الله تعالى عنه)

اذا ما ظالم استعمل الظلم مذهبا • ويمّ عتوا في قبيح اكتسابه
فكله الى صرف الليالي فانها • ستبدي له ما لم يكن في حسابه
فكم قد رأينا ظالما قد تصبرا • يرى النجم تيها تحت ظل ركابه
طفى وبغى حتى اذا قهر البغا • أناخت جميع النائبات ببابه

وقد ورد في الباقي آثار منها ان النبي صلى الله عليه وسلم أوصى رجلا فقال له انهك عن ثلاث لا تنقض
عهد اولي ولا بغي فانه من بغى عليه لينصرنه الله وإياك والمكر السيء فانه لا يحيق الا باهله وقال صلى
الله عليه وسلم اذا جار الحاكم كفل المطر واذا انتقض العهد جار العدو واذا ظهرت الفواحش كانت الزلازل
وقال صلى الله عليه وسلم اذا رضي الله عن قوم أمطر هم المطر في وقته وجعل المال في سمحائهم واستعمل
عليهم خيارهم واذا سخط عليهم استعمل عليهم شرارهم وجعل المال في بخلائهم وأمطرهم المطر في غير
وقته ذكر البيضاوي في تفسيره في سورة المطففين وبل للمطففين التطفيف البخس في الكيل والوزن
وروى ان أهل المدينة كانوا أبخس الناس كيلا فنزلت وفي الحديث خمس بخمس ما نقض العهد قوم الا
سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله الا أفشا فيهم الفقر وظاهرت فيهم الفاحشة الا أفشا فيهم
الموت وما طففوا الكيل الا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم المطر حدث
واصل بن عبد الله السلمي عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما يذهب من هذا الدين
الامانة وآخر ما يبقى منه الصلاة ويصبح من لا خير فيه وما فشا الزنا بين قوم الا استوجبوا حرب الله
ورسوله ولا ظهرت فيهم المعازف والغناء الا غيث فلو بهم ولا ترك قوم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الا
نكست قلوبهم حتى لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا قيل ان سيدنا عيسى عليه أفضل الصلاة
والسلام رأى ابليس وهو يسوق أربعة حمير فقال ما هذا قال أسوق تجار تلك العير يريد الجور للسلاطين
والحسد للعلماء والخيانة للتجار والكبد للنساء ومن كلام الحكمة الاسباب التي تجر الملك الى الهلكة ثلاثة
أحدها أن تتأثر شهواته على عقله فيستهوه بدنه وان الشهوات قليلة اذا اقتصد ولا راحة الا
لمقتصد والثاني من جهة الوزراء وهو الحاسد المقتدي تعارض الآراء فلا يسبق أحدهم الى حق الا
عورض وفند الثالث من جهة الجند وهم صنفان صنف ضعف وسع الملك عليهم أرزاقهم فابطرهم الاسراف
وصنوا بنفوسهم للاتلاف وصنف قتر الملك عليهم أرزاقهم فرأوا في الاجتهاد وبسوط النفاق واعلم أن
آفة الملوك سوء السيرة وآفة الوزراء خبث السريرة وآفة الجند مخالفة القادة وآفة الرعية مخالفة السادة
وآفة الرؤساء ضعف السياسة وآفة العلماء حب الرياسة وآفة القضاة شدة الطمع وآفة العدل قلة الورع
وآفة القوي استضعاف الضعيف وآفة التاجر منع الثمن والملاقة لا يصلح فيها الا التقوى والرعية لا يصلحها
الا العدل فمن جار في قضيته ضاعت رعيته ومن ضعفت سياسته بطلت رياسته ومن كلام الحكمة خير
الملوك من أشرب قلوب رعيته محبة لا تزول ولن ينال ذلك الا بخمسة أشياء كرام شرفها واخافها ظلمها
ورحمة ضعفها وكف عدوان طاعتها وتأمين سبل الحج وفادتها روى عن الامام علي رضي الله عنه انه
قال عباد الله عامة من فساد الخاصة وفساد الخاصة تنقسم على أربعة أقسام العلماء وهم الذاهون على الله والزهاد
وهم الطريق الى الله والتجار وهم أمناء الله والملوك وهم رعاة دين الله فاذا كان العالم طماعا والمال جامعا
فبمن يقتدي اذا كان الزاهد راغبا فبمن يهتدي واذا كان التاجر خائنا فبمن يأتمن واذا كان الملك جائرا

فيمن يتصدقون ما أهلك الزعيم الا العلماء العاملون والزهاد الراغبون والتجار الصادقون والملوك العادلون فأما انا واليهود فحسبنا ونعم الذين يقولون أي منقلب ينقلبون وقال صاحب النفحات المكية وأما أصناف العدل من الخلائق فخمسة رفع الله بعضهم فوق بعض درجات كما قال تعالى وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ﴿ فالصنف الاول ﴾ الانبياء عليهم الصلاة والسلام فهم أولا الامة وسيد الدين والاسلام ومعادن حكم الكتاب وأمناء الله على خليقته وهم الهداة والقدوة والسرج المنيرة في سبيل الهدى ورحمة الامانة عن الله الى خلقه بالهداية وأنزل معهم الكتاب والميزان وأن لا يتعدد واحد مما أنزل الله من الاوامر والزواجر ارشادا وهدايتهم حتى تقوم الناس بالقسط والحق وتضرع جوارحهم من ظلمات الكفر والطغيان الى فوز اليقظة والايمان وهو سبب نجاتهم من دركات جهنم الى درجات الجنان ﴿ الصنف الثاني ﴾ العلماء وهم ورثة الانبياء فهموا مقامات الاقتداء من الانبياء فاقتدوا بهداهم واقتفوا آثارهم فصدقوا بما أتوا به ورشدوا كلهم وأيدوا دعوتهم ونشر واحكمتهم كشفوا وقوته فبقوا بما بكمال البلاغة فهم ظاهرا بالمثال أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون وما مر على هذا الزمان من الاختلال في حال البعض من حب الرياسة والمال والجاه والحسد لا يقدح في حق الجميع فهو قائد لنا ولهم ﴿ تنبيه في هذا الخلل ﴾ وهو ان مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا الانصاري رحمه الله أفاد في شرحه على المنهج حيث قال قال بعض العارفين العلم عقلة البحر الذي لا يجري منه ولا دمن الوادي نهر ثم من النهر جدول ثم من الجدول ساقية فلو جرى البحر في النهر أو النهر في الوادي الى الجدول لغرق وهو المراد بقوله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فيجوز والعلم عند الله ان الله أعطى الرسل منها أودية ثم أعطت الرسل من أورثتها العلماء أنهارا ثم أعطت العلماء من أنهارها العامة جدولا ولكل بقدر طاقتهم والمناسب أن يقيد العلماء بالمتفقة في الدين ﴿ الصنف الثالث ﴾ الملوك الذين هم براعون العدل والانصاف بين الناس والرعايا توصلا الى تظام المملكة وتوصلا الى قوام السلطنة في أمواهم وأبدانهم وعمارة بلدانهم بالعدل ومنع القوي من الضعيف والغني من الشريف فرأس الجملكة وأركانها وثبات أحوال الامة وبنياتها العدل والانصاف فان الله تعالى أمر بالعدل ولم يكتف به حتى أضاف اليه الاحسان فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان لان العدل ثبات المملكة ودوامها والظلم خرابها وقد قال سفيان الثوري صنفان اذا صلحا صلحت الامة واذا فسدا فسدت الامة الملوك والعلماء ﴿ الصنف الرابع ﴾ أوساط الناس يراعون بالعدل في معاملاتهم وأرش جناياتهم فيكافئون بالحسنة الحسنة والسيئة السيئة ﴿ الصنف الخامس ﴾ الفائقون بسياسات نفوسهم وتعديل قواهم وحفظ جوارحهم وتخرابهم في سلك العدل لان كل فرد من افراد الانسان مسؤل عن رعاية رعيته التي هي جوارحه وقواه كما ورد كل راع مسؤل عن رعيته قال صاحب الدر رمسؤل عن أهل بيته وحاشيته ولا يتوقع الشخص في غير مالم يوكل في نفسه والتأثير في القريب قبل البعيد كما قال الله تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقال الشاعر

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ● عار عليك اذا فعلت عظيم

انتهى كلام النفحات المكية وهي ذكر الصنف الثاني من النفحات المكية المتقدم ذكرها قال الشاعر

اجعل العلم باقيا لك قيدا ● واتق الله لا تضيعه وريدا

لا تكن مثل معشر فقهاء ● جعلوا العلم للدراهم صيدا

طلبوه تصريره معاشا ● ثم كادوا به البرية كيدا

فلهم اسهب البلاء علينا ● مستحقا وسادت الارض عبدا

وقال الغزالي رحمه الله تعالى في بداية الهداية أيها الحريص ان كنت تقصد بطلب العلم المنافسة والمباهاة والتقدم على الاقران واستمالة وجوه الناس اليك وجمع حطام الدنيا فأنت سلع في هدم دينك واهلاك

نحو عشر خزن وكل يجمع ذلك سلامي القبط يقال له يعقوب فقرد ذلك على طوائف الناس والمعرف وصار يجمع ذلك منهم عنيفة عظيمة من ضرب وغيره حتى صار بعض الناس يموت من شدة الضيق والحبس والمطلوب امن شيخ السادات سيدي محمد ابي الانوار ملا عظيم الحنوتة وحبسوه وباعوا جميع متاعه فأتلف بثلث ما طلب منه فأخذ وامنه في تغيير الحال التزامه وتعلقاته ما عدا العقار والرزق والتزام الحريم ثم في يوم السبت الحادي والعشرين من المحرم سنة خمس عشرة ومائتين وألف خرج رجل على ساري العسكر المذكور فقتله في بستان خلف البيت الذي في الازبكية وقبض على ذلك الرجل فذهبي انه جاء من الشام منذ ثلاثين يوما واختفى في رواق الشوام بالجامع الازهر وهي جاءت منه كان

نفسك ويبسم آخرتك بدنياك فصفقتك خاسرة وتجارتك بائرة ومعاملتك مع الله على غير ما يرضيه تغر بنفسك فى الخسران وهو كما تائم سيف لقاطع الطريق قال صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم قالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وعابه بعزى لولا ان الشيخ عبد العزيز الديرينى رحمه الله تعالى

ان شئت دهنى فقيه قوم ● فطاول الكم ثم صم
واجعل على الرأس طيلسانا ● والبس على الركبتين واحم
وباحث القوم فى عباط ● لا من بخبارى ولا معلم
الا زعيق ونقش كم ● وقول لا لا ولا نعم
ثيابهم بيضوا رياء ● وقلبهم بالسواد مظلم
وان رأوا الوقف يأكلوه ● ويتركوا العلم والمعلم
احذر ترى فى الورى فقيها ● اهرب وقل يا سلام سلم

وقال صلى الله عليه وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال صلى الله عليه وسلم العالم بغير عمل كالمصباح يحرق نفسه ويضىء للناس وقال صلى الله عليه وسلم العالم الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه وقال صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه علمه ذكره رواه الحاكم فى والبيهقى وغيرهما لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال صلى الله عليه وسلم أنا من غير الجهال أخوف على قبيل من هم يا رسول الله قال علماء السوء (واعلم) ان التأنى فى طلب العلم على ثلاثة أحوال رجل طلبه ليتخذ معاده وهو ينقصه الا وجه الله والدار الآخرة فهذا من المفازين ورجل طلبه ليستعين به على حياته العاجلة وينال العز والمال وهو مع ذلك مستشعر فى قلبه ركاكة فهذا من الخاطرين يخاف عليه سوء الخاتمة وبقى أمر ثالث ان وفق للتوبة قبل حلول الاجل ورجل استحوذ عليه الشيطان فحفظ عليه ذروة العز فى التكاثر بالمال والتفاخر بالجاه والتعزز بكثرة الاتباع يدخل بعلمه كل مدخل وجاه أن يقفى وطره من الدنيا وهو مع ذلك يشعر فى نفسه انه عند الله بمكان فلا تسمه بميسما العلماء فما أشد هذا المغرور وأسفه أكثرهما أصفه بأقواله انتهى كلام الغزالى وقيل

الى رأيت الناس فى عصرنا ● لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لأصحابهم ● وعدة لقاطع الخشم

ومن الجوامع الصغير من أكل بالعلم طمث الله على وجهه ورده على عقبيه وكانت النار أولى به ● ومن الفرد وس عن ابن مسعود رفعه انه ستجىء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى على الناس زمان يكون عامتهم يقرؤن القرآن ويجتهدون فى الصلاة يستهزئون بهل أهل البدع بشركون من حيث لا يعلمون يأخذون هدى قرائهم وعلمهم الورق ويا تكون الدنيا بالدين هم أتباع الدجال الأعور (وهما) أفاده مولانا شيخ الاسلام الشيخ زكريا رحمه الله فى شرحه على المنفرجة حيث قال ان كتاب الله تعالى خص بالذكر لانه مرجع الأوامر الكبرى والنعمة العظمى فى بيان ما لا تهتدى اليه العقول فى الاعتصام من الفتن خير يسكون فتن كقطع الليل قيل فما النجاة منها يا رسول الله قال كتاب الله تعالى فيه نبأ لمن قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو فصل ليس بالهزل من تركه تصرا قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم والصراط المستقيم هو كلام الله لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس منه الآراء ولا تشبع منه العلماء ولا تخلق الاتقياء من عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن اعتصم به فقد هدى الى صراط مستقيم (وهناك طبقة) لا يأس بايرادها فى هذا المحل وهى ان الشيخ زكريا المشار اليه آنفا كان قاضى القضاة بالديار المصرية وكان معاصره الرجل من العلماء فاخذ

ذلك الرجل يعيب الشيخ ذكر بأبو لاية القضاء ويشنع عليه في المجالس ثم ان ذلك الرجل رأى في منامه رب العزة جل جلاله فقال له ما ذلك ولعبد نادكر بان الخصيصي انهار اصابه الخسف بالام ان ذلك الرجل تاب الى الله تعالى ورد جميع ما هو فيه وجاء الى الشيخ ذكر ياء معتذرا فانظر الى هذا المقام الذي للشيخ ذكر ياء رحمه الله تعالى (وعاقبة) الكثير من الناس من ابتلي بالتردد على أرباب الولايات ومحاسبتهم من يتصدى الى علم أو صلاح فانه يرى منهم مالا يحصل فعله فلا ينكر عليهم فيقع بسبب ذلك في الهلاك وربما يظن صاحب المجلس ان سكوته عن النهي عن المنكر تقرير له واستحسان فيتمادى على ذلك فاحتاطوا يا ناس يحضر ون مجالس الظلمة ويشاهدون من ظلمهم مالا يحصل من اكراه ضرب ومصادرات وغير ذلك ولا ينكرون عليهم والعجب من اطباق هؤلاء الناس من يتظاهر بالدين والصلاح على ذلك فانا لله وانا اليه راجعون ابيق من الاسلام الا اسمه ولا من القرآن الا رسمه ومن تذكر فسيذكر وهل يعاد ورداء فقد أحسن الى نفسه ويرجى فوزها في ظلمات رمسه ومن ليحصل الله فوائد الخلاف من نور ه من الجامع الصغير عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رأيت العالم يخالط السلطان مخالطة كثيرة فاعلم انه لص قال الشارح أي سارق يحتال على اقتناص الدنيا بالدين ويحيط بها اليه من حرام أو غيره فاحذره أما مخالطة أحيانا لمصلحة كشفاعة ونصر مظلوم فلا بأس والله يعلم المفسد من المصلح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزداد الامر الا شدة ولا الدنيا الا ادبارا ولا الناس الا شحا ولا تقوم الساعة الا على شرار الناس ولو بسطنا القول في هذا لاتسع الخرق على الراقع ولكن نسأل الله العفو والعافية ومن الخاتمة والتوفيق للعمل الصالح بمنه وكرمه (ومن) كلام الحكمة أحسن الملوك من تكلف الكلف عن رعيته فانه سائسها في اقبالها وادبارها والقائم على ثغورها بسدادها والرادع لمراقبها عن افسادها والحافظ لدينها والمعدد للازل المهمات قبل حينها والحامي لفيئها وانواجها والمنفق في مصالحها وحاجاتها والمجاهد لعدوها والكالئ لضعيفها من قويها والرشيد هاد من غويها مع شدة مثال الملك الذي رعيته في سور ة أمره وتنفيل نفسه ونهيه ومنعه عدوها وعدوه والى ذلك اشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه من ولي أمر المسلمين فهو عبدهم ويقال آمر يعتمن استقبلها بالعنف في أربعة أحوال ملك الملك في حال غضبه والسبل في حال سدمته والفيل في حال خلعته والرعية في حال هيجانها ويقال ان الرعية لا تقاوم عاقل ذي حزم بأن يخرج السوقة والصغار وأرباب الصنائع من طبقات الجند الى طبقاتهم فانه ليس في قواهم ما في قوى الجند من بذل النفوس في تشييد عز الملك ولم تزل قدماء الملوك يلزمون كل طبقة ترك التعرض للترقي منها

﴿ فصل في ادارة الرأي والاحتراز من العدو ﴾ قال بعضهم الرأي مرآة العقل فمن أردت استحسان صوره وتعقله فاستشره وهي ثمرة سبعة لا يبقى لذي لب أي يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومرءو جبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والبخيل حريص على جمع المال فلا رأي له في غير وذا الهوى أسير هواه فلا يفارقه على مخالفته واحترز من تدبيرك على عدوك كاحتراسه من تدبيره عليك فرب ناصح اتتهم دبر وساقط في البئر الذي حفر وجريح بالسلاح الذي شهر ويقال اذا أمكنت عدوك من أذنك فقد تعرضت للغرق في بحره والخوض في وحل معره والعجب ان يبقى لعدوه ويطيع له سمعا وطاعة ولا يجعله نفعا ويقال من غرس العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس المكر اجتنى المقت ومن غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكد والاثم على اختلاف أزمانها وبلدانها وآدابها اتفق على مدح أربعة أخلاق العلم والزهد والاحسان والامانة (حدث) عبادبن كثير عن أبي ادريس عن وهب بن منبه قال من أخلاق العاقل عشرة العلم والعمل والرشد والعفاف

ساحل أبي قير والاسكندرية وما وصل هناك وقبيه وبينهم حروب وهزم الفرنسيس وقتل منهم خلق كثير والمماليك الاسكندرية فاحتاطوا بها المسلمون والانجليز وقطعوا البحر المالح حتى أعلموا بها والمماليك جهزتهم الى الرحانية وقصدوا قلعة بنوها هناك فتوجه المسلمون والانجليز الى رشيد وأخذ وها وأخذوها أيضا فتوجه الفرنسيس الذين كانوا فيها والمماليك الى مصر وتوجهوا مع من فيها الى الصالحية المسلمين الذين قدموا الى البر من الشام مع حضرة الوزير الاعظم يوسف باشا وحصل بينهم مقتلة عظيمة فنصر الله المسلمين وهرب الفرنسيس الى مصر وذلك في أوائل المحرم سنة ألف ومائتين وستة عشر وقد حبوناك الفائدة مع اخواتها من العلماء خوفا من قيامها أهل البلد عليهم

والصيانة والحياء والزانة ولزوم الخير والمداومة عليه وقصر الشر عنه ومن أهله وطواعية الماصح وقبوله منه وحدث حسان بن عبد الله البصري عن المسرين يحيى قال وحدث كثابا فيه قول قاله وهب ابن منبه من يرحم يرحم ومن يعف يسلم ومن يجهل يغلب ومن يجل يتعلم ومن يعرض عن الشر لا يسلم ومن لا يجمع المراء يشتم ومن يكره الشر يأثم ومن يكره الشر يسمع ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يعمل لله يأمن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسأل الله يفقر ومن لا يكون لله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وبقال صفاء النفس النظافة عن مواطبة الفكرة الصادقة ومن لا فكرة له فيما خلق لا حيلة له فهو مسلوب بمعنى الانسانية وحقيقة الراحة وبقال الامانى فى الشدة ارتياح وفى الرخاء جماح فلا يصلح للعاقل أن يريح نفسه فى الامانى الا بعقد اربا يؤنس الوحشة وينفس الكربة وبقال استيلاء الامانى على النفوس كتأمر السفلة الذين يصلون الرؤس اذنابا والاذناب رؤسا وبسعون فى تغيير صور الصواب روى الطبرى باسناد صحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال والذى نفسى بيده لا تقوم الساعة حتى يظاهر الخبث والخبث ويتوقى الامين ويؤتمن الخائن وتملك الوعول وتظهر الخمر وتقولوا يا رسول الله ما الوعول وما الخمر قال الوعول رءوس الناس وشرارهم والخمر الذين كانوا تحت أقدام الناس لا يعبأ بهم (فائدة) الفحش هو السوء والفحشاء ما أنكره العقل واستقبحه الشرع وقيل السوء هو القبائح والفحشاء ما يجاوز الحد فى القبح من الكبائر وقيل الاول ما فيه حد والثانى ما شرع فيه الحد ﴿ ختام هذه الخاتمة فى التفويض والصبر (أما) التفويض فهو اعتقاد العجز عن مقاساة القدر وأنه لا يكون من الخير والشر الا ما أراد الله كونه ولا يصح التفويض بمن لا يعتقد ذلك ويعلمه علم اليقين قال صلى الله عليه وسلم لابى هريرة من كلامه له وأبى أصابك شئ فلا تقل لو فعلت كذا وكذا كان كذا ولكن قل قدر الله تعالى ومن كلام الحكمة اذا كانت مقابلة القدر مستحيلة فمن أعوانه تسكون الحيلة الكيس الماهر من استسلم لامر القادر (وأما الصبر) فقد تقدم الكلام على لبدة منه فى خلاقة المتقى لكن لا بأس بايراد نبذة منه فى هذا المحل فقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله وقائده والرفق والده والبر أخوه والصبر أمير جنده وقال صلى الله عليه وسلم ما أعطى المؤمن عطاء أوسع من الصبر وان الصبر من الانسان بمنزلة الرأس من الجسد (فائدة) الصبر للثواب صبر من لا يحتمل ولا يطيق لنزل ولم يكن فى حوادث الدهر وروائعه ما يغنيك عن الحيل ويأتيك مالا تقدر بحولك ولا بحيلتك ولم يكن فى الصبر الا ما جاء فى القرآن العظيم من الثناء على من اتصف به ومن الوعد بالعقبى وما جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج بالصبر عبادة لكان ذلك كفاية وروى عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله وقالت عائشة رضى الله عنها ولو كان الصبر رجلا لكان كريما وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه القناعة سيف لا ينبو والصبر مطية لا تكبو وأفضل العدة الصبر على الشدة وسئل الامام على رضى الله عنه أى شئ أقرب الى الكفر قال فرقة لا صبر له وقال الحرث بن أسد المحاسبى لكل شئ جوهر وجوهر الانسان العقل وجوهر العقل الصبر قال الشاعر

لا تعجزن لعسر ضن بعده ♦ يسران وعد الله غير مخلاف
كم عسرة ضاق الفتى لنزولها ♦ وبجى فى أعطافها الالطاف
(مفرد) ما أحسن الصبر ولكنه ♦ فى ضمنه يذهب عمر الفتى

(وقال القاضى الفاضل)

يقولون ان الصبر يعقب راحة ♦ وما فهموا تبليغ عاقبة الصبر
وفى الصبر يرجى أو طريق مبلغ ♦ الى الريح لكن الخسار فى العمر

(والمراح الوراق)

وخاتمة

كان وقع منهم سبقا فكنا فى القلعة ثلثمائة نفر ومن ذى القعدة الى أواخر صفر ستة عشر ومائتين وألف وسبب خروجنا من الحبس وقوع الصلح بين المسلمين وبين الفرنساوية على أن يخرجوا من البلد بسافر وا على رشيد وأبى قيم ووقع بينهم شروط كثيرة منها ان يرسلوا الى عبد الله متوفى الاسكندرية ما أمن يدخل فى الصلح المذكور واما ان يصار بهم وخرجوا من مصر يوم الجمعة المذكور بقيتامن شهر صفر المذكور ذهبوا الى الجيزة ثم توجهوا منها يوم الاربعاء رابع شهر ربيع الاول من السنة المذكورة الى رشيد وأبى قير صحبتهم بعض عساكر كثيرة من المسلمين والانجليز وأتوا بهم فى المراكب وامتلأت مصر بهاكر المسلمين وبعض عساكر الانجليز ودخل الوزير الاعظم مصر يوم الخميس فى موكب عظيم

وقائل قال لي لما رأى قلقي * لطول وعدٍ وآمالٍ تمنينا
عواقب الصبر فيما قال أكثرهم * محمودة قلت نخشى ان تخوّنا

والصبر انواع كثيرة والتي يعدّ المقام صبر الملوك وهو عبارة عن ثلاث قوى الاولى قوة الحكم وثمرتها العفو الثانية قوة الحفظ وثمرتها عمارة المملكة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها الثبات قال الشاعر

لا تقذف المحبوب في كل وقت * ولا تخشها اذا هي جات
فحقيق دوام ما ليس يبقى * كثرة في الزمان أو هي قلت
وادرع الهموم صبرا جميلا * فالرزايا اذا توالت قوّت

ولكن هذا آخر ما يسر الله تعالى جمعه على يد مؤلفه محمد بن اسحق في هذه الاوراق عارقي معناه وراق لا سيما مع تشتت البال والاشتغال بهم العيال والخاطر بالافكار مشغول والعزم للانواء بالامور وتصرمها قاتر محلول والهم من خطوب هذا الزمن المقطوب كليل والقلب لتوالي المحن وتواتر الغم عليل كما قيل في المعنى

يعاندني دهري كأني عدوه * وفي كل يوم بالكريم يبالغ
فان رمت خيرا جاءني منه ضده * وان راقني يوما تكدر في الثاني

وأوجوبي رشف من راح راحة هذه العبارة وراح يدير في حدائق البراعة نظره ويجني النظاره أن يغض نظر الافكار عند العثور على العثار فاني في خجل واضطراب من هفوات هذا الكتاب لانه أدرج فيه بقدر ما وسع مل اهالي من غث رسمين ورئيس وثمين واذا عثر على شيء واب فليصلح واذا وقف على ما ليس يحسن فلا يقع فاني ناقل عن مغني واحسن الناس ما كان لطرف الانتقاد مغمضا فان الكريم غفار والحليم ستار فاني لا أهي رتب الكمال وفوق كل ذي علم عليم ولا أزعم التزاهة عن النقص والعيب فالمرء من كل عيب هو الملك القدوس العزيز العليم قال الشاعر

ما كان من خطأ في النقل أو خلل * في اللفظ أو هفوة في الرقم أو خلل
وشامه ذو ذكاء ناقد فطن * فليسترن وعوارا منه بالحلل
فليس يعصم من عيب ومنقصة * سوى الملائكة والانبياء والرسل

ذكر أمر متصل السند في النيل

(حدثنا) أبو صالح عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث بن سعد قال بلغني أنه كان رجل من بني العيص يقال له حاذ بن ابي شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليه الصلاة والسلام خرج هاربا الى مصر من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فأقام بها سنين فلما رأى أعاجيب تبلها وأوباتي به جعل الله عليه أن لا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك فأرعليه قال بعضهم ثلاثين سنة الى الناس وثلاثين سنة في بحر الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا حتى انتهى الى بحر أعضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا نحو مصر على البحيرة ذا رجل قائم يصلي تحت شجرة من نقاخ فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت فقال له أنا حاذ بن أبي شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم الصلاة والسلام قال له فما تريد قال له أريد أن أعبر النيل فما الذي جاء بك يا حاذ قال جئت من أجل هذا النيل فما الذي جاء بك أنت يا عمران قال جاءني الذي جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فأوحى الله الي ان أقف في هذا الموضع حتى يأتيني أمره فقال له حاذ فأخبرني يا عمران ما التمس الملك من أمر هذا النيل وهل بلغك في الكتب أن أحدا من بني آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغني أن رجلا من بني العيص يبلغه ولا أظنه غيرك يا حاذ فقال له حاذ يا عمران أخبرني كيف الطريق اليه قال له عمران لست أخبرك بشيء الا أن تخبرني ما سألتك قال وما ذاك يا عمران قال اذا رجعت الي وأتاني تقيم عندي حتى يوحى الله الى يأمره وأمر به والي فعند ذلك فان وجدتني ميتا فتدفني

عليه اجعة الجلد وهيبة الكمال واعتلاّت قلوب أهل مصر فرحا وسرورا لم يحصل لهم فرح مثله لكثرة ما وقع لهم من طائفة القرنفيس من أخذ أموالهم وقتل رجالهم وهدم بيوتهم حتى صاروا فقراء ثم في يوم الاحد السابع والعشرين من شهر ربيع الآخر جاء الخبر وأن المسلمين ملكوا الاسكندرية بعد قتال شديد ومات خلق كثير من الانجليز والمسلمين وحصروهم في البرج ثم طلبوا الامان وكان ذلك في يوم الجمعة لثمانية عشر من الشهر المذكور ثم طلبوا مدة فأعطوهم ذلك وبعدها انزلوهم في المراكب شاتمين وخلت منهم البلاد وأراح الله منهم العباد وكانت مدة تصرفهم في مصر ثلاث سنين وشهرا وكان خروجهم همة مولانا السلطان سلاطين أهل الارض الذي صرفه الله في طوطا والعرض مالك الرقاب الاسم سيد سلاطين العرب

ونذهب قال ذلك على قال له سر كما أنت على هذا البحر قال تاتى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها ركبها فانها دابة معادية قال نعم اذا علمت أهوت اليها لتلتقمها حتى يحول بينها وبينك البحر فاذا فررت أهوت عليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسر عليها راجعا حتى تلتقى مع النيل فسر عليها فانك ستبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسوقها من حديد فان أنت جزتها وقعت فى أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسوقها من نحاس فان أنت جزتها وقعت فى أرض من فضة جبالها وأشجارها وسوقها من فضة فان أنت جزتها وقعت فى أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسوقها من ذهب فبها ينتهى البيلم الى النيل فسر حتى انتهى الى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبته من ذهب فيه اثنا عشر أبوابا فانظر الى ما يخصه من وقوق ذلك السور حتى يستفرق القبة ثم تنصرف فى الابواب الاربعة فانها الثلاثة فتنظر فى أرض الاسنافية فانك ستجد فى سيرك على وجه الارض وهو النيل فاشرب منه واستراح واهوى الى السور لتصعد فانه سيمكنك فاقتحم فانك فقد انتهيت اليك ما هذا النيل وهذه الجنة وما لمعانى ينزل من الجنة فقال أريد أن أنظر الى الجنة فقال انك لا تستطيع ودخولها اليوم يا عائد قال فأى شئ هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذى يدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحا قال الى أريد أركبه فادور فيه قال بعض العلماء انه ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه فقال له يا عائد انه سيأتيك من الجنة رزق فلا يؤثرنه شئ من الدنيا بما يتبين قال فبينما هو واقف كذلك اذ نزل عليه عنقود من الجنة فيه ثلاثة عشر من الاصناف لون كان يوجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض ثم قال يا عائد ان هذا من خصر الجنة ولبس من طيب شئ فيها فاجمع يا عائد فقد انتهى البيلم أمر النيل قال فهذه الثلاثة التى تغيض فى الارض ما هى قال أحدها الفرات والآخر دجلة والآخر جيحان فارجع فارجع حتى انتهى الى الدابة التى ركبها فركبها فلما أهوت الشمس لتغرب أهوت اليها فدنت به من جانب البحر فأقبل حتى انتهى الى هران فوجد ميتا حين مات فدفنه وأقام على قبره ثلاثا فأقبل شيخ متشبه بالناس أشعر من الصعيد ثم أقبل الى عائد فسلم عليه ثم قال يا عائد ما انتهى اليك من علم هذا النيل فأخبره فلما أخبره قال هكذا نجده فى الكتب ثم أظهره شهيرة تفاخر فى عينه فقال له أتاكل مما ترى قال نعم ورزق قد أعطيته من الجنة ونبيت ان أؤثر عليه شيأ من الدنيا قال له صدقت يا عائد أو يدنى لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شيئا من الدنيا وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح انما أنزل الى الارض وليس من الدنيا وانما هو الذى تجرمن الجنة أخرجها الله تعالى لعمران يأكل منها وانا نأكل كما أنت وان وليت منا ارتفعت فلم يزل يطريها له حتى حسنت فى عينه حتى أخذ منها قاعة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال أتعرفه هو الذى أخرج أباك من الجنة أما انك لو سلمت فلذا الذى كان معك لك أكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفدوه ويجهدوك ان يبلغ فكار يجهده ان بلغه وأقبل حائد حتى دخل أرض مصر وأخبرهم بهذا وما حائد بارض مصر وبرها الا استناد الى عبد الله بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن رجل من عبد الغافر عن عبد الله بن عمرو فى قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتى هذا النيل من أوله الى آخره من الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وكانه سبعة أخلج خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج مندوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى منه لا ينقطع منها شئ عن شئ ويزرع ما بين الجليين كله من أول مصر الى آخرها يبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يوشذ ثمر وى من ستة عشر ذراعا وبهذا الاسناد الى ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لمغرب خليجها راقاما جسورها رباها فناطر هارقطع جزر ثمانمائة ألف وعشرين ألف فاعل معهم الطوريات والمساحى والادوات يتبعون ذلك لا يدعونه شتاء ولا صيفا وقد كرفى بعض الاخبار أن حائدا هذا المتنبأ انما أوتى الحكمة وانه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطى قوته على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن

والبحيم مولانا السلطان سليم خان لازال محفوفا برعاية الحنان المنان ومؤيدا بسير وزيره الاعظم ومشيره الافخم صاحب الاوصاف الحميدة والاخلاق المرضية من هو حقيق بقول الشاعر

خلق كماء المزن طيب مذاقه
والروض انما طيب نسيم
كما الفت الآن جود يمينه
أيدا وجود للغيث غير مقيم
كالبحر لكن فيه حلم واسع
من جانبى والدهر غير حليم
كالسيف لكنا أنه ذو رحمة
والسيف قاسى القلب غير رحيم

بطالم على أهلها فلم يقدر فسأل الله تعالى فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الرختى وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجرى فى وسطه كانه السبيكة الفضة ● وقال صاحب مباهج الفكر ذكر أبو الفرج قدامة ان مجموع ما فى المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهرا منها ما يجرى من المشرق الى المغرب ومنها ما يجرى من الشمال الى الجنوب ومنها ما جرى بانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان انبعاثه من جهة القمر وراء خط الاستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار وقال خمسة تصب منها الى بطيحة كبيرة فى الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج ماء النيل ● وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان بين كاتم والنوبة قاد ابلغ ونقلة مدينة النوبة عطف من غربيها الى المغرب والصعيد الى الاقليم الثانى فيكون على شمقته عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل والبهايتهى مراكب النوبة الصعيدا مرا مراكب الصعيد الاعلى صعودا وهناك أحجار مفرسة لا مرور للمراكب عليها الا فى أيام زيادة النيل ثم ماخذ الى الشمال فيكون على شرقيه مدينة سوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين للاهرام بمصر غربى وشرقى الى السفاطط فاذا التجار زهاء مسافة يوم انقسم قسم منه احدهما يجرى على يصب فى بحر الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب ومسافته من منبعه الى أن يصب فى رشيد صبعة ثلثمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخا وقيل انه يجرى فى الخراب أربعة أشهر وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس فى الارض نهر يزيد بين تنقص الانهار غيره وذلك ان زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تجمد بها ثم قال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف على حسب مددها تكون كثرتها وقلته وذهب آخرون الى زيادتها بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى ان زيادته من اختلاف الريح وذلك ان الريح الشمال اذا هبت حاسة ألبحر الروى فيدفع اليه ما قبضه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه ماء اليه فينقص وقال آخرون بحرا من جبال الثلج وهى بجبل قاف وانه يغترف البحر ويجرى على معادن الذهب والياقوت والزمرذ والمرجان فيسير ماشاء الله الى أن يأتى بحيرة الزنج قالوا ولا دخوله فى البحر المالح ربما يختط به منه لم يستطع احد شربه لشدة حلاوته ● (وقد تم) ● هذا الكتاب البديع المستطاب

وأوصافه الجميلة لا تعد وأخلاقه الحسنى لا تحصر ولا تعد أسأل الله ان تبكسوا الايام ملابس الغر بطول حياته وان تشرح صدر الزمان بدوام مسرته وان تحفظ من كل مكروه مهجته وان تدوم على مدى الزمان بهجته بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

الحمد لله مدبر الكائنات والصلاة والسلام على أفضل المخلوقات سيدنا محمد القائل وقوله لا سبيل الى رده مصر كنانة الله فى أرضه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام ماتليت أخبارهم فى سائر الليالى والايام ● (وبعد) ● فقد آذن طبع هذا الكتاب المسمى بالطائف أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول بالتمام ونوهت بذكره بحسن الختام محلى الهوامش والطرر بكتاب ابهى من النفائس والغرر مسمى تحفة الناظرين فيمن ولى مصر من الولاة والسلاطين ولجرى انهم بالكتابان عزيز المثال بديعها المنوال فبتلاطى كؤسها تزول الاحزان ويطرب براح سلسبيلها ماجنان الجبان وكان طبعها الفائق وتحسين وضعها الرائق بالمطبعة العامرة العثمانيه التى فى مصر بعمارة الفرافرة بخط باب الشعريه ادارة مديرها ومنشيها الهمام الفائق الفاضل الشيخ محمد عبد الرازق وفراغ مسك الختام ولاح بدر التمام فى أواسط شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٣٠٤ من هجرة النبى عليه الصلاة والسلام

آمين